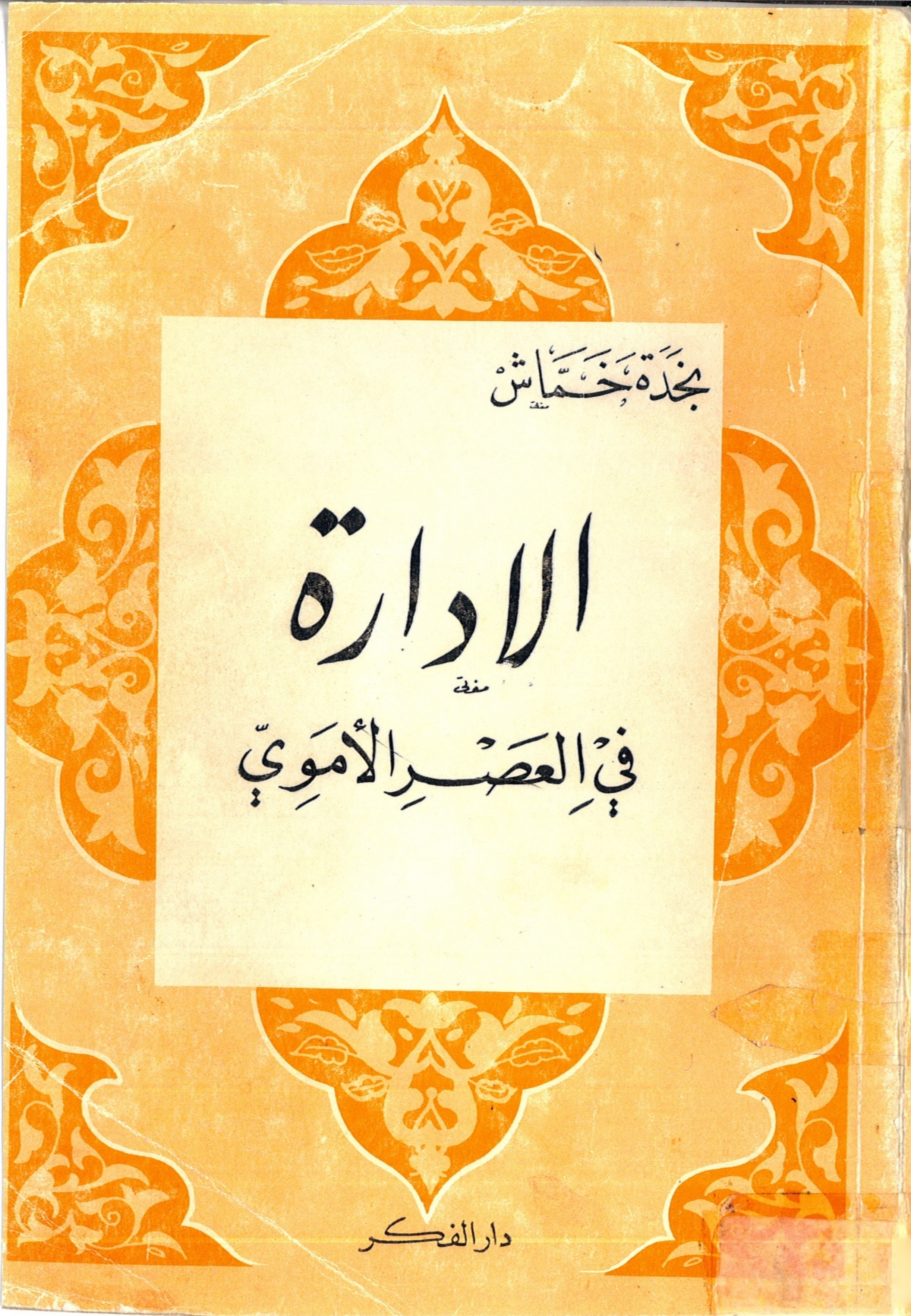

نجدة خمّاش
الإدارة
في العصر الأمويّ
دار الفكر

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الادارة

في العصر الأموي

نجدة خماش



دار الفكر

الطبعة الأولى

١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م



دار الفكر بدمشق ـ ص٠ب ٩٦٢ ـ هاتف ١١١٠٤١ ـ برقيا : فكـر

كلمة شكر وعرفان

أقدم جزيل الشكر لأستاذي الدكتور أحمد بدر الذي أشرف على تحضير هذه الرسالة ونمّى فيّ روح الصبر والدأب ولم يضنّ عليّ بتوجيه أو إرشاد ، والى الاستاذ الدكتور نبيه العاقل الذي بثّ فيّ روح البحث العلمي ووجهني نحو دراسة تراثنا القديم •
فلهما مني كل امتنان وعرفان •

نجدة خماش

دمشق شهر رجب ١٣٩٨ هـ
شهر حزيران ١٩٧٨ م



المقـــدمة

تقويم المصـــادر

عندما اقترح بحث ادارة الولايات في العصر الأموي كموضوع لرسالتي ، لقي هذا الموضوع هوى في نفسي ، لأن مثل هذه الدراسة تساعد على أن تقدم عن مرحلة هامة من تاريخ العرب صورة أصدق مما تعطيه المؤلفات التي تقصر اهتمامها على الأحداث السياسية فقط ، ولا يخفى أن معظم ما ألف في التاريخ العربي الاسلامي يهتم بصورة خاصـــة بالنواحي السياسية ، مما يضفي على تاريخنا على الأعم الأغلب صورة قاتمة مفعمة بالفتن والدسائس ومليئة بالحروب والثورات ، يظهر الناس فيها وكأنهم كانوا يعيشون حياة ملؤها الاضطراب والقلق ويسودها الصراع والتناحر ، وهي صورة لا بد وأن يستخلصها كل من يهتم بالجوانب السياسية لتاريخ أي دولة أو مجتمع في أي زمان أو مكان .

إلا أن مثل هذه الصورة عن التاريخ العربي الاسلامي تظل ، على ماأعتقد، مشوهة مبتورة مالم يكشف عمّا تخفي وراءها أو يتخللها من حياة اجتماعيـــة منتظمة كانت تسير وفق نظام متزن وتمر في تطور هادىء وتتجلى فيها مرونة العرب وذكاؤهم وقابليتهم للتكيف مع الحضارة وقدرتهم على مواجهة وتمثل النظم الجديدة التي لم يكونوا ليألفوها في غابر عهدهم ، أيام الجاهلية .

ويعتبر العصر الأموي من أهم فترات تاريخنا العربي الاسلامي إذ استمر فيه الاحتكاك والتصادم بين حضارة عرب الجزيرة ومبادىء الاسلام من جهة ،

وبين الحضارات الأعجمية التي كانت سائدة آنذاك من جهة أخرى ، وقد نتج عن هذا التصادم امتزاج بين الحضارات تجلّى على الأخص فيما نراه في العصر العباسي من حضارة عربية اسلامية منسجمة سادت منطقة الشرق الأوسط قروناً عديدة وتقبلها الناس عن رضى فكيفوا أساليب حياتهم وفق أفكارها ومبادئها .

وكان دور بني أمية في توطيد أركان الدولة الجديدة وفي نشر الاسلام واللغة العربية هاماً وبارزاً ، وتتجلى أهمية هذا الدور بشكل خاص فيما انتهجه الحكام الأمويون من أساليب وتنظيمات إدارية وما ارتأوه من حلول للمشاكل التي واجهوها .

ولم يكن من السهل دراسة إدارة الولايات في العصر الأموي وإظهار الملامح العامة لها نظراً لأن مادتها مبعثرة ومشتتة في بطون المصادر التاريخية العامة وفي كتب التاريخ المتعلقة بأقطار معينة وكتب التاريخ المحلية بالاضافة الى كتب التراجم وكتب الفقه والسياسة الشرعية وفي المؤلفات الأدبية التاريخية والكتب الجغرافية .

ومن أهم مصادر التاريخ العامة كتاب تاريخ خليفة بن خياط المتوفى سنة ٢٤٠ هـ الذي قدم لي معلومات هامة فيما يتعلق بالتقسيمات الادارية ودور الموالي في الادارة عن طريق قوائم الولاة والعمال والمناطق التابعة لكل وال وقوائم الموظفين الذين كان يوكل اليهم الدواوين المختلفة ، فأكملت بذلك المعلومات التي حصلت عليها ، واذا كان الطبري قد قصر اهتمامه على التاريخ السياسي إلا أنني استخلصت منه الكثير من المعلومات الهامة المتعلقة بالتدابير الأمنية والاجراءات الادارية التي كان يتخذها الخلفاء والولاة .

وفي كتاب فتوح البلدان وأنساب الاشراف معلومات قيمة استمدها البلاذري من المؤرخين المسلمين الأوائل ، ومع أن معظمهم ممن اعتمد عليه الطبري ، كما يتجلى ذلك من الاطلاع على رجال السند في الكتابين أو على

ما يرويانه ، إلا أن البلاذري يتميز بالاهتمام الزائد في النواحي المالية والاقتصادية والاجتماعية والعمرانية ويورد عنها أخباراً كثيرة غير مذكورة في الطبري •

وقد ضمت مؤلفات اليعقوبي والدينوري والمسعودي معلومات هامة تختلف عمّا أورده الطبري والبلاذري ، وهذا يدل على أنهم استمدوا معلوماتهم من مصادر مختلفة ، ولكن عدم ذكرهم للأسانيد يجعل من الصعب تعيين هذه المصادر •

ويعتبر كتاب الكامل لابن الاثير من المصادر التاريخية العامة الهامة رغم كونه مصدراً متأخراً نسبياً ، وقد اعتمد ابن الأثير على الطبري اعتماداً يكاد يكون كليا فيما يتعلق بأخبار المشرق ، ولكن بينما أهمل الطبري أخبار إفريقية والمغرب ، فان ابن الأثير يورد الكثير من المعلومات القيمة عنها ، كما أنه كثيراً مايعتمد على رواة من المغاربة ويشير الى ذلك صراحة •

ويعتبر كتاب فتوح مصر وأخبارها لابن عبد الحكم من أقدم وأهم الكتب التاريخية المتعلقة بأقطار معينة ، وتتلخص أهمية هذا الكتاب في أن ابن عبد الحكم مصري ومن أسرة كبيرة ضربت بسهم وافر في العلم وشاركت بعمق في أمور السياسة ، وهذا يعني أن ابن عبد الحكم كان في موقف اجتماعي يسمح له بالاطلاع على ديوان الفسطاط الذي ذخر بالوثائق الرسمية من الرسائل والسجلات الخاصة بفتح مصر والمغرب أو الأخذ عن المشايخ الذين رأوا هذه السجلات أو نسخوها ؛ والى جانب ذلك نقل ابن عبد الحكم كثيراً من الروايات والقصص الشعبية التي كانت بين أهل مصر سواء عن فتوح مصر والمغرب أو عن التنظيمات الادارية والخطط ، ومن هنا تزداد أهمية كتاب ابن عبد الحكم وخاصة الجزء المتعلق بمصر ، فهو لم يهتم بالتاريخ السياسي فقط بل اهتم بالعمران والنظم والتراتيب ، وعلى ذلك فهو رائد هذا النوع من التأليف الذي يهتم بالمجتمع والخطط •

ولكتاب الكندي عن ولاة مصر وقضاتها أهمية خاصة بالنسبة للعلاقات

بين مصر والمغرب ، ففيه قطع قيمة عن الفتوح الأولى التي قام بها ولاة مصر الأوائل الذين كانوا يضمون إلى عملهم ولاية المغرب ، كما أن فيه معلومات هامة وقيمة عن صلاحيات الولاة في العصر الأموي وعن القضاة واختصاصاتهم ومدى ارتباطهم بالادارة المركزية •

ومن المصادر الهامة التي اعتمدت عليها عند البحث عن المغرب كتاب ابن عذارى « البيان المغرب في أخبار المغرب » الذي ألفه حوالي سنة ٧١٢ هـ ، ورغم أن هذا الكتاب مختصر من وجه ومتأخر من وجه الا أنه يحتوي على روايات قدامى المؤرخين من المغاربة والأندلسيين التي لم تصل الينا والتي يحرص على ذكر أصحابها في كل مناسبة مما يزيد في قيمته ، كما أن في تاريخ ابن خلدون المتعلق بتاريخ المغرب بعض المعلومات القيمة عن أوضاع البربر أثناء الفتح وموقفهم منه وكيفية انتشار الاسلام بين البربر وأسباب انتشاره السريع •

ومن أقدم كتب التراجم التي اعتمدت عليها كتاب الطبقات الكبير لابن سعد الذي صنف تراجمه على أساس أسبقية اتصالهم بالاسلام ، وبالرغم من أن ابن سعد لا يخص الرجال البارزين في الادارة والسياسة ممن لم يعرفوا بشدة التقوى بأكثر من أسطر قليلة ، الا أنه يمكن استخلاص معلومات لها أهميتها في كثير من الأمور المتعلقة بالادارة ، وهذا ماقدمه لي كتاب « رياض النفوس » في طبقات علماء القيروان وإفريقية أيضا ، والمالكي في كتابه هذا يقدم قصة الفتح العربي لافريقية متتابعة منذ محاولات العرب الأولى في سنة ٢١ هـ حتى سنة ٨٥ هـ • ثم يذكر من دخل إفريقية وأوطنها من التابعين ويخص بالذكر التابعين العشرة الذين بعثهم أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز ليفقهوا أهل إفريقية ويعلموهم أمر دينهم ثم يستمر في ذكر العلماء والفقهاء حتى سنة ٣٠٠ هـ •

ولكتب التواريخ المحلية أهميتها لأنها تعبر عن الرباط الوثيق الذي يربط الناس بمكان مولدهم ولأنها تورد حوادث محلية قد يهملها المؤرخون الذين يهتمون بالحوادث العامة والتي تعطي ، مع مالدينا من معلومات عامة ، صورة أعم وأشمل • ومن أهم هذه الكتب ، كتاب الموصل للأزدي ، وكتاب واسط

لابن بحشل ، وتاريخ أصبهان لأبي نعيم الأصبهاني ، وتاريخ بخارى للنرشخي ، وتاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ، والخطط للمقريزي ، وزبدة الطلب في تاريخ حلب لابن العديم ، والأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة ، وتاريخ صنعاء لأحمد بن عبد الله الرازي الصنعاني •

ومن كتب الفقه الاسلامي التي اعتمدت عليها كتاب الخراج لأبي يوسف ، وكتاب الأموال لأبي عبيد القاسم بن سلام ، والخراج ليحيى بن آدم القرشي ، والأحكام السلطانية للماوردي وأبى يعلى ، وكتاب السياسة الشرعية لابن تيمية ، وبالرغم من أن كتب الفقه تؤكد على النواحي القانونية أكثر منها على النواحي العملية ، وتدخل في تفاصيل تتعلق بأمور نظرية لا تمت الى الواقع بصلة الا أن فيها الكثير من المعلومات القيمة المتعلقة بالادارة والجباية ، ولذلك فقد اهتممت بالدرجة الاولى بكل ماله صلة بالواقع وبالفترة التي قمت بدراستها •

وقد وجدت في كتب الأدب العربي مادة غنية عن الأحوال الاجتماعية والاقتصادية والادارية وفيها عدد غير قليل من الوثائق الرسمية والمنشورات ، والرسائل الرسمية المهمة ، كما أن فيها أخبارا عن حياة وأعمال وأقوال بعض الرجال البارزين والمغمورين ، وأهم هذه الكتب التي استفدت منها كتب الجاحظ ، وابن قتيبة ، وابن عبد ربه ، وأبي الفرج الأصبهاني ، كما أن كتاب القلقشندي « صبح الأعشى » يتضمن أخباراً قيمة عن الادارة الاسلامية الأولى •

وتقدم الكتب الجغرافية عوناً كبيراً ولكنه ليس كافياً عند البحث عن إدارة الولايات في العصر الأموي ، وذلك أن أقدم ما وصل إلينا يعود الى القرن الثالث الهجري ، ويصف أوضاع المناطق في ذلك العصر ؛ ولكن المؤرخين العرب والجغرافيين يتمتعون بميزة يحمدون عليها ، وهي الاشارة الى كل تغيير يحدث ؛ فابن شداد مثلاً في كتابه « الأعلاق الخطيرة » عندما يتكلم عن المدن الساحلية التابعة لجند دمشق يقول : « وكانت عرقه وجبيل وصيدا وبيروت وطرابلس تابعة أو يتصرف بها نواب من يلي جند دمشق أيام بني أمية وصدراً من أيام بني العباس

الى أن ملك العبيديون الشام ، فاعتنوا بالثغور فأفردوها وولوا في كل ثغر منها والياً من مصر » ، ثم إن ياقوت الحموي رغم كونه من المتأخرين فانـه كثيراً مايورد تاريخ المدينة التي يتكلم عنها ولا يكتفي بذكر موقعها فقط ، كما أنـه يعتمد على روايات رواة متقدمين لم تصلنا كتبهم ، ولذلك فانني أعتقد أنه يمكن الاعتماد الى حد كبير على المعلومات التي يقدمها الجغرافيون الأوائل كاليعقوبي وابن خرداذبه والاصطخري وابن رسته وابن الفقيه كما يمكننا أن نعتمد على مايورده الجغرافيون المتأخرون الذين يولون التحديد الزمني اهتمامهم •

المراجع الحديثـة

لا بد من الاعتراف بأن المراجع الحديثة العربية منها والأجنبية وخاصـة تلك التي تبحث في الأنظمة الاسلامية عامة والأنظمة الاجتماعية والاقتصاديـة والمالية ، قدمت لي فوائد كثيرة لما تضمنته من آراء وتعليقات وتحليلات ؛ وقد اعتمدت على المراجع الأجنبية بشكل خاص عند التكلم عن الأنظمة التي كانت مطبقة على المناطق التي سيطر عليها البيزنطيون والساسانيون ، إذ أن مصادرنا العربية وان كانت تورد بعض المعلومات إلا أن فيها نقصـاً أكملته بما يرد في المراجع الأجنبية ؛ كما أنه كان للمراجع الحديثة التي تهتم بالوثائق السياسية والادارية أهمية بالغة إذ أنها خففت عني عبء الرجوع الى المخطوطات ، ومن أهم هذه الكتب كتاب الدكتور محمد حميد الله الذي نشر في كتابه « الوثائق السياسية العائدة للعصر النبوي والخلافة الراشدة » وقد اعتمد على كتـاب الأموال لابن زنجويه ، ومعجم الصحابة لابن قانع ، وكتاب الأماكن للحازمي ، وكلها من مكتبات تركيا •

كما أن هناك كتاب المستشرق جروهمان الذي نشر الوثائق المحفوظة في دار الكتب المصرية في القاهرة ، وهي وثائق مأخوذة من أوراق البردي العربية التي اكتشفت في مصر وحفظت في دار الكتب وكلها وثائق اقتصادية وعقـود مالية ومعاملات تعود لأوائل عهد الاسلام وتمتد حتى بعيـد سقوط الدولة الأمويـة •



الارتباط بين التنظيم الاداري والنظام السياسي

ولدت بظهور الاسلام أول دولة اسلامية ، ولم يكن الاسلام دين عبادة فحسب ينظم صلة الانسان بخالقه ، بل كان بالاضافة لذلك منهاجا جديدا للحياة وشرعة تحدد للناس قواعد التعامل فيما بينهم ودستورا للدولة يرسم الخطوط الكبرى والمبادىء الاساسية لسياستها العامة ولادارة أمورها وتصريف شؤون رعاياها .

بدأت بوادر التنظيم الاداري المبكر في الاسلام بالظهور منذ بيعة العقبة الثانية[1] ، وتجلت معالمه في الصحيفة التي وضعها الرسول الكريم ﷺ بين المهاجرين والانصار ويهود يثرب ومن بقي من العرب على شركهم ، اذ رسمت هذه الصحيفة الى جانب الشروط السياسية وما ارتبط بها من حقوق وواجبات أسلوب العمل بين جميع الفئات المدنية ، وتتوضح القواعد الاساسية لهذا الترابط في النص على « أن المؤمنين أمة من دون الناس » وأن أفراد هذه الامة عليهم تنظيم العمل فيما بينهم من أجل السهر على الأمن والقضاء على المفسدين « وأن المؤمنين المتقين على من بغى منهم ... وأن أيديهم عليه جميعا ولو كان ولد أحدهم[2] » .

---

(١) حضر في بيعة العقبة الثانية وفد من أهل يثرب الى مكة في العام السابق لهجرة الرسول ، وبايعوا النبي عليه السلام ؛ ولما كان هذا الوفد يتألف من ثلاثة وسبعين رجلا وامرأتين رأى النبي الكريم ضرورة وضع نظام لهم باعتبارهم نواة المجتمع الجديد وليحافظ على سلامة هذا المجتمع وتنسيق العمل بين أفراده في سبيل نشر الدعوة الاسلامية ، وطلب الرسول الكريم أن يخرجوا اليه اثني عشر نقيبا ، فأخرجوا منهم اثني عشر نقيبا تسعة من الخزرج وثلاثة من الاوس ــ ابن هشام ، السيرة النبوية ، ط ١٣٥٥ هـ ، ج٢ ، ص ٨٥ .

(٢) المصدر السابق ، ج٢ ، ص ١٤٧ .

ضمنت الصحيفة ليهود المدينة حريتهم الدينية وجعلتهم حلفاء للمسلمين يحاربون من يحاربهم ويشاركونهم في الغنم كما يشاركونهم في النفقة ويحتكمون اليه ﷺ في كل حدث واشتجار يخاف فساده ، وهكذا أصبح للجميع بمقتضى الصحيفة مرجع واحد في خلافاتهم « وبذلك أوجد الرسول السلطة العامة التي لم تكن العرب تعرفها من قبل وأنشأ الدولة الاسلامية جامعة في حضنها المسلمين وغير المسلمين[1] » . ويعلق سيد قطب « أن المعاهدة التي عقدها رسول الله ﷺ مع اليهود من أهلها ومن بقي على الشرك من العرب فيها وفيما حولها كانت ملابسة تقتضيها طبيعة المرحلة أولا : لان هناك مجالا للتبليغ والبيان ، لا تقف له سلطة سياسية تمنعه وتحول بين الناس وبينه ، فقد اعترف الجميع بالدولة المسلمة الجديدة وبقيادة رسول الله في تصريف شؤونها وكان واضحا أن السلطة الحقيقية في المدينة في يد القيادة المسلمة ، فالمجال أمام الدعوة مفتوح والتخلية بين الناس وحرية الاعتقاد قائمة ، ثانيا : ان الرسول الكريم كان يريد التفرغ في هذه المرحلة لقريش التي تقوم معارضتها لهذا الدين حجر عثرة في وجه القبائل الأخرى[2] .

فلما كان فتح مكة وما أعقبه من استسلام هوازن وثقيف ، بدأت القبائل تدخل في دين الله أفواجا وترسل وفودها منذ نهاية العام الثامن وطوال العام التاسع ، واقتضى هذا التطور تعديلا واسعا في النظام السياسي الذي سبق أن أقامه الرسول بمقتضى الصحيفة ، ويتجلى هذا التطور بشكل واضح في سورة التوبة وهي سورة مدنية من أواخر ماتنزل من القرآن[3] ، ومن ثم فقد تضمنت

---

(١) منير العجلاني ، عبقرية الاسلام في اصول الحكم ، الطبعة الاولى ص ١١ .

(٢) سيد قطب ، في ظلال القرآن ، الطبعة الخامسة ، المجلد الثالث ج ٩ ص ١٧٨ .

(٣) المصدر السابق ، المجلد الرابع ج ١٠ ص ٨١ « نزلت سورة التوبة بجملتها في العام التاسع من الهجرة ، ولكنها لم تنزل دفعة واحدة ، الا أنه يمكن الترجيح بأنها نزلت في ثلاث مراحل ... المرحلة الاولى منها كانت قبل غزوة تبوك في شهر رجب من العام التاسع ، والمرحلة الثانية كانت في أثناء الاستعداد لهذه الغزوة ، والمرحلة الثالثة كانت بعد العودة منها ، أما مقدمات السورة من أولها الى نهاية الاية الثامنة والعشرين منها فقد نزلت متأخرة في نهاية السنة التاسعة قبل موسم الحج ـ المصدر السابق ج ١٠ ، ص ٨٤ .

أحكاما نهائية ، والسورة بهذا الاعتبار ذات أهمية كبيرة خاصة فيما يتعلق بموضوع الجهاد ، وعلاقات المجتمع المسلم بالمجتمعات الأخرى[1] .

كانت العهود هي المبدأ العام المطبق بين المسلمين والمشركين وبين المسلمين واليهود من أهل الكتاب . فلما خرج الرسول الى غزوة تبوك وتخلف المنافقون وأرجفوا بالأراجيف ، جعل المشركون ينقضون العهد فنبذ رسول الله ﷺ العهد عليهم[2] . « براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين . » والاعلان ببراءة الله ورسوله من المشركين يحدد موقف كل مسلم بحيث لا يبقى بعد ذلك مراجعة ولا تردد ، لاسيما وأن الوقائع دلت المرة تلو الأخرى أنه لايمكن أن يعيش المسلمون مع المشركين بحكم المعاهدات المرعية فيأمنون شرّهم وعدوانهم « وأما حكمة ذلك فهي محو بقية الشرك من جزيرة العرب بالقوة وجعلها خالصة للمسلمين »[3] ، وبعد البراءة والاعلان لم يبق عذر ولا حجة لمن لا يقاتل المشركين ، ولم يعد هناك تردد في حرمانهم زيارة البيت أو عمارته وقد كانوا يقومون بها في الجاهلية فهو حق خالص للمسلمين المؤمنين بالله القائمين بفرائضه[4] « ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الاخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين[5] » . أما الآيات (٢٨ ــ ٣٥) من سورة التوبة فهي تحدد علاقة المسلمين بأهل الكتاب عامة وهي تعني كل أهل الكتاب سواء منهم من كان بالجزيرة ومن كان خارجها[6] « وقاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر ولا يحرّمون ما حرّم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا

(١) المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ٨١ و ٨٢ .
(٢) الامام فخري الرازي ، التفسير الكبير ، الطبعة الثانية ، المجلد ١٥ ، ص ٢١٧ .
(٣) سيد قطب ، المجلد الرابع ، ج ١٠ ، ص ١٢٠ .
(٤) المصدر السابق ، المجلد الرابع ، ج ١٠ ، ص ١٥٩ .
(٥) سورة التوبة ، الاية ١٧ ، ١٨ .
(٦) الرازي ، المجلد ١٦ ، ص ٣١ . سيد قطب ، المجلد الرابع ج١٠ ، ص ١٦٩ .

الكتاب ، حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ، وقالت اليهود ، عزير بن الله، وقالت النصارى ، المسيح بن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنّى يؤفكون » • والتعديل البارز في هذه الاحكام هو الأمر بقتال أهل الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ، فلم تعد تقبل منهم عهود موادعة ومهادنة الا على هذا الأساس ، أساس اعطاء الجزية ، وفي هذه الحالة تقرر لهم حقوق المعاهد • والذي يلفت النظر هو ذكر اليهود هنا « وقالت اليهود عزير بن الله » في حين أن الآيات كانت بصدد التوجيه والتحضير لمواجهة الروم وحلفائهم من نصارى العرب ، ويرجع ذلك الى أمرين كما يرجح سيد قطب ، الأول : أنه لما كان نص الآيات عاماً والأمر بقتال أهل الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون عاماً فقد اقتضى السياق بيان الاصل الاعتقادي الذي يستند اليه هذا الأمر العام في شأن أهل الكتاب من اليهود والنصارى سواء • والثاني : أن اليهود كانوا قد رحلوا من المدينة الى أطراف الشام ، هم وأفراد من بني قريظة ، فكان اليهود يومئذ في طريق الانطلاق الاسلامي الى أطراف الشام مما اقتضى أن يشملهم ذلك الأمر وأن يشملهم هذا البيان[1] » • وكان من نتيجة هذه الأحكام النهائية أن الرسول عندما وصل الى تبوك ولم يلق كيداً أقام فيها أياماً فصالحه أهلها على الجزية وأتاه وهو بها يحنه بن رؤبة صاحب إيله فصالحه على أن جعل على كل حالم بأرضه في السنة ديناراً[2] ، وصالح رسول الله أهل أذرح على مائة دينار في كل رجب[3] ، وصالح أهل جرباء على الجزية وكتب لهم كتابا[4] •

أما القبائل التي تلكأت في إعلان إسلامها أو إرسال وفود من قبلها لبيعة الرسول فقد غدت عرضة لغزو المسلمين حتى تقر بالاسلام وتعترف برئاسة

(١) سيد قطب ، المجلد الرابع ، ج ١٠ ، ص ١٩٣ •
(٢) البلاذري ، فتوح البلدان ، طبعة ١٩٥٩ ، ص ٧١ •
(٣) المصدر السابق ص ٧١ •
(٤) المصدر السابق ص ٧١ •

الرسول كما كان حال بني الحارث بن كعب ، إذ بعث الرسول الكريم خالد بن الوليد في شهر ربيع الاول أو في جمادى الاولى من السنة العاشرة للهجرة الى نجران وأمره أن يدعوهم للاسلام قبل أن يقاتلهم ثلاثاً فان استجابوا قبل منهم إسلامهم والا وجب عليه قتالهم[1] . كما وجه رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب في سرية الى اليمن في رمضان[2] فأسلمت همدان ثم تتابع أهل اليمن على الاسلام ، وأما من بقي على يهوديته أو نصرانيته فعليه الجزية ، على كل حالم ذكر أو أنثى حر أو عبد دينار واف من قيمة المعافر أو عرضه ثيابا[3] .

بدأ منذ السنة التاسعة للهجرة ظهور طبقة العمال الاداريين نظراً لنمو الدولة الاسلامية الوليدة واتساع سلطانها على جميع أرجاء شبه الجزيرة العربية، كما ظهر العمال الذين كان يرسلهم لجمع الزكاة والصدقات والجزية فضلا عن تعليم الناس القرآن ، وما يتصل بشؤون الدين من معاملات ، وكان الرسول يختارهم من صحابته كل حسب مواهبه واستعداده وكانت القدرة على نشر الدعوة هي الأساس الأول للعمل في الميدان الاداري ، كما انتقى الرسول من بين صحابته كتاباً له يدونون القرآن عقب نزول الوحي مباشرة وكتّاباً للرسائل والاقطاع وكتّاباً للعهد والصلح[4] .

وبعد وفاة الرسول الكريم ظهرت للوجود أول مؤسسة سياسية للدولة الاسلامية وأطولها عمرا وهي الخلافة ، ولقد تحددت البنية الاساسية للنظام السياسي الجديد ومعناه عندما خاطب أبو بكر المسلمين بقوله : « لا بد لكم من رجل يلي أمركم ويصلي بكم ويقاتل عدوكم »[5] فأوضح أن الخلافة نظام يتولى

---

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، الطبعة الثانية ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، ج ٣ ، ص ١٢٦ .

(٢)) المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١٣٢ .

(٣) محمد حميد الله ، مجموعة الوثائق السياسية للعهدالنبوي والخلافة الراشدة ، الطبعة الثالثة ، ١٩٦٩ ، ص ١٨١ .

(٤) البلاذري ، انساب ، ج ١ ، تحقيق محمد حميد الله ، دار المعارف بمصر ، ص ٥٣١ .

(٥) ابن قتيبة ، الامامة والسياسة ، تحقيق طه محمد الزيني ، ج ١ ص ٢٥ .

صاحبها رعاية أمور الدين والدنيا ، وذلك باقامة شعائر الدين ونشر الاسلام وجهاد أعدائه ، وكذلك ما قاله أبو بكر في المسجد : « أما بعد أيها الناس فاني قد وليت عليكم ولست بخيركم فان أحسنت فأعينوني ، وان أسأت فقوموني ، الصدق أمانة والكذب خيانة ، والضعيف فيكم قوي عندي حتى أريح عليه حقه إن شاء الله ، والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه ان شاء الله ، لا يدع أحدكم الجهاد في سبيل الله ، فانه لا يدعه قوم الا ضربهم الله بالذل ، ولا تشيع الفاحشة في قوم الا عمهم البلاء ، أطيعوني ماأطعت الله ورسوله فاذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم »(١) .

قيد أبو بكر بخطابه هذا سلطة الخليفة بالرأي العام مع تقييدها أيضاً بدستور الاسلام وهو القرآن والسنة ، وأظهر أهمية الجهاد لاعلاء كلمة الله ، وضرورة اقامة العدل والسير على الطريق القويم ، وقد انعكس هذا المفهوم على الادارة وتوضح في عهد الخليفة عمر بن الخطاب الذي واجه مشكلة خطيرة ، وهي مشكلة ادارة هذه البقاع الجديدة التي امتدت اليها الفتوحات الاسلامية في فترة وجيزة ، وما فيها من شعوب متعددة الالسن ، وما كان لها من أنماط ادارية متباينة ، فأبقى من التنظيمات والمؤسسات مايساعد على ادارتها ، حتى لا يضطرب سير الاعمال وحتى يفيد من خبرة من كان يعمل بها أيضا ، وفي نفس الوقت طعم هذه الادارات بالروح العربية الجديدة التي صقلها الاسلام وزودها بتعاليم سامية تستهدف خير الانسانية .

ولما كان عمر بن الخطاب يؤمن ايماناً عميقاً بأن المسؤولية أولاً وأخيراً هي مسؤولية الخليفة ، وقد أكد هذا المفهوم مرات عدة كان آخرها قوله : « لئن عشت لأسيرن في الرعية حولا ، فاني أعلم أن للناس حوائج تقطع دوني ، أما عمالهم فلا يرفعونها ، وأما هم فلا يصلون الي ، فأسير الى الشام فأقيم بها

---

(١) ابن هشام ، ج ٤ ، ص ٣١١ .

شهرين ، ثم أسير الى البحرين فأقيم بها شهرين ، ثم أسير الى الكوفة فأقيم بها شهرين ، ثم أسير الى البصرة فأقيم بها شهرين والله لنعم القول هذا »[1] .

هذا المفهوم هو الذي دفع عمر الى جعل النظام الاداري مركزيا لانه اعتبر أن الخليفة هو المسؤول عن تنفيذ القانون ، ولذا فان الرابطة بينه وبين عماله جميعا يجب أن تكون علاقة مباشرة ، واتخذ خطوات عملية في ذلك السبيل شهدت له بالقدرة الفائقة على التنسيق بين جميع النظم التي تكفل للدولة الاستقرار ، إذ أجاد الجمع بين النظم الادارية التي سبق أن تقررت قواعدها على عهد الرسول وبين متطلبات الوضع الجديد للدولة الاسلامية بعد الفتوحات الشاسعة التي تمت في عهده .

سار عثمان في سنوات خلافته الاولى على نهج الخليفة عمر ، ولكنه عندما انطلقت مطامح أقربائه من بني أمية وعمدوا الى استغلال صلة القربى بينهم وبين الخليفة لتحقيق أمانيهم في السيطرة على أكبر مناصب الدولة ، أثار هذا العمل مشاعر الناس لانهم أحسوا باختلال في التنظيم الاداري الذي وضعه لهم عمر .

وكشف السخط الذي ساد ولايات الدولة الاسلامية في أواخر خلافة عثمان والذي اشتهر باسم الفتنة الاولى عن الارتباط بين النظامين السياسي والاداري في الدولة الاسلامية ومدى تأثر كل منهما بالآخر ، فعندما اضطرب حبل التنظيم الاداري انفرط عقد النظام السياسي ودفع الخليفة عثمان حياته ثمناً لهذا الاضطراب الاداري في الدولة .

وضع الدولة الاسلامية عقب الفتنة التي أدت الى مقتل الخليفة عثمان

كان من أسباب عجز الخليفة الجديد علي بن ابي طالب عن السيطرة على الموقف عدم استطاعته اقرار التنظيم الاداري للدولة الاسلامية ، فقد كانت وجهة نظر هذا الخليفة أن يعزل كافة عمال عثمان ومن بينهم معاوية بن أبي سفيان

(١) الطبري ، ج٤ ، ص ٢١٠ ، ابن الجوزي ، تاريخ عمر بن الخطاب ط ١٣٩٤ هـ ، ص ١٣٢ .

باعتبارهم سبب الفتنة التي سادت الدولة الاسلامية ، واختار نفراً آخر من العمال وبعث بهم الى مراكز الولايات الاسلامية ، غير أن العامل الذي بعث به الى الشام عجز عن دخول هذا الاقليم حيث تصدى له جند معاوية عند تبوك[1]، ونشب الخلاف لذلك بين علي بن ابي طالب ومعاوية بن أبي سفيان ، هذا الخلاف الذي أضعف مركز علي لاسيما بعد معركة صفين وتحكيم الحكمين وخروج الخوارج، فما أن انتهى علي من معركة النهروان سنة ٣٧ هـ حتى خالفه قوم كثير وانتقضت عليه أطرافه وخالفه بنو ناجية ، وانتقض أهل الاهواز وطمع أهل الخراج في كسره وأخرج أهل فارس سهل بن حنيف عامل علي عليها[2] « كما أن أهل كرمان طمعوا في كسر الخراج ، وطمع أهل كل ناحية على مايليهم وأخرجوا عمالهم »[3] . ولم يختلف الامر في خراسان حيث اضطر علي أن يرسل خليد بن قرّه اليربوعي الذي حاصر نيسابور حتى صالحه أهلها كما صالحه أهل مرو[4] ، وفي سنة ٣٩ هـ وبعد أن اضطرب الامر الى حد كبير في فارس وكرمان أرسل علي زياد بن أبيه الذي استطاع أن يعيد الأمور الى نصابها ، أما أرمينية التي اضطر معاوية الى سحب قواته المرابطة فيها ليستخدمها في صراعه ضد خصمه ، فقد أدى هذا الانسحاب الى حدوث فراغ استغله البيزنطيون في تحقيق أهدافهم وسقطت أرمينية مرة أخرى في يد الامبراطورية البيزنطية[5] .

واذا كانت معركة صفين والتحكيم قد أضعفا مركز علي فقد ازداد مركز معاوية قوة ، اذ يذكر أبو مخنف عن أبي جهضم الازدي ، رجل من أهل الشام ، أن أهل الشام عندما انصرفوا من صفين وكانوا ينتظرون مايأتي به الحكمان بايع

---

(١) الطبري ، ج ٤ ، ص ٤٤٢ .
(٢) الطبري ، ج ٥ ، ص ١٢٢ .
(٣) المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ١٣٦ .
(٤) المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ١٠٤ .
(٥) نبيه عاقل ، خلافة بني أمية ، الطبعة الثالثة ، ١٩٧٥ ، ص ٨٣ .

أهل الشام معاوية بالخلافة ، واختلف الناس بالعراق على علي"[1] ، وأصبح همّ معاوية الأوحد هو مصر ، لانه كان يدرك أن سيطرته على مصر تعني انتصاره على علي" لاهمية موقعها ولعظم ثروتها ، وفي صفر سنة ٣٨ هـ على قول الواقدي استطاع عمرو بن العاص بعد معركة جرت بينه وبين محمد بن أبي بكر وكنانة بن بشر أن ينتصر عليهما ويقتلهما ، وهكذا أصبحت مصر تابعة لمعاوية فقوي بذلك مركزه[2] ، ولم يلبث أن سيطر على الحجاز واليمن بفضل بشر بن أبي أرطاه[3].

وفي سنة ٤٠ هـ وقبل مقتل علي جرت بين علي ومعاوية المهادنة على أن توضع الحرب بينهما فيكون لعلي العراق ولمعاوية الشام[4] ، وهذا يعني اعتراف علي بمعاوية أو وجود خليفتين في آن واحد ، ولكن هذا الأمر لم يطل إذ قتل علي ولم يستطع الحسن بن علي الذي بايعه أهل العراق خليفة بعد أبيه أن يتابع قتال الأمويين بسبب ضعف أهل العراق وعدم اطمئنانه اليهم ، ومن ثم دخل في مفاوضات مع معاوية انتهت بتنازله عن الخلافة[5].

الملامح الاساسية لنظام الحكم بعد تسلم الأمويين السلطة

بانتقال الخلافة الى معاوية بن أبي سفيان في العام ٤١ للهجرة الذي تعارف المؤرخون على تسميته بعام الجماعة لاتفاق كلمة المسلمين بعد طول نزاع يبدأ عصر جديد من عصور الحكم في الدولة العربية الاسلامية هو العصر الأموي[6]، الا أن بعض المؤرخين الغربيين كبليايف وجودفروا دي مومبين يرون أنه توخيا للدقة يجب القول إن عثمان كان أول خليفة أموي ثم خلفه معاوية[7].

---

(١) الطبري ، ج٥ ، ص ٩٧ .
(٢) الطبري ، ج٥ ، ص ١٠٥ .
(٣) المصدر السابق ، ج٥ ، ص ١٣٩ ، ١٤٠ .
(٤) المصدر السابق ، ج٥ ، ص ١٤٠ .
(٥) المصدر السابق ، ج٥ ، ص ١٦٢ و١٦٣ و١٦٤ .
(٦) نبيه عاقل ، خلافة بني أمية ص ٦٢ .
(٧) بليايف ــ العرب والاسلام والخلافة العربية ــ بيروت ، الدار المتحدة للنشر ط ١٩٧٣ ، ص٢٠٠
Gaudefroy De Mombynes et Platonov . Hisiore du Monde . Le Monde Musulman et Byzantin jusqu' aux Croisades, Tome VII, p. 174 .

يمكن القول هنا إن الملابسات التي انتهت باختيار أهل الشورى لعثمان بن عفان خليفة للمسلمين قد كشفت النقاب عن مشاعر الأمويين الذين لم يستطيعوا أن يخفوا شعورهم بأن انتخاب عثمان خليفة أمر حقق لهم ماكانوا يطمحون اليه من سيادة ورئاسة ، وقد جاء ذلك على لسان أبي سفيان حين وفد على عثمان غداة انتخابه خليفة إذ قال : « يابني سفيان تلقفوها تلقف الكرة فوالذي يحلف به ابو سفيان مازلت أرجوها لكم ولتصيرن إلى صبيانكم وراثة »[1] . واذا صح هذا القول فانه يكشف عما كان يراود أبا سفيان وأبناء البيت الأموي من مفاهيم حول نظام الحكم في الدولة الاسلامية الفتية ، إذ بادر ابو سفيان وهو رأس هذا البيت ومعه أبناؤه عقب اسلامه عند فتح مكة الى الانضواء تحت لواء الدولة الجديدة ، والتفـاني في حمل رسالتها تعويضاً عمـا فاتهم من سبق في دخول الاسلام ، واستطاع الأمويون أن يتولوا كثيرا من المناصب القيادية في عهـد الرسول الكريم وخليفتيه أبي بكر وعمر ، حتى أصبح معاوية في خلافة عمر والياً على دمشق والاردن[2] . وقد بين المقريزي أن الذي ساعد على تقوية مركـز الأمويين هو عدم اعتماد الرسول وأبي بكر وعمر في أعمالهم على بني هاشم ، إذن يقول : فانظر كيف لم يكن في عمال رسول الله ﷺ ولا في عمال أبي بكر وعمر رضي الله عنهما أحد من بني هاشم . فهذا وشبهه هو الذي حدد أنياب بني أمية وفتح أبوابهم وأترع كأسهم »[3] .

ولكن اذا لم يستخدم عمر بن الخطاب مثلاً أحداً من بني هاشم كعمال على الولايات فقد اعتمد في اختيار ولاته من العرب على أولئك الذين حسن اسلامهم وتبينت له كفايتهم ، وكان يراقبهم في أمور الدين والدنيـا ، فلم يكن للعصبية أثرها فيما كان يمارس من التولية والعزل ، بينما اعتمد عثمان اعتماداً كبيراً على

---

(١) المسعودي ، مروج الذهب ، بيروت ـ دار الاندلس للطباعة والنشر ، تحقيق يوسف أسعد داغر ، ج٢ ، ص ٣٤٣ . وانظر كذلك البلاذري أنساب طبعة ١٩٧١ ، ج٤ ، قسم ١ ، الجامعة العبرية ص ١١ ، المقريزي ، النزاع والتخاصم فيما بين أمية وبني هاشم ـ المطبعة العلمية في النجف ، ص ٤٠ .

(٢) الطبري ، ج٤ ، ص ٢٨٩ .

(٣) المقريزي ، النزاع والتخاصم ، ص ٣٨ .

بني أمية كولاة على الولايات الهامة في الدولة أو كمستشارين له[1] ، وكان معاوية بن أبي سفيان أعظم الولاة حظاً في أيام عثمان ، وليس من شك في أن عثمان هو الذي مهد لمعاوية ما استطاع تحقيقه من نقل الخلافة الى آل أبي سفيان وتثبيتها في بني أمية ، فعثمان هو الذي وسع على معاوية في الولاية فضم اليه فلسطين وحمص[2] ثم مد له في الولاية أثناء خلافته كلها كما فعل عمر وأطلق يده في أمور الشام أكثر مما أطلقها عمر ، فلما كانت الفتنة استطاع معاوية بن أبي سفيان أن يبلور مفاهيم البيت الاموي بما يوضح مسؤولية هذا البيت في الدفاع عن الخليفة وعن حقوقه بالتالي في الخلافة نفسها ، وأفصح معاوية عن تلك المفاهيم الى الخليفة عثمان حين وفد عليه سنة ٣٤ هـ مع سائر ولاة بني أمية وغيرهم للتشاور في أمر الفتنة التي انتشرت في أرجاء الدولة ، اذ قال معاوية للخليفة بعد انتهاء المؤتمر واتضاح أسباب السخط : « يا أمير المؤمنين انطلق معي الى الشام قبل أن يهجم عليك من لا قبل لك به ، فان أهل الشام على الأمر لم يزالوا »[3] ، ورفض عثمان طلب معاوية وأبى مفارقة الحجاز ، وعندئذ أعلن معاوية عن مسؤولية البيت الاموي في الدفاع عن عثمان وحق بني أمية إذا بلغ الامر حد الالتجاء الى القوة ، اذ خطب في جمع من المهاجرين في المدينة فيهم طلحة والزبير وعلي فقال : « انكم قد علمتم أن هذا الامر كان اذ الناس يتغالبون الى رجال فلم يكن منكم أحد الا وفي فصيلته من يرأسه ويستبد عليه ، ويقطع الأمر دونه ولا يشهده ولا يؤامره حتى بعث الله جل وعز نبيه ﷺ ، وأكرم به من اتبعه فكانوا يرئسون من جاء من بعده وأمرهم شورى بينهم ، يتفاضلون بالسابقة والقدمة والاجتهاد فإن أخذوا بذلك وقاموا عليه كان الأمر أمرهم ، والناس تبع لهم ، وان اصغوا الى الدنيا ، وطلبوها بالتغالب سلبوا ذلك ورده الله الى من كان يرأسهم والا فليحذروا الغير »[4] .

---

(١) المسعودي ، مروج الذهب ، ج٢ ، ص ٣٣٤ .
(٢) الطبري ، ج٤ ، ص ٢٨٩ .
(٣) المصدر السابق ، ج٤ ، ص ٣٤٥ .
(٤) الطبري ، ج٤ ، ص ٣٤٤ .

كشف معاوية بهذا الخطاب عن مفهوم جديد وهو أن بقاء الخلافة في عثمان حق من حقوقه لانه أصبح خليفة بالاعتماد على مبدأ الشورى لسابقته وفضله في الدين ، وأنهم اذا حاولوا الاعتداء عليه فمعنى ذلك أنهم أصغوا الى الدنيا وطلبوها ، فعند ذلك سيرد الله الأمر الى من كان يرأسهم في الجاهلية أي آل أبي سفيان ، كما يشير الى أن الالتجاء الى القوة سوف يؤدي الى رجحان كفة الأمويين لاعتمادهم على أهل الشام .

وكانت نصيحة معاوية لعثمان بالانتقال الى الشام وباظهاره أهمية اعتماد البيت الأموي على هذا الاقليم يمثل مفهوماً جديداً في التطور السياسي الذي شهدته الدولة الاسلامية اذ ذاك فقد أثبتت الحوادث أن بلاد الحجاز لم تعد المركز الذي تدار منه شؤون الدولة الاسلامية ، بعد أن اتسعت رقعتها إذ هاجر القسم الأعظم من القبائل الهامة ، ان لم نقل قبائل هامة برمتها ، من بلاد الحجاز وأقامت في المعسكرات التي تحوّلت الى مدن زاهرة في الاقاليم المفتوحة ، وتناقصت أهمية الحجاز ولم تعد المصر الأوحد الذي تقرر منه سياسة الدولة الاسلامية ، وحين آل الامر الى بني أمية اتخذ معاوية دمشق مركزاً[1] للدولة الاسلامية بسبب موقعها المتوسط وتقاليدها الحضارية وبقي لأهل الشام مكانتهم الخاصة لدى معاوية فقد كان يرى أنهم عماد دولته المكين وسنده الأمين الذي ينبغي الحفاظ عليه ، وفي بعض مايؤثر عنه أقوال تنم عن شعوره بالود والمحبة لهم . ويظهر ذلك جلياً من وصيته لابنه يزيد ، ومن تلك الرواية التي يوردها الطبري على لسان الزهري عندما أراد معاوية أن يرسل بسجل قد ختم عليه في أسفله الى قيس بن سعد يسجل فيه ماشاء قال عمرو لمعاوية : « لاتعطه هذا وقاتله » ، فقال معاوية : « على رسلك فانا لا نخلص الى قتل هؤلاء حتى يقتلوا أعدادهم من أهل الشام فما خير العيش بعد ذلك »[2] .

---

(١) القلقشندي ، ج٣ ، ص ٢٦٧ ، وبقي معاوية في الشام هو ومن بعده الى حين انقراض خلافتهم وكانت دار اقامتهم دمشق فان نزلوا غيرها فليس لاقامة .

(٢) الطبري ، ج٥ ، ص ١٦٤ .

ويشير فلهوزن في كتابه بناء على أخبار أوردها المؤرخ تيوفانس في حوادث سنة ٦١٥١ وسنة ٦١٥٢ أن معاوية نقل بيت مال الدولة من الكوفة الى دمشق وزاد في عطاء أهل الشام وأنقص عطاء أهل العراق[١] ونلاحظ أن هذه المودة المبنية على المنفعة المتبادلة استمرت ماقامت لبني أمية دولة في بلاد الشـــام ، فالوليد بن عبد الملك كان عند أهل الشام أفضل خلفائهم[٢] ، كما أنه كان يعتبر نفسه مسؤولاً عن حماية أهل الشام ، ويعتبر أهل الشام الجنة والرداء[٣] .

ثم إن نجاح معاوية وتنازل الحسن عن الخلافة كان إقراراً بمبدأ الأمــر الواقع المستند الى القوة في اختيار الخليفة ، هذا المبدأ الذي عبّر عنه معاوية عندما قدم المدينة عام الجماعة وتلقاه رجال قريش مهنئين فأجابهم : « أما بعــد فاني والله ما وليتها بمحبة علمتها منكم ولا مسرة بولايتي ، ولكني جالدتكم بسيفي هذا مجالدة »[٤] . وصارت العلاقة تقوم على مؤاكلة حسنة ومشــاعر جميلة قوامها قول الخليفة لرجال قريش : « وان لم تجدوني أقوم بحقكم كله فاقبلوا مني بعضه »[٥] . فلما كان عهد عبد الملك الذي واجه مشاكل كثيرة حتى استقامت له الأمور وقضى على ثورة عبد الله بن الزبير ، فانه رأى أن المؤاكلة الحسنة لا مكان لها في سياسته وأنه لا تداوى أدواء هذه الامة الا بالسيف[٦] ، ثم هو في وصيته لابنه قبل موته يطلب منه أن يشمر ويأتزر ويلبس جلد النمــر ويدعو الناس الى البيعة ، « فمن قال برأسه كذا أي لا فقل بالسيف كذا »[٧] .

---

(١) فلهوزن ، تاريخ الدولة العربية من ظهور الاسلام الى نهاية الدولة الاموية ، ترجمة محمد عبد الهادي ابو ريده ، القاهرة ١٩٦٨ ، ص ١٢٦ .

(٢) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، طبعة ١٩٦٢ ، ج٤ ، ص ٤٢٤ .

(٣) ابن قتيبة ، عيون الاخبار ، القاهرة ١٩٢٥ ، ج١ ، ص ١٠ .

(٤) ابن عبد ربه ، ج٤ ، ص ٨١و٨٢ .

(٥) المصدر السابق ، ج٤ ، ص ٨٢ .

(٦) ابن عبد ربه ج٤ ، ص ٤٠١ ـ ابن كثير ، البداية والنهاية في التاريخ ، القاهرة ، ج٦ ، ص ٦٤ ـ السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، دار الثقافة بيروت ، ص ٢٣٩ ، في خطاب لعبد الملك : « أما أنــه كان من قبلي من الخلفاء يأكلون ويؤكلون ، واني والله لا أداوي هذه الامة الا بالسيف » .

(٧) عبد الملك بن حسن بن عبد الملك العصامي المكي ، سمط النجوم العوالي في انباء الاوائل والتوالي ، المطبعة السلفية ، ج٣ ، ص ١٥٩ .

وكان من النتائج الطبيعية لاقرار مبدأ الأمر الواقع المستند الى القوة أن خلفاء بني أمية باستثناء عمر بن عبد العزيز استندوا الى السياسة أولاً ثم الدين ثانياً لانهم كانوا يقدمون المصلحة السياسية على الاعتبارات الدينية والأدبية ، ويعلق ابن طباطبا على ذلك بقوله : كان معاوية مصروف الهمة الى تدبير أمر الدنيا يهون عليه كل شيء اذا انتظم أمر الملك[1] ، كما عبّر معاوية عن هذا الاتجاه الجديد بقوله المشهور : « لو كان بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت ، كنت إذا مدّوها خليتها واذا خلوها مددتها »[2] . ونظرا لوصول معاوية بالقوة الى منصب الخلافة ، فانه لم يبايع لمعاوية أحد الا اخذ عليه الايمان فكان أول من استحلف على بيعته[3] ، كما أن يزيد بن معاوية في كتابه الى عامله في المدينة طلب منه أن يأخذ البيعة من الحسين وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الله بن جعفر ويحلفون على ذلك بجميع الأيمان اللازمة، ويحلفون بصدقة أموالهم غير عشرها ، وجزية رقيقهم وطلاق نسائهم وبالثبات على الوفاء بما يعطون من بيعتهم[4] . ولما آل الامر الى عبد الملك وأقام الحجاج بن يوسف على إمارة العراق ، وعمد الى أخذ البيعة لعبد الملك في العراق ، رتب أيماناً مغلظة تشتمل على الحلف بالله تعالى ، والطلاق والعتاق ، والايمان المحرجات ، واشتهرت بين الفقهاء بأيمان البيعة واطّرد أمرها في الدولة العباسية وجرى مصطلحهم على هذا الأسلوب[5] .

وكان معاوية أول من لجأ الى العهد بعد أبي بكر ولكن بمفهوم جديد إذ أن أبا بكر عندما عهد بالخلافة الى عمر لم يكن يهدف من ذلك سوى خير الأمة

---

(١) محمد علي بن طباطبا ، الفخري في الاداب السلطانية ، المطبعة الرحمانية ، مصر ١٩٢٧ ، ص٧٩ .

(٢) محمد كرد علي ، الاسلام والحضارة العربية ، الطبعة الثالثة ، ١٩٦٨ ص ١٤٧ . ابن قتيبة الدينوري ـ عيون الاخبار ـ المجلد الاول ج١ ص ٩ .

(٣) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، دار بيروت للطباعة والنشر ، ١٩٦٠ ، ج٢ ، ص ٢٠٧ .

(٤) ابن قتيبة ، الامامة والسياسة ، ج٢ ، ص ١٧٥ .

(٥) عبد الرحمن بن زيدان ، كتاب العز والصولة في معالم نظم الدولة ، المطبعة الملكية ، الرباط ، ١٩٦٢ ، الباب الثاني من المقالة الخامسة ص ٢٨ ـ ٢٩ . السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص ٢١٩ .

وصلاحها لأنه وجد في عمر أفضلهم مقدرة ، وأملكهم لنفسه ، وأشدهم في حال الشدة ، وأسهلهم في حال اللين ، لا يتشاغل فيما لا يعنيه ، ولا يحزن لما ينزل به ، ولا يستحي من التعلم ، ولا يتحير عند البديهة قوي على الامور[1] • أما معاوية فقد عهد بالامر لابنه يزيد من بعده وهو يعرف أنه صاحب رسلة وتهاون[2] ، ولكنه انما أراد أن يحفظ الخلافة في آل سفيان ، ولم يكتف بذلك وانما اتبع في نظام البيعة سبيلاً جديداً ، إذ أنه أخذ البيعة لابنه يزيد في حياته ، وهذا ما أدى الى ثورة الحجاز في خلافة يزيد وخروج الحسين بن علي الى العراق مطالبـا بالخلافة ، ثم أخذ عبد الله بن الزبير البيعة لنفسه في الحجاز •

أصبح العهد بعد معاوية الطريقة الوحيدة المتبعة[3] على الأغلب في تولي الخلافة ، فاما عهد الى الولد أو الى أحد أفراد الاسرة لئلا يخرج الحكم مـن أيديها ، لا بل إن الحيطة في بقاء الخلافة بيد الاسرة الواحدة حملت مروان بن الحكم على أن يبايع حال حياته لولديه عبد الملك وعبد العزيز[4] • ومضى على هذه السنة عبد الملك فعهد الى ابنه الوليد والى أخيه سليمان من بعده ، وتابع سليمان بن عبد الملك هذه الطريقة فعهد الى عمر بن عبد العزيز ولاخيه يزيد بن عبد الملك من بعده ، وقد اتبع الخلفاء طريقة معاوية في أخذ البيعة لولاة عهودهم في حياتهم ، فاذا مات الخليفة جددت البيعة مرة ثانية تأكيدا للعهد والميثاق ، وأول من كان يبايع أمراء البيت الأموي ثم يليهم القواد ثم أمراء الأمصار وهؤلاء يأخذون البيعة على من تحت إمرتهم[5] •

وهكذا نرى أن الخلافة في عهد بني أمية أصبحت وراثية ، ورافق ذلك

---

(١) ابن الجوزي ، ص ٦٨ •

(٢) الطبري ، ج٥ ، ص ٣٠٢ •

(٣) سار خلفاء بني أمية جميعا على اختيار أولياء العهد في حياتهم فكلهم كان مختارا من سلفه ماعدا رأس هذه الدولة معاوية ، ومروان بن الحكم ، ويزيد بن الوليد بن عبد الملك ، ومروان بن محمد فهؤلاء أخذوا الخلافة بالقوة •

(٤) الطبري ، ج٦ ، ص ٦١ •

(٥) عمر ابو النصر ، الموسوعة التاريخية ، الايام الاخيرة للدولة الاموية ، منشورات المكتبـة الاهلية ، بيروت ، ص ٢٣٠ •

شارات وعلامات بدلا من البساطة التي كانت شعار الخلفاء الراشدين ، فقد اتخذ معاوية المقصورة في المسجد[1] وقد اتخذها حين طعنه الخارجي[2] وأقام الحرس والشرط والبوابين وأرخى الستور ومشى بين يديه بالحراب[3] ، وجلس على السرير والناس تحته[4] ، ولكن ابن خلدون يضيف الى ذلك أنه استأذن الناس وقال لهم : إني قد بدنت ، فأذنوا له فاتخذه واتبعه الملوك الاسلاميون فيه ، « بينما كان عمرو بن العاص بمصر يجلس في قصره على الارض مع العرب ويأتيه المقوقس الى قصره ومعه سرير من الذهب محمول على الأيدي لجلوسه شأن الملوك فيجلس عليه وهو امامه لا يغيرون عليه وفاء له بما اعتقد معهم من الذمة »[5] • كما أن معاوية كان أول من نهى عن الكلام بحضرته ، وكان الناس قبل ذلك يردون على الخليفة ويعترضونه فيما يقول[6] ، واستصفى معاوية ما للملوك من الضياع في العراق والشام والجزيرة واليمن وصيرها خالصة لنفسه وأقطعها أهل بيته وخاصته بعد أن كانت موارد الصوافي تدخل بيت مال الدولة[7] •

كل هذه العوامل السالفة هي التي جعلت الكثير من المؤرخين ينعتون خلفاء بني أمية (باستثناء عمر بن عبد العزيز) بأنهم ملوك مع أنه لم يحدث كما يقول هاملتون جب « أن مارس أموي تلك السلطة الشخصية التي مارسها العباسيون الأوائل أو ظهر بمثل تلك الابهة الملكية التي ظهروا بها ، فقد كان الخلفاء العباسيون أكثر استبداداً من الامويين وأشد منهم تقليداً للمثل الفارسي

---

(١) اليعقوبي ، تاريخ ، ج٢ ، ص ٢٣٢ ، ابن قتيبة ، المعارف ، الطبعة الثانية ، ص ٢٤١ ، السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص ٢١٩ •

(٢) ابن خلدون ، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ، طبعة ١٩٧١، منشورات مؤسسة الاعلمي ، بيروت ، ج١ ، ص ٢٢٤ •

(٣) اليعقوبي ، تاريخ ، ج٢ ، ص ٢٣٢ •

(٤) المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٢٣٤ ، ابن خلدون ، ج١ ، ص ٢١٧ •

(٥) ابن خلدون ، ج١ ، ص ٢١٧ •

(٦) القلقشندي ، ج١ ، ص ٤١٤ •

(٧) اليعقوبي ، تاريخ ، ج٢ ، ص ٢٣٤ •

في إدارتهم ، ولذا فانه من غير الانصاف ومن التناقض أن يطلق على خلفاء بني أمية لقب ملوك بينما لا يطلق هذا اللقب على الخلفاء العباسيين »[1] .

ونكاد نجد إجماعاً لدى معظم المؤرخين المستشرقين الـذين ينظرون الى خلافة بني أمية نظرة مجردة ، أنه اذا كان هناك شيء من الحقيقة في هذا الاتهام الموجه ضد الأمويين في تحويلهم الخلافة الى ملك فانه يجب أن لا نبالغ فيه ، إذ يقول برنارد لويس في كتابه (العرب في التاريخ) « أن الحكم الذي مارسه معاوية لا يمكن أن نطلق عليه اسم الملكية ، وانما هو عودة وامتداد للسيد في العهد الجاهلي ، والمؤرخ البيزنطي المعاصر تيوفانس لا يصف معاوية كملك وانما يعطيه لقب « Protosymboulous » أي مستشار أول ، وليس هذا بالوصف غير الملائم لطبيعة السلطة التي كان يمارسها وكان النظام الاساسي لحكومته هو الشورى ، وهو عبارة عن مجلس للشيوخ يستدعيه الخليفة أو الوالي ولـه الوظيفتان الاستشارية والتنفيذية ، وبالاضافة الى هذه المجالس القبلية كـان هناك نظام الوفود ، وقلما كان معاوية يأمر ، وانما كان ينفذ مايريد تنفيذه بدهاء عن طريق الاقناع[2] . أما بلیايف في كتابه « العرب والاسلام والخلافة العربية » فانه يرى أن كتابة التاريخ العربي التي بدأت في القرن التاسع أو العاشر الميلادي، أي في عهد الخلافة العباسية ، إنما تعكس ميول العباسيين الدينية والسياسية ، ولذلك فان هذه المصادر تقف موقفاً مقصوداً ضد الأمويين ، إذ بينما يعتبـر المؤرخون العباسيين أسرة حاكمة باركها الله سبحانه وتعالى نراهم في الأمويين حكاما دنيويين أو ملوكاً يتمسكون بمأثور الجاهلية[3] . ويشارك مارغوليوث بلیايف في رأيه فيقول : « كثيرا مايصوّر الخلفاء والحكام الأمويون من قبل من جاء من بعدهم بانهم كانوا أهل مباذل وابتعاد عن الدين ، بينما نجد في الواقع

---

(١) هاملتون ، دراسات في حضارة الاسلام ، ترجمة احسان عباس ، محمد يوسف نجم ، مطبعة دار العلم بيروت ، ص ٤٦و٤٨ .

(٢) Bernard Lewis, The Arabs in History, ed. 1950. p. 65 .

(٣) بلیايف ، ص ٢٠٥ .

أن معظمهم كان ضد كل تراخ أو تهاون ، وأولئك الذين أظهروا مثل هذا التهاون كانت عروشهم مهددة[1] . ويعلق جودفروا دي مومبين بأن وفاة علي عجلت في اجتماع البلدان المفتوحة المحتم على يد معاوية ، وأن الحكم الذي أنشىء بقوة في سورية ومصر امتد ولمدة قرن واحد الى الامبراطورية كلها ، ولم يكن ذلك نظاماً جديداً بل امتداداً وتقوية للدولة السلف ، ولم يكن هذا معتقد المؤرخين العرب الذين يرون أن العهد الأموي دمر جمال مظهر الوحدة الاسلامية التي أوجدها الرسول ، ولو دققنا النظر في رواياتهم لوجب القول ان الخلافة الحقيقية لم تدم أكثر من اثني عشر عاما بين ٦٣٢ م الى ٦٤٤ م مع ابي بكر وعمر لان خلافة عثمان تشربت منذ البدء بالفكر الأموي ، وكانت مدة خلافة علي التي لم تزد عن خمس سنوات مليئة بالفتن والفوضى[2] .

أما اذا أردنا معرفة رأي مؤرخينا القدماء لوجدنا أن معظمهم يورد الروايات من غير تعليق عليها أو تحليل لها ، ولعل ابن خلدون هو أول من ناقش هذا الموضوع في فصل خاص ، خلاصته انه أوضح أن انقلاب الخلافة الى الملك انما حدث كنتيجة لازمة للاوضاع الاجتماعية التي سادت في ذلك الوقت ، أو كما عبّر هو باصطلاحه الخاص نتيجة قوة العصبية التي كانت فيما يرى تحكم المجتمع وتوجهه والتي كان لا بد أن تفضي الى الملك ، ثم بعد أن شرح كيف أن العصبية حتمت التطور نحو الملك فآل الأمر الى معاوية ، ثم بعده الى مروان وابنه قال معلقاً : « فالملك اذا حصل وفرضنا أن الواحد انفرد بـه وصرفه في مذاهب الحق ووجوهه لم يكن في ذلك نكير عليه » ، وقال عنهم : « .. وان كانوا ملوكاً لم يكن مذهبهم في الملك مذهب أهل البطالة والبغي ، انما كانوا متحرين لمقاصد الحق جهدهم الا في ضرورة تحملهم على نقضها خشية افتراق الكلمة الذي هو أهم لديهم من كل مقصد ، يشهد لذلك ماكانوا عليه من الاتباع

(١) D.S. Margolioth, The Early Development of Mohammedanism, Lectures delivered in the University of London, p. 138.

(٢) Gaudfroy Demombynes, Tome VII p. 174, 175 .

والاقتداء ، وما علم السلف من أحوالهم فقد احتج مالك في الموطأ بعمل عبد الملك ، وأما مروان فكان من الطبقة الأولى من التابعين وعدالتهم معروفة ، ثم تدرج الأمر في ولد عبد الملك ، فكانوا من الدين بالمكان الذي كانوا عليه وتوسطهم عمر بن عبد العزيز فنزع الى طريقة الخلفاء الراشدين والصحابة جهده ولم يهمل » ثم تحدث عن أواخر عهد بني أمية فقال : « ثم جاء خلفهم واستعملوا طبيعة الملك في أغراضهم الدنيوية ومقاصدهم ونسوا ماكان عليه سلفهم من تحري القصد واعتماد الحق في مذهبهم فكان ذلك مما دعا الناس الى أن نعوا عليهم أفعالهم » . ثم ختم هذا البحث قائلا : « فقد تبين لك كيف انقلبت الخلافة الى الملك وأن الأمر كان في أوله خلافة ووازع كل واحد فيها من نفسه وهو الدين ، وكانوا يؤثرونه على أمور دنياهم وان أفضت الى هلاكهم وحدهم دون الكافة ، فقد رأيت كيف صار الامر الى الملك وبقيت معاني الخلافة من تحري الدين ومذاهبه والجري على منهاج الحق ، ولم يظهر التغيير الا في الوازع الذي كان ديناً ثم انقلب عصبية وسيفا »[1] ، أي أن أهداف الخلافة بقيت متحققة في العصر الأموي وأن التغيير حصل في الأساس الذي قام عليه الحكم ، فبعد أن كان معتمداً على الشورى والبيعة القائمة على الرضا أصبح الأساس هو القوة والبيعة القائمة على الاكراه أحياناً ، ولكن ظلت غايات الحكم هي غايات الدين من نشر للدعوة وحفظ للعقائد والآداب واقامة الفرائض والسنن وتنفيذ الأحكام في بلاد الاسلام .

هذا عرض موجز لظهور نظام الحكم الاسلامي وتطوره وارتباط الادارة به ، وكانت غايتي من ابراز الملامح الاساسية لنظام الحكم في العصر الأموي واستعراض آراء بعض المؤرخين ، التوكيد على أن التغيير قد حصل بالفعل وأن هذا التغيير بدوره كان نتيجة ظروف وعوامل كان لها بالتالي أثرها في ادارة الولايات في العصر الأموي .

---

(١) ابن خلدون ، ج١ ، ص ١٧٢ .

الفصل الأول

التقسيمات الإدارية في العصر الأموي

امتدت الفتوحات الاسلامية في غضون سنوات قليلة وبعد القضاء على حركة الردة لتشمل تلك البقاع الي كان يسيطر عليها الساسانيون والبيزنطيون ؛ واذا كان العرب المسلمون قد نجحوا في القضاء على الدولة الساسانية بعد مقتل يزدجرد الثالث المعروف في مصادرنا باسم يزدجرد بن شهريار بن كسرى واستطاعوا أن يمدوا فتوحاتهم الى جميع المناطق التي كان يسيطر عليها الساسانيون ويوغلوا في عهد الوليد بن عبد الملك الى بلاد ماوراء النهر والى السند فانهم لم يستطيعوا القضاء على الدولة البيزنطية والسيطرة على عاصمتها رغم جميع المحاولات التي قام بها خلفاء بني أمية ، وبقي قسم كبير من آسيا الصغرى خاضعا لبيزنطة ، في حين تمكن العرب من استخلاص شمالي افريقيا من براثن البيزنطيين ومن ثم امتدت فتوحاتهم الى اسبانيا في العصر الاموي . وبالرغم من أن العرب كانوا رجال حرب وسيف كما يقول بتلر ولم يتعودوا حكم البلاد ولم يحذقوا فنونه ، ولم يكن بينهم نظام معروف يتخذونه ... الا أنهم كانوا أهل ذكاء وفهم سريع ، فكان باستطاعتهم أن يتناولوا أعنة الحكم التي وجدوها دونهم ويديروا أمورها ببراعة(١) . ومن الطبيعي أن تكون لهذه البلاد

(١) بتلر ، فتح العرب لمصر ، ترجمة محمد فريد ابو حديد ، مطبعة دار الكتب المصرية ـ القاهرة ، ١٣٥١ هـ ، ١٩٣٣ م ، ص ٣٩٠ .

تقسيماتها الادارية وأن يتأثر العرب بهـذه التقسيمات أو بمفهومها • ولكننا سنلاحظ دائماً أن العرب كانوا أميل الى البساطة وأبعد عـن التعقيدات التي كانت واضحة وجلية لدى البيزنطيين والساسانيين •

الامصـــار

تعريف المصر :

لم تتضح التقسيمات الادارية تماماً في العهد الراشدي لان الفتوحات ، وان تم قسم كبير منها في عهد عمر بن الخطاب ، الا أنها لم تستقر وتتخذ معالمها الا في العهد الأموي ، واتسمت تلك التقسيمات بالطابع العسكري عندما أوجد عمـر مايسمى بالأمصار ، وقد اتفق معظم المؤرخين على أن هـذه الامصار سبعة ، ولكنهم اختلفوا في تسميتها ، فالأمصار عند الحسن البصري : المدينة ومصر والشام والجزيرة والكوفة والبصرة والبحرين[١] ، بينما لا يذكر ابن سعد في طبقاته المدينة وانما يذكر الموصل[٢] • وهناك روايات مختلفة جمعها ابن عساكر في كتابه « تاريخ مدينة دمشق »[٣] عن أسماء الأمصار ، فالبعض يضيف مكة ويجعل الأمصار ثمانية ، والبعض يجعلها سبعة فيضيف مكة واليمن ولا يذكر مصر والجزيرة ، ويعرف ابو عبيد القاسم كلمة المصر بقوله : « يكون التمصير على وجوه ، فمنها البلاد التي يسلم عليها أهلها مثل المدينة والطائف واليمن ، ومنها كل أرض لم يكن لها أهل فاختطها المسلمون اختطاطاً ثم نزلوها مثل الكوفة والبصرة والفسطاط ، وكذلك الثغور ومنها كل قرية افتتحت عنوة فلم ير الامام أن يردها الى الذين أخـذت منهم ولكنه قسمها بين الـذين افتتحوها كفعل رسول الله ﷺ بأهل خيبر ، فهذه أمصار المسلمين والتي لا حَظّ لاهل الذمة

---

(١) الرازي الصنعاني ، تاريخ مدينة صنعاء ، ط ١٩٧٤ ، ص ١٥٢ •

(٢) ابن سعد ، كتاب الطبقات الكبير ، ليدن ١٣٢٢ ، ج ٣ ، القسم الاول ص ٢٠٢ •

(٣) ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، المجلد الاول ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، مطبوعات المجمع العلمي بدمشق ص ١٩٠ ــ ١٩١ •

بها[١] » ويشير المستشرق الروسي بارتولد الى أن كلمة مصر يمنية تعني المدينة[٢] ، وينطبق هذا المعنى على الكوفة والبصرة والمدينة في حين أن الشام ومصر والجزيرة والبحرين أسماء لأقاليم . واذا كنا نعتقد أن المقصود بمصر هي الفسطاط فاننا لا نعلم تفاصيل عن المراكز التي اتخذها العرب في الشام ، وربما كانت الجابية[٣] هي المركز الذي اتخذوه في أوائل العهد ثم اتخذوا بعدئذ عدة مراكز في الشام كانت تسمى أجناداً[٤] ، ويذكر بارتولد أن المدن التي أسست لتكون معسكرات في سوريا كالجابية ودابق[٥] ، كانت تشغل المكانة الثانية بعد دمشق القديمة التي بقيت مركزا للحياة الحضارية والسياسية ، بينما فاقت الفسطاط والقيروان والكوفة والبصرة وشيراز ، التي أنشئت كلها لتكون معسكرات المدن المركزية القديمة[٦] .

وقد كانت هذه المدن ، كما يقول برنارد لويس ، أشبه بلواء من ألوية الجيش أو قاعدة من قواعد الجند يقومون منها بحملاتهم الحربية أثناء الفتوح وتظهر أهمية موقعها بالنسبة للعرب من أنها المنافذ أو الثغور المؤدية الى صحرائها فهي كجبل طارق اليوم وسنغافورة بالنسبة للامم البحرية العظمى[٧] .

ويعلق الدكتور صالح أحمد العلي أنه بالرغم من المعاني المختلفة لكلمة مصر ، فان هذه الكلمة أصبح استعمالها منذ زمن الخليفة عمر بن الخطاب يقتصر

---

(١) ابي عبيد القاسم ، كتاب الاموال ، صححه وعلق هوامشه محمد حامد الفقي من علماء الازهر الشريف ، ص ٩٧ .

(٢) بارتولد ، تاريخ الحضارة الاسلامية ، ترجمة حمزة طاهر ، مطبعة المعارف بمصر ، ص ٣٧ .

(٣) الجابية ، قرية من أعمال دمشق ، قرب مرج الصفر في شمال حوران ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، دار صادر بيروت ، المجلد الثاني ص ٩١ .

(٤) بارتولد ، الحضارة الاسلامية ص ٣٣ .

(٥) دابق : قرية قرب حلب ، كان ينزله بنو مروان اذا غزوا الصائفة الى ثغر المصيصة . ياقوت الحموي ، المجلد الثاني ص ٤١٦ .

(٦) بارتولد ـ تاريخ الحضارة الاسلامية ، ص ٣٣ .

(٧) Bernard Lewis. « The Arabs in History » London 1950 p. 55

بصورة خاصة على الأماكن السبعة التي اتخذها العرب قواعد عسكرية يقومون منها بحملاتهم الحربية وفتوحهم وجعلوها مراكز لادارة البلاد والأقاليم التي يفتحونها ، وقد ظل الطابع العسكري صفة بارزة لهذه الامصار طوال القرن الاول الهجري[1] . وهذه الأمصار رغم سعة البلاد التي تتبعها إدارياً ، لم تكن مركزاً للدولة الاسلامية بل كانت كلها تابعة للخلفاء الذين كانوا يقيمون في المدينة أولاً ثم في دمشق ويتمتعون بسلطات تشريعية وتنفيذية واسعة تخضع لها الأمصار[2] .

الولايات التي انقسمت اليها الدولة الأموية

أولا ـ الشام :

الشام أو الشامات كما يسميها خليفة بن خياط[3] ، كان يحدها بحر الروم من الغرب والبادية الممتدة من إيله (العقبة) الى الفرات شرقا وآخر حدودها مما يلي مصر رفح ومما يلي الروم الثغور . ويرى الاصطخري أنه بالرغم من أن بعض الثغور تعرف بثغور الشام وأخرى كانت تعرف بثغور الجزيرة فان كليهما من الشام ، لأن كل ماوراء الفرات (ويقصد بذلك أن كل ماهو غربي الفرات) من الشام وانما سمي من ملطية الى مرعش ثغور الجزيرة ، لان أهل الجزيرة بها يرابطون وبها يغزون لا لأنها من الجزيرة[4] . أما قدامة بن

---

(١) صالح احمد العلي ـ التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية للبصرة في القرن الاول الهجري ـ دار الطليعة ـ بيروت ١٩٦٩ ، ص ١٤ .

(٢) المصدر السابق ص ١٧ .

(٣) خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة ، تحقيق سهيل زكار ، ط ١٩٦٧ ص ١٥٧ .

(٤) الاصطخري ـ المسالك والممالك ، تحقيق M. J. De Geoge ط ١٩٢٧ ص ٥٥ ، ياقوت الحموي ، ج٣ ، ص ٣١٢ .

جعفر فيجعل مرعش والحدث من ثغور الجزيرة[1] وطرسوس وأذنه والمصيصة من ثغور الشام[2] .

وقد كانت الشام في العهد البيزنطي ولاية واحدة مقسمة الى مقاطعات ، وقد أورد لوسترانج أسماء هذه المقاطعات استناداً الى ماورد في قانون تيودوسيوس Theodosius الذي يرجع تاريخه الى القرن الخامس الميلادي[3]:

١ ـ سوريا وقد انقسمت الى :

سوريا الاولى Syria Prima ومركزها أنطاكية ومن مدنها الرئيسية سلوقيا Seleucia واللاذقية Laedicea وجبلة Gabila وحلب Beroea[4] .

وسوريا الثانية Syria Seconda ومركزها مدينة أفاميا ومن المدن التابعة لها حماه Apiphania والرستن Arethusa وشيزر Larissa[5] .

٢ ـ فينيقيا وقسمت الى :

فينيقية الاولى Phoenicia Prima ومركزها صور Tyre وفي هذا القسم من المدن الرئيسية عكا Ptolemais وصيدا Sidon وبيروت Berythus وجبيل Byblus وطرابلس Tripoli وارواد Aradus .

---

(١) قدامة بن جعفر ، نبذ من كتاب الخراج وصنعة الكتابة ، ليدن مطبعة بريل ١٣٠٦ ، ص ٢٥٣.

(٢) المصدر السابق ص ٢٥٣ .

(٣) Le Strange — Palestine Under the Muslims. 1890. p. 26.

فيليب حتي ـ تاريخ سوريا وفلسطين ترجمة جورج حداد ، عبد الكريم رافق ، دار الثقافة بيروت ، ج١ ، ص ٣٨٨ .

(٤) فيليب حتي ، ج١ ، ص ٣٨٨ .

(٥) المصدر السابق ، ص ٣٨٨ ، فتحي عثمان ، « الحدود الاسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحربي » القاهرة ، ج١ ، ص ٢٨٨ .

ثم فينيقية الثانية أو فينيقية المقابلة للبنان Phoeniciaad Libanum ومركزها دمشق[1] وتضم حمص وتدمر •

٣ ـ فلسطين وقد قسمت الى :

فلسطين الاولى Palestina Prima وكانت قيسارية مدينتها الرئيسية وكانت تضم أورشليم ، ونابلس ويافا وغزة وعسقلان •

وفلسطين الثانية ومركزها بيسان Scybhopolis ومدنها الرئيسية جدره Gadara وطبرية •

ثم فلسطين الثالثة Palestina Terlia ومدينتها الرئيسية البتراء •

وقد وجد المسلمون هذه التقسيمات البيزنطية أمامهم فاهتدوا بهديها في ترتيب البلاد وادارتها وكان عمر قد اتخذ من الجابية مركزا لتجمع المقاتلة[2] ولكن طبيعة البلاد والتراث الاداري والضرورات العسكرية اضافة الى انتشار القبائل وتنظيم توطينها دفعت عمر الى تقسيم الشام الى أجناد أربعة وهي : جند حمص ودمشق والاردن وفلسطين[3] • وهذه الاجناد الاسلامية أقاليم استقرت فيها فرق من الجيش اسلامية لحمايتها وقبض أعطياتهم[4] وهي شبيهة بنظام البنود البيزنطي الذي كان سائدا في القرن السابع الميلادي[5] ولم تخف على المسعودي أوجه الشبه بين البنود البيزنطية والأجناد الاسلامية حيث يقول : « أرض الروم واسعة في الطول والعرض آخذة في الشمال بين المشرق والمغرب مقسومة في قديم الزمن على أربعة عشر قسما أعمال مفردة تسمى البنود كما

---

(١) يذكر لوسترانج كون دمشق مركزا لفينيقية الثانية ص ٣٦ ، المصدر المذكور • اما فيليب حتي فيذكر أن حمص هي مركز فينيقيا الثانية ـ ص ٣٨٩ •

(٢) عبد العزيز الدوري ـ العرب والارض في بلاد الشام في صدر الاسلام ـ المؤتمر الدولي لتاريخ بلاد الشام ـ جامعة الاردن ١٩٧٤ ، ص ٢٦ •

(٣) المصدر السابق ص ٢٦ •

(٤) البلاذري ـ فتوح البلدان ـ تحقيق رضوان محمد رضوان ـ المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ، ص ١٣٧ •

(٥) فتحي عثمان ـ الحدود الاسلامية البيزنطية ص ٢٨٩ •

يقال أجناد الشام ، كجند فلسطين وجند الاردن وجند حمص ، غير أن بنـود الروم أوسع من هذه الاجناد[1] ، ونظام البنود البيزنطية أو مايسمى باليونانية Thema تعني فرقة من الجيش تعسكر في إقليم ولم يتسع معناها للدلالة على الأقاليم نفسها إلا في وقت متأخر[2] . ويذكر مؤلف كتاب الحدود الاسلاميـة البيزنطية نقلاً عن بريير L. Brehier وكولكوفسكي Koulkoveski أن نظام الثيما ليس الا تطبيقا لمـا أقامه هرقل في أرمينية حيث قرر هرقل أن يقيم بعض فرقه في الأقاليم المهددة بالخطر الفارسي ، ويبدو أنه قد وعد جنوده بمنح من الأراضي قبل أن يخوضوا معركتهم الحاسمة ، وبذلك وضع هرقل نواة هـذا النظام وان كانت لم تتح له فرصة تنفيذه الا في أرمينيا وذلك أن الوقت لم يكن ملائماً بالنسبة لسوريا وفلسطين ومصر التي واجه الامبراطور فيها أعباء تنظيمية ثقيلة بعد تحريرها من الفرس ، ثم مالبثت هذه الأقاليم أن تعرضت لهجوم العرب ودخلت في نطاق الدولة الاسلامية[3] ، وهكذا نرى أن عمر بن الخطاب قَسَّم الشام الى أجناد لا لأنها كانت مقسمة كذلك عندما دخل العرب إليها ولكن لأن الضرورات العسكرية هي التي أوجبت هـذا التقسيم فجعلته يستوحي ماكان البيزنطيون قد بدأوا بتطبيقه في عهد هرقل من نظام البنود في آسيا الصغرى ، فالساحل الشامي طويل وكانت الشام مهددة براً وبحراً من قبل البيزنطيين فكان لا بد من إيجاد مراكز عسكرية متعددة لكي يتمكن كل جند من الدفاع عن المدن الساحلية التابعة له . ونلاحظ أن كل مراكز الأجناد هي مدن داخلية ــ حمص ــ دمشق ــ طبرية ــ اللد ، بينما كانت أهم المراكز في العهد البيزنطي هي المـدن الساحلية كأنطاكية وصور وقيسارية لقوة الاسطول البيزنطي ، وعندما أصبح معاوية خليفة للمسلمين وأصبحت دمشق لا مركز جند دمشق فحسب وانمـا

---

(١) المسعودي ــ التنبيه والاشراف ــ مراجعة وتصحيح عبد الله اسماعيل الصاوي ــ طبعـة الاوفست ــ مكتبة المثنى بغداد ــ ص ١٥٠ .

(٢) ستيفن رونسيمان ــ الحضارة البيزنطية ــ ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد ــ مكتبة النهضـة المصرية ١٩٦١ .

(٣) فتحي عثمان ــ ج١ ــ ص ٩٥ .

عاصمة للدولة الاسلامية ، حرص معاوية على توجيه الدولة كلها وجهة غربية متوسطة بدلاً من وجهتها القارية الصحراوية الأولى ، وقد تابعه خلفاؤه على تلك السياسة فتمت سيطرة المسلمين على الشواطىء الشرقية والجنوبية والغربية من هذا البحر وعلى جانب كبير من جزائره ، أي إن الامويين هم الـذين كسروا الوحدة التاريخية القديمة لهذا البحر وحولوه من بحيرة داخلة في نطاق العالم اللاتيني اليوناني الى حد بين ذلك العالم وعالم جديد هو العالم الاسلامي المشرقي[١] .

أجناد الشام في العصر الأموي

انقسمت الشام في العصر الأموي الى أجناد خمسة وهي : جند دمشق ، وجند حمص ، وجند فلسطين ، وجند الاردن ، وجند قنسرين ، وقد اعتمدت في الحقائق التي ذكرتها على ماأورده المؤرخون من روايات حول الفتوحات وقارنتها بما ذكر عند الجغرافيين الأوائل كاليعقوبي (ت ٢٨٨ هـ) وابن خرداذبة (ت ٢٧٢ هـ) وابن رسته (ت ٢٩٠ هـ) والاصطخري (ت ٣٢١ هـ) وقدامة ابن جعفر (ت ٣١٠ هـ) . واذا كان ابن خرداذبه لا يستخدم كلمة الجند وانما يذكر فقط كورة دمشق وكورة حمص .. الخ فان اليعقوبي وابن رسته والاصطخري وحتى ابن شداد (ت ٦٨٤ هـ) في كتابه الأعلاق الخطيرة يستخدمون كلمة الأجناد ، ويشير ياقوت إلى أنه لم يبلغه أن كلمة أجناد استعملت في غير أرض الشام[٢] .

جند دمشق

وقصبته مدينة دمشق وفيه من الكور بالاضافة الى كورة دمشق كورة

---

(١) المصدر السابق ، ج١ ، ص ٣٥٨ .
(٢) ياقوت الحموي ، ج١ ، ص ٣٨ .

البقاع ومدينتها بعلبك وكورة حوران ومدينتها بصرى وكورة البثنية ومدينتها أذرعات وكورة الجولان ومدينتها بانياس وكورة الشراة ومدينتها اذرح وكورة الظاهر ومدينتها عمّان وكورة الغور ومدينتها أريحا ويجمعها أرض البلقاء وكورة الجبال ومدينتها عرندل[1] التي هي بلدة من أرض الشراة من الشام فتحت في أيام عمر بن الخطاب بعد اليرموك[2] . أما المدن الساحلية التابعة لجند دمشق فهي عرقه[3] وجبيل وصيدا وبيروت وطرابلس « وكانت تابعة أو يتصرف بها نواب من يلي جند دمشق أيام بني أمية وصدراً من أيام بني العباس الى أن ملك العبيديون الشام فاعتنوا بالثغور فأفردوها وولوا كل ثغر منها والياً من مصر ورتبوا معه جنداً لحفظه من عدوٍ يقصده[4] » . ونلاحظ مما يورده اليعقوبي أن سكان الكور الداخلية كلهم من العرب من غسان وبطون من قيس ويمن وربيعة الا بعلبك فأهلها قوم من الفرس وفي أطرافها قوم من اليمن بينما كور الساحل معظم أهلها من الفرس الذين نقلهم معاوية اليها[5] .

جنـد حمص

وقصبته مدينة حمص[6] ، وهي من أوسع مدن الشام وأهل حمص جميعاً يمن من طيء وكنده وحمير وكلب وهمدان ولجند حمص كور أهمها : الرستن

---

(١) ابن الفقيه ، كتاب البلدان ، ليدن ١٣٠٢ هـ ، ص ١٠٥ ــ اليعقوبي ، كتاب البلدان ليدن ١٨٩١ م ص ٣٢٥ ــ ٣٢٧ . ابن خرداذبة ــ المسالك والممالك ــ ليدن ١٣٠٦ هـ ، ص ٧٧ ــ ابن شداد ــ الاعلاق الخطيرة ــ تحقيق الدكتور سامي الدهان ــ دمشق ١٩٦٢ م ، ص ٤١ .

(٢) ياقوت الحموي ج٤ ، ص ١١١ .

(٣) عرقه ، بلده في شرقي طرابلس وهي آخر عمل دمشق وهي في سفح جبل بينها وبين البحر نحو ميل ــ ياقوت الحموي ج٤ ، ص ١٠٩ .

(٤) ابن شداد ، الاعلاق الخطيرة ص ٩٤،٩٦،٩٨،١٠١،١٠٦، اليعقوبي ، كتاب البلدان ص ٣٢٧ ، ابن خرداذبه ص ٧٧ .

(٥) اليعقوبي ، البلدان ص ٣٢٧ .

(٦) الاصطخري ص ٦١ ، البلاذري ، فتوح البلدان ص ١٣٧ .

وحماه وسلمية وتدمر ومعرة النعمان ومدينة شيزر[1] . وأهم مدنها الساحلية اللاذقية وجبلة وبانياس وانطرطوس[2] .

جنـد الاردن

وقصبته مدينة طبرية[3] ، وأهل مدينة طبرية قوم من الاشعريين وهـم الغالبون عليها[4] .

وتقع طبرية على بيرة طبرية العذبة والغور أول هذه البحيرة ثم يمتد على بيسان حتى ينتهي الى زغر[5] وريحا الى البحر الميت وبعض الغور من جنـد الأردن إلى أن يتجاوز بيسان فاذا جاوزته كان من جند فلسطين[6] ، ومن مدن جند الاردن الهامة : قدس وبيسان وفحل وجرش[7] ، وأهم مدن جند الاردن الساحلية صور وعكا[8] . وقد افتتحت كور الاردن كلها في خلافـة عمر بن الخطاب عنوة الا مدينة طبرية فان أهلها صالحوا شرحبيل بن حسنه على أنصاف منازلهم وكنائسهم[9] .

جنـد فلسطين

كانت قصبته مدينة اللد فلما ولّى الوليد بن عبد الملك أخاه سليمان جند

---

(١) اليعقوبي ، البلدان ص ٣٢٤ ــ ابن الفقيه ص ١١٠ ، ابن خرداذبه ص ٧٥ .
(٢) اليعقوبي ، البلدان ص ٣٢٤ ــ ابن الفقيه ص ١١٠ ــ البلاذري ، فتوح البلدان ص ١٣٩ .
(٣) اليعقوبي ــ البلدان ص ٣٢٧ ــ ابن شداد ص ١٢٣ ــ الاصطخري ٥٨ .
(٤) اليعقوبي ــ البلدان ص ٣٢٧ .
(٥) زغر ــ قرية بمشارف الشام وقيل زغر اسم بنت لوط عليه السلام نزلت بهذه القرية فسميت باسمها ياقوت ج٣ ، ص ١٤٣ .
(٦) الاصطخري ص ٥٨ و ٥٩ .
(٧) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ١٢٣ ــ اليعقوبي ــ البلدان ص ٣٢٧ . ابن شداد ص ١٢٣ ــ الطبري ج٣ ، ص ٤٣٦ ، ٤٤٤ .
(٨) البلاذري ، فتوح ، ص ١٢٤ ــ اليعقوبي ، البلدان ص ٣٢٧ ــ ابن شداد ، ص ١٢٣ .
(٩) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ١٢٣ .

فلسطين ابتنى مدينة الرملة[١] ومصّرها واختط مسجدها وصارت القصبة وخربت لدّ • ومن كور فلسطين ايلياء وهي بيت المقدس[٢] وعمواس[٣] ، ونابلس وسبسطية[٤] وكورة بيت جبرين[٥] •

ومن كورها الساحلية قيسارية وكانت من أمنع مدن فلسطين وهي آخر ما افتتح من مدن البلد افتتحها معاوية بن أبي سفيان في خلافة عمر بن الخطاب ثم يافا وعسقلان وغزة[٦] • وقد بقيت هذه المدن الساحلية في يد من يلي جند فلسطين الى أن صارت في أيد المصريين[٧] •

جنـد قنسرين

كان من نتائج اهتمام الأمويين بمحاربة الدولة البيزنطية براً وبحراً أن اتجهوا الى جعل قنسرين جنداً مستقلاً منفصلاً عن جند حمص[٨] • وكانت قنسرين وحلب مضافتين الى حمص فأصبحت حلب مضافة الى قنسرين حتى نهاية الدولة الاموية ثم تدرجت في العمارة وقنسرين في الخراب حتى صارت مضافة الى حلب في أيام بني العباس[٩] • وقد اختلف المؤرخون فيما اذا كان معاوية

---

(١) اليعقوبي ، البلدان ص ٣٢٨ ، القلقشندي ، ج٤ ، ص ٩٩ • وفي الروض المعطار : سميت الرملة لغلبة الرمل عليها وقال في مسالك الابصار سميت بامرأة اسمها رمله وجدها سليمان بن عبد الملك هناك في بيت شعر حين نزل مكانها يرتاد بناءها فأكرمته وأحسنت نزله ، القلقشندي ج٤ ، ص ٩٩•

(٢) اليعقوبي ـ البلدان ، ص ٣٢٨ •

(٣) كورة عمواس ، ضيعة جليلة على ستة أميال من الرملة وهي كورة في فلسطين بالقرب من بيت المقدس ـ ياقوت ج٤ ، ص ١٥٧ •

(٤) بلدة من نواحي فلسطين بينها وبين بيت المقدس يومان ـ ياقوت ، ج٣ ص ١٥٤ •

(٥) ابن الفقيه ، البلدان ص ١٠٢ ، البلاذري ، فتوح ص ١٤٤ ، اليعقوبي البلدان ، ص ٣٢٨ ، الطبري ج٣ ، ص ٦٠٨ ، ابن شداد ص ١٩٩ •

(٦) اليعقوبي ، البلدان ص ٣٢٩ ـ البلاذري ، فتوح ص ١٤٤ ـ ابن الفقيه ، البلدان ص ١٠٣ ـ ابن خرداذبه ص ٧٨و٧٩ •

(٧) ابن شداد ص ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٨ •

(٨) ابن رسته ، ص ١٠٧ ، الطبري ج٤ ، ص ١٦١ ، ابن العديم ، زبدة الحلب في تاريخ حلب ، تحقيق سامي الدهان ، ص ٤١ •

(٩) ابن العديم ص ٤٩ ـ ابو الفدا (عماد الدين اسماعيل) ـ المختصر في تاريخ البشر ج١ ، ص ١٦٠ •

هو الذي فصل قنسرين عن حمص وقيل إنمـا فعل ذلك ابنه يزيد[1] • أمـا البلاذري فيذكر أن قنسرين وكورها كانت مضمومة الى حمص حتى كانت خلافة يزيد بن معاوية فجعل قنسرين وانطاكية ومنبج وزوراتها جنداً[2] ، فلما استخلف أمير المؤمنين هارون بن المهدي أفرد قنسرين بكورها فصيّر ذلك جنداً واحداً وأفرد منبج ودلوك ورعبان وانطاكية وسماها العواصم[3] • هذا وان المتطلبات العسكرية دفعت عبد الملك الى فصل الجزيرة عن قنسرين ويقال انه فعل ذلك بناء على طلب محمد بن مروان ، فجندها عبد الملك أي أفردها فصار جندها يأخذون أطماعهم بها من خراجها[4] ، وابتداء من خلافة عبـد الملك أصبحت الجزيرة ولاية من الولايات التي انقسمت اليها الدولة الاسلامية وارتبطت بها ادارياً اذربيجان وأرمينية وأحياناً الموصل كما سيتبين عند الكلام عن الجزيرة • واذا كانت الضرورات العسكرية قد أوجبت جعل قنسرين جنداً منفصلا وفصل الجزيرة عن قنسرين ، فان الضرورات العسكرية هي التي أجبرت بيزنطة أيضاً أن تعدل تقسيمها الاداري لمواجهة احتياجاتها الدفاعية ولا سيما المشروعـات الاسلامية الكبرى لفتح القسطنطينية[5] ، إذ أوجد البيزنطيون البند الاناضولي الى جانب البند الارمني (الارمينيات) الذي تكون سنة ٦٢٦ هـ لمواجهة خطر الغزو الفارسي ، وقـد قلل من شأنه فتح العرب لملطية ، وشغل بنـد أرمينية والاناضولي كل القسم الأوسط من آسيا الصغرى من حدود كيليكيا شرقاً الى بحر ايجه غرباً ، وقد كان سداً منيعاً للامبراطورية أمام هجمات العرب[6] وأوجد البيزنطيون في القرن السابع بند الاوبسكيون Opsikion[7] ، واختصت هذه

---

(١) ابن العديم ص ٤١ •

(٢) البلاذري ــ فتوح ص ١٣٨ •

(٣) المصدر السابق ص ١٣٨ ــ ابن الفقيه ــ البلدان ص ١١٠ •

(٤) البلاذري ــ فتوح ص ١٣٨ •

(٥) Encyclopedia Britanica Vol IV p. 524. The Byzantine Empire .

(٦) فتحي عثمان ج١ ، ص ٩٦ •

(٧) رونسيمان ، ص ٩٨ •

المنطقة بالحرس الامبراطوري لمواجهتها لشواطيء القسطنطينية وضرورة انتقاء الجند المدافع عنها لصد الحملات المباشرة على العاصمة[1] . وكان هذا الاقليم الحربي يمتد من بحر مرمره الى مسافة كبيرة داخل آسيا الصغرى وأقامت في جهاته الساحلية فرق بحرية Peralic Themes لصد سفن المهاجمين عن العاصمة على حين استقر في جهاته الداخلية فرق من الخيالة Cavaliarli لعرقلة الزحف البري[2] .

الى جانب هذه البنود ظهر بآسيا الصغرى نواة بند آخر أخذ صورته الكاملة في مطالع القرن الثامن الميلادي بعد آخر حملة أموية كبرى على العاصمة البيزنطية ، وكان هـذا الاقليم الحـربي الصغير يعـرف ببنـد كبيرايوت Kibyrrhaitoi وظهر نشاطه المبكر أثناء سير السفن الاسلامية بالقرب من ساحل آسيا الصغرى وجزر بحر ايجه لمعاونة الحملات الاسلامية البرية في حصار القسطنطينية . واشتمل هذا الاقليم على الجهات الساحلية من آسيا الصغرى وجزر بحر ايجـه التي استمدت الامبراطورية البيزنطية منهـا خيرة بحارتها وأساطيلها ، ولكن ازاء حملات المسلمين اتسع نشاط هـذا الاقليم واضطرت الامبراطورية البيزنطية الى تقسيمه قسمين : الأول يضم الجهـات الساحلية الجنوبية ، والجنوبية الغربية من آسيا الصغرى واحتفظت بالاسم القديم ، أما القسم الثاني فغدا بنـداً بحرياً جديداً يضم جزر بحر ايجه ويعرف بالبنـد الايجي[3] .

ثانيا ـ الجزيرة

كان إقليم الجزيرة وشمالي الشام وحـدة تتمم بعضها بعضاً من حيث

---

(١) ابراهيم العدوي ، الامويون والبيزنطيون ، الطبعة الثانية ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ص ١٧٠ .

(٢) Bury T. B. A. History of the Later Roman Empire . London 1889 . p p. 343 , 349 .

(٣) Ibid p. p. 341 — 342

ارتباط حصونهما وتعرضهما لغارات البيزنطيين ؛ والجزيرة اسم أطلقه العرب على المنطقة الشمالية الخصبة بين دجلة والفرات[1] ، وتمتد الى منطقة الدروب عند سلاسل جبال طوروس كما تمتد الى الجبال الفارسية[2] ، وقد سكن هذه المنطقة الآراميون الذين عرفوا غالبا باسم لغتهم فسموا السريان[3] ، وكثر السكان العرب هناك قبل الاسلام ، وقد قدموا غزاة أو مهاجرين حتى غدت الجزيرة بالنسبة لهم دياراً عرفت باسماء قبائلهم التي استقرت فيها مثل ديار ربيعة ومضر وبكر ، وربما جمع ديار بكر وديار ربيعة وسميت كلها ديار ربيعة ، لانهم كلهم ربيعة[4] ، وقد وجد في الجزيرة بالاضافة الى العرب والآراميين عناصر من السكان المجاورين من الأرمن والاكراد والفرس كما تناوشت هذه البلاد قبل الاسلام أيدي الروم والفرس[5] ، ولم يكن لها كيان مستقل • وقد جاء فتح الاسلام للجزيرة مترتباً على السير في حركة الفتوح الاسلامية ، فقد دعا العرب الى فتح الجزيرة ارتباطها بالشام عن طريق نهر الفرات والمميزات الاستراتيجية التي يكفلها هذا الفتح لتأمين الشام من الشرق ، ثم سهولة هذا الفتح بالنسبة لقوة مقيمة في الشام ومسيطرة على مصبات دجلة والفرات[6] ، اذ أن فتح الشام كان نقطة فاصلة في الصراع بين البيزنطيين والعرب وأساساً وقاعدة أضيفت اليها الفتوح التالية ، فان القنوع بالشام كان معناه فقدها بعد قليل ، وكان اهتمام العرب بتأمين فتوحاتهم هو الذي أدى بهم الى بسط رقعتها توخيا لحماية أفضل ، وتختلف الروايات في السنة التي تم فيها فتح الجزيرة ، ففي رواية سيف أنها افتتحت سنة ١٧ هـ بينما يذكر ابن اسحق أنها افتتحت

---

(١) Le Strange, The Lands of the Eastern Caliphate. Cambridge, I 1930 . p. 86 .

(٢) Ibid p. 86 .

(٣) فتحي عثمان ص ١٤٢ •

(٤) ياقوت الحموي ج٤ ، ص ٤٩٤ ، لا يذكر البلاذري أثناء فتوح الجزيرة سوى ديار ربيعة ومضر ص ١٨٢ •

(٥) فتحي عثمان ص ١٤٢ •

(٦) ياقوت الحموي ج٤ ، ص ١٣٥ •

سنة ١٩ هـ[١] . ويذكر البلاذري نقلا عن الواقدي أن أبا عبيدة مات في طاعون عمواس سنة ١٨ هـ . واستخلف عياضا فورد عليه كتاب عمر بتوليته حمص وقنسرين والجزيرة فلم يبق بالجزيرة موضع قدم الا فتح في عهد عمر بن الخطاب على يد عياض بن غنم[٢] ، فلما مات عياض ولّى عمر بن سعيد بن عامر بن حذيم فبنى مسجد الرقة ومسجد الرها ، ثم توفي فبنى المساجد بديار مضر وديار ربيعة عمير بن سعد ، ولما استخلف عثمان كتب الى معاوية بولاية الشام والجزيرة وثغورهما[٣] ، وهكذا ارتبطت الجزيرة بالشام إدارياً وحربياً . وكانت الجزيرة في خلافة معاوية تابعة الى قنسرين فجندها عبد الملك بن مروان فصار جندها يأخذون أطماعهم من خراجها وكان محمد بن مروان سأل عبد الملك تجنيدها ففعل[٤] ، ثم ضمّ له عبد الملك أذربيجان وأرمينيا سنة ٨٣ هـ فبقي والياً عليها حتى وفاة الوليد بن عبد الملك[٥] .

كور الجزيرة

انقسمت كور الجزيرة كلها في العصر الراشدي والأموي الى قسمين : قسم يسمى ديار ربيعة ، وقسم يسمى ديار مضر[٦] .

ديار مضر

وهي أكثر جهات الجزيرة تطرفاً نحو الغرب وتشمل الأراضي المحاذية للفرات من سمسياط حيث يغادر سلاسل الجبال منحدراً الى عانة مع السهول

(١) الطبري ، ج٤ ، ص ٥٣ .
(٢) البلاذري ، فتوح ، ص ١٧٧ .
(٣) المصدر السابق ، ص ١٨٣ ، ١٨٨ ، ١٨٩ .
(٤) المصدر السابق ، ص ١٣٨ .
(٥) خليفة بن خياط ، ج١ ، ص ٣٩٣ ، ج١ ، ص ٤١٦ .
(٦) الاصطخري ، ص ٧١-٧٥ ، ابن رسته ص ١٠٦ ، ١٠٧ . ابن الفقيه ص ١٣٢ . البلاذري ، فتوح ص ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ادارة الطباعة المنيرية ، ج٢ ، ص٣٧٤ .

التي يسقيها نهر البليخ رافد الفرات الآتي من حران ، ومركز ديار مضر الرقة[1] وقد بنيت فوق مدينة يونانية باسم callinicus أو Nicepherium [2] وعندما استولى العباسيون على الحكم بنى المنصور مدينة الرافقة على بعد ٣٠٠ ذراع من الرقة ومع مرور الزمن اندثرت الرقة ولكن اسمها انتقل الى الرافقة[3] . ومن مدنها الهامـــة الرها Edessa التي كانت تكون مع انطاكيـــة الدعامتين الرئيسيتين للاستراتيجية الرومانية وقد أقام أغلب سكانها على نصرانيتهم[4] ، وقرقيسيا وهي Circessium القديمة[5] ، وهي على نحو مائتي ميل مـــن الرقة على الخابور عند مصبه[6] ، ومن مدنها كذلك سروج ورأس كيفا والأرض البيضاء والرصافة[7] .

ديار ربيعـــة

من أهم مدن ديار ربيعة نصيبين وارزن وآمـــد ورأس العين وميافارقين وسنجار ودارا وكفرتوثا وجزيرة ابن عمر[8] ويذكر ابن الفقيه من ثغور الجزيرة شمشاط وملطية وزبطره ومرعش والحدث وسميساط[9] . أما الاصطخري فلا يعتبر ثغر الجزيرة سوى شمشاط لانها في غربي دجلة وشرقي الفرات ، أمـــا ملطية ومرعش وغيرها فيعتبرها من ثغور الشام لأنها تقع غربي الفرات[10] وهو إذ يذكرها أثناء الكلام عن الجزيرة فما ذلك الا لأن أهلها يرابطون بها لقربهم

---

(١) ابن الفقيه ص ١٣٢ ـ الاصطخري ص ٧٥ .

(٢) Le Strange p. 101

(٣) Ibid p. 101 ـ ياقوت الحموي ج٣ ، ص ٦٠ ـ الاصطخري ص ٧٥ .

(٤) فتحي عثمان ص ١٥٥ .

(٥) المصدر السابق ص ١٥٥ .

(٦) صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي ، مراصد الاطلاع ، تحقيق محمد علي البجاوي، دار احياء الكتب العربية ، ج٣ ، ص ١٠٨٠ .

(٧) ابن الفقيه ص ١٣٢ .

(٨) الاصطخري ص ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ .

(٩) ابن الفقيه ص ١٣٣ .

(١٠) الاصطخري ، ص ٥٥ .

منها . وقد دأب الكتاب الاقدمون على اطلاق ثغور الجزيرة على الجبهة كلها ، ويبدو أن معاوية لم يرغب في أن يقيم جبهتين ، ومن أجل هذا نظم القاعدة الوسطى في ملطية ؛ ويذكر البلاذري « أنه لما ولي معاوية الشام والجزيرة وجه اليها حبيب بن مسلمة ففتحها عنوة ورتب فيها رابطة من المسلمين مع عاملها وقدمها معاوية وهو يريد دخول الروم فشحنها بجماعة من أهل الشام والجزيرة وغيرهما فكانت طريق الصوائف[1] ، ثم إن أهلها انتقلوا عنها في أيام عبد الله بن الزبير عندما هدمها البيزنطيون وتركوها فنزلها قوم من النصارى من الأرمن والنبط[2] ، ونزل المسلمون طرنده بعد أن غزاها عبد الله بن عبد الملك سنة ٨٣ هـ وبنوا فيها مساكن وهي من ملطية على ثلاث مراحل[3] ، فلما ولي عمر بن عبد العزيز رحل أهل طرنده عنها وهم كارهون وذلك لاشفاقه عليهم من العدو وأنزلهم ملطية وأخرب طرنده وولى ملطية معونة بن الحارث أحد بني عامر بن صعصعة[4] .

المناطق التي كانت تجمع لوالي الجزيرة أحيانا

آ ـ أذربيجان

بالرغم من أن اذربيجان كانت من فتوح الكوفة وتابعة ادارياً لواليها ابتداءً من خلافة عثمان ، فانها أصبحت منذ عهد عبد الملك بن مروان ولاية تابعة ادارياً لوالي الجزيرة ، وقد اختلف المؤرخون في سنة فتحها وفيمن فتحها وتتفق رواية المدائني عن الزهري مع رواية الحسين بن عمرو الارديبلي أنه لما

(١) البلاذري فتوح : ص ١٨٩ .
(٢) المصدر السابق ، ص ١٨٩ .
(٣) المصدر السابق ، ص ١٨٩ .
(٤) البلاذري ، فتوح ، ص ١٩٠ .

هزم الله المشركين بنهاوند ورجع الناس الى أمصارهم ، بقي أهل الكوفة مع حذيفة بن اليمان فغزا أذربيجان فصالحوه على مائة ألف[١] .

أما الواقدي وأبو مخنف فانهما يذكران أن المغيرة بن شعبة هو الذي غزا أذربيجان من الكوفة حتى انتهى اليها ففتحها عنوة ووضع عليها الخراج ، إلا أن الواقدي يذكر أن الفتح تم سنة ٢٢ هـ بينما يذكر أبو مخنف أن ذلك حدث سنة ٢٠ هـ[٢] . وهناك إجماع على أن عمر جمع أذربيجان كلها لعتبة بن فرقد الذي أتاها من الموصل ، فلما دخل أردبيل وجد أهلها على العهد إلا بعض الأطراف التي نقضت فغزاها وظفر[٣] . ولما أصبح عثمان خليفة استعمل الوليد بن عقبة بن أبي معيط والياً على الكوفة فعزل عتبة بن فرقد عن أذربيجان وولى الأشعث بن قيس ، وقد أمدّ الوليد بن عقبة الاشعث بن قيس بجيش من أهل الكوفة عندما انتقضت ، فاستطاع أن يفتحها على مثل صلح حذيفة وعتبة بن فرقد وأسكنها ناساً من العرب من أهل العطاء والديوان[٤] . فلما أصبح سعيد بن العاص واليا على الكوفة غزا أهل أذربيجان وأوقع بأهل موقان وجيلان ، وفي خلافة علي بن ابي طالب وأثناء اقامته في الكوفة أنزل الأشعث ابن قيس والي أذربيجان جماعة من أهل العطاء والديوان من العرب أردبيل ومصّرها وبنى مسجدها[٥] .

وقد ضم عبد الملك أذربيجان لوالي الجزيرة ، فقد عين أخاه محمد بن مروان واليا على الجزيرة وضم اليه أذربيجان وأرمينية سنة ٨٣ هـ فاستخلف على أرمينية وأذربيجان عبد الله بن حاتم بن النعمان ثم عبد العزيز بن حاتم بن النعمان[٦] . وقد بقي محمد بن مروان واليا على الجزيرة وأرمينية وأذربيجان

---

(١) المصدر السابق ، ص ٣٢٣ . خليفة بن خياط ج١ ، ص ١٤٩ .
(٢) البلاذري ، فتوح ، ص ٣٢٣ . خليفة بن خياط ج١ ، ص ١٤٩ .
(٣) البلاذري ، فتوح ، ص ٣٢٢ . الطبري ج٤ ، ص ١٥٤ .
(٤) البلاذري ــ فتوح ، ٣٢٤ .
(٥) المصدر السابق ، ص ٣٢٤ .
(٦) خليفة بن خياط ، ج١ ، ص ٣٩٣ .

طيلة خلافة عبد الملك والوليد بن عبد الملك . كما جمعت الجزيرة وأرمينية وأذربيجان لعبد العزيز بن حاتم بن النعمان[1] . وفي عهد الوليد بن يزيد بن عبد الملك كان مروان بن محمد على صلاة الموصل وأحداثها وعلى الجزيرة وأرمينية واذربيجان[2] ، وقد كانت أردبيل أكبر مدينة في أذربيجان وعاصمة لها قبل الفتح الا أن مروان بن محمد أثناء ولايته على أرمينية وأذربيجان اتخذ المراغة معسكرا وبنى فيها دار الامارة[3] ، ومن أهم مدن أذربيجان برزند وورثان ، ومرند ، وتبريز[4] .

ب ــ أرمينية

كما اتصلت فتوح الجزيرة بفتوح الشام اتصلت فتوح أرمينية بفتوح الجزيرة لكي يؤمن المسلمون ثغور الجزيرة في موقعها الحساس ، وقد انقسمت أرمينية قبل الفتح الاسلامي الى قسمين ، وقع القسم الاكبر وهو الجزء الشرقي من أراضيها تحت التبعية الفارسية ، ووقع الجزء الغربي وهو الأصغر تحت النفوذ البيزنطي[5] ، وعندما جمع عثمان لمعاوية ولاية الشام والجزيرة غدت مسائل الحدود تعالج بنشاط أكبر ، فوجهت حملات عدة من الثغور الجزرية بقيادة حبيب بن مسلمة الفهري وصفوان بن معطل الى شمشاط أي أرمينية الرابعة[6] كما استولى حبيب بن مسلمة على عاصمة أرمينية البيزنطية تيودوسيوبوليس[7] أو قاليقلا[8] كما تسميها المصادر العربية ، وبعد ذلك أمده

(١) المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٤٦٤ .
(٢) الازدي ، تاريخ الموصل ، تحقيق علي حبيبة ، القاهرة ١٣٨٧ هـ ، ١٩٦٧ ، ص ٥٦ .
(٣) البلاذري ، فتوح ص ٣٢٥ ، الاصطخري ، ص ١٨١ .
(٤) اليعقوبي ، البلدان ص ٢٧١ ، ابن رسته ، ص ١٠٦ .
(٥) نبيه عاقل ، خلافة بني أمية ، الطبعة الثالثة ، ١٩٧٥ ، ص ٨٢ .
(٦) البلاذري ، فتوح ص ١٨٨ .
(٧) نبيه عاقل ، خلافة بني أمية ، ص ٨٢ .
(٨) البلاذري ، فتوح ص ٢٠٠ .

معاوية بجيش آخـر لاستكمال الفتح وجرت بينه وبين البيزنطيين على أرض أرمينية معارك عديدة انتهت بسيطرة العرب على هذا الجزء من ارض أرمينية ، وتابع بعد ذلك زحفه على القسم الفارسي حتى بلغ مدينـة دفين Dwin [١] أو دبيل[٢] كما يسميها المؤرخون العرب ، وأتم حبيب فتح أرمينية بوصوله الى مدينة تفليس حيث عقد صلحا مع أهلها مقابل اعترافهم بالسيادة الاسلامية[٣] ، وقد هم عثمان أن يولي ابن مسلمة جميع أرمينية ثم رأى أن يجعله غازياً لثغور الشام والجزيرة ، فعاد حبيب ونزل حمص[٤] . وحين قامت الفتنـة بين علي ومعاوية اضطر معاوية لسحب قواته المرابطة في أرمينية ليستخدمها في صراعه ضد خصمه وقد أدى انسحاب الجيش الاسلامي من أرمينية الى حدوث فراغ استغله البيزنطيون لاسترجاع سيادتهم على هذا الموقع الاستراتيجي ، على أنه ماكادت الخلافة تؤول الى معاوية حتى عاودته فكرة استعادة هذا الاقليم الهام وإعادته الى السيطرة العربية ، وقد نجح معاوية في مسعاه ، وعادت أرمينيـة الى التبعية العربية وظلت كذلك طوال فترة الحكم الاموي[٥] .

وبما أن أرمينية كانت من فتوح الجزيرة وكانت الجزيرة تابعة للشام حتى خلافة عبد الملك فقد أصبحت أرمينية تابعة ادارياً لوالي الجزيرة ، وقد استمر الوضع على ذلك حتى خلافة يزيد بن عبـد الملك الذي عين عليها والياً مـن قبله[٦] . وبقيت أرمينية منفصلة ادارياً عن الجزيرة حتى نهاية خلافة هشام بن عبد الملك[٧] ، ثم عاد الخليفـة الوليد بن يزيد بن عبد الملك فجمع أرمينيـة وأذربيجان لمروان بن محمد[٨] ، فلما قتل الوليد استخلف مروان على أرمينية

---

(١) نبيه عاقل ، خلافة بني أمية ، ص ٨٣ .
(٢) البلاذري ، فتوح ، ص ٢٠٣ .
(٣) المصدر السابق ، ص ٢٠٦ .
(٤) المصدر السابق ، ص ٢٠٧ .
(٥) نبيه عاقل ، خلافة بني أمية ، ص ٨٤ .
(٦) خليفة بن خياط ، ج٢ ، ص ٤٨٥ .
(٧) المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٥٤١ .
(٨) المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٥٥٤ .

وأذربيجان عاصم بن عبد الله بن يزيد الهلالي وانصرف الى الشام[1] ، ومن أهم كور أرمينية : ار"ان وجرزان ونشوى وخلاط ودبيل وصغدبيل وباجنيس وأرجيش ومدينة الباب والأبواب[2] .

ج ـ الموصل

يعتبر بعض الجغرافيين كالاصطخري الموصل من مدن الجزيرة[3] ، أما ابن رسته وابن الفقيه فلا يذكران الموصل في معرض الحديث عن الجزيرة ، كما لا تجد ذكراً للموصل باعتبارها جزءاً من اقليم الجزيرة عند البلاذري والطبري واليعقوبي والدينوري وغيرهم ، فابن الفقيه يذكر في كتابه البلدان أن الموصل سميت موصلا لأنها وصلت بين الجزيرة والعراق[4] ، وكانت منطقة الموصل وتكريت تابعة للروم أثناء الفتح العربي[5] .

وبعد أن استولى العرب على تكريت أرسل عبد الله بن المعتم ، ربعي من الافكل الى الحصنين وهما نينوى والموصل فسمى الحصن الشرقي نينوى والحصن الغربي الموصل[6] ، وقد حوت الموصل بالاضافة الى الحصن الغربي محلة المجوس وهم الفرس الذين سكنوا قرب الحصن وبيع للنصارى حولها بيوت لهم قليلة ومحلة ثالثة لليهود وهي المحلة التي تعرف اليوم بمحلة الاحمدية[7] .

---

(١) المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٥٥٤ .

(٢) ابن رسته ، ص ١٠٦ وترد هذه الاسماء كلها عند البلاذري أثناء الكلام عن فتح أرمينيا ص ١٩٧ ، ١٢٣ .

(٣) الاصطخري ، ص ٧٣ .

(٤) ابن الفقيه ، ص ١٢٨ ـ ياقوت الحموي ، ج٥ ، ص ٢٢٣ .

(٥) ابن الاثير ، ج٢ ، ص ٣٦٤ .

(٦) المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٣٦٤ .

(٧) ياسين بن خير الله الخطيب العمري ، منية الادباء في تاريخ الموصل الحدباء ، تحقيق سعيد الديوەجي ـ مدير متحف الموصل ، ص ٣ .

وأول من اختط الموصل وأسكنها العرب هرثمة بن عرفجة البارقي[1] ، وكان عمر قد عزل عتبة بن فرقد وولى هرثمة ، فمصرها هرثمة وبنى المسجد الجامع ثم بنى بعدها الحديثة[2] ، وكانت قرية قديمة فيها بيعتان فمصرها وأسكنها قوماً من العرب فسميت بالحديثة لأنها بعد الموصل[3] • ويذكر لوسترانج أن حديثة الموصل بناها الخليفة الأموي مروان الثاني على مرتفع يشرف على أرض سبخة وكانت هذه المدينة تعرف في العهد الساساني باسم Naukrid وهي تعني بالفارسية البلد الحديث ، وقد كانت مركزاً للجزيرة قبل الموصل[4] كما يذكر أن الموصل أصبحت قاعدة إقليم الجزيرة في عهد مروان الثاني[5] ، ويؤكد ذلك مؤلف كتاب الحدود الاسلامية البيزنطية إذ يقول : وعلا شأن الموصل أيام بني أمية ونصب فيها على دجلة جسر سفن يربط المدينة التي في الجانب الغربي بخرائب نينوى في الجانب الشرقي ، وصارت الموصل في عهد مروان الثاني آخر خلفاء بني أمية قاعدة إقليم الجزيرة[6] ، ولكننا في الواقع لو تتبعنا ماورد في الكتب التاريخية لوجدنا أن الموصل كانت سنة ١٧ هـ ثغرا من ثغور الكوفة[7] ، وعندما مصّرها هرثمة بن عرفجة أصبحت مصراً يعين ولاتها من قبل الخلفاء ، واستمرت كذلك في العصر الأموي ، فقد ولّى عبد الملك بن مروان ابنه سعيد صاحب نهر سعيد الموصل وولّى محمداً أخاه الجزيرة وأرمينية[8] • واذا عدنا الى كتاب تاريخ الموصل للأزدي وهو كتاب ليس بين أيدينا منه سوى الجزء الثاني الذي يبتدىء بحوادث سنة ١٠٠ هـ ،

---

(١) البلاذري ، فتوح ، ص ٣٢٧ ـ الازدي ، تاريخ الموصل ، تحقيق علي حبيبه ، القاهرة ١٣٨٧ ، ١٩٦٧ ، ص ١٨ •

(٢) البلاذري ، فتوح ، ص ٣٢٧ •

(٣) ابن الفقيه ، ص ١٢٩ •

(٤) Le Strange p. 87 .

(٥) Ibid p. 87 .

(٦) فتحي عثمان ، ص ١٤٩ •

(٧) الطبري ، ج٤ ، ص ٤٩ •

(٨) البلاذري ، فتوح ، ص ٣٢٨ •

فانه يؤكد دوما على كون الموصل ولاية مستقلة لهـا أعمالها إذ يذكر أن أمير الموصل وأعمالهـا لعمر بن عبـد العزيز الى أن توفي كـان يحيى بن يحيى الغسّاني[١] وأن مروان بن محمد بن مروان كان في سنة أربع ومائة أمير الموصل وأعمالها والجزيرة بأجمعها[٢] ، وقد بقي الحر بن يوسف والياً على الموصل من سنة ست ومائة حتى وفاته سنة اثنتي عشر ومائة[٣] . وعندما ولّى هشام بن عبد الملك الحر بن يوسف الموصل قالت له زوجته أم حكيم بنت يوسف : تولى أخي الموصل وماقدرها ! فقال لها هشام : يابنت يحيى أما يرضى أخوك أن يصلي خلف الهراثمة يعني ولد هرثمة بن عرفجة البارقي : وبعد وفاة الحر بن يوسف عين الوليد بن تليـد العبسي على صلاتها وأحداثها وخراجها وأعمالها[٤] حتى سنة اربع وعشرين ومائة ، وفي خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك كان مروان بن محمد على صلاة الموصل وأحداثها وعلى الجزيرة وأذربيجان[٥] ، وليس هناك من إشارة الى أن مروان بن محمد قد جعل الموصل مركزا للجزيرة ، وياقوت الحموي بالرغم من أنه يورد الرواية التي استند عليها لوسترانج عن حديثـة الموصل وان مروان هو الذي أحدثها[٦] ، الا أنه يذكر أنها كانت قصبة كورة الموصل ، كما أنه في معرض حديثه عن الموصل يشير الى أن مروان بن محمد بن مروان هو أول من عظم الموصل وألحقها بالأمصار وجعل لها ديواناً ونصب عليها جسراً ولكنه لا يذكر أنه جعلها قصبة الجزيرة[٧] ، ثم إننا اذا تتبعنا أخبار مروان ابن محمد نجد أن حرّان تحتل المركز الاكبر في الجزيرة ، فقد انصرف مروان ابن محمد بعد أن استوت له الأمور في الشام الى منزله بحرّان[٨] ، وفي سنة

---

(١) الازدي ، تاريخ الموصل ، ص ٣ .
(٢) المصدر السابق ، ص ١٨ .
(٣) المصدر السابق ، ص ٢٤ .
(٤) المصدر السابق ، ص ٥٠ .
(٥) المصدر السابق ، ص ٥٦ .
(٦) ياقوت الحموي ، ج٢ ، ص ٢٣٠ .
(٧) المصدر السابق ، ج٥ ، ص ٢٢٣ .
(٨) الطبري ، ج٧ ، ص ٣١٢ .

١٢٨ هـ نقل خزائن الملك وبيت المال الى الجزيرة[١] ، كما أمر بضرب الدراهم بالجزيرة بحرّان بعد أن كانت تضرب في واسط[٢] .

ومن أعمال الموصل شهرزور ، والصامغان ودراباذ وكلها من فتوح عتبة بن فرقد السلمي ، فتحها وقاتل الاكراد وكتب الى عمر أنه قد بلغ بفتوحه أذربيجان فولاه أذربيجان وولى هرثمة بن عرفجة الموصل[٣] . وقد بقيت شهرزور وأعمالها مضمومة الى الموصل حتى فرقت آخر خلافة الرشيد ومن أعمال الموصل كذلك الكرخ ، ودقوقا ، وخانجار ، والطيرهان ، والعمرانية ، وتكريت ، والسن ، وباجرمي ، وقردى الى حدود أذربيجان[٤] .

ثالثا ـ الحجاز

يشتمل الحجاز على مكة والمدينة واليمامة ومخاليفها ، ونجد الحجاز المتصل بأرض البحرين وبادية العراق وبادية الجزيرة وبادية الشام[٥] . وكان الحجاز مقسوماً الى أربع مناطق إدارية في العصر الأموي مراكزها المدينة ومكة والطائف واليمامة[٦] . وكان ولاتها مسؤولين أمام الخليفة الأموي في دمشق وكانت مكة والطائف تجمع أحياناً لوالي المدينة ، فالطبري عندما يتكلم عن عزل عمر بن عبد العزيز سنة ٩٣ هـ يشير إلى أنه عزل عن الحجاز وأن الوليد ابن عبد الملك ولّى خالد بن عبد الله مكة وعثمان بن حيان المدينة[٧] ، كما

---

(١) الازدي ، ص ٦٨ .

(٢) انستاس الكرملي ـ النقود العربية وعلم النميات ، طبعة ١٩٢٩ ـ المقريزي ، ص ٤٤ ، ٤٥ .

(٣) الازدي ، ص ٣٢ .
ابن الفقيه ، البلدان ، ص ١٦٥ .

(٤) البلاذري ، فتوح ، ص ٣٢١ ، ٣٢٢ ، الطبري ج٤ ، ص ٢٣٦ ـ اليعقوبي ، البلدان ، ص ٢٧١ ـ

(٥) الاصطخري ، ص ١٤ .

(٦) خليفة بن خياط ، ج١ ، ص ٤١٦ ، ج٢ ص ٤٦٤و٥٣٩ ـ اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص ١٣٨ .

(٧) الطبري ، ج٦ ، ص ٤٨٢ .

ولّى هشام بن عبد الملك محمد بن هشام بن اسماعيل المخزومي على مكة والمدينة والطائف[1] .

رابعا ـ اليمن

يفصل بين اليمن وبين باقي جزيرة العرب خط يمتد من بحر الهند الى بحر اليمن عرضاً في البرية من المشرق الى جهة الغرب[2] وكانت اليمن تشتمل على تهامة ونجد اليمن ومهرة وحضرموت وبلاد صنعاء وعدن وسائر مخاليف اليمن[3] . وقد جمع رسول الله لباذام حين أسلم وأسلمت اليمن عمل اليمن كلها وأمّره على جميع مخاليفها[4] ، فلما مات قسمها الرسول الى ستة أقسام وهي : نجران ـ حضرموت ـ صنعاء ـ كنده والصدف ـ زبيد ورمع وعدن والسواحل ـ الجند[5] ، فلما كانت خلافة ابي بكر جمع كنده والصدف وحضرموت لوال واحد[6] . وقد جمعت اليمن كلها لوال واحد في خلافة عمر بن الخطاب واستمر الامر على هذا الشكل الى نهاية العصر الأموي ، وأصبح والي اليمن يعين من قبل الخليفة الأموي في دمشق[7] .

خامسا ـ العراق

أطلق العرب اسم العراق على القسم الجنوبي من عراق اليوم ، وقد خضع

---

(١) خليفة بن خياط ، ج٢ ، ص ٥٣٤ .
(٢) مراصد الاطلاع ، ج٣ ، ص ١٤٨٣ .
(٣) الاصطخري ، ص ١٤ ـ الرازي الصنعاني ، تاريخ مدينة صنعاء تحقيق حسين عبد الله العمري، عبد الجبار زكار ، ص ٥
(٤) الطبري ، ج٣ ، ص ٢٢٧ .
(٥) البلاذري ، أنساب الاشراف ، ج١ ، تحقيق الدكتور محمد حميد الله معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية ، ص ٥٢٩ . الطبري ج٣ ، ص ٢٢٨ ـ المقريزي ، النزاع والتخاصم ، ص ٣٠ .
(٦) البلاذري ، أنساب الاشراف ، ج١ ، ص ٥٢٩ .
(٧) خليفة بن خياط ، ج١ ، ص ٣٨٤ ، ٤٢٨ ، ج٢ ، ص ٥٣٤ ، ٥٥٢ .

العراق للحكم الفارسي منذ سنة ٢٢٣ م إذ تمكن أردشير بن بابك مؤسس الدولة الساسانية من القضاء على كل مقاومة في أرض العراق وجعله جزءاً من الامبراطورية الساسانية خاضعاً لنظمها وقوانينها وأصبح أحد الأقاليم الاربعة التي كانت تكوّن الامبراطورية الساسانية[١] •

وقد اتفق جغرافيو العرب على أن العراق كان يمتد من عذيب القادسية إلى حلوان عرضاً[٢] ، الا أنهم اختلفوا في الطول ، فبعضهم يذكر أن العراق كان يمتد من حديثة الموصل الى عبادان طولاً ويذكر البعض الآخر أنها تمتد من تكريت الى عبادان ، ويعلق لوسترانج أن الحدود بين العراق والجزيرة اختلفت باختلاف الأوقات ، الا أن الحد بينهما في العصر الأموي ، تبعاً لتقرير الجغرافيين الأوائل ، يتفق مع الخط الذي يمر شمالي الأنبار على الفرات الى تكريت[٣] • هذا وان حدود العراق في العصر الأموي كانت أثبت وأكثر وضوحاً منها في العهود الأخرى ، ففي خلافة الراشدين لم تكن الفتوح قد توقفت كما أن حدود العراق في العصر العباسي لم يهتم بأمرها لاندماج بلاد فارس والعراق في وحدة سياسة تامة ، وظل هذا الاندماج أو ظواهره حتى سقوط بغداد[٤] • وقد أصبح اسم السواد الذي يطلق على المنطقة السهلية مرادفاً للعراق ، فابن رسته يذكر أن حد السواد الذي مسحه عثمان بن حنيف هو من لدن تخوم الموصل ماراً الى ساحل البحر من بلاد عبادان من شرقي دجله طولاً وعرضه من منقطع الجبل من أرض حلوان الى منتهى طرف القادسية مما يلي العذيب من أرض العرب[٥] •

---

(١) الدينوري ، الاخبار الطوال ، تحقيق عبد المنعم عامر ، القاهرة ، ١٩٦٠ ، ص ٦٧ ، يذكر الدينوري أن كسرى انو شروان قسم المملكة أربعة أرباع : فأحد الارباع خراسان وسجستان وكرمان ، والثاني أصبهان ، وقم والجبل ، وأذربيجان ، وأرمينية ، والثالث فارس والاهواز الى البحرين ، والرابع العراق الى حد مملكة الروم •

(٢) مراصد الاطلاع ، ج٢ ، ص ٩٢٦ ، الاصطخري ، ص ٧٨ ، ابن رسته ص ١٠٤ ، Le Strange p. 24 , 25 .

(٣) Le Strange p. 24, 25 .

(٤) ثابت اسماعيل الراوي ، العراق في العصر الاموي ، مكتبة النهضة ، بغداد ١٩٦٥ ، ص ١٥ •

(٥) ابن رسته ص ١٠٤ • ابن الجوزي ، تاريخ عمر بن الخطاب ، دمشق ١٣٩٤ هـ ، ص ١٠٩ « سمي السواد سوادا لان العرب لما جاؤوا ونظروا الى مثل الليل من النخل والشجر والماء سموه سوادا »•

وعندما استولى المسلمون على العراق كانت المدائن هي قصبة المقاطعة والعاصمة الشتوية لملوك آل ساسان[1] • ولكن العرب اختطوا في العراق مباشرة معسكرين لم يلبثا أن أصبحا مدينتين مزدهرتين ، وهذان المعسكران هما البصرة والكوفة ، وأول من اختط البصرة عتبة بن غزوان في خلافة عمر بن الخطاب بالقرب من الابلة[2] التي كانت مرفأ السفن من الصين ومادونها[3] ، وعرفت هذه المنطقة عند العرب باسم أرض الهند أو فرج الهند[4] •

وقد بنيت مساكن البصرة ومسجدها في باديء الامر من القصب وبني عتبة دار الامارة دون المسجد في الرحبة[5] وكانت تسمى الدهناء[6] ، فلما وقع الحريق في البصرة وأتى على معظم منازل القصب استأذن المسلمون من عمر في البناء باللبن وبنى أبو موسى الأشعري المسجد ودار الامارة بلبن وطين وسقفهما بالخشب[7] ، فلما استعمل معاوية زياد بن أبيه على البصرة زاد في المسجد زيادة كبيرة وبناه بالآجر والجص وسقفه بالساج وحوّل دار الامارة من الدهناء الى قبلة المسجد[8] • وقد بدأت البصرة بداية متواضعة ، حيث لم يزد عدد سكانها عن ثمانمائة مقاتل ولكن لم تلبث أن ازدادت أهميتها حين صارت قاعدة للفتوح في بلاد فارس نفسها ، إذ تولت قواتها الاستيلاء على

---

(١) البلاذري ، فتوح البلدان ص ٣٤١ • الطبري ج٣ ص ٥٩٠ • لوسترانج ص ٢٥ •

(٢) شيدت الابله في العهد الساوقي في ملتقى دجلة العوراء بخليج البصرة باسم (ابولو) المعبود اليوناني ، وحرف العرب لفظ (ابولو) الى الابلة وكانت زمن الفتح العربي قد ابتعدت عن البحر قليلا بسبب رواسب الطمي (مجلة المجمع العلمي العراقي ـ المجلد الثالث ج١ سنة ١٣٧٣ هـ ، ١٩٥٤ م ـ ص ٧٥) • وفي معجم البلدان لياقوت ان الابله بلدة على شاطيء دجلة العظمى في زاوية الخليج الذي يدخل الى مدينة البصرة وهي أقدم من البصرة وكانت الابلة حين الفتح مدينة فيها مسالح من قبل كسرى ، ج١ ، ص ٧٧ •

(٣) الطبري ، ج٣ ، ص ٥٩٤ •

(٤) الطبري ، ج٣ ، ص ٥٩١ • ابن الفقيه ص ١٨٨ • ابن سعد ، ج٤ قسم ١ ص ٣ •

(٥) البلاذري ، فتوح ، ص ٣٤١ ، ابن الفقيه ، ص ١٨٨ •

(٦) البلاذري ، فتوح ، ص ٣٤١ •

(٧) المصدر السابق ، ص ٣٤٢ • ابن الفقيه ، ص ١٨٨ •

(٨) البلاذري ، فتوح ، ص ٣٤٢ •

المقاطعات الواقعة شرقي الخليج العربي ، ثم ماتبقى من إقليم فارس وسجستان وكرمان[١] . وترتب على هذه الفتوح تدفق القبائل العربية اليها ، فأمر عمر أبا موسى بالخروج اليها وتوزيع الخطط عليهم وأن يجعل كل قبيلة في محلّة[٢]. وبجانب هؤلاء العرب نزل البصرة خليط من الأجانب ، فقد أسلم عدد كبير من الأساورة وهم فرسان الفرس ونزلوا البصرة وحالفوا بني تميم ، وما لبث أن قدم البصرة عدد آخر من السيابجة والزط[٣] .

وفي سنة ١٧ هـ كتب عمر بن الخطاب الى سعد بن أبي وقاص يأمره بأن يتخذ للمسلمين دار هجرة وقيرواناً[٤] ، وقد استقر رأيهم في بادىء الامر على المدائن عاصمة الدولة الساسانية[٥] ، فأقام المسلمون بها واختطوها وبنوا المساجد فيها ولكنهم سرعان ما كرهوا الاقامة بها فقد استوخموها واستوبؤها[٦] . ثم ان قرب المدائن من الحدود الفارسية وبعدها عن مركز الخلافة قد يهدد أمن المسلمين وسلامتهم ويجعلهم غرضاً قريباً لأعدائهم من الفرس والموالين لهم من أهل العراق[٧] ، لذلك ترك العرب المدائن حتى أتوا موضع الكوفة ، وقد كان تخطيطها وبناؤها على غرار البصرة التي بنيت قبلها بعامين أو ثلاثة ، وكان المسجد الجامع ودار الامارة أول أبنيتها ، وما أن حطت القبائل رحالها في الكوفة حتى توافد عليها الناس من كل صوب ، وكان أول الوافدين إليها بعد العرب الفرس وكان عددهم أربعة آلاف ممن كانوا يعملون بالجيش الفارسي وشهدوا القادسية مع رستم وقد فاوضوا سعداً على أن ينزلوا حيث أحبوا ويحالفوا من أحبوا[٨] ، أما العنصر الثاني الذي نزل

(١) المصدر السابق ، ص ٣٠٨ ، ٣٠٩ .
(٢) الدينوري ، ص ١١٨ .
(٣) البلاذري ، فتوح ، ص ٣٦٦ ، ٣٦٧ .
(٤) المصدر السابق ، ص ٢٧٤ . الدينوري ص ١٢٤ .
(٥) البلاذري ، فتوح ، ص ٢٧٦ . الطبري ، ج٤ ، ص ٤١ ، ٤٢ .
(٦) البلاذري ، فتوح ، ص ٢٧٦ ــ ابن قتيبة ، المعارف ، الطبعة الثانية ١٩٧٠ ، ص ٢٤٦ .
(٧) كاظم الجنابي ، تخطيط مدينة الكوفة ، طبع المجمع العلمي العراقي ١٩٤٧ ، ص ٢٣ .
(٨) البلاذري ، فتوح ، ص ٢٧٩ .

الكوفة بعد تمصيرها السريان وهم الذين كانوا يسكنون الديارات التي كانت قائمة على أطراف الحيرة والنجف ممن أصبحت لهم صلات بالمجتمع الكوفي ، ويقول ماسينيون إنه كان بالكوفة اسقفان أحدهما نسطوري والآخر يعقوبي ، وكان نصارى الكوفة طائفتين : نساطرة وهم الحضر ويعاقبة وهم البدو[1] .
بتخطيط البصرة والكوفة في خلافة عمر بن الخطاب انقسم العراق إلى ولايتين كل واحدة مستقلة عن الأخرى في جميع تشكيلاتها الادارية ومصادر فيئها وساحات حربها ، فمن فتوح البصرة فارس وكرمان وخراسان وسجستان[2] وأصبهان[3] والاهواز[4] وكانت فتوح الكوفة تنحصر في المناطق الشمالية كقزوين وزنجان[5] وطبرستان[6] وأذربيجان[7] والري وقومس ونهاوند[8] .

وقد اتبع الأمويون هذا التقسيم في بادىء الأمر مع إحداث بعض التغييرات في المناطق التابعة لكل ولاية ، إذ يذكر البلاذري أن نهاوند كانت من فتوح الكوفة والدينور من فتوح أهل البصرة ، فلما كثر المسلمون في الكوفة احتاجوا الى أن يزادوا في النواحي التي كان خراجها مقسوما فيهم وصيرت لهم الدينور وعوض أهل البصرة بنهاوند لأنها من أصبهان فصار فضل مابين خراج الدينور ونهاوند لأهل الكوفة فسميت نهاوند ماه البصرة والدينور ماه الكوفة[9] ، كما عمد معاوية أيضاً الى أخذ أصبهان من أهل البصرة ودفعها الى أهل الكوفة وأخذ البحرين وعمان من أهل الحجاز فأعطاها أهل البصرة[10] .

---

(١) كاظم الجنابي ، ص ٩٥ .
(٢) البلاذري ، فتوح ، ص ٣٧٨ ، ٣٨٤ .
(٣) المصدر السابق ، ص ٣٠٨ ، ٣٠٩ .
(٤) المصدر السابق ، ص ٣٧٠ .
(٥) المصدر السابق ، ص ٣١٧ ، ٣١٨ .
(٦) المصدر السابق ، ص ٣٣٠ .
(٧) المصدر السابق ، ص ٣٢١ .
(٨) المصدر السابق ، ص ٣١٣ .
(٩) المصدر السابق ، ص ٣٠٣ .
(١٠) ابي نعيم احمد بن عبد الله الاصبهاني ، ذكر أخبار اصبهان ، ليدن ، طبعة ١٩٣٤ ، ص ٢٩ .

وفي سنة ٥٠ هـ جمع معاوية بن أبي سفيان بعد وفاة المغيرة بن شعبة والي الكوفة العراقين لزياد بن أبيه ، وهو أول عامل جمع له المصران[1] ، وسار على هذا النظام الجديد أكثر خلفاء الدولة الاموية حتى كان عدد الأمراء الذين تولوا العراقين اثني عشر أميراً[2] حكموا مدة ٦٤ عاما من تسعين سنة وهي مدة بقاء الدولة الأموية ، أما الستة والعشرون سنة الباقية فقد اتبع الخلفاء التقسيم الذي كان سائداً في عهد عمر بن الخطاب ،وبا لرغم من تعيين أمير واحد على المصرين إلا أنهما لم يدمجا في وحدة تامة ، وربما يعود ذلك الى رغبة الخلفاء والولاة في الحد من شدة المعارضة العراقية ، إذ أن الاتجاه المذهبي والسياسي يختلف عند سكان المصرين ، فأهل البصرة أكثرهم عثمانية[3] تهمهم مصلحتهم التجارية ولا يعيرون الناحية السياسية كثير اهتمام ، أما أهل الكوفة فأكثرهم من شيعة علي اهتموا بالناحية السياسية والمعارضة للحكم الأموي وأعاروا هاتين النقطتين جلّ اهتمامهم ولم يكفوا عن ذلك حتى سقطت الدولة الأموية[4] .
وقد بنى الحجاج أثناء ولايته مدينة واسط في نقطة متوسطة بين البصرة والكوفة[5] ، وليس صحيحاً ماذهب اليه البعض من القول أن كره الحجاج للعراقيين ورغبته في عزل جنود الشام عنهم كي لا تفسدهم معاشرتهم كانت سبب بنائه لمدينة واسط ، بل إن السبب المنطقي المعقول هو أن الحجاج رأى من حسن الادارة أن يكون مقام والي العراق قريباً من حاضرتيه الكبيرتين « اتخذ مدينة بين المصرين أكون بالقرب منهما ، أخاف أن يحدث في إحدى المصرين حدث وأنا في المصر الآخر » ، فمر بواسط القصب فأعجبته وقال هذا واسط

---

(١) ابن قتيبة ، المعارف ، ص ٢٤٨ ، الطبري ج٥ ، ص ٢٣٤ ـ ابو الفداء المختصر في تاريخ البشر ، ج١ ، ص ١٨٥ .
(٢) ابن قتيبة ، المعارف ، ص ٢٤٨ .
(٣) ثابت اسماعيل الراوي ، العراق في العصر الاموي ، ص ٢٢ .
(٤) المصدر السابق ، ص ٢٢ .
(٥) اليعقوبي ، البلدان ص ٣٢٢ ـ يذكر اليعقوبي انها سميت واسطا لان منها الى البصرة خمسين فرسخا والى الكوفة خمسين فرسخا والى الاهواز خمسين فرسخا والى بغداد خمسين فرسخا ـ ياقوت الحموي ج٥ ، ص ٣٤٨ .

المصرين فكتب الى عبد الملك بن مروان يستأذنه في بناء مدينـة بين المصرين فأذن له[1] ، وهذا يدل على أن غرض الحجاج من بنـاء واسط كان عسكرياً وإدارياً .

وواسط عبارة عن مدينتين على جانبي دجلة المدينة القديمـة في الجانب الشرقي ، وابتنى الحجاج مدينة في الجانب الغربي وجعل بينهما جسراً بالسفن وبنى الحجـاج قصره والمسجد والسجن المعـروف بالديماس بهـذه المدينة الغربية[2] . ويذكر بحشل مؤلف تاريخ واسط أن الحجاج بعد أن انتهى من بناء واسط نقل اليها من وجوه البصرة وأمرهم أن يصلوا عن يسار المقصورة ، ونقل إليها من وجوه الكافة وأمرهم أن يصلوا عن يمين المقصورة وأمر من كان معه من أهل الشام أن يصلوا بحياله مما يلي المقصورة[3] ، وأصبحت واسط بعد ذلك عاصمة العراق ومقر ولاته[4] ، الا أن بعضهم اتخـذ الحيرة منهم يوسف بن عمر الثقفي[5] وعبد الله بن عبد العزيز[6] .

واعتبر خلفاء الدولة الأموية ولاية العراق مركزاً للقسم الشرقي من الدولة العربية ، ولذلك كان أمير العراق في الغـالب يشرف على العراق والاقسـام الشرقية المتاخمة والبعيدة ؛ وعن المدائني قوله : « عمل العراق من هيت الى الصين والسند والهند والري وخراسان وطبرستان الى الديلم والجبال ... ، وانما قالوا ذلك لأن هذا كله كان في أيام بني أمية يليه والي العراق لا أنه منه والعراق هي بابل فقط »[7] ، ويؤكد ذلك الأصمعي[8] ويذكر البلخي في كتاب

(١) اسلم بن سهل الرزاز الواسطي المعروف ببحشل ــ تاريخ واسط ، تحقيق كوركيس عواد ، ص ٤٣ .

(٢) اليعقوبي ــ البلدان ، ص ٣٢٢ . ياقوت الحموي ، ج٥ ، ص ٣٣٩ .

(٣) بحشل ، تاريخ واسط ، ص ٤٤ .

(٤) المصدر السابق ، ص ٢٥ .

(٥) الطبري ، ج٧ ، ص ١٨٠ .

(٦) المصدر السابق ، ج٧ ، ص ٢٨٤ .

(٧) ياقوت الحموي ، ج٤ ، ص ٩٤ .

(٨) ابن قتيبة ، عيـون الاخبـار ، مطبعـة دار الكتب المصريـة ، ١٣٤٣ هـ ، سنة ١٩٢٥ م ، ج٢ ، ص ٢١٤ .

« البدء والتاريخ » : انه لما مات بشر بن مروان بالبصرة واشتدت شوكة الخوارج بالعراق والأهواز ولى عبد الملك الحجاج بن يوسف العراقين وكان العراق إذ ذاك من فم الرقة الى أقصى خجند بخراسان ومنها السند والهند[1] . وقد أدخلت هذه المناطق البعيدة ضمن أعمال العراق بينما أرض الموصل المتاخمة والملاصقة لها لم تدخل ضمن ذلك التحديد وكان لها ولاة يعينون من قبل الخلفاء ولا دخل لعمال العراق في شؤونها ، وقد استمر هذا الوضع حتى نهاية الدولة الأموية ماعدا فترتين قصيرتين : الأولى أيام المختار الثقفي الذي وثب على الكوفة سنة ٦٦ هـ وجعلها تحت سلطانه وتمكن من أن يضم الموصل اليها والأقسام المجاورة لها[2] ، والفترة الثانية في أيام عبد الله بن الزبير وولاية أخيه مصعب إذ ولّى المهلب بن أبي صفرة الموصل والجزيرة وأذربيجان وأرمينية[3] .

لمحة عن المناطق التابعة إداريا الى العـــراق

آ ـ البحرين وعمـان

بالرغم من أن البحرين كانت من مملكة فارس[4] الا أن معظم سكانها كانوا من العرب من عبد القيس وبكر بن وائل وتميم ، وكان على العرب من قبل الفرس على عهد رسول الله المنذر بن ساوى ، فلما كانت سنة ٨ هـ وجه رسول الله العلاء بن عبد الله بن عماد الحضرمي الى البحرين ليدعو أهلها الى الاسلام أو الجزية ، وكتب معه الى المنـذر بن ساوى والى سيبخت مرزبان هجـر

(١) البلخي ، كتاب البدء والتاريخ ، باريز سنة ١٩١٩ ، ج٦ ، ص ٢٧ .

(٢) النويري ، نهاية الارب في فنون الادب ، تحقيق علي محمد البجاوي ، طبعة ١٩٧٦ ، ج٢١ ، ص ٢٢ .

(٣) الطبري ، ج٦ ، ص ١١٦ .

(٤) الاصطخري ، ص ١٤ .

يدعوهما للاسلام أو الجزية ، فأسلما وأسلم معهما جميع العرب وبعض العجم[1]
وقد أسلم أهل عمان ومعظمهم من الأزد كذلك في السنة الثامنة للهجرة وكان
أول أمير أرسله الرسول الى عمان عمرو بن العاصي السهمي وأبا زيد الانصاري
على الصلاة وتعليم الناس القرآن والسنن[2] . وقد بقيت البحرين وعمان
تابعتين إدارياً للخليفة في المدينة طيلة العهد الراشدي ، ولكن عندما استعمل
معاوية زياداً على البصرة وخراسان وسجستان جمع له بعد ذلك الهند والبحرين
وعمان[3] ، أما ابن عبد ربه فيذكر أن عبيد الله بن زياد هو أول من جمع له
العراق وسجستان وخراسان والبحران وعمان وانما كان البحران وعمان الى
عمال أهل الحجاز[4] . وقد بقيت البحرين وعمان تابعتين إدارياً الى والي
العراق طيلة خلافة الأمويين[5] الا في خلافة عمر بن عبد العزيز الذي أرسل
الى البحرين والياً من قبله[6] .

ب ـ منطقة الجبال أوقوهستان Kuhistan

إن المنطقة الجبلية الواسعة التي كان يطلق عليها اليونان اسم منطقة
ميديا[7] ، والتي تمتد من سهول مابين النهرين غرباً الى صحراء فارس الكبيرة
شرقاً ومن حدود الديلم وقزوين والري شمالاً الى خوزستان أو الأهواز
جنوباً[8] ، كانت تعرف عند العرب باقليم الجبال[9] ، كما يطلق عليها ابن الفقيه

---

(١) البلاذري ، فتوح ، ص ٨٩ ـ أبو عبيد ، كتاب الاموال ، تحقيق محمد حامد الفقي ، ص ١٠٠ .
(٢) البلاذري ، فتوح ، ص ٨٧ .
(٣) الطبري ، ج٥ ، ص ٢١٧ .
(٤) ابن عبد ربه ج٣ ، ص ٢٣٠ .
(٥) خليفة بن خياط ، ج١ ، ص ٣٩١،٤١٥،٤٣٠ ، ج٢ ، ص ٥٣٨ .
(٦) المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٤٦٤ .
(٧) Frede-Lokkeggaard , Islamic Taxation in the classical period - Copenhagen p. 164 - Le Strange p. 185 .
(٨) الاصطخري ـ ١٩٥ . Le Strange p. 185 .
(٩) الاصطخري ـ ١٩٥ .

اسم بلاد البهلويين[1] . ولم يعد اسم الجبال يطلق على هذه المنطقة في القرن السادس الهجري وأصبح يطلق على هذه المنطقة اسم العراق العجمي[2] تمييزاً لها عن العراق الذي كان يدعى العراقين بمعنى الكوفة والبصرة عاصمتي العراق، إذ عندما أصبح السلاجقة حكام فارس الغربية مسيطرين على العراق في أواخر القرن الخامس حيث يقيم الخليفة العباسي فان الامراء السلجوقيين حصلوا على لقب سلطان العراقين بمعنى العراق القديمة ومنطقة الجبال حيث كان يقيم الامير السلجوقي ، ثم اطلق اسم العراق العجمي على هذه المنطقة تمييزاً لها عن العراق القديم ويستخدم ياقوت الاسم القديم الجبال[3] بينما يستخدم القزويني المقابل الفارسي لها قوهستان أي إقليم الجبل[4] . ومن كور الجبل ماسبذان وأهم مدنها السيروان[5] ومهرجا نقذق ومن مدنها الصيمرة[6] وهمذان والدينور[7] . أما أصبهان فكانت تعتبر أحياناً من الجبال وأحياناً من عمل خراسان[8] ، وسكان هذه الكور كلها أخلاط من العرب والعجم من الفرس والأكراد[9] . أما أصبهان فأهلها أخلاط من الناس وعربها قليل وأكثر أهلها عجم من أشراف الدهاقين وبها قوم من العرب انتقلوا اليها من الكوفة والبصرة[10] .

جـ ـ منطقة الأهواز أو خوزستان Khuzistan

منطقة خوزستان هي المنطقة التي تضم الرواسب الغرينية لنهر قارون

---

(١) ابن الفقيه ص ٢٠٦ .

(٢) Le Strange p. 185 .

(٣) ياقوت الحموي ، ج٢ ، ص ٩٩ .

(٤) Le Strange p. 185 .

(٥) اليعقوبي ـ البلدان ص ٢٦٩ ـ الاصطخري ، ص ١٩٥ .

(٦) اليعقوبي ـ البلدان ص ٢٦٩ .

(٧) الاصطخري ، ص ١٩٥ .

(٨) الاصطخري ، ص ٢٠٢ .

(٩) اليعقوبي ، البلدان ص ٢٦٩ ، ٢٧٠ .

(١٠) المصدر السابق ، ص ٢٧٤ .

المسمى بدجيل الاهواز[1] وتحدها شرقا فارس وغربا رستاق واسط وشمالا منطقة الجبال وجنوبا عبادان[2] ، وهي اليوم مقاطعة في فارس باسم عربستان[3] ومن أهم كور الأهواز ، الأهواز وهي الكورة العظيمة التي ينسب اليها سائر الكور ، وعسكر مكرم وتستر وجندي سابور والسوس ورامهرمز وسرق[4] وكل هذه الكور سميت بأسماء مدنها الرئيسية الا سرّق فان مدينتها الدورق وهي المعروفة بدورق الفرس[5] ، أما لسانهم فان عامتهم يتكلمون بالفارسية والعربية الا أن لهم لساناً آخر خوزيا ليس بعبراني ولا سيرياني ولا فارسي[6] .

د ـ فارس

كانت فارس مقر الأخمينين Achaemenian ومركز حكومتهم ، وعرفت هذه المنطقة لدى اليونان باسم Province Perisis أي المقاطعة الفارسية[7] وقد استخدموا اسم هذه الولاية المركزية للدلالة على المملكة بكاملها ، وقد استمر هذا الاستخدام الخاطيء للتسمية في أوربا حتى الوقت الحاضر اذ تستخدم كلمة فارس Persia للدلالة على امبراطورية الشاه بينما يطلق المواطنون على بلادهم اسم ايران ، ولا تشكل فارس سوى مقاطعة من المقاطعات الجنوبية[8] ، وقد كان هذا المفهوم موجوداً لدى عمر بن الخطاب ، ففي رواية السري عن شعيب أن عمر أذن في الانسياح سنة ١٧ هـ في بلاد فارس ، وأنه

---

(١) Le Strange p. 233 .

(٢) الاصطخري ، ص ٨٨ .

(٣) Le Strange p. 233 .

(٤) البلاذري ، فتوح ص ٢٧٠،٢٧١،٢٧٢ ـ ابن رسته ، ص ١٠٦ . الاصطخري ، ص ٨٨ ـ ابن خرداذبه ، ص ٤٢ .

(٥) الاصطخري ، ص ٨٩ .

(٦) المصدر السابق ، ص ٩١ .

(٧) Le Strange p. 248 .

(٨) Le Strange p. 248 .

فرّق الأمراء والجنود وبعث بالألوية مع سهيل بن عدي حليف بني عبد الاشهل فكانت الالويــة سبعة : لواء خراســان ، لواء اردشير خرّه وسابور ، ولواء اصطخر ، ولواء فســا ودارابجرد ، ولواء كرمان ، ولواء سجستان ، ولواء كرمان[1] . وقد اتضحت حدود فارس في العصر الأموي فكانت كرمان تحدها شرقاً وكور خوزستان غرباً ، ومما يلي الشمال المفازة التي بين خراسان وفارس وبعض حدود أصبهان ويحدها جنوبا بحر فارس[2] ، وقد ورث العرب مــن الساسانيين تقسيم فارس الى خمس مقاطعات كبرى تدعى كل واحدة منهــا الكورة[3] ، وتعني كلمة كورة في الفارسية القديمة (المجد والعظمة) وقــد استمر هذا التقسيم حتى عهد المغول[4] :

- كورة اردشير خرة

وكانت عاصمتها جور[5] قبل الفتح الاسلامي ، وقد أصبحت شيراز في العصر الأموي ليس فقط قصبة أردشير خرّة بل قصبة فارس كلها[6] ، وكانت في عهد الفتح الاسلامي أيام الخليفة عمر بن الخطاب عبارة عن معسكر للجيوش المنطلقة نحو اصطخر[7] ، وقد بنى شيراز محمد بن القاسم بن أبي عقيل ابن عم الحجاج[8] ، وسميت شيرازاً تشبيها بجوف الأسد وبها الدواوين ودار الامارة .

---

(١) الطبري ، ج٤ ، ص ٩٤ ـ ابن الاثير ج٢ ، ص ٣٨٨ .

(٢) الاصطخري ، ص ٩٦ .

(٣) الاصطخري ، ص ٩٧ ـ ابن خرداذبه ، ص ٤٧ .

(٤) Le Strange p. 248 .

(٥) البلاذري ، فتوح ، ص ٣٨١ ـ Ibid p. 248

(٦) الاصطخري ، ص ٩٧ ، ١٢٣ ـ ياقوت الحموي ، ج٣ ، ص ٣٨٠ .

(٧) الاصطخري ، ص ١٢٥ .

(٨) الاصطخري ، ص ١٢٤ ـ ياقوت الحموي ، ج٣ ، ص ٣٨٠ .

- كورة سابور

وعاصمتها سابور Sabu or Shapu [1] على قول الاصطخري والنوبند جان في قول ابن الفقيه[2] ، وهي أصغر كور فارس[3] .

- كورة أرجان

ومدينتها العظمى أرّجان وليس بهذه الكورة مدينة أكبر منها[4] .

- كورة دار أبجرد

وهي تلي كورة اردشير خرّه في الكبر ومدينتها دار أبجرد ولكن فسا هي أكبر مدنها[5] .

- كورة اصطخر

وهي أوسع كور فارس وأكثرها مدناً ومدينتها اصطخر أكبر مدينة بهذه الكورة[6] ، وقد ضمت في عهد الخلفاء يزد ورودان ، وقد أصبحت يزد جزءاً من إقليم الجبال في العهد المغولي بينما تشكل مع رودان اليوم قسماً من كرمان[7] .

هـ - خراسان

تعني خراسان الأرض الشرقية ، ولذلك أطلق العرب اسم خراسان بشكل

---

(١) Le Strange p. 249 .

(٢) ياقوت الحموي ، ج٣ ، ص ١٦٧ - الاصطخري ، ص ٩٧ .

(٣) الاصطخري ، ص ٩٧ .

(٤) المصدر السابق ، ٩٧ .

(٥) المصدر السابق ، ص ٩٧ .

(٦) المصدر السابق ، ص ٩٧ .

(٧) Le Strange p. 249 .

عام بحيث شمل كل المقاطعات الاسلامية شرقي الصحراء الكبرى حتى حـدود الجبال الهندية(١) .

وقـد قسم العرب خراسان الى أرباع تبعاً لمدنها الأربعـة المشهورة : نيسابور ، مرو ، هراة ، وبلخ . واتخـذ العرب منذ عهـد الفتوحات الأولى مرو وبلخ عاصمتين لخراسان فكانت دار الامارة بخراسان بمرو وبلخ الى أيام الدولة الطاهرية(٢) .

وكـانت نيسـابور تـدعى في العهـود الاسلاميـة الأولى ابرشـهر Abrashahr (٣) ، وتعني مدينة الغيوم في الفارسية(٤) ، وكانت مركزاً لسـك النقود في عهد الخلفاء الأمويين والعباسيين كما يتضح ذلك من الدراهم التي تعود الى هذين العهدين(٥) ، أما هراه فهي ذلك الربع من خراسان المعـروف اليوم بأفغانستان(٦) ، أما بلخ التي كانت تدعى أم المدن فقد أصبحت اليوم من مدن أفغانستان الهامة والمشهورة بمزارها المعروف باسم المزار الشريف(٧) .

وبالرغم من أن خراسان تم فتحها في خلافة عثمان(٨) ، الا أن أهل خراسان ثاروا في نهاية خلافة عثمان وفي خلافة علي فاضطر معاوية الى أن يولي عبد الله بن عامر البصرة سنة ٤١ هـ وحرب سجستان وخراسان(٩) . وكانت خراسان من أهم المقاطعات الشرقية في عهد الخلفاء الأمويين وكان ولاتها يتولون الفتوحات في منطقة ماوراء النهـر ومنطقة طخارستان(١٠) . ونعني بمنطقة ماوراء النهـر

---

(١) Ibid p. 382 .
(٢) Le Strange p. 382 .
(٣) ياقوت الحموي ، ج٥ ، ص ٣٣٢ .
(٤) Le Strange p. 382 .
(٥) Ibid p. 382 .
(٦) Ibid p. 407
(٧) Ibid p. 420
(٨) البلاذري ، فتوح ، ص ٣٩٤ .
(٩) الطبري ، ج٥ ، ص ١٧٣ .
(١٠) ابن الاثير ، ج٤ ، ص ١١٤،١٢٥،١٢٨،١٣١،١٣٥ ، البلخي ج٦ ، ص ٤ .

Transoxania تلك المنطقة الواقعة بين نهر امودارِيا Amudarya (جيحون) وسرداريا Syrdaria أي سيحون[١] • وقد تكونت في هذه المناطق ممالك مستقلة غير واضحة الحدود منها مملكة الختل[٢] وهي على تخوم السند[٣] خلف نهر جيحون ومملكة الصغد أو السغديانا القديمة Sogdiana ، ومن أشهر مدنها بخارى وسمرقند ، وسمرقند قصبتها[٤] والصغانيان وهي ولاية عظيمة واسعة بما وراء النهر وأعمالها متصلة بترمذ[٥] • ومملكة خوارزم وكان لهـا عاصمتان العاصمة الأولى على الطرف الغربي لنهر جيحون وتدعى كاث Kâth وقد أصبحت في القرن الرابع العاصمة الرئيسية للاقليم[٦] • ومن بلاد ماوراء النهر منطقة الشاش وفرغانه[٧] ومنذ سقوط امبراطورية كوشـان Kushan أصبحت هذه المناطق تحكم من قبل أمرائها المحليين ومن المحتمل كما يقـول بارتولد أن الساسانيين لم يحكموا تلك المنطقة ولم يرسلوا نواباً عنهم اليها حتى للاشراف[٨] •

بدأ العرب منـذ أن توطدت أقدامهم في خراسان يقومون بغزوات الى منطقة ماوراء النهر ثم يعودون الى مراكزهم في خراسان شتاء ، وكان الوالي سلم بن زياد (٦٢ ــ ٦٣ هـ) أول من عبر النهر وأقام في الشتاء هنـاك[٩] ، الا أن أول من وطد السلطة العربية في منطقة ماوراء النهـر قتيبة بن مسلم

(١) Barthold , Turkestan down to the Mongol invasion, second edition , translated by Barthold himself and Gibb , p. 180 .

(٢) الاصطخري ، ص ٣٨٧ •

(٣) ــ ياقوت الحموي ، ج٢ ، ص ٣٤٦ •

(٤) المصدر السابق ، ج٣ ، ص ٢٢٢ Le Strange p. 460

(٥) الاصطخري ، ص ٣٩٥ ــ مراصد الاطلاع ، ج٢ ، ص ٨٤٢ •

(٦) Le Strange p. 446 .

(٧) ابن الاثير ، ج٤ ، ص ١٢٥ •

(٨) Barthold, Turkestan p. 183 .

(٩) الطبري ، ج٥ ، ص ٤٧٢ ، ٤٧٣ Barthold, Turkestan وقد اعتمد بارتولد على الرسالة التي ارسلها حاكم سمرقند سنة ٧١٨ م سنة ١٠٠ هـ الى امبراطور الصين •

الباهلي الذي عينه الحجاج والياً على خراسان سنة ٨٦ هـ[١] . وقد كان لبراعته الحربية ولدعم الحجاج له واستغلاله الخلاف بين الأمراء المحليين الأثر الكبير في توطيد هذه السلطة ، فقد استولى على بيكند سنة ٨٧ هـ[٢] وعلى بخارى سنة ٩٠ هـ وسمرقند سنة ٩٣ هـ[٣] ، وامتدت فتوحات قتيبة الى دلتا نهـر جيحون عند خوارزم وصالحه ملكها وذلك سنة ٩٣ هـ ، وغزا الشاش وفرغانة سنة ٩٥ هـ[٤] ؛ ولكن الفتوح في هذه المنطقة لم تمتد بعد مقتل قتيبة الى أبعد من هذا المدى الذي وصلت اليه على يديه ، بل إن العرب فقدوا كل ولايات منطقة سرداريا (سيحون) بعد سنة من وفاته ، بينما اضطرت الحاميات العربية في سمرقند وبخارى الى أن تبقى في حالة تأهب واستعداد لمواجهـة الثورات التي زادها تعقيداً تدخل الأتراك[٥] .

و ـ سجستان

سستان Sistan التي أطلق عليها العرب الاوائل اسم سجستان[٦] هي المنطقة التي يحيط بها شرقا المفازة التي بين مكران وأرض السند وشيئاً من عمل الملتان وغربا خراسان ومما يلي الشمال أرض الهند ويحدها جنوبا المفازة التي بين سجستان وفارس وكرمان[٧] . وكانت سجستان عندما فتحها العرب أعظم من خرسان وأبعد فروجا يقاتلون القندهار والترك وأمما كثيرة ، وكانت فيما بين السند الى نهر بلخ ، فلم تزل أعظم البلدين وأصعب الفرجين وأكثرهم عدداً وجنداً حتى خلافة معاوية بن أبي سفيان[٨] ، وكانت سجستان ثغراً تنطلق منه جيوش

---

(١) الطبري ، ج٦ ، ص ٤٢٥ .
(٢) المصدر السابق ، ص ٤٣١ ، ٤٣٢ .
(٣) ابن الاثير ، ج٤ ، ص ١٢٥ .
(٤) الطبري ، ج٦ ، ص ٤٩٢ ، ٤٩٣ .
(٥) Barthold, Turkestan p. 186
(٦) Le Strange p. 334 .
(٧) الاصطخري ، ص ٢٣٨ .
(٨) الطبري ، ج٤ ، ص ٢٤٤ .

المسلمين نحو الهند وبلاد الترك[1] • ومن أهم مدنها بست وزرنج[2] وكانت زرنج قصبة سجستان[3] • وكان ولاتها يعينون أحياناً من قبل الخليفة مباشرة وأحياناً من قبل ولاة العراق[4] ، وكانت تضم أحياناً الى خراسان ، فقد استعمل عبد الملك بن مروان أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد على خراسان وسجستان[5] ، كما عين الحجاج قتيبة بن مسلم الباهلي على سجستان وخراسان[6] •

ز ـ كرمان

هي ولاية كبيرة معمورة ذات بلاد وقرى ومدن واسعة بين فارس ومكران وسجستان وخراسان ، فشرقيها مكران والمفازة مابين مكران والبحر وغربيها أرض فارس وشماليها مفازة خراسان ، وجنوبيها بحر فارس[7] • وكان لوالي البحرين وعمان عثمان بن أبي العاص الثقفي في خلافة عمر بن الخطاب الفضل في إضعاف مقاومة سكان كرمان عندما قتل مرزبانها في جزيرة ابركاوان[8] ، ولكن كرمان لم تصبح خاضعة تماماً للنفوذ العربي الا في خلافة عثمان بن عفان وولاية عبد الله بن عامر البصرة الذي عين مجاشع بن مسعود السلمي والياً عليها فاستطاع أن يفتتح الشيرجان مدينة كرمان عنوة وكذلك جيرفت[9] ، وقد هرب كثير من أهلها الى مكران وسجستان فأقطعت العرب منازلهم وأرضيهم

(١) ابن الاثير ، ج٤ ، ص ٧٢ ، البلخي ، ج٦ ، ص ٣٤ •

(٢) الاصطخري ، ص ٢٣٨ البلخي ج٦ ، ص ٣٤ ـ جوليوس فلهوزن ، ص ٢٢٦ ، ياقوت الحموي ، ج٣ ، ص ١٩١ •

(٣) ابن خرداذبه ، ص ٥٦ ـ ياقوت الحموي ، ج٣ ، ص ١٩١ •

(٤) ابن الاثير ، ج٤ ، ص ٧١ •

(٥) البلاذري ، فتوح ، ص ٣٨٩ ، ٣٩١ خليفة بن خياط ج١ ، ص ٣٨٧ •

(٦) خليفة بن خياط ، ج١ ، ص ٣٨٨ •

(٧) الاصطخري ص ١٥٨ ـ ياقوت الحموي ، ج٤ ، ص ٤٥٤ •

(٨) البلاذري ـ فتوح ص ٣٨٣ ـ ياقوت الحموي ، ج٤ ، ص ٤٥٥ •

(٩) البلاذري ـ فتوح ص ٣٨٣ ـ ياقوت الحموي ، ج٤ ، ص ٤٥٥ •

فعمّروها وأدوا العشر فيها واحتفروا القنى فيها[1] ، وكانت كرمان وفارس تجمعان أحيانا لعامل واحد . فقد ولّى الحجاج قطن بن قبيصة بن مخارق الهلالي فارس وكرمان[2] كما ولّى الحجاج الحكم بن نهيك الهجيمي كرمان بعد أن كان ولاه فارس[3] .

ح ـ مكران

وهي من أرض السند[4] وكانت تابعة لملكها[5] ، وكان الخليفة عثمان قد عزف عن غزو مكران عندما وصفها له حكيم بن جبلة العبدي الذي كان قد أرسله ليتعرف على أوضاع البلاد « بأن ماءها وشل وتمرها دقل ولصها بطل إن قلّ الجيش فيها ضاعوا وإن كثروا جاعوا »[6] . فلما كان آخر سنة ثمان وثلاثين وأول سنة تسع وثلاثين في خلافة علي بن أبي طالب توجه الى ذلك الثغر الحارث بن مرة العبدي متطوعاً باذن علي فوصل الى القيقان من أرض السند فقتل فيها[7] كما أن المهلب بن أبي صفره غزا ذلك الثغر أيام معاوية بن أبي سفيان سنة ٤٤ هـ[8] ، وفي ولاية زياد بن أبيه على البصرة وجه سنان بن سلمة بن المحبق الهزلي فأتى الثغر وفتح مكران عنوة ومصّرها وضبط البلاد[9] . وكما كان لقتيبة بن مسلم الفضل في فرض السيطرة العربية على بلاد ماوراء النهر، كان لمحمد بن القاسم الثقفي الفضل في مد الفتوحات الى السند فاستطاع أن يستولي على الديبل وهي كراتشي اليوم[10] ، وقتل داهر ملك السند وغلب على

---

(١) ياقوت الحموي ، ج٤ ، ص ٤٥٥ .
(٢) البلاذري ، فتوح ص ٣٨٤ ـ ياقوت الحموي ، ج٤ ، ص ٤٥٥ .
(٣) البلاذري ، فتوح ص ٣٨٤ .
(٤) الاصطخري ، ص ١٧٠ .
(٥) الطبري ، ج٤ ، ص ١٨١ .
(٦) البلاذري ، فتوح ص ٤٢١ ـ ياقوت الحموي ج٥ ، ص ١٨٠ .
(٧) البلاذري ـ فتوح ص ٤٢١ .
(٨) المصدر السابق ، ص ٤٢١ .
(٩) المصدر السابق ، ص ٤٢١ .
(١٠) نبيه عاقل ـ خلافة بني أمية . ص ٢٠٧ .

بلاده[١] ، ثم توجه بعد ذلك الى الملتان المدينة المقدسة الغنية ، واذا كان الحجاج قد أنفق الكثير على حملات محمد بن القاسم فقد حمل اليه محمد ضعف ما أنفق[٢] .

وقد كان لوفاة الحجاج بن يوسف الثقفي والوليد بن عبد الملك من بعده والنهاية المؤلمة التي لقيها محمد بن القاسم في خلافة سليمان بن عبد الملك أثرها في توقف الفتوح في تلك المنطقة ورجوع ملوك الهند الى ممالكهم[٣] ، وقد استطاع عمر بن عبد العزيز بحسن سياسته أن يدخل هؤلاء الملوك في الاسلام ، فاحتفظوا بممالكهم وتسمّوا بأسماء عرب[٤] . وفي خلافة هشام بن عبد الملك وولاية تميم بن زيد العتبي خرج المسلمون من بلاد الهند ، واتخذ المسلمون مركزاً لهم مدينة المحفوظة التي بناها الحكم بن عوانة الكلبي ثم بنى المنصورة التي أصبحت المدينة التي ينزلها العمال في العهد العباسي[٥] .

ط ـ أرض الديلم ، قزوين وجرجان وطبرستان

وكلها تعتبر من أرض الديلم[٦] وقد مصرت قزوين في ولاية سعيد بن العاص بن سعيد الكوفة في خلافة عثمان[٧] فكانت ثغر المسلمين من ناحية الديلم ومن أهم مدنها ابهروزنجان[٨] . وفي سنة ٣٠ هـ غزا سعيد بن العاص جرجان وطبرستان فصالحه أهل جرجان ثم امتنعوا وثاروا فلم يأت جرجان بعد سعيد أحد ومنعوا ذلك الطريق فلم يكن أحد يسلك طريق خراسان من ناحية

(١) البلاذري ، فتوح ، ص ٤٢٦ .
(٢) المصدر السابق ، ص ٤٢٧ .
(٣) المصدر السابق ، ص ٤٢٨ .
(٤) المصدر السابق ، ص ٤٢٩ .
(٥) المصدر السابق ، ص ٤٣٠ ، ٤٣١ .
(٦) الاصطخري ، ص ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ .
(٧) البلاذري ، ص ٢١٨ ، ياقوت الحموي ، ج٤ ، ص ٣٤٣ .
(٨) الاصطخري ، ص ٢٠٦ .

قومس الا على وجل وخوف من أهل جرجان ، وكان الطريق الى خراسان من فارس الى كرمان فأول من صير الطريق من قومس قتيبة بن مسلم حين ولى خراسان[1] • وظلت جرجان بعيدة عن المخططات العسكرية العربية حتى كانت ولاية يزيد بن المهلب خراسان (في خلافة سليمان بن عبد الملك ٩٦ ــ ٩٩ هـ) الذي سار بعد وصوله الى خراسان بثلاثة أو أربعة أشهر بجيش قوامه مائة ألف مقاتل من أهل الكوفة والبصرة والشام ووجوه أهل خراسان والري[2] ، واستطاع في النهاية أن يجبر الزعيم صول على الصلح أو لعله قتله[3] ، ولكن أهل جرجان لم يلبثوا أن ثاروا ثانية وغدروا بجند يزيد فعاد يزيد اليها ثانية وحلف لئن ظفر بهم الا يقلع عنهم ولا يرفع عنهم السيف حتى يطحن بدمائهم ويختبز من ذلك الطحين ويأكل منه[4] • وبعد أن انتهى من عملياته العسكرية قام ببناء مدينة جرجان[5] التي أصبحت من أعظم المدن وأشهرها واقعة بين طبرستان وخراسان[6] •

أما طبرستان فتقع جنوبي بحر قزوين وتحيط بها بلاد جرجان من الشرق وأكبر مدنها آمل[7] وطبرستان منطقة يغلب عليها الجبال[8] فهي حصينة منيعة ، وكان حاكمها يعرف بالاصبهبذ[9] ، فلما جاء الاسلام وافتتحت المدن المتصلة بطبرستان ، كان صاحب طبرستان يصالح على الشيء اليسير فيقبل منه لصعوبة المسلك اليها[10] ، فلما ولي يزيد بن المهلب خراسان سار يريد طبرستان ، فاستجاش الاصبهبذ بالديلم ولكنه اضطر في النهاية أن يطلب الصلح فصالحه

---

(١) الطبري ، ج٤ ، ص ٢٧١ •
(٢) الطبري ، ج٦ ، ص ٥٣٢ •
(٣) البلاذري ــ فتوح ، ص ٢٣١ •
(٤) الطبري ج٦ ، ص ٥٤١ •
(٥) البلاذري فتوح ص ٣٣٣ ــ ياقوت الحموي ج٢ ، ص ١١٩ •
(٦) ياقوت الحموي ، ج٢ ، ص ١١٩ •
(٧) الاصطخري ، ص ٢٠٦ ــ ياقوت الحموي ج٤ ، ص ١٣ •
(٨) ياقوت الحموي ج٤ ، ص ١٥ •
(٩) البلاذري ، فتوح ، ص ٣٣٣ ــ ياقوت الحموي ، ج٤ ، ص ١٤و١٥ •
(١٠) البلاذري ، فتوح ، ص ٣٣٣ •

يزيد على جزية مقدارها أربعة ملايين درهم وشرط عليه شروطاً أخرى ، ولم يزل أهل طبرستان يؤدون الصلح مرة ويمتنعون أخرى حتى كانت أيام مروان بن محمد ، فغدروا ونقضوا[1] .

وهكذا نجد أن العراق الذي لم يكن يؤلف سوى جزء من الامبراطورية الساسانية أصبح في العصر الأموي الولاية التي يسيطر ويهيمن ولاتها على كل المناطق الشرقية والشمالية الشرقية باستثناء أرمينية وأذربيجان ، واتخذ ولاة بني أمية مراكز جديدة لهم بما يتفق ومصلحة الادارة والحكم .

سادسا ـ مصر

ربطت مصر والشام منذ أقدم العصور مصالح سياسية وحربية وتجارية واحدة ، وغالبا ما خضعت مصر والشام في العصور المختلفة لحكم دولة واحدة ولم يكن العرب بغافلين عن ضرورة فتح مصر بعد أن تم لهم فتح الشام لتأمين الفتوح الاسلامية فيها ولحماية المدينة نفسها مركز الخلافة لانها قريبة من القلزم (السويس الحالية)[2] ، ولا يستبعد أن يرسل البيزنطيون حملة من تلك الناحية لتنتقم لما حلّ بممتلكاتها في الشام ، وكانت مصر قبل قدوم العرب ولاية بيزنطية مقسمة الى خمس مقاطعات :

١ ـ الاسكندرية ويقيم فيها الحاكم البيزنطي .

٢ ـ مقاطعة شرقي الدلتا .

٣ ـ مقاطعة غربي الدلتا .

٤ ـ مصر الوسطى .

٥ ـ مصر العليا .

---

(١) البلاذري ، فتوح ، ص ٣٣٣ .

(٢) سيدة اسماعيل كاشف ، مصر في عصر الولاة ، مكتبة النهضة المصرية ص ١٣ .

وكان على كل مقاطعة حاكم يدعى الدوق[1] . ولم تكن هناك وحدة إدارية تربط بين كل هذه الأقسام إذ كانت سلطة الحاكم البيزنطي المقيم في الاسكندرية ضعيفة وكان كل دوق مستقلا تقريباً وتحت إمرته قوة عسكرية[2]، وقد غيرت الدولة البيزنطية سياستها التي اتبعتها في أول الأمر وهي عدم تجنيد المصريين في الجيش ، إذ دلت أوراق البردي على أن معظم الجنود في هذا الجيش قبل الفتح كانوا من الأقباط أي سكان البلاد الأصليين ، وكانت مهمة هذا الجيش الرئيسية هي مساعدة الموظفين في أعمالهم والقضاء على قطاع الطرق واخماد الثورات الدينية[3] . قسمت مصر بعد الفتح مباشرة الى قسمين إداريين ، مصر العليا ومصر السفلى . فيذكر ابن عبد الحكم والكندي أن الخليفة عمر بن الخطاب توفي وعلى مصر أميران عمرو بن العاص بأسفل الارض (الوجه البحري) وعبد الله بن سعد بن أبي سرح على الصعيد[4] . وليس في ما ذكره ابن عبد الحكم والكندي بعد عن الدقة لأنه لا ينقض ما نعرفه من أن عمرو بن العاص كان الرئيس الأعلى وكانت له ولاية مصر كلها[5] . فقد كان من عادة الخليفة عمر أن يقوم بتعيين الولاة والعمال ، كما سيتضح في الادارة المركزية في العهد الراشدي ؛ أما في العصر الأموي فقد كان أمير المصر هو الذي يعين الولاة . يذكر الكندي أنه في ولاية حفص بن الوليد الثانية (١٢٤ — ١٢٧ هـ) على مصر جعل على الصعيد رجاء بن الاشيم وعلى أسفل الارض فهد بن مهدي الحضرمي[6] . وكان هذا القسمان مقسمين الى كور : ولم تكن

---

(١) المصدر السابق ، ص ١٣ ، دانيل دينيت ، الجزية والاسلام ، ترجمة فوزي فهيم جاد الله ، بيروت ١٩٦٠ ، ص ١١٥ .

(٢) سيدة كاشف — مصر في عصر الولاة ، ص ١٣ .

(٣) Munier, Henri. L'Egypte Byzantine (Précis de l'Histoire d'Egypte 1932 t. II p.p. 77—78 .
Wiet. Gaston. L'Egypte Arabe. (Histoire de La Nation Egyptienne t. IV p.p 15,16 .

٤ — ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ، طبعة ليدن ، ١٩٣٠ ، ص ١٧٣ . الكندي ، الولاة والقضاة ، مطبعة الاباء اليسوعيين ، بيروت ١٩٠٨ ، ص ١٠ .

(٥) الطبري ، ج٤ ، ص ٢٤١ .

(٦) الكندي ، ص ٨٤ .

الكورة شيئا آخر سوى الأقاليم المعروفة في العهد البيزنطي باسم بيجارش Pagarchie [(١)] وهكذا نرى أن لفظ الكورة[(٢)] ، الذي كان شائعاً في بلاد فارس قد عم استخدامه في كل المناطق والولايات التي دخلت ضمن نطاق الدولة الاسلامية[(٣)] . ويذكر ابن اياس أنه عندما فتح عمرو بن العاص مصر كان بها نحو من أربعين كورة اشتملت على ألفين وثلثمائة وخمس وتسعين قرية[(٤)] . ويبدو أن عدد الكور ازداد فيما بعد إذ أن ياقوت يذكر نقلاً عن القضاعي أن أرض مصر تنقسم قسمين الصعيد وأسفل الارض ويطلق عليه اسم الريف[(٥)] ، فقسم الصعيد يتضمن عشرين كورة ، وقسم أسفل الارض ثلاثاً وثلاثين كورة[(٦)] وهذا يعني أنها تتضمن ثلاثاً وخمسين كورة ، وكانت الكورة تنقسم بدورها الى قرى لكل منها رئيس محلي يدعى مازوت Mazut [(٧)] .

وقد أنشأ عمرو بن العاص الفسطاط التي لم تكن في بدايتها أكثر من معسكر للجند الفاتح ومركزا للقيادة والادارة ، وقد حاول عمرو بن العاص أن يتخذ الاسكندرية مركزاً له لأنه رأى بيوتها وبناءها مفروغاً منها الا أن عمر بن الخطاب طلب منه أن ينزل المسلمين منزلاً لا يحول الماء بينه وبين الوصول اليهم شتاءً أو صيفاً[(٨)] وقد أنشئت خطط الفسطاط حول المسجد الجامع (جامع عمرو) على نفس القواعد البسيطة التي اتبعت في صدر الاسلام في إنشاء الأمصار

---

(١) سيدة كاشف ، مصر في فجر الاسلام ، ط ١ ، ١٩٧٠ م ، ص ٢٧ .

(٢) يذكر ياقوت نقلا عن حمزة الاصفهاني ان الكورة اسم فارسي بحت يقع على قسم من اقسام الاستان فاستعارتها العرب وجعلتها اسما للاستان كما استعارت الاقليم من اليونانيين ، فالكورة والاستان واحد ج١ ص ٣٦ أما الاقليم فالاصطلاح الاول وهو اصطلاح العامة وجمهور الامة ، هو أن يسموا كل ناحية مشتملة على عدة مدن وقرى اقليما كخراسان والعراق والشام ومصر ، ج١ ، ص ٢٦ .

(٣) Lokkegaard p. 164 .

(٤) ابن اياس ، تاريخ مصر ، مكتبة الدراسات العليا ، دمشق ص ٢٥ ، اليعقوبي ، البلدان ، ص٣٢ ـ المقريزي ، كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار طبعة بولاق ١٢٧٠هـ ، ج١ ، ص١٣٢ .

(٥) الاصطخري ، ص ٥١ .

(٦) ياقوت الحموي ، ج٥ ، ص ١٣٩ .

(٧) Reuben Levy, The social structure of Islam, Cambridge University press . 1969. p. 361 .

(٨) ابن عبد الحكم ، ص ٩١ ـ المقريزي ، الخطط ، ج١ ، ص ٥٥٥ .

الاسلامية الأولى مثل الكوفة والبصرة لتكون مجمعاً لنزول القبائل الغازية ومركزاً للامارة والادارة وقاعدة لاتمام الفتوح[1] • ولبثت الفسطاط قاعـدة الاسلام الرسمية حتى منتصف القرن الرابع الهجري مع وقوع انقلابين كبيرين في خططها ، وهما قيام العسكر ثم القطائع ؛ أما العسكر فهو الجانب الشمالي من الفسطاط الذي نزل فيه جند بني العباس عندما تبعت جيوشهم مروان بن محمـد الى مصر فابتنوا قاعدة جـديدة سميت العسكر ، وبنيت فيهـا دار جديدة للامارة ومسجد جامع عرف بجامع العسكر[2] ؛ ولبثت منذ قيامها مركز الامارة والادارة حتى ولاية أحمد بن طولون (٢٥٤ ـ ٢٧٠ هـ) الذي اختار منطقة تقع فيما بين جبل يشكر حد الفسطاط الشمالي وبين سفح جبل المقطم ، وبنى ابن طولون قصره ومسجده الشـهير والى جانبـه دار الامارة ، واقطع أصحابه واتباعه من القادة والسادة حول القاعدة الجديدة ، وبنوا حتى اتصل البناء بعمارة الفسطاط واقطعت كل طبقة وكل جماعة من الاتباع والسـكان منطقة خاصة ومن ثم سميت العاصمة الجديدة بالقطائع[3] •

وقد تشعبت الآراء وتعددت حول التسمية وأسباب اختيار المكان ، فغالبية المؤرخين المصريين كابن عبد الحكم وابن دقمـاق والمقريزي وأبو المحـاسن والسيوطي وغيرهم يروون حادثة اليمامة على أنها السبب الأساسي لاختيار عمرو لهذا المكان ، أما المؤرخون الفرنجة كبتلر ولين بول وغيرهما فهم لا يهتمـون بمناقشة الأسباب التي دعت عمرواً لاختيار هذا المكان دون غيره قدر مايهتمون بمناقشة الآراء المختلفة في سبب تسمية هذه الحاضرة بالفسطاط • ويخـرج الدكتور جمال الدين الشيال بعد دراسته هذا الموضوع دراسة مستفيضة إلى أن اختيار عمرو للمكان الذي بنى فيه الفسطاط لم يقع اعتباطاً بل كان اختياراً

---

(١) محمد عبد الله عنان ، مصر الاسلامية وتاريخ الخطط المصرية ، طبعة ثانية ١٩٦٩ ، ص ١٤ •

(٢) المقريزي ، الخطط ج١ ، ص ٥٧٢ •

(٣) المصدر السابق ، ج١ ، ص ٥٧٢ • الاصطخري ص ٤٩ ـ عبد الله عنان ، ص ١٥ •

طبيعياً بعد أن طلب منه الخليفة عمر أن يتحول عن الاسكندرية فاتجه الى المدينة الثانية المهمة وهي بابليون التي كانت تعتبر العاصمة الثانية وذلك لموضعها من رأس الدلتا بحيث تشرف على الوجهين القبلي والبحري[١] ولان الوصول اليها من الشام والصحراء العربية كان أسهل[٢] .

ويعتمد مؤرخو العرب جميعاً فيما يتعلق بالتسمية على قصة اليمامة ، أما مؤرخو الفرنجة فيتفق غالبيتهم على أن كلمة فسطاط قد أخذت عن الكلمة الاغريقية Fossatum التي تعني المدينة[٣] .

وقد نزلت بعض القبائل العربية كهمدان ومن والاها الجيزة التي تقع على النيل من جانبه الغربي تجاه مدينة الفسطاط[٤] ، وبالرغم من أن الخليفة عمر كان كارها للأمر مفضلا اجتماع القبائل كلها في الفسطاط الا أنه ترك لهم حرية الاختيار فعرض ذلك عمرو عليهم ، فأبوا ترك الجيزة فبنى لهم عمرو بن العاص الحصن الذي بالجيزة وفرغ من بنائه سنة ٢٢ هـ[٥] . وبالاضافة الى القبائل العربية التي استقرت في الفسطاط والجيزة دخل مع عمرو بن العاص قوم من العجم يقال لهم الحمراء والفارسيون فنزلت الروم الحمراء التي بالقنطرة ، ونزلت الفرس بناحية بني وائل وبنوا مسجداً عرف بمسجد الفارسية[٦] .

وفي العصر الأموي ابتنى عمر بن عبد العزيز مدينة حلوان[٧] ، وكانت يومئذ واقعة على شواطيء النيل[٨] ، فأقام فيها عندما اضطر الى ترك الفسطاط

---

(١) جمال الدين الشيال ، دراسات في التاريخ الاسلامي ، بيروت ١٩٦٤ ص ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ .
(٢) Oliver Roland. A Short History of Africa, Penguin African Library p. 70 .
(٣) جمال الدين الشيال ، ص ٢٩ .
(٤) المقريزي ، الخطط ج١ ، ص ٣٨٥ .
(٥) ابن عبد الحكم ، ص ١٢٩ ـ المقريزي الخطط ج١ ، ص ٣٨٦ .
(٦) ابن عبد الحكم ، ص ١٢٩ .
(٧) الخطط ـ المقريزي ج١ ، ص ٣٩٢ ـ الكندي ، ص ٤٩ .
(٨) آ. ل. بتشر ، تاريخ الامة القبطية وكنيستها ، ط ١٩٠٠ ، ج٢ ، ص ١٦٥ .

لانتشار الطاعون فيها[١] فغيّر معالمها حتى صارت مدينة زاهرة بما شاد فيها من الدور والجوامع وما غرس من الاشجار والأزهار العطرة[٢] .

حاول المسلمون بعد أن وطدوا حكمهم في مصر أن يمدوا فتوحاتهم جنوباً الى النوبة ، وكانت حدود مصر اذ ذاك تنتهي عند اسوان (عند الشلال الاول)[٣] ولكن الخسائر التي مني بها المسلمون دفعت عبد الله بن أبي السرح والي مصر من قبل عثمان بن عفان أن يصالحهم على هدية عدة رؤوس منهم يؤدونهم الى المسلمين كل سنة ويهدي اليهم المسلمون في كل سنة طعاماً مسمى وكسوة[٤] وقد أمضى ذلك الصلح عثمان وأقرّه من ولي مصر من الأمراء كما أقرّه عمر بن عبد العزيز إشفاقاً منه على المسلمين وإبقاءاً عليهم[٥] .

ولما كان فتح برقة (انطابلس) واطرابلس قد تم على يد عمرو بن العاص فقد بقيتا تابعتين إدارياً لمصر طيلة العهد الراشدي ، فلما كانت خلافة بني أمية بقيت برقة تابعة إدارياً لمصر الى أن ظهر المهدي[٦] بينما أصبحت اطرابلس تعتبر من عمل إفريقيا[٧] لاسيما بعد أن أصبحت إفريقيا ولاية مستقلة عن مصر في عهد الوليد بن عبد الملك[٨] .

سابعا ـ إفريقية والمغرب

أطلق اليونان على أهل البلاد الأصليين الذين يسكنون المغرب من حدود مصر الى المحيط لفظ أفري وهي التسمية التي أطلقها الفينيقيون على أهل البلاد

(١) المقريزي ، الخطط ، ج١ ، ص ٣٩٢ .
(٢) آ. ل. بتشر ، ج٢ ، ص ١٩٥ ـ ياقوت الحموي ، ج٢ ، ص ٢٩٤ .
(٣) الاصطخري ، ص ٤٨ هـ . Arnold — p. 70 ـ تمتد حدود مصر في الوقت الحاضر الى الشلال الثاني عند وادي حلفا حيث تبدأ حدود السودان الشمالية .
(٤) الطبري ، ج٤ ، ص ١١١ ـ الكندي ، ص ١٢ .
(٥) الطبري ، ج٤ ، ص ١١١ .
(٦) الاصطخري ، ص ٣٨ .
(٧) المصدر السابق ، ص ٣٨ .
(٨) ابن عذارى ـ البيان المغرب في اخبار المغرب ـ بيروت ١٩٥٠ ص ٣٥ .

الذين يسكنون حول مدينتهم القديمة Utica وحول عاصمتهم قرطاجنة ، ومن ثم سميت هذه المنطقة افريكا Africa أي بلاد الأفري ، واستعمل هذا الاسم للدلالة على هذه المنطقة فنجد هيرودوت يطلق لفظ افريكا على كل مايلي مصر غربا حتى المحيط الاطلسي ، فلما غلب الرومان الفينيقيين على هذه النواحي أخذوا عنهم هذه التسمية فاطلقوا اسم ولايةإفريقية القنصلية Africa Proconsularies على قرطاجنة وما حولها حتى نوميديا[١] ، وأخذ معنى هذا اللفظ يتسع شيئا فشيئا حتى أصبح في العصر البيزنطي يطلق على كل مادخل في طاعة الروم من هذه القارة من برقـة الى طنجة وأخـذ العرب لفظ إفريقية عن البيزنطيين[٢] ونلاحظ أن المؤرخين العرب كابن عبد الحكم[٣] والبلاذري[٤] وابن عذارى[٥] يطلقون اسم المغرب على كل مايقع غرب مصر ويطلقون اسم إفريقية على المناطق الواقعة غرب برقة • فالبلاذري يذكر أن برقة تقع بين مصر وإفريقية[٦] ويجعل أبو عبيد البكري حد إفريقية من برقة شرقا الى طنجة الخضراء غرباً[٧] ، وسوف نلاحظ أن العرب في العصر الأموي اعتبروا إفريقيـة والمغرب ولاية واحـدة قاعدتها القيروان ثم قسموها الى أقسام إدارية كما سيتبين أثناء البحث •

كانت إفريقية البيزنطية لا تشمل المغرب كله من حدود مصر الى المحيط ومن البحر الى قلب الصحراء وانما كانت شريطاً يبدأ من حدود مصر ويضم برقة وطرابلس وحوض مجرد ثم يأخذ في الاقتراب من الساحل حتى ينتهي عند طنجة

---

(١) حسين مؤنس ـ فتح العرب للمغرب ـ القاهرة ١٩٤٧ ، ص ١ •

(٢) حسين مؤنس ، ص ٢ •

(٣) ابن عبد الحكم ، ص ١٩٢ ، وما بعده •

(٤) البلاذري ، فتوح ، ص ٢٣٠ •

(٥) ابن عذاري ، ج١ ، ص ٢ •

(٦)) البلاذري ، فتوح ، ص ٢٢٦ •

(٧) ياقوت الحموي ، ج١ ، ص ٣٢٨ •

وسبتة[١] ، أما في الجنوب فلم تتعد نصف امتداد إفريقية الرومانية فكان أقصى اتساعه عند سهل مجرد وهضبة الأوراس[٢] ، أما فيما عدا ذلك فكانت حدوده ملاصقة للساحل لا تكاد تتعدى أرباض الموانئ •

التنظيم الاداري لافريقية في العهد البيزنطي

عندما نجح جوستنيان باستعادة إفريقية من الفاندال على يد قائده الشهير بليزاريوس في سنة ٥٣٣ م[٣] حاول أن يعيد تنظيم إفريقية وفق ما كانت عليه في عهد الرومان مع إحداث بعض التغييرات التي تتفق وتنسجم مع الادارة البيزنطية، فجعل جستنيان من إفريقيــة الرومانيــة ولاية كبيرة واحــدة يحكمها والٍ Praetorian prefect [٤] يجمع السلطات المدنية بما في ذلك الادارة المالية والقضاء ، وقسمت هذه الولاية الى أقاليم Provinces يحكم كل منها قنصل أو مايسمى Praeses (praesides) وهذه الأقسام السبعة[٥] هي : إفريقية القنصليــة Proconsular Africa وبزاقينــــا[٦] Byzacenia وطــرابلس Tripolitania ونوميــــديا Numedia وموريتانيــا الاولــى السطيفيــة Mauritania Prima Stifian وموريتانيــــا الثانيــــــة الطنجيـــــة Mauritania Tingitana وسردينيا • الا أنه نتيجة لثورة سنة ٥٤٤ التي قام بها البربر أخذت الدولة البيزنطية تميل الى الاعتماد على الاساليب العسكرية

(١) Julien. CH. André, Histoire de l' Afrique du Nord , Payot , Paris , 1964 , p. 9 .
Jamil M. Abun - Nasr , A History of the Maghrib, Cambridge . University press , p. 56 .

(٢) Julien , p. 9 . Abun - Nasr p. 56

(٣) نبيه عاقل ، الامبراطورية البيزنطية ، دمشق ١٩٦٩ ، ص ٩٥ •
Abun - Nasr , p. p. 54, 55 .

(٤) Abun-Nasr. p. 56

(٥) Ibid p. 56.

(٦) حسين مؤنس – مقال في مجلة كلية الاداب والتربية – جامعة الكويت ، حزيران ١٩٧٢ ، التنظيم الاداري والمالي لافريقية والمغرب خلال عصر الولاة ، ص ٧٨ •

وتحولت إفريقية البيزنطية الى ولاية عسكرية يحكمها حاكم عسكري Exarcus له الاشراف التام على كل مرافقها وموظفيها بمن فيهم الحاكم المدني القديم •

وقسم الامبراطور موريس (٥٨٢ ـ ٦٠٢) الأقاليم الافريقية الى أربعة أقسام عسكرية وعلى رأس كل وحدة حكام عسكريون يلقبون بالادواق dux [١] وعلى المدن قواد عسكريون على رؤوس حاميات • وزيادة في الحذر من خصومهم البربر الأقوياء انتهجت الدولة في تنظيم إفريقية البيزنطية من الناحية العسكرية خطة جديدة تختلف عما اتبعته في ولاياتها الأخرى ، كمصر والبلقان حيث كانت القوات الحربية تعسكر في مراكز رئيسية ، اذ اتجهت عناية الدولة الى إحاطة الدولة برباطات قوية من الحصون المتقاربة وأقامت في كل مربط طائفة من الجنود تستطيع حمايته والدفاع عنه[٢] •

وكانت الرباطات قد قسمت البلاد الى قسمين : الأول ساحلي ويظهر فيه الحكم البيزنطي جلياً واضحاً وتنتشر فيه الحضارة واللغة البيزنطيتان ، والقسم الداخلي الذي باعدت السياسة البيزنطية بينه وبينها فبقيت فيه القبائل البربرية محتفظة بما لها من القوة والشخصية والاستقلال[٣] ، بل أخذت بكثرة الاحتكاك بالروم والصراع معهم تتعلم منهم وسائل جديدة في الحرب حتى أصبح الصراع بينهما صراعاً بين كفتين متعادلتين تقريباً ، بل كان النصر لأهل البلاد في كثير من الأحيان فزادت جرأتهم على اختراق الرباطات والهجوم على الولايات البيزنطية واحتلال كثير من الحصون والمحارس ، وكلما انسحب البيزنطيون من جزءٍ حلّ البربر محلهم حتى انتهى الأمر بافريقية البيزنطية الى أن يكون شريطاً ضيقاً لا يكاد يعدو الخط الممتد من سوسة الى سبيطلة في أوسع أجزائه • أما فيما عدا ذلك فقد اقتصر على مدائن الساحل وأرباضها وما حولها من المزارع[٤] يضاف

---

(١) Abun . Nasr p. 57 .

(٢) فتحي عثمان ص ٩٣ • Ibid p. 57 .

(٣) Julien. p. 10 .

(٤) حسين مؤنس ـ فتح العرب للمغرب ، ص ٢١ •

الى ذلك أن الحكام البيزنطيين لم يكونوا يظهرون دوما الانصياع للسلطة المركزية • ففي سنة ٦٤٦ م قام البطريق غريغوار حاكم إفريقية البيزنطية بالعصيان ضد حكومته ونصب نفسه امبراطورا[١] •

هذه هي إفريقية التي كانت معرضة لهجوم المسلمين ، بلد غير متماسك في طريقه الى الابتعاد عن حضارة محتضرة ، متخليا تدريجيا عن المؤسسات الرومانية ليرجع الى تقاليد الأسلاف وخاضعاً خضوعاً سيئاً لقادته البيزنطيين الذين كانوا هم أنفسهم ينفصلون عن العاصمة[٢] •

وليس من السهل تحديد تاريخ ثابت لانتهاء الفتح الاسلامي لبلاد المغرب لأن هذه البلاد ليست قطراً واحداً يتم خضوعه بمعاهدة شاملة أو بموقعة فاصلة ، وليس من الميسور أن نقطع بأن أهل المغرب تم اخضاعهم في سنة بعينها « لان أمم المغرب كما يقول ابن عذارى » ليس لها غاية ولا يقف أحد منها على نهاية كلما بادت أمة خلفتها أمم وهم من الحفل والكثرة كسائمة النعم »[٣] •

وربما كان هـذا الاضطراب الـذي يسود تكوين المغـرب السياسي والاجتماعي والطبيعي هو السبب الأول في طول مدة الفتح واختلاط سبله على الفاتحين ، ولكننا يجب أن نضيف لذلك الصعوبات الأخرى التي لقيها العرب والتي لم تنشأ عن طبيعة البلاد وأحوال أهلها وانما عن ظروف العرب أنفسهم وما نزل بهم من الأحداث التي شغلتهم عن الفتح وحالت بينهم وبين أن يتعهدوه بما ينبغي له من العناية والاهتمام ، الا أن فضل فتح المغرب ونشر الاسلام فيه يعود كله الى الأمويين ، وبينما كان المغرب الرومي لا يعـدو الساحل ، شمل المغرب الاسلامي شمال إفريقية كله وامتد حتى أدرك درعه وصافح واحات الصحراء[٤] •

---

(١) ابن عبد الحكم ، ص ١٨٣ • . Julien p. 10

(٢) Ibid p. 10 .

(٣) ابن عذارى ـ البيان المغرب ، ج١ ، ص ٣٦ •

(٤) المصدر السابق ، ص ٣٦ •

ويعود لعقبة بن نافع وحسان بن النعمان وموسى بن نصير الفضل الأكبر في بسط النفوذ الاسلامي على المغرب ؛ فلعقبة يعود فضل بناء مدينة القيروان ، وكان عقبة بن نافع أكثر جند مصر اتصالاً بافريقية وأشدهم تعلقاً بفتحها وأطولهم مقاما في ربوعها[١] ، فكان أقربهم الى فهم طبيعتها وطبيعة أهلها ومن ثم فطن الى أهمية بناء بلدة للمسلمين تكون محطاً لرحالهم لاسيما وأنه أدرك أن إفريقية اذا دخلها إمام أجابوه للاسلام فاذا تركها رجع من كان أجاب منهم لدين الله الى الكفر ، فرأى أن يتخذ للمسلمين مدينة تكون عزاً للاسلام الى آخر الدهر[٢] .

وقد استتبع إنشاء القيروان نتائج على درجة كبيرة من الأهمية سواء في موقف المسلمين من المغرب أو موقف المغرب من المسلمين إذ لم يكد يتم تخطيطها حتى ظهرت ولاية إفريقية ، وبدأت أنظار العرب تتجه اليها ، إذ أصبح لهم فيها عاصمة أو مركز يتبعه الاقليم المحيط به . يقول ابن عذارى : عندما أخذ العرب في بناء السور والمساجد والمساكن شد الناس المطايا من كل بلد اليها[٣] .

ويعود لحسان بن النعمان الفضل بالاستيلاء على قرطاجنة عاصمة إفريقية البيزنطية[٤] والقضاء على الكاهنة التي كان الروم يخشونها والبربر مطيعين لها .

وفي سنة ٨٢ هـ استقامت بلاد إفريقية لحسان فدون الدواوين وصالح على الخراج وكتبه على عجم إفريقية وعلى من أقام معهم على دين النصرانية[٥] ، كما أن حسان أراد أن يأخذ الساحل على الروم ، فاتجه الى انشاء قاعدة بحرية جديدة تحل مكان قرطاجنة ، ويتوافر لهـا الحماية والابتعـاد عن غـارات البيزنطيين المفاجئة ، وهذه القاعدة البحرية هي تونس التي تتميز بأنهـا غير

(١) ابن الاثير ، ج٣ ، ص ٢٣٠ .
(٢) المالكي ، رياض النفوس ، القاهرة ١٩٥١ ، ص ٦ ــ ابن عذارى ــ البيان المغرب ، ص ١٣ .
(٣) ابن عذارى ، ص ١٦ .
(٤) المصدر السابق ، ص ٢٣ ــ ابن عبد الحكم ، ص ١٨٣ ، محمود احسان الهندي ، الحوليات الجزائرية ــ الناشر « العربي للاعلان والنشر والطباعة والتوزيع » ، دمشق ، ص ٢١ .
(٥) ابن عبد الحكم ، ص ٢٠١ ــ ابن عذارى ، ص ٢٩ .

مفتوحة على البحر مثل قرطاجنة ، فقرطاجنة على لسان يكون شبه جزيرة محصورة بين السبخة (سبخة الريانة) شمالاً والبحيرة بحيرة تونس جنوباً ، بينما تقع تونس الى الداخل غرب البحيرة التي تتصل بالبحر من جهة الشرق حيث يقع مرسى رادس ، ولما كانت البحيرة ضحلة لا تسمح بسير المراكب الحربية وجب حفر القناة في وسطها تصل مابين دار الصناعة في تونس والميناء أو المرسى في رادس وهذا مافعله حسان[1] . وبطبيعة الحال كان يمكن إغلاق ذلك الممر عند فوهة البحيرة بواسطة سلسلة[2] ، وبانشاء هذا الميناء الجديد الذي ينعم ببحيرة واسعة محمية من أمواج البحر وبعيدة عن قوات البيزنطيين البحرية اضمحل بذلك شأن قرطاجنة وانصرف الناس والسكان عنها ولم تعد مدينة يرغب البيزنطيون باستردادها[3] ، ولموسى بن نصير يعود الفضل في فتح المغرب



(١) سعد زغلول عبد الحميد ، تاريخ المغرب العربي ، دار المعارف ، مصر ، ص ٢٠٢ .
(٢) المصدر السابق ، ص ٢٠٢ ، ياقوت الحموي ، ج٢ ، ص ٦٢ .
(٣) ابراهيم العدوي ، الامويون والبيزنطيون ـ القاهرة ١٩٥٣ ، ص ٢٥٩ .

كله وفتح الاندلس ، فقد خرج غازياً من إفريقية الى طنجة ، وكان أول من نزل طنجة من الولاة كما أنه بث سراياه الى السوس الادنى (اي بلاد درعة)[١] — بفتح المغرب بدأ التفكير بغزو الاندلس الذي تم على يد موسى بن نصير وطارق ابن زياد مولاه وأصبحت الاندلس تابعة لوالي إفريقية التي أصبحت ولاية مستقلة عن مصر في خلافة الوليد بن عبد الملك سنة ٨٦ هـ[٢] . أما قبل ذلك فيمكن القول ان الخلفاء اعتبروها ولاية قائمة بنفسها من أول الأمر وحاولوا أن يلوا أمورها بأنفسهم فنازعهم في ذلك ولاة مصر وسمح لهم الخلفاء بذلك إما لقرب عامل مصر منها ومكانته عندهم كمسلمة بن مخلد ، أو لقرابته من الخليفة كما حدث بين عبد الملك بن مروان وأخيه عبد العزيز[٣] .

مشكلة التقسيم الاداري للمغرب

ليست لدينا أي معلومات واضحة مباشرة عن تقسيم المغرب الى أقسام إدارية نظامية اذ ليس لدينا إلا نذر يسير من التفاصيل نستنتجه استنتاجا من روايات المؤرخين للأحداث ، وربما وجدنا معلومات نافعة في كتب الجغرافيين ، ولكن هذه الكتب أيضا ضنينة بالمعلومات في هذه الناحية ، ولكننا نستطيع أن نستخلص مما ورد في هذه الكتب أن العرب اعتبروا إفريقية والمغرب ولاية واحدة قاعدتها القيروان وتمتد من طرابلس الى المغرب الأقصى[٤] . وبما أن فتح الاندلس تم على يدي ولاة إفريقية فقد أصبحت تابعة إدارياً لها ، فعندما رحل موسى بن نصير الى المشرق خلّف على إفريقية ابنه عبد الله ، وعلى الاندلس

---

(١) ابن عذارى ، ص ٣٦ .

(٢) ابن عذارى ، ص ٣٥ .

(٣) ابن عبد الحكم ، ص ١٦٨ ، ابن قتيبة ، الامامة والسياسة ، ص ٥١و٥٢و٥٣ .

(٤) يقول ابو عبيد البكري حد افريقية من برقة شرقا الى طنجة الخضراء غربا بمعنى أن برقة تحدها شرقا وطنجة أو منطقة المغرب الاقصى تحدها غربا ، ياقوت ، ج١ ، ص ٢٢٨ ولا نجد ذكرا للمغرب الاوسط عند ابن عبد الحكم . والبلاذري الذي يتكلم عن افريقية وطنجة أي المغرب الاقصى ونجد تعبير المغرب الاوسط عند المؤرخين المتأخرين عندما يشيرون الى منطقة تلمسان .

ابنه عبد العزيز ، وعلى طنجة ابنه عبد الملك[1] ، ونعني بطنجة شمال المغرب الأقصى الذي مركزه طنجة وهناك مايدل على إنشاء قسم إداري آخر لجنوبي المغرب الاقصى منذ أيام موسى بن نصير ، فقد ذكر ابن عذارى أن موسى بعد أن هزم بعض قبائل البربر في المغرب الاقصى استمر في غزوهم حتى بلغ السوس الأدنى وهو بلاد درعة فلما رأى البربر مانزل بهم استأمنوا وأطاعوه فولى عليهم والياً واستعمل مولاه طارقاً على طنجة وما والاها[2] ، كما نفهم من رواية لابن القطان ذكرها ابن عذارى أن السوس كان قسماً إدارياً قول ابن القطان : الاكثرون يقولون إن مستقر طارق قبل محاولة الاندلس كان بطنجة ومنهم من يقول كان بموضع سجلماسة[3] . ويتأكد لدينا وجود ولاية السوس عندما نجد عبيد الله بن الحبحاب والي إفريقية والمغرب سنة ١١٦ هـ[4] يعين ابنه اسماعيل عاملاً على السوس[5] وعمر بن عبد الله المرادي عاملاً على طنجة وما والاها[6] وهو الذي حدث في ولايته على طنجة ثورة البربر بالمغرب سنة ١٢٢ هـ . وكان من نتيجة هذه الثورة أن عزل أهل الاندلس أميرهم وولوا عبد الملك بن قطن[7] ، وهكذا نلاحظ تلاشي معظم الولايات التي انقسمت اليها إفريقية البيزنطية وأصبحت المدن وما يتبعها من عمالات تابعة للقيروان رأساً فلدينا ذكر لعمال طرابلس[8] وتونس[9] وتلمسين[10] وطنجة والسوس ، كما أن القادة العرب في إفريقية قد نهجوا النهج نفسه الذي اتبعه القادة المسلمون في عصر الخلفاء الراشدين عند انتقاء مراكز لجندهم ومقاتلتهم اذ كانوا يأخذون

(١) ابن عذارى ص ٣٩ .
(٢) المصدر السابق ص ٣٦ .
(٣) المصدر السابق ص ٤٠ .
(٤) المصدر السابق ص ٥١ .
(٥) المصدر السابق ص ٥٢ ــ ابن عبد الحكم ص ٢١٨ .
(٦) المصدر السابق ، ص ٥١ ، ٥٢ .
(٧) المصدر السابق ، ص ٥٥ .
(٨) ابن عبد الحكم ، ص ٢١٦ ، ٢١٩ ، ٢٢١ .
(٩) ابن عبد الحكم ، ص ٢١٧ .
(١٠) ابن عبد الحكم ، ص ٢١٨ .

بعين الاعتبار عاملين أساسيين ، البعد عن البحر حتى لا يعرضوا جندهم لخطر البيزنطيين وأن ينتقوا المنـاطق التي تناسب إبلهم • وينقل لنا المالكي نصـاً يوضح هذين العاملين أثناء الكلام عن اختطاط مدينة القيروان ، اذ عندما قرر عقبة أن يختط مدينـة القيروان ، قال له بعض أصحابه : « قربها من البحـر ليكون أهلهـا مرابطين » ، فقـال لهم : « إني أخـاف أن يطرقها صـاحب القسطنطينية فيهلكها ، ولكن جعلوا بينها وبين البحر مالا يدركه غزاة البحر ، لأ نصاحب المركب لا يظهر من اللجة حتى يستره الليل فهو يسير الى سـاحل البحر الى نصف الليل فيخرج ، فيقيم في غارته الى نصف النهار ، فلا تدركهـا منه غارة أبدا ••• فاتفق رأيهم على ذلك فقـال : « قربوها مـن السبخة » فقالوا « نخاف أن تهلكنا الذئاب ويهلكنا بردها في الشتاء وحرّها في الصيف »، فقال : « لا بـد لي من ذلك لان أكثـر دوابكم الابل ، وهي التي تحمـل عسكرنا ••• ونحن إذا فرغنا من أمرها أي أمر بنائها لم يكن لنا بد من المغازي والجهاد ونفتح الأول منها فالأول ، فتكون إبلنا على باب مصرنا في مرعاها آمنة من غارة البربر والنصارى »[1] • وقد رأينا كيف أن حسان بالرغم من أن هدفه من بناء تونس كان إنشاء قاعدة بحرية جديدة تحل مكان قرطاجنة فقد اختـار مكاناً على بحيرة داخلية حتى يوفر لها الحماية والابتعاد عن غارات البيزنطيين المفاجئـة •



* * *

(١) المالكي ، ص ٦و٧ •

الفصل الثاني

النهج المتبع في إدارة الولايات

ارتباط الادارة بظروف الفتح

إن الفتوحات التي بدأت في خلافة أبي بكر واتسعت في عهد الخليفة عمر بن الخطاب لتشمل الشام والجزيرة ومصر والعراق وفارس وأجزاء أخرى كثيرة كانت تابعة للامبراطورية الساسانية اضطرت عمر الى اتخاذ تدابير اقتضتها المصلحة وظروف الفتح إذ وجد عمر بعد أن استولى العرب على المناطق التي كان يحكمها الفرس في العراق أنه لا بد من إنشاء إدارة عربية فيها . ولما كان سعد بن أبي وقاص قد هزم الفرس الحاكمين لا سكان البلاد الأصليين ، فقد أصبحت هناك أقاليم واسعة بلا حكومة على الاطلاق ، « وكان من المستحيل » كما يقول دينيث « طلب الجزية من المغلوبين لسبب بسيط وهو أن المغلوبين لم يكونوا هناك ليدفعوها ، فهم إما قتلوا أو تركوا البلاد هاربين ، وبالرغم من أن الفلاحين ظلوا يعملون على الأرض فلم يكن منتظرا من الفلاحين في غياب أصحاب الارض الشرعيين أن يوقعوا معاهدات أو أن يقوموا بجمع الجزية عن أنفسهم[1] ، وهكذا كان على العرب أن يقوموا بالأمور بأنفسهم » .

وقد وجد عمر نفسه إزاء فئات مختلفة من الأرض :

١ ـ الحيرة ومدن أخرى وكان لكل منها عهد .

(١) دانيل دينيت ، ص ٥١ .

٢ ـ ضياع وقرى كانت لا تزال في حوزة المالك القديم وكان في العادة دهقانا .

٣ ـ ضياع وقرى كانت في يد الأسرة المالكة الساسانية أو ملكا للنبلاء وأصبحت بلا مالك شرعي .

٤ ـ ارض البور او الموات .

فمدن العهد هي الحيرة واليس وبانقيا فكانت تؤدي مبلغاً معلوماً[١] بالطريقة التي يشاؤونها حتى اذا ما أدوه أصبحوا أحراراً من أي تدخل آخر من حكومة العرب[٢] .

أما الفئة الثانية من الأرض فكانت أكبر مساحة وأعظم أهمية وكانت تشمل الاراضي المزروعة في الضياع الكبيرة والقرى التي يشرف عليها الدهاقين ، وهم الأشراف المحليون الذين أوكل اليهم أيام الساسانيين الاشراف على العدل محلياً وكذلك جمع الضرائب لانهم كانوا يعرفون البلاد والسكان معرفة جيدة[٣] ، وقد ارتأى عمر أن يستخدمهم في الاعباء ذاتها ؛ على أن العرب لم يكونوا مرتبطين معهم بصلح أو بأية التزامات بل كانوا في موقف من قاوم الفتح ، واعتبرت أراضيهم أرض عنوة ، ومن ثم طلب العرب من سعد بن أبي وقاص أن يقسم السواد بينهم ولكنه أبى أن يتخذ هذا الاجراء قبل أن يستشير عمر بن الخطاب الذي ارتأى بدوره بعد أن استشار عدداً من المهاجرين والأنصار أن يقر أهل السواد في أرضهم ويضرب على رؤوسهم الجزية وعلى أرضهم الخراج[٤] ، وأرسل عثمان بن حنيف الأنصاري ليمسح السواد[٥] ، وفي رواية أخرى أنه

---

(١) البلاذري ، فتوح ص ٢٤٦ ـ ٢٤٩ .

(٢) دانيل دينيت ، ص ٥٤ .

(٣) كريستنسن ، « ايران في عهد الساسانيين » ، ترجمة يحيى خشاب ، القاهرة طبعة ١٩٥٧ ، ص ١٠٠ .

(٤) بن آدم القرشي « الخراج » ، ليدن ١٨٩٥ ، ص ١٣ . البلاذري ، فتوح ص ٢٦٨ ، الطبري ، ج٣ ، ص ٥٨٦ .

(٥) البلاذري ، ص ٢٦٨ .

بعث حذيفة بن اليمان على ماوراء دجلة وبعث عثمان بن حنيف على مادون دجلة[1] .

أما الضياع والقرى التي كانت في يد الأسرة الحاكمة الساسانية أو ملكاً للنبلاء فقد افترض الخليفة لنفسه الملكية المطلقة لهذه الأراضي باسم الدولة الاسلامية ، وكان له الحق باعتباره مالكاً لها في أن يعاملها بالطريقة التي يراها ، فهو يستطيع أن يزرع الأرض لصالح الدولة جامعاً لها ما يشاء من الفلاحين ، وهو كذلك يستطيع أن يبيعها أو يهبها كقطائع لمن يستحقونها كما أن له أن يقرر ما اذا كان على حائز الاقطاع أن يؤدي الخراج عن الأرض كاملاً أو أن يؤدي العشر[2] .

اختلف الأمر في الجزيرة حيث واجه العرب عدداً من الحكومات المحلية بعكس الحال في السواد حيث لم يكن هناك حكومة يتفق معها ، ولكن وضع مدينة الرها وغيرها من مدن الجزيرة اختلف عن الحيرة وبانقيا اذ أن هذه المدن لم تطلب الصلح الا بعد أن أصبحت المقاومة العسكرية لا جدوى من ورائها ، ولذلك فقد أعطى عياض بن غنم لبطريق مدينة الرها مثلاً ، الأمان لجميع أهلها على أنفسهم ، وذراريهم وأموالهم ، ومدينتهم ، وقال : « الأرض لنا قد وطئناها وأحرزناها »[3] ، فأقرها في أيديهم على الخراج ودفع منها مالم يرده أهل الذمة فرفضوه الى المسلمين على العشر ووضع الجزية على رقابهم[4] . وقد صالح عياض أهل الرقة وحرّان وسميساط وسروج ورأس كيفا والارض البيضاء على مثل صلح الرها[5] فلم يفرض عليها كأرض الحيرة مبلغاً معلوماً من المال ، وانما أقرّ الارض في أيديهم على الخراج ووضع الجزية على رقابهم[6] ؛

(١) المصدر السابق ، ص ٢٦٩ .
(٢) ابو يوسف ، « كتاب الخراج » ، القاهرة ، المطبعة السلفية ١٣٤٦ هـ ص ٦٨ .
(٣) البلاذري ، فتوح ، ص ١٧٧ .
(٤) البلاذري ، فتوح ، ص ١٧٧ .
(٥) المصدر السابق ، ص ١٨٠ .
(٦) المصدر السابق ، ص ١٨٠ .

ويشير دينيث الى أن الفرق بين أرض الصلح وأرض الخراج لم تكن واضحة سوى أن أرض الصلح كانت لها إدارتها الخاصة من أهل البلاد ، أما أرض الخراج فكان ينظمها ويشرف عليها بدقة دواوين العرب كما هي الحال في السواد[١] .

وفي مصر كان كثير من مدن مصر السفلى والعليا أرض مدن نظمت أمور الضرائب فيها حسب عدد من العقود عند الفتح ، على ماصولحت عليه كل منها وكانت العقود متماثلة ، وهذه المدن وضواحيها كانت أيضاً أرض خراج بمعنى أنها فتحت عنوة ، ولم تكن تؤدي مبلغاً معيناً كما هو الحال في مدن العهد كانطابلس (برقة)[٢] ، وهي بذلك كانت تعتبر ملكاً للدولة وكان في وسع حكومة العرب أن تغير الضرائب ومقاديرها كما تشاء[٣] . ففي رواية حيوة بن شريح أن صاحب اخنا[٤] قدم على عمرو بن العاص فقال له : أخبرنا ما على أحدنا من الجزية فيصبر لها فقال عمرو وهو يشير الى ركن كنيسة : لو أعطيتني من الارض الى السقف ما أخبرتك ماعليك انما أنتم خزانة لنا إن كثر علينا كثرنا عليكم ، وإن خفف عنا خففنا عنكم »[٥] .

وكل وجه الاختلاف بين مدن الصلح وأرض الخراج الصحيح في الدلتا هو أنها كانت ذات كيان موحد مستقل وجهاز محلي في البلدية لحكم أمورها الخاصة وادارتها[٦] ، بينما كانت أرض الخراج الصحيح تحت اشراف العرب مباشرة .

ومن أرض الخراج الصحيح مدينة الاسكندرية التي أضاعت حقوقها

(١) دانيل دينيت ، ص ١٤٥ .
(٢) البلاذري ، فتوح ، ص ٢٢٥ .
(٣) ابن عبد الحكم ، ص ١٥٤ .
(٤) اخنا ، يذكر ياقوت نقلا عن القضاعي وهو يعدد كور الحوف الغربي ، وكورتا اخنا ورشيد والبحيرة ــ وجميع ذلك قرب الاسكندرية ، ج١ ، ص ١٢٤ .
(٥) ابن عبد الحكم ، ص ١٥٤ . ياقوت الحموي ، ج١ ، ص ١٢٤ .
(٦) ابن عبد الحكم ، ص ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٥ . دانيل دينيث ص ١٤٥ .

باتتقاضها سنة ٢٥ هـ وكذلك بلهيب وسلطيس[١] والخيس[٢] وأراضي الحكومة والضياع التي تركها أصحابها والتي أخذها العرب •

وقد اتبع عمر الأسلوب ذاته في سوريا حيث خضعت أرض الخراج للعرب الذين كانوا يشرفون عليها إشرافاً مباشراً ، بينما تركت الادارة المحلية في مدن الصلح التي كان مهام العمال فيها المنعة وقبض الجزية[٣] • أما المزارع والقرى التي كانت للروم وللبطارقة فصارت كما في العراق صافية للمسلمين حتى طلب معاوية من الخليفة عثمان أن يقطعه بعضها لأن مايجري عليه من الرزق في عمله لا يقوم بمؤن من يقدم عليه من وفود الأجناد ورسل أمرائهم ومن يقدم عليه من رسل الروم ووفودها[٤] ، فأجابه الى طلبه • وعندما أصبح معاوية خليفة استصفى كل ما كان لكسرى وآل كسرى من أرض الكوفة والبصرة[٥] وصيرها خالصة لنفسه وأقطعها أهل بيته وخاصته[٦] •

وعندما اجتاز العرب خراسان في هجومهم شرقاً أدرك الحاكمون والكهنة في المدن والمقاطعات الكثيرة المزدهرة على طول الطريق أن قوة الساسانيين قد تحطمت بسبب هزائمهم المنكرة في العراق بحيث لم يعد هناك أمل في أن تدب فيها الحياة مرة أخرى ، وأنه لا قبل لهم بالمقاومة أدركوا ذلك بسرعة فأسرعوا الى الاذعان والصلح ، ولم تنص هذه المعاهدات أو عقود الصلح على خراج وجزية أو على معدل لتقدير الأرض وضريبة الرأس ، إذ نصت المعاهدات والعقود على مقدار مسمى من المال يؤدى كل سنة لا يزيد ولا ينقص ، وهكذا ينص صلح هراة على سبيل المثال : « بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أمر به عبد الله ابن عامر عظيم هراة وبوشنج وبادغيس أمره بتقوى الله ومناصحة المسلمين

(١) لا يذكر ياقوت الا انها من قرى مصر ، ج١ ، ص ٤٩٢ • وكذلك سلطيس ج٣ ، ص ٢٣٦ •
(٢) البلاذري ، فتوح ، ص ٢١٧ •
(٣) الطبري ، ج٣ ، ص ٣٦٩ •
(٤) ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، تحقيق صلاح المنجد ١٩٥١ ، المجلدة الاولى ، ص ٥٩٥ •
(٥) اليعقوبي ، تاريخ ج٢ ص ٢١٨ •
(٦) المصدر السابق ، ص ٢٣٤ ، ابن عساكر ، المجلدة الاولى ، ص ٥٩٥ •

واصلاح ماتحت يديه من الأرضين وصالحه عن هراة سهلها وجبلها على أن يؤدي من الجزية ماصالحه عليه وأن يقسم ذلك على الأرضين عدلا بينهم فمن منع ماعليه فلا عهد له ولا ذمة »[١] ، وهكذا ترك الحكم بيد عظيم هراة مقابل دفعه الجزية ومناصحة المسلمين ، وطبق ذلك مع مرزبان مرو الشاهجان والمرو الروذ وغيرهما[٢] ، وأنشأ العرب على قول دانيل دينيث عدداً من المحميات[٣] . وهناك أمثلة كثيرة عن ترك الادارة المحلية بيد أشرافها في خلافة بني أمية ، يذكر الطبري أن الزينبي صالح نعيم بن مقرن على أهل الري فمرزبه عليهم فلم يزل شرف الري في أهل الزينبي الأكبر ومنهم شهرام وفرخان[٤] .

وعندما أظهر نيزك الخلع كتب الى أصبهبذ بلخ والى باذان أو باذام ملك مرو الروذ[٥] والى ملك الطالقان[٦] والى ملك الفارياب[٧] والى ملك الجوزجان يدعوهم الى خلع قتيبة[٨] .

وقد اتبع قتيبة بن مسلم في فتوحاته ماوراء النهر الأسلوب نفسه ، فترك للصغد والصغانيان وخوارزم أمراءها مقابل مبالغ من المال محددة وأجبر سكانها أن يقدموا له الرجال أحياناً إذ يذكر النرشخي أنه في حملة سنة ٧١٣ م سنة ٩٤ هـ أجبر قتيبة سكان بخارى وكيش ونسف وخوارزم أن يجهزوا ٢٠ ألف رجل[٩] .

وقد عين قتيبة الولاة في كثير من الولايات التي افتتحها[١٠] ولكن يبدو

---

(١) البلاذري ، ص ٣٩٦ .
(٢) المصدر السابق ، ص ٣٩٦ ، ٣٩٧ .
(٣) دانيل دينيث ، ص ١٨٥ .
(٤) الطبري ، ج٤ ، ص ١٥٠ .
(٥) المرو الروذ ـ مدينة قريبة من مرو قصبة خراسان بينهما خمسة أيام . ياقوت ج٥ ، ص١١٢ .
(٦) الطالقان ، بلدة بخراسان بين مرو الروذ وبلخ وقال الاصطخري أكبر مدينة بطخارستان طالقان، ياقوت ج٤ ، ص ٦ .
(٧) مدينة مشهورة بخراسان من أعمال جوزجان قرب بلخ ، غربي جيحون ، ياقوت ، ج٤،ص٢٢٨ .
(٨) الطبري ، ج٦ ، ص ٤٢٦ ـ ابن الاثير ، ج٤ ، ص ١١٤ ، ١١٦ .
(٩) Barthold, Turkestan, p. 185 .
(١٠) الطبري ، ج٦ ، ص ٤٨٠ . ابن الاثير ، ج٤ ، ص ١١٨ ، ١٢٨ .

كما يقول بارتولد أن هؤلاء الولاة كانوا قادة عسكريين ، وعمّال خراج بينما كانت الادارة المدنية في يد السلالات الحاكمة[1] .

ولما اجتاح العرب أرمينية واستولوا على عاصمتها دوين عقد ثيودوروس ريشتوني حاكم أرمينية من قبل الامبراطور كونستانس الثاني اتفاقاً مع معاوية اعترفت أرمينية بموجبه بسيادة العرب الذين التزموا بحماية عقيدتها التوحيدية ضد تدخل الكنيسة البيزنطية والتزم الأرمن من جانبهم بتجهيز جيش من خمسة عشر ألف فارس لصد هجمات القوات البيزنطية[2] . ولما استعاد العرب في خلافة معاوية أرمينية من يد البيزنطيين الذين استغلوا الخلاف بين معاوية وعلي ، عاد معاوية ، فعين ثيودوروس حاكماً أعلى على أرمينية وعلى ايبـريا (جورجيـا واغوفانيا Aghovanie)[3] كما عين أحد الزعماء المحليين حاكما على أرمينية بتوصية من البطريرك نرسيس شنيول[4] وعادت أرمينية الى التبعية .

وبالرغم من المعارك العنيفة التي خاضها البربر ضد العرب فاننا نرى أبا المهاجر دينار (٥٥ ـ ٦٢ هـ) الذي وصل في فتوجه الى تلمسان يترك الزعيـم البربري كسيلة بن لمزم شيخ قبيلة أوربه بعد أن أسلم على يديه سيداً على هذه الناحية اذ يقول ابن خلدون : « وكانت رئاسة البربر يومئذ في أوربه لكسيلة بن لمزم وهو رأس البرانس ومرادفه سكرديد بن رومي بن مازرت بن أوربه ، وكان على دين النصرانية ، فأسلما لأول الفتح ثم ارتدا عند ولاية ابي المهاجر حتى نزل تلمسان ، فهزمهم وظفر بكسيلة فأسلم واستبقاه »[5] . ومن سياق النص بعد ذلك يفهم أن أبا المهاجر استبقى كسيلة وتركه أميراً على تلمسان ونواحيها . كما أن حسان بن النعمان ٧٤ ـ ٨٥ هـ بعد مقتل الكاهنة وبعد أن استأمنه البربر

---

(١) Barthold, Turkestan, p. 185 .

(٢) Grousset, René, L'Empire Du Levant, Payot, Paris, 1959, p. 96 .

(٣) Ibid . p. 97 .

(٤) Ibid . p. 97 .

(٥) ابن خلدون ، ج٦ ، ص ١٠٨ ، ١٠٩ .

وبدأ الاسلام يفشو بينهم أكرم أبناء الكاهنة وسكان اوراس ، واحترمهم وعقد للاكبر من أولاد الكاهنة على قومه من جراوة وعلى جبال الاوراس[١] فأصبح والياً على قومه وأميراً لبلاده ، فضمن حسان بذلك طاعة قبائل أوراس ، وعندما قدمت كتامة على موسى فصالحته ولى عليهم رجلا منهم[٢] .

وهكذا يمكننا من هذا العرض أن نوافق لامانس فيما ذكره من أن الادارة العربية المباشرة اقتصرت على الأمصار ومدن الحاميات والمواقع العسكرية بينما احتفظت المناطق الأخرى بادارتها المحلية مع الاعتراف بسيادة العرب[٣] .

الادارة المركزية في العهد الراشدي

بوفاة الرسول الكريم ، أصبح الخليفة رأس المجتمع السياسي والمالك لزمام الحكومة الدنيوية ، والخلافة في الاسلام كما رأينا لا تعتمد على تفويض إلهي بل على إرادة المؤمنين ، إذ أن الخليفة لا يتسنم منصب الخلافة بتعيين إلهي أو بحق الوراثة ، وحصر الوراثة بالاسرة الأموية لا يعني أنهم اتبعوا المبدأ الوراثي بالمعنى الذي نفهمه في العصر الحديث ، اذ لم يكن من المحتم أن يعقب الابن أباه في المنصب ، كما أنهلا بد من أخذ البيعة من الشعب ، وان كانت الموافقة صورية على الأغلب ، فموافقة الشعب كانت ضرورية وان عبر عنها بأساليب مختلفة مابين الانتخاب الشعبي العام الى مجرد الاعتراف بشخص قد عين سابقاً ، كما أنه كان على الخليفة أن يسير وفقا لما ورد في كتاب الله وسنة نبيه ، أي أن يطيع القانون ويخضع له كغيره من الأفراد[٤] .

---

(١) السلاوي ، الاستقصاء لاخبار المغرب الاقصى ، الدار البيضاء ، ج١ ، ص ٨٣ ، المالكي ، ص٣٦-

(٢) ابن قتيبة ، الامامة والسياسة ، ج٢ ، ص ١٥٤ .

(٣) Lammens, S. J., Etude Sur Le Siècle des Omayyades, Beyrouth, 1936, p. 85 .

(٤) صالح احمد العلي ، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الاول الهجري ، ص ١٠٤ .

الا أن الخليفة لم يكن مسؤولاً قانونياً تجاه أي شخص أو مؤسسة دنيوية ولم تكن آنذاك قيود قانونية لمحاسبته أو عقابه إذا أخطأ أو زل ، ولذلك كانت سلطاته واسعة[١] .

وصحيح أن الخلفاء كافة وخاصة عمر كانوا يستشيرون في غالب الأحيان فيما يعرض لهم من قضايا ، الا أنهم لم يكونوا ملزمين بقبول آراء المستشارين ، فبمقدورهم أن يرفضوها أو يقبلوها حرفياً أو معدّلة ، وبمقدورهم عند اختلاف آراء المستشارين اختيار مايشاؤون من الآراء ، وعليهم دون المستشارين تحمل مسؤولية هذه القرارات ، ثم إن اختيار هؤلاء المستشارين كان يعتمد على رغبات الخليفة وإرادته لا على قانون عام معترف به[٢] .

وللخليفة باعتباره رئيساً للدولة والمهيمن على أزمة النظام الاداري حق اختيار من يشاء لتصريف شؤون الادارة والحكم ، وهو المسؤول عن أعمال من يختارهم لأنهم خاضعون له ويعملون باسمه .

لم تظهر المركزية بجلاء في خلافة أبي بكر التي لم تدم أكثر من سنتين وأربعة أشهر[٣] ، وانما ظهرت في خلافة عمر ، ولا أعتقد أن هذه المركزية كانت ناجمة عن رغبة الخليفة في التدخل في شؤون كل ولاية قدر اهتمامه باحلال الحق والعدل في كل منطقة وصل المد الاسلامي اليها ، وخوفاً من أن لا يطبق ولاته وعماله توصياته ، لانه كان يؤمن إيماناً عميقاً أن المسؤولية أولاً وأخيراً هي مسؤولية الخليفة ، وقد ظهر ذلك بوضوح في الولاة الذين كان ينتقيهم وفي مراقبته الشديدة لهم ومحاسبته إياهم وفي ربط أكبر عدد ممكن من الولاة مباشرة به ، فهو الذي كان يعين ولاة مكة والطائف واليمن والكوفة والبصرة

---

(١) المصدر السابق ، ص ١٠٥ .
(٢) المصدر السابق ، ص ١٠٦ .
(٣) الطبري ، ج٣ ، ص ٤٢٠ .

وأجناد الشام ومصر والبحرين والموصل وأذربيجان[1] ، ولذلك فان في قول الدكتور العدوي بأن الدولة الاسلامية انقسمت في عهد عمر بن الخطاب الى ثماني ولايات ليسهل تنظيم ادارتها ، وهي مكة والمدينة والشام والجزيرة والبصرة والكوفة ومصر وفلسطين[2] بعداً عن الدقة ، إذ أن فلسطين لم تكن ولاية بل جنداً من أجناد الشام ، كما أن الجزيرة كولاية مستقلة ذات معالم واضحة ظهرت في خلافة بني أمية في عهد عبد الملك بن مروان ، وهنالك إشارات مختلفة الى أن الجزيرة كانت في عهد الخلفاء الراشدين تابعة للشام فقد عين عمر بن الخطاب عياض بن غنم بعد وفاة ابي عبيدة على حمص وقنسرين والجزيرة، وكان من عادة الخلفاء اذا أرسلوا قائداً لفتح بلد ولّوه عليه قبل خروجه لفتحه ، وهكذا فقد تم فتح الجزيرة كلها على يد عياض بن غنم[3] .

وهناك إشارة أخرى في الطبري الى أن عامل عمر بن الخطاب في سنة ٢١ هـ على دمشق والبثينة[4] وحوران وحمص وقنسرين والجزيرة كان عمير بن سعد[5] ، وقد رأينا في بحث التقسيمات الادارية أن البلاذري كرر مرّات أن عثمان جمع الجزيرة والشام لمعاوية بن أبي سفيان[6] ، ثم إن الدكتور العدوي نسي الطائف واليمامة واليمن والبحرين وعمان[7] والموصل وأذربيجان وكان ولاتها يعينون من قبل الخليفة مباشرة .

لم يجمع عمر بن الخطاب أمر الشام كله وامرة الأمراء في الحرب والسلم

---

(١) الطبري ، ج٤ ، ص ٢٤١ . البلاذري ، فتوح ، ص ٣٢٢ . فيما يتعلق بأذربيجان ، البلاذري ، ص ٣٢٧ . الازدي ص ١٨ ، فيما يتعلق بالموصل .

(٢) ابراهيم العدوي ، النظم الاسلامية ، ط ١ ، ١٩٧٢ ، ص ١٩٧ .

(٣) البلاذري ، ص ١٧٧ .

(٤) اسم ناحية من نواحي دمشق وقيل هي قرية بين دمشق واذرعات ـ ياقوت ج١ ، ص ٣٣٨ ، والبثنية وحوران من كور دمشق .

(٥) الطبري ، ج٤ ، ص ١٤٤ .

(٦) البلاذري ، فتوح ، ص ١٨٣ ، ١٨٨ ، ١٨٩ .

(٧) خليفة بن خياط ، ص ١٥٣ ، ١٥٤ .

الا لأبي عبيدة بن الجراح[1] لمكانته وعظم ثقته به فأشبه عمله هذا كما يقول جرجي زيدان ماكانت عليه الشام في العهد البيزنطي عندما كان على كل إقليم عامل وعلى عمال الأقاليم والٍ يقيم في أنطاكية[2] ، ولم يجمع عمر بعد وفاة ابي عبيدة سنة ١٨ هـ الشام لعامل واحد. وانما أصبحت أجناد الشام موزعة على عدد من الولاة حتى وفاة عمر ، فكان ولاته عند وفاته معاوية على دمشق والأردن ، وعمير بن سعد على حمص وقنسرين ، وعلقمة بن مجزر على فلسطين[3] .

وبالرغم من الصلاحيات التي كانت لابي عبيدة في توجيه القادة وتعيين العمال على الكور[4] ، والموافقة على عقود الصلح التي يبرمها قواده[5] ، فان هذا لم يكن يمنع عمر من أن يتدخل في كثير من الأمور ، إذ يذكر الطبري أنه في سنة ١٧ هـ قسّم عمر الأرزاق وسمّى الشواتي والصوائف وسدّ فروج الشام ومسالحها وأخذ يدور بها ويسمي ذلك في كل كورة واستعمل على الساحل عبد الله بن قيس[6] .

كما يذكر الطبري أن عمر عندما أمّن أهل ايلياء واكتتبوا منه على ايلياء وحيزها والرملة وحيزها ، صارت فلسطين نصفين ، نصف مع أهل ايلياء ونصف مع أهل الرملة[7] ، وفرق عمر فلسطين على رجلين فجعل علقمة بن حكيم على نصفها وأنزله الرملة ، وعلقمة بن مجزر على نصفها الآخر وأنزله ايلياء[8] . وفتح عياض بن غنم الجزيرة كما رأينا وعين والياً عليها ، ولكن عمر هو الذي

---

(١) البلاذري ، ص ٣٢٣ ، خليفة بن خياط ، ص ١٥٧ .
(٢) جرجي زيدان ، تاريخ التمدن الاسلامي ، مصر ، مطبعة الهلال ، ١٩٠٢ ، ج١ ، ص ١٠٧ .
(٣) الطبري ، ج٤ ، ص ٢٨٩ .
(٤) البلاذري ، فتوح ، ص ١٥٢ .
(٥) المصدر السابق ، ص ١٥٢ .
(٦) الطبري ، ج٤ ، ص ٦٤ .
(٧) المصدر السابق ، ج٣ ، ص ٦٠٨ ، ٦١٠ .
(٨) المصدر السابق ، ج٣ ، ص ٦٠٨ ، ٦١٠ .

عين حبيب بن مسلمة على عجم الجزيرة وحربها والوليد بن عتبة على عربها[1] ، وبالرغم من أن أذربيجان كانت من فتوح الكوفة الا أن عمر هو الذي كان يعين ولاتها[2] ، فلما كانت خلافة عثمان أصبحت تابعة إدارياً لوالي الكوفة .

وكانت صلاحيات الوالي تتوقف على مايرد في نص التعيين من ولاية على الصلاة أو الحرب أو الخراج ، أو ثلاثتهما معاً ، ولم يتبع الخليفة عمر نهجاً معيناً إذ يبدو أن ذلك كان يتوقف على شخصية الوالي وعلى المصر ، فقد عين عمر في سنة ٢١ هـ على الكوفة عمار بن ياسر على الصلاة والحرب ، وعبد الله بن مسعود على بيت المال ، وعثمان بن حنيف على الخراج[3] ، بينما نرى أن عمرا أمَّرَ معاوية بن أبي سفيان على جند دمشق وخراجها وأمّر شرحبيل بن حسنة على جند الأردن وخراجها[4] ، وكان عمرو بن العاص أميراً على مصر وخراجها حتى مقتل الخليفة عمر[5] ، ولكن الدكتور العدوي يذكر « أن اتساع المطالب الادارية اضطر عمر بن الخطاب أن يعين الى جانب الأمير عاملاً لجباية الخراج .. وأنه أقدم على هذه الخطوة في مصر حيث جعل عمرو بن العاص على الجيش وعبد الله بن سعد بن أبي السرح على جباية الخراج »[6] . ولم يذكر الدكتور المصدر الذي اعتمده ، وليس في المصادر مايشير الى أن عمر عين عبد الله على جباية الخراج ، وان كانت رواية ابن عبد الحكم والكندي تذكر انه عندما توفي عمر بن الخطاب كان على مصر أميران عمرو بن العاص بأسفل الأرض وعبد الله بن سعد على الصعيد[7] . والرواية التي ترد عند الطبري والبلاذري تشير الى أن عثمان نزع عمرو بن العاص عن خراج مصر واستعمل عبد الله بن

---

(١) المصدر السابق ، ج٤ ، ص ٥٥ .

(٢) البلاذري ، فتوح ، ص ٣٢٢ . الطبري ، ج٤ ، ص ١٥٤ .

(٣) الطبري ، ج٤ ، ص ١٤٤ . الدينوري ، ص ١٢٩ . ابن سعد ، كتاب الطبقات الكبير ، ليدن ، طبعة بريل ١٣٢٥ هـ ، ج٦ ، ص ٣ .

(٤) الطبري ، ج٤ ، ص ٦٢ .

(٥) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ، ص ١٥١ ، ١٥٢ . الطبري ، ج٤ ، ص ٢٤١ .

(٦) العدوي ، النظم الاسلامية ، ص ١٩٨ .

(٧) ابن عبد الحكم ، ص ١٧٣ . الكندي ، ص ١٠ .

سعد على الخراج فتباغيا وقال عمرو : انا كماسك قرني البقرة والأمير يحلبها ، فصرف عثمان عمرو بن العاص وولى عبد الله بن سعد الخراج والجند[1] .

ولم يكن عمر يعين الولاة فقط ، وانما كان يعين عمّال الخراج وكتاب الدواوين والقضاة في الأمصار ، أي لم يكن الأمير أو الوالي يتمتع بالصلاحيات الواسعة التي أصبح يتمتع بها في خلافة بني أمية ، ويذكر خليفة بن خياط أن كاتب عمر على ديوان البصرة كان عبد الله بن خلف الخزاعي وكاتبه على ديوان الكوفة أبو جبيرة بن الضحاك الانصاري[2] وأنه ولّى أبا مريم الحنفي قضاء البصرة ثم عزله وولى كعب بن مسور اللقيطي قضاء البصرة ، فلم يزل قاضياً حتى قتل عمر وأنه ولى عبيدة السلماني على قضاء الكوفة ثم ولى شريحا سنة أثنتين وعشرين[3] .

هؤلاء الولاة والعمال كانوا مسؤولين عن أعمالهم مباشرة تجاه الخليفة الذي كان يراقبهم مراقبة شديدة فكان لا يخفى عليه شيء في عمله[4] ، وكان علمه بمن نأى عنه من عماله ورعيته كعلمه بمن بات معه في مهاد واحد وعلى وساد واحد[5] ، كما أنه كان من سنة عمر وسيرته أن يأخذ عماله بموافاة الحج في كل سنة للسياسة « وليحجزهم بذلك عن الرعية وليكون لشكاة الرعية وقتا وغاية ينهونها فيه اليه »[6] . ولذلك كان الولاة والعمال في عهد عمر يحسبون حساباً للخليفة في كل إجراءٍ يتخذونه وفي كل خطوة يخطونها ، وكان معاوية بالرغم من ثقة عمر به وبحسن سياسته وحكمته ودهائه ، « أخوف من عمر من يرفأ غلام عمر منه »[7] .

---

(١) الطبري ، ج٤ ، ص ٢٥٦ . البلاذري ، ص ٢٢٥ . ابن عبد الحكم ، ص ١٧٨ .
(٢) خليفة بن خياط ، ج١ ، ص ١٥٨ .
(٣) المصدر السابق ، ص ١٥٦ .
(٤) الطبري ، ج٤ ، ص ٦٧ .
(٥) الجاحظ ، التاج في اخلاق الملوك ، ط١ ، ١٩٧٠ ، بيروت ص ١٦٨ .
(٦) الطبري ، ج٤ ، ص ١٦٥ ، ١٦٦ .
(٧) الطبري ، ج٤ ، ص ٣٣٨ .

ولعل أوضح مثل على المركزية في الادارة هي ولاية مصر فقد بقي عمرو بن العاص أميراً عليها على حربها وصلاتها وخراجها حتى وفاة عمر بن الخطاب وكان عمر يشهد لعمرو بحسن السياسة ، وكان عمرو يعتز بهذه السلطات التي منحت له ، ومع ذلك ظل نموذجاً للأمير المسلم الخاضع للادارة المركزية وسلطاتهـا ، الأمين على تنفيذ تعاليمها المباشرة ، كما أنه في خـلال السنوات الثلاث التي عاشها عمر بن الخطاب بعد فتح مصر قدم عمرو عليه مرتين ، وتشير المراسلات التي أوردها ابن عبد الحكم بين الخليفة وواليه حول استبطائه في الخراج الى تدخل عمر في شؤون تعتبر من اختصاص عمرو كأمير لمصر ، فهو يرى أن الخراج الذي أرسله لا يتناسب مع سعة الأرض ووفرة العدد وكثرة ماكان يجبى في عهد الفراعنة مع شدة عتوّهم وكفرهم لاسيما وأن مصر لم يصبها قحط أو جدب ، ولذلك فهو يخشى أن يكون ذلك عائداً لعمال السوء الذين كلفوا القيام بهذه الأعمال[١] أو لسوء إدارته اذ أنه لم يرسله الى مصر ليجعلها له طعمة وانما ولاه مصر لايمانه بحسن سياسته وبأنه الشخص الذي يستطيع توفير الخراج[٢] ؛ وعندما أخبره عمرو أن سبب إبطائه في إرسال الخـراج هو أن أهل الارض استنظروه الى أن تدرك غلتهم ، وانه نظر الى مافيه صالح المسلمين فوجد أن الرفق بهم خير من الاجحاف بهم واجبارهم الى بيع مالاغنى لهم[٣] ، فان عمر لم يقبل اعتذار عمرو الا بعد أن طلب اليه أن يرسل اليه رجلاً من أهل مصر لكي يستوضح الأمر منه ، ومع ذلك لم ينج عمرو بن العاص من مقاسمة الخليفة لأمواله فقد ارسل عامله محمد بن مسلمة الأنصاري ليقوم بهذه المهمة[٤] . ولم يكن عمرو بن العاص الأمير الوحيد الذي قاسمه الخليفة أمواله وانما قاسم أموال عدد كبير من الولاة والعمال منهم النعمان بن بشير وأبو هريرة وغيرهم[٥] . لم

---

(١) المصدر السابق ، ص ١٥٨ ، ١٥٩ .
(٢) المصدر السابق ، ص ١٦٠ .
(٣) المصدر السابق ، ص ١٦٤ .
(٤) المصدر السابق ، ص ١٤٦ .
(٥) المصدر السابق ، ص ١٤٧ ، ١٤٨ . البلاذري ، فتوح ، ص ٩٣ .

يستطع الخليفة عثمان أن يسير على نهج عمر بن الخطاب كما أنه وقع في سنوات خلافته الأخيرة تحت تأثير أفراد عائلته الذين تولوا إدارة الولايات الكبرى في الدولة ، وقد رأينا انه جمع الجزيرة والشام لمعاوية ، ومصر وبرقة واطرابلس لعبد الله بن أبي سرح ، والبصرة وخراسان وسجستان لعبد الله بن عامر[١] ، والكوفة للوليد بن عقبة ثم لسعيد بن العاص[٢] ، وخوّلهم سلطات واسعة وهذا مما مهد للادارة اللامركزية في العصر الاموي ، ولكنه كان سبباً من الأسباب العديدة التي أدت الى الفتنة ومقتل الخليفة عثمان ، ولما كانت الفتن قد استغرقت أيام الخليفة علي أكثر من التنظيم والادارة فقد الاستقرار في البلاد « بالرغم من أن هديه كان هدي أصحابه الثلاثة من قبله وما خالف علي عمر ولا غير شيئاً مما صنع »[٣] .

الادارة اللامركزية في عهد خلافة بني أمية

نظرا لارتباط الاسلوب الذي تنتهجه الدولة في تنظيمها الاداري بالظروف الاجتماعية والسياسية[٤] ، وجد الخليفة عمر نفسه مجبرا على اتباع المركزية في الادارة رغبة منه في أن يسود حكم القانون على جميع الافراد وعلى جميع الاقاليم التي امتد اليها الفتح الاسلامي ، واقتضى الوضع السياسي والاجتماعي الجديد في العصر الأموي تنظيماً ادارياً جديداً اضطلع بوضع أسسه معاوية بن أبي سفيان الذي عمد الى اتخاذ اللامركزية في الادارة سبيلاً لاعادة الاستقرار في الدولة الاسلامية في ظل وضعها الجديد والعمل على توسيع رقعتها كذلك ، وقد عمد معاوية الى حسن انتقاء واعداد الهيئة التي ستتولى تنفيذ الادارة الجديدة ، فجعل أساس هذه الهيئة الادارية لا الكفاءة فحسب ، ولكن ضرورة

(١) خليفة بن خياط ، ج١ ، ص ١٩٤ .
(٢) المصدر السابق ، ج١ ، ص ١٩٤ .
(٣) محمد كرد علي ، الاسلام والحضارة الاسلامية ، القاهرة ، طبعة ثالثة ، ١٩٦٨ ، ج٢ ، ص١٤٥ .
(٤) سليمان محمد الطماوي ، تنظيم الادارة العامة ، ط١ ، ١٩٥٥ ، ص ٣٢ .

العمل أيضا على أن يكون رجالها من شيعته المخلصين أو ممن تربطهم بالبيت الاموي روابط مادية أو منافع يتطلبها التطور الجديد للدولة .

وقد أعطى الخلفاء الأمويون لعمالهم على الولايات قسطاً كبيراً من الحرية ، ولذا ظهرت في الدولة الأموية شخصيات بارزة مثل عمرو بن العاص وزياد بن أبيه ، والحجاج بن يوسف ، وخالد بن عبد الله القسري ، وعبد العزيز بن مروان ، وموسى بن نصير ، وغيرهم من القادة كمسلمة بن عبد الملك وقتيبة بن مسلم الباهلي ، ومحمد بن القاسم الثقفي .

عرّف الفقهاء المسلمون في وقت متأخر هذا اللون من الادارة اللامركزية للولايات بأنها إمارة استكفاء وهي التي يعقدها الخليفة لمن يختاره من رجاله الأكفاء مفوضين إليهم إمارة الاقليم على جميع أهله ، ويجعله عام النظر في كل أموره ، فصارت إمارة الاستكفاء لوناً من ألوان الامتياز يخص به الخليفة الرجال ذوي القدرة العظيمة أو أصحاب الفضل الكبير على الدولة ، فكان الخليفة يولي الفرد منهم ولاية كاملة على ناحية بعينها أو على بضع نواحي أي كان يستكفي بهذا النفر عمن عداهم وبيدهم السلطات كلها على ما بأيديهم فهم مسؤولون عن تدبير الجيوش وترتيبهم في النواحي وتقدير أرزاقهم والنظر في الأحكام ، وتقليد القضاة والحكام ، وجباية الخراج وقبض الصدقات وتقليد العمال فيهما وتفريق ما استحق منها واقامة الحدود ، وامامة المسلمين وتسيير الحجيج من عمله ، واذا كان الاقليم ثغراً متاخماً للعدو ، أضيفت الى الوالي مهمة جهاد من يليه من الأعداء وقسم غنائمهم في المقاتلة وأخذ خمسها لأهل الخمس[1] .

وسنلاحظ أثناء دراسة الادارة في الولايات الهامة أن اللامركزية تتسع أحيانا لتشمل كل ماذكرنا وتضيق أحيانا ، لأن درجة المزج كما يقول الدكتور الطماوي بين المركزية واللامركزية من أدق الأمور على المشرع حين يتصدى

(١) الماوردي ، الاحكام السلطانية والولايات الدينية ، الطبعة الثالثة ، ١٩٧٣ ، ص ٣٠ .

للتنظيم الاداري ، ومن ثم فان المشرع كثيراً ما يعدل في النظم التي يأخذ بهـا على ضوء ماتسفر عنه النتائج[1] . ولذا نجد في خلافة عمر بن عبد العزيز شبه عودة الى النظام الذي كان متبعاً في عهد عمر بن الخطاب فلم يعين والياً واحداً على العراق وانما عين لكل من الكوفة والبصرة ولاتها المسؤولين تجـاهه ، وأصبحت خراسان وسجستان وعمان مرتبطة بالخليفة[2] ، كما عين وال من قبله مباشرة على الأندلس رغم أن العـادة جرت على تعيين واليهـا من قبل والي افريقية[3] ، وكان هدف عمر بن عبـد العزيز من عزل الاندلس عن ولايـة إفريقية رغبته في الاعتناء بأهلها والاهتمام بشأنها[4] ، ثم إن عمر بن عبد العزيز شغل أهم المناصب الكبرى بعمال جدد[5] .

ولم يكن الخليفة عمر يكتفي باختيار واستخدام أصلح وأكفأ الرجال ثم يتركهم بعد ذلك يفعلون مايشاؤون ، بل كان يشعر أنه مسؤول هو نفسه عمّا يجري في جميع البلاد ، ولم يكن همه الزيادة في قوة الدولة واتساع رقعتها ، بل إقامة الحق والعدل فيها ، ومن ثم أمر مسلمة بن عبد الملك بالقفول مـن القسطنطينية ، وكان سليمان حلف أن لا يقفل مسلمة مادام حياً ، فاشتد عليـه المقام وجاعوا حتى أكلوا الدواب من الجهد والجوع[6] ، فأرسل اليه عمر خيلاً عتاقاً وطعاماً كثيرا وحث الناس على معونتهم[7] ، كما كتب عمر الى عبد الرحمن ابن نعيم يأمره باقفال من وراء النهر من المسلمين بذراريهم ، فلما رفض المسلمون ذلك كتب اليه عمر : « اللهم اني قد قضيت الذي علي فلا تغـز بالمسلمين ، فحسبهم الذي قد فتح الله عليهم »[8] . وكتب الى عقبـة ين زرعة الطائي :

(١) الطماوي ، ص ٢٦ .
(٢) خليفة بن خياط ، ج٢ ، ص ٤٦٣ .
(٣) ابن عذارى ، ج٢ ، ص ٣٤ .
(٤) المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٣٤ .
(٥) الطبري ، ج٦ ، ص ٥٥٤ ، ٥٥٦ ، ٥٥٧ ، خليفة بن خياط ، ج٢ ، ص ٤٦٤،٤٦٥،٤٦٦ .
(٦) ابن عبد الحكم ، سيرة عمر بن عبد العزيز ، ط ٢ ، ١٩٥٤ ، ص ١٣٢ .
(٧) الطبري ، ج٦ ، ص ٥٥٣ .
(٨) المصدر السابق ، ج٦ ، ص ٥٦٨ .

« ... وليس من ثغور المسلمين ثغر أهم الي ولا أعظم عندي من خراسان ، فاستوعب الخراج وأحرزه في غير ظلم فان يك كفافاً لاعطياتهم فسبيل ذلك ، والا فاكتب الي حتى أحمل اليك الأموال فتوفر لهم أعطياتهم »[1] .

وعمد عمر بن عبد العزيز الى تعيين عمّال للخراج مسؤولين تجاهه وليس أمام الولاة ، ويستخلص فلهوزن من كتاب عمر بن عبد العزيز الى عقبة بن زرعة الطائي ، وكان قد ولاه الخراج ، أن منصب القاضي قد أصبح على عهد عمر أكثر استقلالاً وأكبر شأناً مما كان[2] . فقد جاء في كتابه : « ان للسلطان أركانا لا يثبت إلا بها فالوالي ركن ، والقاضي ركن ، وصاحب بيت المال ركن ، والركن الرابع أنا »[3] . وكان عمر ، ان لم يول القضاة ، يرشح أسماء من يجدهم أكفاء لملء هذا المنصب الهام[4] .

ولاية الحجاز

اهتم الأمويون بهذه الولاية اهتماماً خاصاً لأنها كانت تضم من قبل عاصمة الدولة الاسلامية على عهد الراشدين ، ولانها تضم أبناء الصحابة الذين تباينت مشاربهم كما أن كثيرين من معتزلي السياسة كانوا يفدون الى المدينة ليكونوا بعيدين عن الضوضاء والاضطراب[5] .

وكثيرا ماكان الخلفاء ينتقون لهذه الامارة عمّالا من البيت الاموي نفسه من أصحاب الخبرة ومن القادرين على فهم نفسية الأهالي ومواجهتهم بما يتفق مع ميولهم ، ووضع أسس هذه السياسة معاوية بن أبي سفيان الذي جعل من مدن الحجاز مدرسة يدرب فيها أبناء البيت الاموي على إدارة تلك الولاية

---

(١) المصدر السابق ، ج٦ ، ص ٥٦٨ .
(٢) فلهوزن ، ص ٢٦١ .
(٣) الكندي ، ص ٧١ . الطبري ، ج٦ ، ص ٥٦٣ .
(٤) الكندي ، ص ٣٣٧ .
(٥) حتى ، تاريخ العرب مطول ، طبعة ١٩٥٠ ، ج٢ ، ص ٣٠٥ .

والسماح لهم بالتدرج في تلك الادارة ، وفق خطوات مقررة ، فكان اذا أراد أن يولي رجلاً من بني حرب بدأ بأن عهد اليه بحكم الطائف ، فاذا رأى منه خيراً أو نجاحاً ولاه معهـا مكة ، وان أحسن ادارة هاتين المدينتين ولى الى جانبهما المدينة المنورة وقيل عندئذ أنه قـد حذق[1] . وقـد اشتهر من أمراء هـذه الولاية مروان بن الحكم ، وسعيد بن العاص ، والوليد بن عتبة بن أبي سفيان في خلافـة معاوية[2] ، وابان بن عثمان في عهـد عبـد الملك بن مروان مـن (٧٦ ـ ٨٢ هـ)[3] . وعن مالك بن أنس أنه قد بلغـه أن ابان بن عثمان كتب الى عبد الملك بن مروان ، أن عبد الله بن الزبير قضى بين الناس بأقضية ، فما يرى أمير المؤمنين فيها ، أمضيها أم أردها ، فكتب عبد الملك الى ابان بن عثمان : « أما والله ماعبنا على ابن الزبير أقضيته ، ولكن عبنا عليه ماتناول من الأمر »[4]، وأشهر من ولّيَ الحجاز عمر بن عبد العزيز في خلافة الوليد بن عبد الملك وقد بقي والياً على المدينة من ٨٧ هـ ـ ٩٤ هـ[5] وكان عمر بن عبد العزيز قد عاش في شبابه في المدينة وأخذ عن كثير من التابعين فيها وأئمة الدين[6] . وسلك عمر بن عبد العزيز حين دخل المدينة والياً مسلكاً يعيد للناس سيرة عمـر بن الخطاب لارضاء أمزجتهم بالحكم ، إذ دعا عشرة من فقهاء المدينة[7] وأخبرهم أنه قد دعاهم لأمر يؤجرون عليه يكونون فيه عوناً على الحق ، وأنه لا يريد أن يقطع أمراً إلا برأيهم أو برأي من حضر منهم ، وأنهم إذا رأوا أحداً يتعدى أو بلغهم عن عامل له ظلامه أن يبلغوه ذلك[8] .

وقد استطاع عمر بن عبد العزيز بادارته الرشيدة أن يرسي قواعد الحكم

---

(١) الطبري ، ج٥ ، ص ٢٩٦ .

(٢) الطبري ، ج٥ ، ص ٢٩٥ ، ٣٠٨ ، ٣٣٨ .

(٣) وكيع ، أخبار القضاة ، القاهرة ١٩٤٧ ، ج١ ، ص ١٣٠ .

(٤) المصدر السابق ، ج١ ، ص ١٣٠ .

(٥) المصدر السابق ، ص ١٣٤ .

(٦) ابن عبد الحكم ، سيرة عمر بن عبد العزيز ، ص ٢٠ ، ٢١ .

(٧) الطبري ، ج٦ ، ص ٤٢٧ ، ٤٢٨ .

(٨) المصدر السابق ، ج٦ ، ص ٤٢٨ .

الأموي في الحجاز وأن يزيل من النفوس كوامن البغضاء لهذا البيت ، وحرص على أن يكون مثالاً للحكم الاداري اللامركزي حتى يحقق أهدافه في إدارة ولايته ، وقد اشترط قبل أن يتولى الامارة أن تترك له حرية العمل وقال للوليد : « انك استعملت من كان قبلي ، فأنا أحب أن لا تأخذني بعمل أهل العدوان والظلم والجور » ، فقال له الوليد : « اعمل بالحق وان لم تدفع الينا درهماً واحداً »[1] .

وقد ظل عمر بن عبد العزيز والياً على المدينة ومكة حتى سنة ٩٤ هـ ، عندما عزله الوليد نتيجة لتأثير الحجاج الذي أشار عليه بتولية خالد بن عبد الله مكة وعثمان بن حيان المدينة ، وكان سبب ذلك أن الحجاج كتب الى الوليد يخبره : « أن مراق أهل العراق وأهل الشقاق قد جلوا عن العراق ولجأوا الى المدينة ومكة وأن ذلك وهن »[2] . وفي الواقع نجد من خلال تتبعنا للولاة في العهد الأموي ، أن مكة والطائف كثيراً ماكانت تسند إدارتهما الى والي المدينة بينما نجد في حالات أخرى إسناد هذين المنصبين الى واليين يكونان مرتبطين بالخليفة مباشرة ، فعندما قتل عبد الله بن الزبير ولّى عبد الملك الحجاج بن يوسف مكة والمدينة والطائف وذلك سنة ثلاث وسبعين[3] ، فكان اذا أتى مكة استخلف على المدينة عبد الله بن قيس بن مخرمة ، فلما شخص الحجاج سنة خمس وسبعين الى العراق ، عين عبد الملك والياً على المدينة ووالياً آخر على مكة ، فكان واليه على المدينة حتى موته هشام بن اسماعيل المخزومي وواليه على مكة نافع بن علقمة بن صفوان[4] . وعين هشام بن عبد الملك سنة ست ومائة محمد بن هشام بن اسماعيل المخزومي والياً على مكة والمدينة والطائف[5] ثم عزله عن المدينة سنة أربع عشرة ومائة[6] .

(١) محمد كرد علي ، الاسلام والحضارة العربية ، ج٢ ، ص ١٧٤ .
(٢) الطبري ، ج٦ ، ص ٤٨١ ، ٤٨٢ .
(٣) خليفة بن خياط ، ج١ ، ص ٣٨٣ .
(٤) خليفة بن خياط ، ج١ ، ص ٣٨٣ ، ٣٨٤ .
(٥) المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٥٣٤ .
(٦) المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٥٣٤ .

ولاية الشام

خضعت إدارة هذه الولاية للخلفاء الأمويين مباشرة لوجود عاصمة الخلافة في دمشق ، وكان الطابع الغالب على أهالي الشام هو الطابع العربي لكثرة القبائل العربية التي أقامت بها قبل الاسلام ومعظم هذه القبائل يمنية من عرب الجنوب وأخصها بنو كلب التي كانت مساكنها في السماوة[1] ولا يخالط بطونها في السماوة أحد ، وبهراء وتنوخ من بني قضاعة وقد نزلوا ديار الشام الشمالية وبنو عاملة وجذام ، وقد أقاموا في فلسطين منذ زمن قديم ، واللخميون الذين شادوا على الفرات مملكة الحيرة ، والغساسنة الذين أنشأوا مملكة في ديار الشام[2] .

وقد هاجر الى الشام أيضاً إثر الفتح الاسلامي كثير من العرب من قيس الذين انتقلوا الى شمال الشام[3] .

وقد اعتمد معاوية منذ أن كان والياً على هذه القبائل اليمنية وقرّبها إليه ، فاستفاد من خبرة رجالها الذين مضى على وجودهم في ديار الشام أمد طويل ، وقد ساعدتهم إقامتهم الطويلة في هذه الربوع على معرفة معالم حضارة هذه المنطقة والتأثر بها ، هذا فضلاً عن أنهم أقاموا في الشام دولة صغيرة هي دولة الغساسنة التي كانت في حلف مع بيزنطة واعتنق بعض أفرادها المسيحية واقتبسوا الكثير من مخلفات الحضارة الآرامية واليونانية والرومانية ، في ميدان التنظيم العسكري والسياسي والاداري ، ونقلوا بالتالي هذه الخبرات الى معاوية وحكومته لأنهم اعتبروا أن عمل معاوية وممارسته لشؤون الحكم هو

---

(١) الهمذاني ، صفة جزيرة العرب ، ط ١٩٥٤ ، ص ٢٩ . وبادية السماوة هي التي بين الكوفة ودمشق وقال السكري ، السماوة ماءه لكلب ، ياقوت ٣ ، ص ٢٤٥ .

(٢) وصفي زكريا ، عشائر الشام ، دمشق ١٩٤٥ ، ج١ ، ص ٧٣ .

(٣) عبد العزيز الدوري ، العرب والارض في ديار الشام ، ص ٢٥ ، خليل مردم بك ، شاعر معاوية ــ كعب بن جعيل التغلبي ، محاضرة من محاضرات المجمع العلمي العربي ، ج٢ ، ص ٤٨٨ . فلهوزن ، ص ١٢٦ .

اتمام لعمل أمرائهم الغساسنة[1] • كما أن فكرة السلطة والدولة التي جاء بهـا بنو أمية لم تكن غريبة عنهم بل عرفوها من قبل ولذلك قبلوا بمعاوية واعتبروا عمله مشروعاً وانضموا اليه فكانت جيوشه تتألف في كثرتها منهم[2] •

وقد استطاع معاوية ويزيد من بعده أن يقيما التوازن بين قيس ويمن ، وأن يعهدا بادارة المقاطعات الى زعماء من تلك القبائل حسبما توافر لهم مـن استقرار وكثرة فكانت قنسرين والجزيرة بأيدي عمال من عرب الشمال أو العرب القيسية بينما كانت حمص والأردن وفلسطين بأيدي عمال من عرب الجنوب أو اليمنية • فقد كان زفر بن الحارث الكلابي عامل يزيد على قنسرين والجزيرة ، والنعمان بن بشير الأنصاري على حمص ، وحسان بن مالك بن بحدل الكلبي عاملاً لمعاوية بن أبي سفيان ثم ليزيد بن معاوية على فلسطين والأردن[3] •

الا أن معركة مرج راهط بين الضحاك بن قيس الفهري وبين مروان بن الحكم ومن معه من اليمانيـة والتي انتهت بالوبال على القيسيين التي كانت خسائرهم لا العـديد من الرجـال فحسب ، ولكن الكثير من النفوذ جعـل القيسيين يحفظون في نفوسهم الشيء الكثير من الحقد والضغينة على اليمنيـة وعملوا مافي وسعهم للانتقام من بني كلب وأحلافهم[4] •

وقد عزم عبد الملك حين وسدت إليه مقاليد الأمور أن يسلك طريقاً وسطاً في ميدان العصبيات ، إذ بالرغم من أن المروانيين قد اضطروا أن يرموا بأنفسهم في الشام بين أحضان الكلبيين لكي يحافظوا على سيادتهم إزاء قيس المائلين مع ابن الزبير الا أنه كانت تربطهم مع ذلك بقيس رابطة الدم[5] • وقد أدت سياسة

---

(١) نبيه عاقل ، خلافة بني أمية ، ص ٧٩ •

(٢) Brockelman, Histoire des Peuples et des Etats Islamiques, Payot, Paris, p. 69 .

(٣) الطبري ، ج٥ ص ٥٣١ • البلاذري ، أنساب الاشراف ، ج٥ ص ١٢٧ •

(٤) النويري ، نهاية الارب في فنون الادب ، ط ١٩٧٦ ، ج٢١ ، ص ١١،١٢،١٣،١٤،١٥،١٦ •

(٥) فلهوزن ، تاريخ الدولة العربية ، ص ٢٠٤ •

عبد الملك الى التخفيف من غلواء السيطرة اليمنية ، وقد عبّر عويج الطائي عن هذا الوضع الجديد بقوله :

فلـولا أمير المؤمنين لأصبحت　　　قضاعة أرباباً وقيس عبيدها[1]

وقد أدى هذا الموقف الى ترك القيسية سياسة المقاومة لعبد الملك الذي قرب رجالهم ووسدهم من الأمور ماوسّد خصومهم من اليمنيين ، فكان زفر ابن الحارث وأبناؤه هذيل وكوثر من بعده من أكبر الشخصيات وأعظمها جاهاً في بلادط دمشق[2] • وطبيعي أن تغضب هذه السياسة الكلبيين بعض الشيء ، ولكن عبد الملك كان حكيماً حين أشعرهم أنهم لا يزالون موضع اهتمامه وأنهم لا يقلون أهمية عنده عن القيسيين ، إذ أننا نجد في مجلس عبد الملك أيضـاً رجالاً ذوي نفوذ ينتمون الى مجموعة قبائل كلب كابن بحـدل ، وروح بن زنباع[3] • ويعلق فلهوزن على سياسة عبد الملك هذه ، بأن عبد الملك تصرف كما ينبغي على الخليفة وعلى السياسي أن يتصرف[4] •

وهكذا أظهر عبد الملك أنه لا يقل حنكة عن معاوية وأنه كسلفه يعرف كيف يؤلف بين الخصوم فيجعلهم يخدمون الدولة التي تتمثل بشخصه ، وكذلك سار عبد الملك على خطى معاوية في الاعتماد على أهل الشام ، وجعل منهم عصبته التي يعتمدها في الحرب والادارة[5] •

ورغبة منه في إبقاء هذه الوحدة الداخلية لما لها من أهمية كبرى في تثبيت دعائم الحكم نجد أن عبد الملك يوسد إمارة الأجنـاد الى أفراد من البيت الأموي[6] ، فالأمويون من قريش ، وقريش هم الممثلون الطبيعيون للروح

---

(١) المصدر السابق ، ص ٢٠٤ •
(٢) النويري ، ج٢١ ، ص ١٣١ •
(٣) الطبري ، ج٦ ، ص ٤١٢ •
(٤) فلهوزن ، ص ٢٠٥ •
(٥) نبيه عاقل ، خلافة بني أمية ، ص ١٦١ •
(٦) خليفة بن خياط ، ج١ ، ص ٣٩٤ •

الاسلامية التي تتجلى في الوحدة والتضامن في الجماعة الاسلامية ، وليس في المنازعات القبلية ، فالأمويون اذاً بحكم وضعهم القانوني فوق القبائل وخارج منافساتهم • واتبع الوليد أسلوب أبيه فولى جند دمشق عبد العزيز بن الوليد ابن عبد الملك ، والأردن ابنه عمر بن الوليد ، وفلسطين سليمان بن عبد الملك ، وحمص العباس بن الوليد[1] •

استمر التوازن نسبياً حتى مقتل الخليفة الوليد بن يزيد بن عبد الملك وما نجم عن ذلك من انسقاق بين صفوف الأمويين أنفسهم وانشقاق القبائل فيما بينهم ، فكان ذلك من الأسباب التي أدت الى اضعاف الأمويين وبالتالي سقوطهم •

ولاية مصر :

أولى الأمويون مصر عناية كبيرة بعد أن تبينت لهم أهميتها أثناء الصراع بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان وقدرة تلك البلاد بسبب موقعها الفريد ومواردها الوافرة على أن ترجح كفة من يسيطر عليها ، واستطاع معاوية أثناء سعيه للحصول على الخلافة انتزاع مصر من التبعية لعلي بن أبي طالب بفضل مهارة عمرو بن العاص وذلك سنة ٣٨ هـ[2] ثم استفاد منها في تحقيق النصر النهائي له •

وفرضت أهمية مصر على الأمويين اختيار أمرائها من طبقتين متميزتين : الأولى من أصحاب الولاء التام للبيت الأموي مع القدرة العالية على التصرف السياسي والتنظيم الاداري ، والثانية من أبناء البيت الأموي ومن أصحاب القربى المباشرة للخلفاء أنفسهم ، فكان من أمراء مصر زمن الفرع السفياني عمرو بن العاص صاحب الفضل على معاوية أثناء التحكيم والذي ضم مصر الى

---

(١) المصدر السابق ، ج١ ، ص ٤١٧ •
(٢) الطبري ، ج٥ ، ص ١٠٣ •

الامويين[١] ، وعتبة بن أبي سفيان أخو الخليفة نفسه[٢] ، ثم مسلمة بن مخلد الانصاري سنة ٤٧ هـ لمكانة مخلد من الخليفة عثمان وتقديمه إيامه وقيامه بدمه وبذل مهجته[٣] • وكان مسلمة بن مخلد أول من جمعت له مصر والمغرب من اطرابلس الى طنجة[٤] ، وكانت ولايته عليها خمس عشرة سنة ، وتوفي وهو وال عليها سنة ٦٢ هـ[٥] •

وسار الفرع المرواني على نهج الفرع السفياني في انتقاء أمراء مصر حيث اشتهر منهم عبد العزيز بن مروان ابن الخليفة مروان بن الحكم ، ثم قرّة بن شريك الذي ولاه الوليد بن عبد الملك على مصر •

حكم عمرو بن العاص مصر جرياً على أسس النظام الاداري اللامركزي ، وكانت مصر قد جعلت طعمة له[٦] بعد عطاء جندها والنفقة على مصلحتها ، وظل عمرو بن العاص صاحب السلطات الأعلى في البلاد منذ أن وليها ولايته الثانية سنة ٣٨ هـ[٧] ، عمل طوالها على تنظيم أحوالها بما عرف عنه من خبرة عميقة وسابقة بشؤون البلاد ، وبالرغم من أن مصر جعلت طعمة له فانه لم يترك عند موته سوى سبعة دنانير[٨] مما يشير الى أن اهتمامه كان مصروفاً بكليته الى مايحقق الازدهار في البلاد ، كما عادت مصر قاعدة للفتوح الاسلامية في ميدان شمالي إفريقية[٩] ، وبعد موت عمرو بن العاص وليها عتبة بن أبي سفيان من قبل أخيه على صلاتها ، وهو من بلغاء الخطباء ومن المشهود لهم بالكفاءة العالية في الميدان السياسي والاداري ، واستطاع عتبة أن يتابع السياسة التي كان قد

---

(١) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ، ص ١٩٧ • الكندي ، ص ٣١ •
(٢) الكندي ، ص ٣٥ •
(٣) ابن عبد الحكم ، ص ١٩٨ •
(٤) المصدر السابق ، ص ١٩٧ • الكندي ، ص ٣٨ • ابن عذارى ، ج١ ، ص ١٦ •
(٥) الكندي ، ص ٤٠ •
(٦) الكندي ، ص ٣١ • اليعقوبي ، تاريخ ، ج٢ ، ص ٢٢١ •
(٧) الكندي ، ص ٣١ •
(٨) المصدر السابق ، ص ٣٤ •
(٩) المصدر السابق ، ص ٣٢ ، ٣٣ •

بدأها عمرو بن العاص في القضاء على رواسب الفتن التي سبق أن تجمعت في مصر منذ مقتل عثمان بن عفان ضد البيت الأموي ، وفرض النظام التام على البلاد وسجلت المراجع سياسة هذا الوالي الادارية في مجموعة من الخطب[1] ذات الأسلوب البليغ المليء بالحزم المقترن في نفس الوقت باللين من غير ضعف ، وبعتبة وأمثاله من العمال الذين كانوا يعملون للجماعة بعقولهم وقلوبهم دفعوا الناس الى الانقطاع الى أعمالهم واضطروهم الى أن يتركوا الخوض في سياسة الملك الى من يحسن القيام بها[2] .

وتابع أمراء مصر من قبل الفرع المرواني إدارة البلاد وفق قواعد النظام اللامركزي ، وأهدافه الخاصة باقرار الأحوال والافادة من هذه الولاية في تثبيت دعائم البيت الأموي ، وتجلى ذلك عندما بويع مروان بالخلافة سنة ٦٤ هـ إذ سار على رأس جيش لاستعادة مصر من أنصار ابن الزبير ، وكان عامله اذ ذاك عبد الرحمن بن جحدم الفهري[3] . ونجح مروان في استعادة مصر ، بمعاونة عمرو بن سعيد الاشدق فأقام فيها شهرين ثم غادرها في أول رجب سنة ٦٥ هـ بعد أن وطد أمورها ، وأعادها ثانية الى الحكم الاموي ، كما ولى عليها ابنه عبد العزيز[4] بعد أن زوده بالنصائح الهامة التي تجعل منه حاكماً قديراً وتساعده على حكم مصر[5] .

تصرف عبد العزيز بن مروان في ولايته تصرفاً مطلقاً ، وكرس مواردها

---

(١) يمكن مراجعة خطب عتبه في كتاب « الوثائق السياسية والادارية العائدة للعصر الاموي » محمد ماهر حماده ، مؤسسة الرسالة ، ط ١٩٧٤ ، ص ١٢٠،١٢١،١٢٢ .

(٢) كرد علي ، الاسلام والحضارة العربية ، ج٢ ، ص ١٥٤ .

(٣) الطبري ، ج٥ ، ص ٥٤٠ .

(٤) المصدر السابق ، ج٥ ، ص ٥٤٠ .

(٥) الكندي ، ص ١٤٧ عندما جعل مروان ولاية مصر لابنه عبد العزيز قال : ياأمير المؤمنين ، كيف المقام ببلد ليس له احد من بني أبي ، فقال له مروان : يابني عمهم باحسانك يكونوا كلهم بني أبيك واجعل وجهك طلقا تصف لك مودتهم ، وتوقع الى كل رئيس منهم انه خاصتك دون غيره يكن عينا لك على غيره وينقاد قومه اليك ....

المالية لدعم إدارته وللنهوض بمستوى المرافق العامة فيها أيضا[1] • وكان عبد العزيز لا يحمل الى عبد الملك شيئاً من خراج مصر ولا غيره ، وانما كانت بلاد مصر كلها وبلاد المغرب وغير ذلك لعبد العزيز ، مغانمها وخراجها وجبايتها[2] ، وعندما قدم حسان بن النعمان الغساني من الشام الى مصر بعهد الى المغرب سأله عبد العزيز أن لا يعرض لاطرابلس فأبى حسان ذلك فعزله عبد العزيز وولى موسى بن نصير أمر المغرب كله[3] • وبلغت إمارة عبد العزيز ابن مروان عشرين سنة ، وتوفي وهو على ولاية مصر سنة ٨٦ هـ وبالرغم من أن خراج مصر وجبايتها كانت اليه فان ماوجد عنده من مال نض عند وفاته لم يتجاوز سبعة آلاف دينار[4] •

وتعتبر ولاية قرّه بن شريك على مصر سنة ٩٠ هـ نموذجاً لسياسة الأمويين في اختيار أمراء مصر من بين الشخصيات المشهود لها بالولاء مع الكفاءة الادارية العالية ، إذ كان على شؤون مصر قبل قرّه بن شريك ، عبد الله بن عبد الملك من قبل أبيه عبد الملك بن مروان على صلاتها وخراجها سنة ٨٦ هـ وأقره الوليد ابن عبد الملك ثم لم يلبث أن عزله وعيّن على مصر قرّه بن شريك[5] الي أثبتت الوثائق علو كعبه في ميدان الادارة مع الاخلاص التام للبيت الأموي ، وقد ساعدت أوراق البردي التي اكتشفت في قرية كوم اشقاو على القاء شعاع من النور على حكم الولاة في مصر وخاصة في العهد الأموي ، وبوجه أخص في عهد ولاية قرّه بن شريك (٩٠ ــ ٩٦ هـ)[6] •

وتضمنت أوراق البردي ، في تفصيل دقيق ، إدارة قره بن شريك من

---

(١) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ، ص ١٣١ ــ ١٣٦ • الكندي ، ص ٤٩ •
(٢) الكندي ، ص ٥٥ • ابن كثير ، ج٩ ، ص ٥٩ •
(٣) الكندي ، ص ٥٢ • ابن قتيبة ، الامامة والسياسة ، ج٢ ، ص ٥٠ • خليفة بن خياط ، ج١ ، ص ٣٩٢ • ابن عذارى ، ج١ ، ص ٣٣ •
(٤) الكندي ، ص ٥٥ •
(٥) الكندي ، ص ٦٠ •
(٦) سيدة كاشف ، مصر في فجر الاسلام ، ص ٢٨ •

حيث اسلوبه في اسناد المناصب ، ومراقبة العمال ، والاشراف على الشؤون المالية لولايته ، وعن قوة الصلة بين الأمير في الفسطاط ورجال إدارته في سائر أرجاء البلاد وسرعة إصدار الأوامر ، وسرعة تلبيتها في نفس الوقت ، كما تشير الى أن الادارة في الفسطاط كانت ساهرة على كل شيء بالرغم من أنها كانت تحاول أن تتفادى ازعاج السلطات المحلية في ادارتهم المحلية ، ولكنها كانت حريصة على مراقبة العمال المسيحيين في كل الأوقات[١] .

اذا استثنينا عتبة بن أبي سفيان الذي عينه معاوية والياً على الصلاة في مصر (٤٣ ـ ٤٤ هـ)[٢] ، فان الولاة حتى نهاية فترة خلافة الوليد بن عبد الملك كانوا على صلاتها وحربها وخراجها ، وهذا ما كان يجعلهم مطلقي التصرف في شؤون الولاية ؛ الا أنه ابتداءاً من خلافة سليمان بن عبد الملك نجد فصلا للادارة المالية ، إذ عين أسامة بن زيد التنوخي[٣] على خراجها ، واستمر الأمر كذلك في خلافة عمر بن عبد العزيز الذي عين أيوب بن شرحبيل على صلاتها[٤] ، وتابع يزيد بن عبد الملك وهشام بن عبد الملك الأسلوب نفسه ، وأصبح عامل الخراج مسؤولاً أمام الخليفة مباشرة ، لا أمام الوالي ، وكان هذا يحد من سلطة الوالي كثيراً ، ويؤدي الى توتر العلاقات مابين الوالي وعامل الخراج ؛ ولعل أبلغ مثل يرينا مدى ماوصلت اليه سلطة عامل الخراج هو عبيد الله بن الحبحاب عامل الخراج في مصر زمن الخليفة هشام بن عبد الملك (١٠٥ ــ ١٢٥ هـ)[٥] ، فقد ظل عاملاً على خراج مصر منذ ولي هشام الخلافة حتى خرج الى إمارة إفريقية سنة ١١٦ هـ[٦] ، وفي خلال هذه المدة تتابع على حكم مصر أربعة ولاة ، وقد امتد نفوذه الى عزل الولاة ، وتوليتهم برضى الخليفة فنراه

(١) Lammens, Etude Sur Le Siècle des Omayyades, p. 316 .
(٢) الكندي ، ص ٣٥ .
(٣) ابن عبد الحكم ، سيرة عمر بن عبد العزيز ، ص ٣٢ .
(٤) الكندي ، ص ١٨ .
(٥) الكندي ، ص ٧٤ .
(٦) ابن عذارى ، ص ٥٠ .

عندما تنازع مع الحر بن يوسف والي مصر سنة ١٠٨ هـ يكتب الى الخليفة هشام يشتكيه ، وسرعان ماعزل الخليفة الحر عن ولاية مصر[١] وولى بدله حفصاً ابن الوليد على الصلاة ، ولكن عبيد الله بن الحبحاب كتب الى الخليفة يقول : « إنك لم تعزل الحر إذ وليت حفصاً »[٢] فجعل الخليفة الاختيار الى عبيد الله فاختار عبد الملك بن رفاعة[٣] وقد ولي مصر بعد عبد الملك بن رفاعة هذا أخوه الوليد بن رفاعة ، ويقول أبو المحاسن : لم تطل مدة الوليد هذا على مصر الا لخروج عبيد الله بن الحبحاب المتولي على خراج مصر منها ، وقد تقدم عزل جماعة كبيرة من العمال بمصر بسبب عبيد الله المذكور ، فدبر عليه الوليد هذا حتى أخرجه هشام من مصر واستعمله على إفريقية[٤] .

وهكذا نرى ان اللامركزية التي طبقت في مصر على أوسع صورها حتى نهاية خلافة الوليد بن عبد الملك لم تلبث أن قيدت ابتداءاً من خلافة سليمان بن عبد الملك .

ولاية العـراق

ضمت العراق في العصر الأموي كما رأينا في بحث التقسيمات الادارية ولايتي الكوفة والبصرة ، والمناطق الادارية التابعة لهما ، وكان زياد بن أبيه أول من جمع له المصران في خلافة معاوية بن أبي سفيان ، واستمر معظم خلفاء بني أمية في جمع الكوفة والبصرة لأمير واحد حتى نهاية الدولة الأموية .

ومن الولاة الذين جمع لهم المصران أيضاً ، عبيد الله بن زياد ، وبشر بن مروان ، والحجاج بن يوسف الثقفي ، ويزيد بن المهلب ، ومسلمة بن عبد الملك ،

---

(١) الكندي ، ص ٧٤ .
(٢) المصدر السابق ، ص ٧٥ .
(٣) المصدر السابق ، ص ٧٥ .
(٤) ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، طبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٢٩ ، ج١ ، ص ٢٦٦ .

وعمر بن هبيرة الفزاري ، وخالد بن عبد الله القسري ، ويوسف بن عمر الثقفي ، وعبد الله بن عمر بن عبد العزيز ، ويزيد بن عمر بن هبيرة[1] .

وكانت الولايات الشرقية ، والشمالية الشرقية ، ماعدا خراسان أحياناً ، تابعة إدارياً لأمراء العراق الذين قاموا بالاشراف كذلك على الفتوح في بلاد ما وراء النهر وشمالي الهند وادارة تلك الأرجاء البعيدة .

واهتم الخلفاء الأمويون بهذه الولاية اهتماماً خاصاً لأنها كانت موطن القبائل العربية المتمسكة بالروح القبلية فضلاً عن وجود خليط عظيم معهم من سكان تلك المناطق من الفرس والترك والهنود ، وكان لهذا الخليط أمزجته المتباينة وثقافاته المتفاوتة ، كما كانت ولاية العراق مسرحاً لمشاهد الخوارج ، والشيعة فضلاً عن طلائع الحركات الشعوبية التي أخذت جذورها تضرب في أعماق بلاد فارس من أرض تلك الولاية بصورة خاصة[2] ، وقد تطلب هذا الوضع نمطاً خاصاً من الولاة وعمال الادارة من أصحاب الكفاءة العالية والتدريب العميق دون نظر لقرابة أو مكانة خاصة من البيت الأموي . واشتهر على عهد الفرع السفياني زياد بن أبيه وعلى الفرع المرواني الحجاج بن يوسف الثقفي ، وقد عرف بنو العباس فضلهما لأنهما كانا مثالاً في الاخلاص والأمانة والحرص على مصلحة الدولة والبيت الحاكم[3] . وقد كان زياد أول من شد أمر السلطان ، وأكد الملك لمعاوية ، وألزم الناس الطاعة[4] . وكان الحجاج سيف الوليد الذي لا ينبو وسهمه الذي لا يطيش وخادمه الذي لا تأخذه فيه لومة لائم[5] .

---

(١) ابن قتيبة ، المعارف ، ص ٢٤١ .

(٢) ضياء الدين الريس ، عبد الملك بن مروان ، دار المعارف ، مصر ١٩٦٩ ، ص ٢٥ .

(٣) الطبري ، ج٨ ، ص ٦٩ . قال المنصور لمعن بن زائدة والحسن بن زيد : والله لوددت أني وجدت مثل الحجاج حتى استكفيه أمري ، وأنزله أحد الحرمين ـ العدوي ، النظم الاسلامية ، ص ٢٢٤ . قال المنصور : لبعض خاصته يوما ، الخلفاء ثلاثة : معاوية وكفاه زياد ، وعبد الملك وكفاه الحجاج ، وانا لا كافي لي .

(٤) الطبري ، ج٥ ، ص ٢٢٢ .

(٥) المبرد ـ الكامل في اللغة والادب ، مكتبة المعارف ، بيروت ، ص ١١٧ الباب ٤٨ .

وجـاء اختيار معاوية بن أبي سفيان لزياد بن أبيه[1] لولاية العـراق مثالاً ساطعاً على قدرة الأمويين على استمالة واستخدام الرجال ذوي الكفاءة ، لتحقيق الحكم اللامركزي في الدولة الاسلامية ، وكان زياد قد انضم لعلي في خلافته ، وتولى البصرة في غياب عاملها عبد الله بن عبـاس سنة ٣٨ هـ ، وفي سنة ٣٩ هـ وجـه علي زياداً الى فارس وكرمان لاضطراب الأمور فيهـا[2] ، فاستطاع بحنكته ودهائه أن يعيد الأمور الى نصابها ، مما جعـل أهل فارس يقولون : « ما رأينا سيرة أشبه بسيرة كسرى أنو شروان من سيرة هذا العربي في اللين والمداراة »[3] .

وعندما أصبح معاوية خليفة كان زياد في فارس ، ونظراً للميزات التي كان يتمتع بها زياد فانه رأى أن يكسبه الى جانبه ، ويستفيد من خبراته في الادارة لدعم سلطان الأمويين . وقد نجح المغيرة بن شعبة في إقناع زياد بالانضمام الى جانب معاوية ، فقبل والتحق بمعاوية في دمشق حيث استلحقه بنسبة سنة ٤٤ هـ معترفاً بأبوة ابي سفيان لزياد[4] . وفي سنة ٤٥ هـ ، أرسله والياً على البصرة وضم اليـه خراسان وسجستان والهند والبحرين وعمـان[5] وعندمـا توفي المغيرة بن شعبة أمير الكوفة سنة ٥٠ هـ كتب معاوية الى زياد بعهده على الكوفة والبصرة ، فاستخلف على البصرة سمرة بن جندب وشخص الى الكوفة فكان زياد يقيم ستة أشهر بالكوفة وستة أشهر بالبصرة[6] .

نجح زياد في الادارة الى حـد بعيد ، لأنه كان يؤمن بأن خير ما يصلح الأمور في ولايته ، لين في غير ضعف ، وشدة في غير جبرية ولا عنف[7] كما أنه

(١) ولد زياد عـام الفتح بالطائف ، وكان كاتبا للمغيرة بن شعبة ، ثم لابي موسى الاشعري ، وابن عامر من بعده (ابن قتيبة ، المعارف ص ١٥١) .

(٢) الطبري ، ج٥ ، ص ١٣٧ .

(٣) المصدر السابق ، ج٥ ، ص ١٣٧ ، ١٣٨ .

(٤) المصدر السابق ، ج٥ ، ص ٢١٥ .

(٥) المصدر السابق ، ج٥ ، ص ٢١٧ .

(٦) المصدر السابق ، ج٥ ، ص ٢٣٤ ، خليفة بن خياط ، ج١ ، ص ٢٤٧ .

(٧) الطبري ، ج٥ ، ص ٢١٩ ، من خطبة البتراء .

اتبع في القضاء على الخوارج السياسة التي اتبعها في فارس إذ طلب من أهل البصرة أن يكفوه أمر الخوارج والا بدأ بهم ، إذ قال : « يا أهل البصرة والله لتكفني هؤلاء أو لأبدأنّ بكم والله لئن أفلت منهم رجل لا تأخذون العام من عطائكم درعماً »(١) .

ونجد أن زياداً يطلب في سبيل تسهيل إدارة ولايته من عماله « استعمال عمال المعذرة ومن يزن بصلاح ويحذرهم من استعمال من يحترس منذ »(٢) . وتابع الولاة بعد زياد تحبيذ استعمال من يسمونهم عمّال العذر أو المعذرة ، فترى عمر بن هبيرة يوصي مسلم بن سعيد حين ولاه خراسان أن يستخدم عمّال العذر فسأله : « وما عمّال العذر ؟ » قال : « مر أهل كل بلد أن يختاروا لأنفسهم فاذا اختاروا رجلاً فوله فاذا كان خيراً كان لك وان كان شراً كان لهم دونك وكنت معذوراً »(٣) . ويورد ابن عبد ربه الرواية نفسها ولكنه لا يستخدم تعبير عمّال العذر وانما عمال القرى ، وعندما سأله مسلم بن سعيد عن معنى عمّال القرى أجابه : « أن تختار من كل كورة رجالاً لعملك فان أصابوا فهو الذي أردت وان أخطأوا فهم المخطئون وأنت المصيب »(٤) .

ويعلق الاستاذ ظافر القاسمي على استعمال عمال العذر بقوله : ما نعلم أن في الانظمة الحديثة مايجيز تعيين موظفي الدولة بالانتخاب الا ماكان من أمر الولايات المتحدة الامريكية حيث يجري فيها كل أربع سنوات ، انتخاب رئيس الجمهورية وحكام الولايات والقضاة ، وفيما عدا هذا الاستثناء فان الطريقة المتبعة هي إطلاق يد السلطة التنفيذية في تعيين الموظفين حتى القضاة ، فان تعيينهم يكون بمرسوم بناء على اقتراح مجلس القضاء الأعلى ، ولا يردّ على

---

(١) المصدر السابق ، ج٥ ، ص ٢٣٩ .
(٢) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج٤ ، القسم ١ ، ص ١٧٦ .
(٣) الطبري ، ج٧ ، ص ٣٥ .
(٤) ابن عبد ربه ج١ ، ص ١٩ .

ما أشرنا اليه من سبق نظام الحكم الاسلامي في اختيار عمال الدولة بالانتخاب أن الأمر لم يكن عاماً وأنه كان في منطقة محددة وأنه لم يستمر ، لان الذي يهمنا التأكيد عليه هو وجود الفكرة في رؤوس الحكام[1] .

وكان زياد لا يسمح بأي تدخل حتى من الخليفة ، اذا كان هذا التدخل يؤدي الى إيذاء المصلحة العامة ، وفي هذا صورة عن اللامركزية واضحة ، يذكر البلاذري رواية عن المدائني أن مولى لفاختة بنت قرظة سأل معاوية أن يكتب له كتاباً منشوراً بأن يخلي له سوق الطعام بالبصرة ، فلا يبيع فيها أحد غيره حتى يخرج مافي يده ، فكتب له بذلك وقال له : « ويحك إني أحذرك زياداً » فلما منع الناس من بيع الطعام غلا السعر فركب زياد وهو شارب دواء فوجده على سطح وهو يناول الدنانير والرقاع ، فأمر به فأنزل فقال : « إن معي كتاب أمير المؤمنين » ، فقال : « اقطعوا يده » ، فقطعت يده ، ثم قال : « ادفعوا اليه منشوره ويده » فرجع الى معاوية فقال له : « لقد نهيتك وحذرتك فأبيت »[2] .

وعندما توفي زياد ، كثر بكاء الناس رجالهم ونساؤهم عليه[3] . ومات زياد وما يملك الا أقل من عشرة آلاف درهم ولم يترك من الكسوة غير قميصين وازارين وسروالين وكان يقول : « مادام سلطاننا معنا فالدنيا كلها لنا ، فاذا زال عنا فالذي يجزينا من الدنيا أقلها »[4] . وكان لزياد فضل كبير في تثبيت سلطان البيت الأموي وتوطيده في الأقاليم التي عهد اليه بادارتها وفي تثبيت روح الجماعة والانقياد للحكم المركزي . هذه الافكار هي التي حاول الاسلام زرعها في نفوس العرب والتي لاقت من القبائل مقاومة عنيفة منذ حياة الرسول وفي عصر

---

(١) ظافر القاسمي ، نظام الحكم في الشريعة والتاريخ ، طبعة ١٩٧٤ ، ص ٤٩٢ .
(٢) البلاذري : انساب ، ج٤ ، قسم ١ ، ص ٢٠٧ .
(٣) المصدر السابق ، ص ٢٤١ .
(٤) المصدر السابق ، ص ٢٤٥ .

الراشدين[١] . وقد ذكر عمر بن عبد العزيز زياداً فقال : « سعى لأهل العراق سعي الأم البرّة وجمع لهم جمع الذرّة »[٢] .

وكان الحجاج بن يوسف الثقفي خير من حمل لواء الادارة اللامركزية في ولايته العراق ، وقد استمرت ولايته مدة تقارب العشرين سنة (٧٥ــ٩٥ هـ) ومات في خلافة الوليد بن عبد الملك وله من العمر ثلاثة وخمسون أو أربعة وخمسون عاما .

ومن الكوفة والبصرة أول الأمر ثم من واسط بعد ذلك كان الحجاج يدير هذه الولاية الكبيرة التي امتدت كما في عهد زياد لتشمل خراسان وفارس وسجستان وكرمان وحوض نهر السند والأهواز والبحرين وعمان[٣] ، وظل الحجاج يستمد قوته بالدرجة الأولى من تأييد الخليفة له ويعتبر نفسه مسؤولاً أمامه وان كانت هذه القوة أكثر وضوحا زمن الوليد بن عبد الملك مما كانت عليه خلال حكم عبد الملك الذي كان يراقب سيرته وأعماله ويوجه اليه بين الحين والآخر تعليمات وارشادات وانتقادات[٤] ، الأمر الذي استمر معه الحجاج يحسب ألف حساب للخليفة عبد الملك بن مروان ؛أما في عهد الوليد فقد زادت مكانته ونفوذه وجنى ثمار الجهود المضنية التي بذلها في زمن عبد الملك لتوطيد حكم بني أمية ، وتجلت هذه المكانة في قول الوليد : ان عبد الملك كان يقول : « الحجاج جلدة مابين عيني وأنفي وأنا أقول إنه جلدة وجهي كله »[٥] .

ورغم تحامل معظم المصادر على الحجاج الا أنها تكاد تجمع على أمانته وعدم تلاعبه بأموال الدولة أو محاباته لأقربائه وأصهاره والمقربين اليه وانه كان يؤثر مصلحة الدولة على أي اعتبار آخر[٦] .

---

(١) نبيه عاقل ، خلافة بني أمية ، ص ٧٦ .
(٢) ابن عبد ربه ، ج٥ ، ص ٧ .
(٣) خليفة بن خياط ، ج١ ، ص ٤١٤ ، ٤١٥ .
(٤) ابن عبد ربه ، ج٥ ، ص ٢١،٢٢،٢٣، ص ٣٧،٣٨ . المسعودي مروج الذهب ج٣ ، ص ٧٥ .
(٥) المصدر السابق ، ج٥ ، ص ٥٥ .
(٦) احسان صدقي العمد ، الحجاج بن يوسف الثقفي ، بيروت ١٩٧٣ ، ص ٣٧٠ .

ووصف الحجاج سياسته التي كان يتبعها في كتاب للوليد بن عبد الملك ، قال : « إني أيقظت رأيي وأنمت هواي فأدنيت السيد المطاع في قومه ووليت المجرب الحازم في أمره ، وقلدت الخراج الموفر لأمانته وقسمت لكل خصم من نفسي قسما أعطيه حظاً من لطيف عنايتي ونظري وصرفت السيف الى النطف[1] المسيء والثواب الى المحسن البريء فخاف المريب صولة العقاب وتمسك المحسن بحظه من الثواب »[2] .

وكان الحجاج بعد اختيار عماله يحثهم على التزام جانب الحق والعدل في السيرة ، كما يستدل من الخطبة التي ألقاها عامله على المدائن حيث قال : أيها الناس إن الأمير الحجاج أصلحه الله قد ولاني وأمرني بالحق والعدل في السيرة ، فان عملت بما أمرني فأنا أسعد الناس وان لم أفعل فنفسي أوبقت وحظ نفسي ضيعت »[3] .

واستطاع الحجاج بفضل الصلاحيات الواسعة التي كان يتمتع بها وبفضل الادارة اللامركزية التي طبقها خلفاء بني أمية أن ينتقي قادة فتوحه في المشرق ، فهو الذي بعث قتيبة بن مسلم الباهلي عامله على خراسان لفتح منطقة ماوراء النهر ، فأتم قتيبة ماندب من أجله ، ووصل الى حدود الصين ، وهو الذي سيّر محمد بن القاسم الثقفي لفتح حوض نهر السند والهند ، ولم يكن من عادة الحجاج الخروج في الحملات العسكرية وانما كان يشرف على تجهيزها بنفسه ويزودها بكل ماتحتاجه ، فقد قيل عن الجيش الذي سيره برئاسة محمد بن القاسم أنه جهز بكل شيء حتى الخيوط والمسال[4] . وكان ينفق في هذا السبيل المال الكثير ، ولكنه كان يعرف أن ماينفقه من مال سيرد اليه من أخماس الغنائم ،

---

(١) النطف ، الرجل المريب .
(٢) ابن عبد ربه ، ج٥ ، ص ٣٦ .
(٣) الطبري ، ج٦ ، ص ٢٨٤ .
(٤) البلاذري ، فتوح ، ص ٤٢٤ .

وهكذا نرى أن الحجاج أنفق على حملة محمد بن القاسم ستين ألف ألف درهم بينما حمل اليه عشرون ومائة ألف ألف فقال : « شفينا غيظنا وأدركنا ثأرنا وازددنا ستين ألف ألف درهم ورأس داهر »[1] .

ثم إن قتيبة عندما غزا وردان خداه ملك بخارى سنة تسع وثمانين عجز عن الاستيلاء على المدينة ، فرجع الى مرو وكتب الى الحجاج بذلك فكتب اليه الحجاج أن صورها لي فبعث اليه بصورتها ، فكتب اليه الحجاج : « ان ارجع الى مراغتك فتب الى الله مما كان منك وائتها من مكان كذا وكذا »[2] .

وهكذا يمكن القول ان الحجاج بن يوسف يذهب بقسم وافر من مفاخر هذه الفتوحات ، فهو الذي قضى على منافسي الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان ، وهو الذي جمع الناس على طاعته ، وجهز الجيوش وسيّرها للفتح ، وهو الذي كان يجمع الأموال التي كانت تنفق على هذه الجيوش من ولايته ، وهو الذي كان يحث القادة العسكريين على المضي قدماً في غزوهم ويمدهم بآرائه ونصحه ، وأغلب الظن إنه لولا كل هذا الذي قام به الحجاج لما استطاع عبد الملك وابنه الوليد من بعده أن يسجلا للدولة الأموية في زمنهما كل هذه المفاخر في التوسع واستتباب الامن .

هناك ناحية هامة لابد من الاشارة اليها أثناء الحديث عن ولاية العراق ، وهي أن زياداً استطاع أن يدير أمور العراق ويضبطها دون مساعدة من الخارج في حين أن الحجاج لم يستطع ذلك الا بالاعتماد على جند الشام ، ولا يعود هذا الى تقصير من الحجاج وانما الى تغير الظروف ؛ فالتوتر بين الشام والعراق كان فيما بين عصر زياد وعصر الحجاج قد اشتد كثيراً ، فلما كانت ثورة عبد الرحمن ابن الأشعث لم يستطع الحجاج القضاء عليها الا بمساعدة جند الشام ، وعندما التجأ عبد الرحمن بن الأشعث الى رتبيل هدده الحجاج بارسال عمارة بن تميم

---

(١) المصدر السابق ، ص ٤٢٧ ـ اليعقوبي ، ج٢ ، ص ٢٨٩ .
(٢) الطبري ، ج٦ ، ص ٤٤٠ .

والي كرمان وسجستان في ثلاثين ألف من أهل الشام لم يخالفوا طاعة ولم يخلعوا خليفة ولم يتبعوا إمام ضلالة[1] . وفي عهد يزيد بن عبد الملك لم يستطع مسلمة ابن عبد الملك قائد الحملات الحربية في آسيا الصغرى وأرمينية سنوات طويلة أن يقضي على ثورة يزيد بن المهلب الذي كان قد غلب على الاهواز وفارس وكرمان ، الا بالاعتماد على جيش الشام[2] ، وعند القضاء على حركة زيد بن علي بن الحسين بن علي في خلافة هشام بن عبد الملك ، اعتمد يوسف بن عمر عامل هشام بن عبد الملك على العراق اعتماداً كلياً على القوات الشامية[3] .

لقد رأينا مما تقدم أن السلطات التي كان يتمتع بها زياد والحجاج كانت سلطات كالتي يتمتع بها الخليفة مع فارق واحد وهو أنهما كانا مسؤولين تجاه الخليفة عن تصرفاتهما ، وقد تمتع بهذه السلطات معظم ولاة العراق ، وكان أمير العراق عندما يعين نائباً عنه في أحد المصرين أو في المصرين معاً عندما يقيم في واسط يخول نائبه أحياناً كل السلطات التي يتمتع بها نفسه ، فقد ولى خالد القسري (١٠٥ — ١٢٠ هـ) بلال بن ابي برده على البصرة وجمع له الصلاة والقضاء والشرطة والأحداث[4] . وكانت الصلاحيات التي يتمتع بها العمال والولاة في الاقاليم والمناطق التابعة إدارياً لامير العراق مع خضوعهم لمراقبته قد ساعدت على تحقيق نوع من الانسجام مابين الأقاليم والمركز .

* * *

---

(١) الطبري ، ج٦ ، ص ٣٩٠ .

(٢) المصدر السابق ، ج٦ ، ص ٥٨٥ .

(٣) ابو الفرج الاصبهاني ، مقاتل الطالبيين ، تحقيق احمد صقر ، القاهرة ١٣٦٥ هـ ، ١٩٤٦ م ص ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤١ .

(٤) خليفة بن خياط ، ج٢ ، ص ٥٣٥ ـ الطبري ، ج٨ ، ص ٢٠٣ .

الفصل الثالث

مهمات الإدارة

أولا ـ نشر الدين الاسلامي واللغة العربية

١ ـ نشر الدين الاسلامي في العصر الراشدي

يؤكد كثير من المستشرقين أن الادارة العربية اقتصرت على الناحية المالية ، وأن ديوان إدارة الدولة كان عبارة عن ديوان حساب[١] ، ونحن وان كنا لا ننكر أهمية الناحية المالية ، فان الادارة العربية في الواقع لم تقتصر عليها فقط وانما أولت اهتمامها لأمور مختلفة كان في مقدمتها نشر الدين الاسلامي واللغة العربية وتعليم الناس دينهم وسننهم • وبالرغم من أن ليفى[٢] يحاول في كتابه أن يظهر أن التعليم كان من اختصاص الفرد فان هذا يتناقض مع الأهمية الكبرى التي كان يعلقها الخليفة عمر بن الخطاب على تعليم المسلمين دينهم وسننهم ، ففي خطاب لعمر بن الخطاب قال : « والله ما أرسل عمالي إليكم ليضربوا أبشاركم ولاليأخذوا

---

(١) فلهوزن ، ص ٣١ •

(٢) Levy, Social Structure of Islam, p. 298

أموالكم ، ولكن أرسلتهم اليكم ليعلموكم دينكم وسننكم فمن فعل به سوى ذلك فليرفعه الي ...»[1] .

وفي قول لعمر بن الخطاب : « اللهم اني أشهدك على أمراء الأمصار فاني انما بعثتهم ليعلموا الناس دينهم وسنة نبيهم ويقسموا فيهم فيأهم ويعدلوا عليهم فمن أشكل عليه شيء رفعه اليّ »[2] . وفي مخطوطة الأموال لابن زنجويه أن عمر بن الخطاب كتب الى بعض عماله : « أن أعط الناس على تعلّم القرآن » ، فكتب اليه : « إنك كتبت الي أن أعطي الناس على تعلم القرآن ، فتعلمه من ليست له فيه رغبة الا رغبة الجعل » ، فكتب اليه أن اعط الناس على المروءة والصحابة[3] .

وكان للفتوحات العربية التي تمت في عهد الخلفاء الراشدين والتي امتدت في خلافة بني أمية لتصل الأندلس غرباً وبلاد ماوراء النهر والسند شرقاً أثر ملحوظ في سرعة انتشار الدين الاسلامي واللغة العربية ، فدخل الدين الاسلامي هذه البلاد منذ دخول العرب إليها ، وما لبث على مر الزمن أن تغلب على الأديان التي وجدت قبله وأصبح المسلمون أغلبية فيها ، ومع ذلك كله فالثابت أن الدولة العربية التي قامت على أساس الدعوة الاسلامية ، والتي كان شعارها حماية ذلك الدين والقيام بنصرته لم تضطهد أحداً من أهل الذمة أو ترغمه على ترك دينه ، ذلك أن القرآن لا يرضى الاكراه في الدين وفي هذا يقول تعالى : « لااكراه في الدين قد تبين الرشد من الغيّ ، فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم »[4] . ويقول سبحانه مخاطباً الرسول : « ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا ، أفأنت تكره الناس

---

(١) ابن الجوزي ، ص ١١٤ .

(٢) ابو يوسف ، الخراج ص ١٦ . الطبري ، ج٤ ، ص ٢٠٤ .

(٣) الاموال لابن زنجويه ، خطية ورقة ٩٣/أ من مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ، محمد حميد الله ، الطبعة الثالثة سنة ١٩٦٩ ، ص ٣٩٢ .

(٤) سورة البقرة ، الاية ، ٢٥٦ .

حتى يكونوا مؤمنين »[١] ، والى غير ذلك من الآيات القرآنية الكثيرة التي تفيد هذا المعنى ، وكان العرب في عهد الخلفاء يخيرون أهالي البلاد المفتوحة بين أمور ثلاثة : الاسلام أو الجزية أو الحرب • وكان هذا الدعاء أول الخطى في الفتوحات، وعنوان هذه الحركة ومبعثها ؛ ويقول الكونت دي كاستري[٢] : « إن الاسلام لم يكن له دعاة مخصوصون يقومون بالدعوة اليه وتعليم مبادئه كما في الديانة المسيحية ، ولو أنه كان للاسلام أناس قوامون لسهل علينا معرفة السبب في انتشاره السريع ، فانا شاهدنا الملك شارلمان يستصحب معه على الدوام في حروبه ركباً من القسس والرهبان ، ليباشروا فتح الضمائر والقلوب بعد أن يكون هو قد باشر فتح المدائن والأقاليم بجيوشه التي كان يصلي بها الأمم حرباً تجعل الولدان شيباً ، ولكننا لا نعلم للاسلام مجمعاً دينياً ولا رسلاً ولا أحباراً وراء الجيوش ولا رهبنة بعد الفتح فلم يكره أحد عليه بالسيف أو باللسان » •

اذا لم يكن للمسلمين كما يقول دي كاستري دعاة مخصوصون ، فقد اعتمد الخلفاء الأول في نشر الاسلام على اقتداء الناس بالمسلمين وخاصة بالمقاتلة، فأصدروا تعليمات أخلاقية محكمة لجنة المسلمين[٣] ؛ فتعليمات أبي بكر لأسامة ابن زيد[٤] لا نكاد نجد لها مايماثلها في تعليمات أي ملك أو أمير أو قائد جيش في التاريخ كله قديماً وحديثاً ؛ كما استطاع القادة العرب في عهد الخلفاء الراشدين أن يحصلوا على ثقة سكان البلاد نتيجة للسياسة السمحة التي اتبعوها عندما أدركوا أن أمان الناس على أنفسهم وأموالهم أول مايجب أن يشيع في

---

(١) سورة يونس ، الاية ، ٩٩ •

(٢) Castri, L'Islam Impression et Etude

تعريب أحمد فتحي زغلول باشا ، بعنوان الاسلام خواطر وسوانح ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ص ٣٩ ، ٤٠ •

(٣) مولوي حسين ، الادارة العربية ، ترجمة ، ابراهيم العدوي ، مكتبة الاداب بمصر ، ص ١٠٥ •

(٤) الطبري ، ج٣ ، ص ٢٢٦ ، ٢٢٧ • قال ابو بكر « أيها الناس قفوا أوصكم بعشر فاحفظوها عني ، لا تخونوا ، ولا تغلوا ، ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا طفلا صغيرا ولا شيخا كبيرا ولاامرأة ، ولا تعقروا نخلا ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ، ولا بعيرا الا لمأكلة وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع وغيرها ، فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له » •

النفوس وأن يملأ عليهم آفاقهم لأنه اذا توافرت لهم الأجواء المسالمة التي لا يفسدها الخوف فانما تتوافر لهم الثقة بأصحاب الدعوة والاعجاب بما يؤمنون به وقد يكون الاعجاب طريقاً للمشاركة والايمان .

ومن أجل هذا نجد أن كتب الصلح المختلفة تؤكد على إعطاء الأمان للسكان على أنفسهم وأموالهم ومللهم وشرائعهم ، جاء ذلك في كتاب خالد الى أهل دمشق[1] ، وفي كتاب عمر الى أهل بيت المقدس[2] ، وفي كل الكتب التي كتبها عمر وغير عمر في مدن الجنوب بفلسطين ومدن الشمال في الجزيرة[3] ، وفي معاهدة عمرو بن العاص مع أهل مصر[4] ، وفي الكتب التي كتبها القادة المسلمون في المدن الأرمينية[5] والايرانية[6] .

ويذكر الطبري أنه بعد أن قطع يزدجرد النهر الى فرغانة والترك أقبل أهل فارس على الأحنف فصالحوه وعاقدوه ، ودفعوا اليه بخزائن كسرى وأمواله ، وتراجعوا الى بلدانهم وأموالهم على أفضل ماكانوا في زمان الاكاسرة ، فكانوا كأنما هم في ملكهم الا أن المسلمين أوفى لهم وأعدل[7] .

وقد عمد القادة المسلمون إلى إسكان المسلمين في المناطق المختلفة هذا مافعله السمط بن الأسود الكندي عندما قسّم حمص خططاً بين المسلمين حتى نزلوها وأسكنهم في كل مرفوض جلا أهله أو ساحة متروكة[8] . وعندما فتحت دمشق ولحق كثير من أهلها بهرقل كثرت فضول منازلها ، فنزلها المسلمون[9] .

---

(١) البلاذري ، فتوح ، ص ١٢٨ .
(٢) الطبري ، ج٣ ، ص ٦٠٩ .
(٣) البلاذري ، فتوح ، ص ١٧٨ ، ١٧٩ .
(٤) محمد حميد الله ، مجموعة الوثائق السياسية ، ص ٣٨٦ .
(٥) المصدر السابق ، ص ٣٦٩ ، ٣٧٠ ، ٣٧١ .
(٦) المصدر السابق ، ص ٣٣٢ ، ٣٥٨ .
(٧) الطبري ، ج٤ ، ص ١٧١ .
(٨) البلاذري ، فتوح ص ١٣٧ .
(٩) المصدر السابق ، ص ١٢٩ .

ولما ولي معاوية الشام والجزيرة لعثمان بن عفان ، أمره أن ينزل العرب بمواضع نائية عن المدن والقرى ويأذن لهم في اعتمال الأراضي التي لا حق فيها لأحد فانزل بني تميم الرابية ، وأنزل المازحين والمديير أخلاطاً من قيس وأسد وغيرهم ، وفعل ذلك في جميع نواحي ديار مضر ورتب ربيعة في ديارها على ذلك[١] . وفي خلافة عثمان بن عفان كذلك أقطع العرب منازل وأرض في كرمان[٢] . وعندما ولي الوليد بن عقبة الاشعث بن قيس أذربيجان ، وكانت قد انتقضت فتحها على مثل صلح حذيفة وعتبة بن فرقد وأسكنها ناساً من العرب من أهل العطاء والديوان وأمرهم بدعاء الناس الى الاسلام ، فلما كانت خلافة علي بن ابي طالب قدمها الأشعث بن قيس والياً فوجد أكثرها قد أسلموا وقرأوا القرآن[٣] .

ومع انتشار الاسلام كان لابد من إرسال من يفقه المسلمين في أمور دينهم ، فأرسل عمر بن الخطاب حيان بن أبي جبلة الى مصر[٤] ، وأرسل الى الكوفة عبد الله بن مسعود معلماً ووزيراً[٥] ، وكان عبد الله أول من أفشى القرآن بمكة من فيّ رسول الله ﷺ[٦] ، وكان فقيهاً بالدين عالماً بالسنن[٧] وكان عمر يقول عنه : « كنيف ملي علماً »[٨] ، ولذلك أرسله الى الكوفة وآثر أهل الكوفة به على نفسه حتى يأخذوا العلم منه[٩] .

ولما تكاثر المهاجرون الى البصرة أمر عمر أبا موسى بالخروج اليها وتوزيع الخطط عليهم وتعليم الناس دينهم وسننهم ، فالتمس أبو موسى من عمر أن يبعث معه بعض الأنصار ، فبعث عمر عشرة منهم في مقدمتهم أنس بن مالك[١٠] .

---

(١) المصدر السابق ، ص ١٨٢ .
(٢) المصدر السابق ، ص ٣٨٤ .
(٣) البلاذري ، فتوح ص ٣٢٤ .
(٤) السيوطي ، حسن المحاضرة ، القاهرة ١٣٢٧ هـ ، ص ٨١ ـ ٨٢ .
(٥) الاصبهاني ، أبي نعيم أحمد بن عبد الله ، تاريخ أصبهان ، ج١ ، ص ٢٥ .
(٦) ابن سعد ، ج٣ ، ص ١٠٧ .
(٧) المصدر السابق ، ج٣ ، ص ١١٠ .
(٨) المصدر السابق ، ج٣ ، ص ١١٠ .
(٩) المصدر السابق ، ج٣ ، ص ١١١ .
(١٠) الدينوري ، ص ١١٨ .

وكان أبو موسى الأشعري يعد من أعلم الصحابة ، سأل عمر بن الخطاب أنس بن مالك : « كيف تركت الأشعري ؟ » فقال : « تركته يعلم الناس القرآن »، فقال : « إنه كبير ولا تسمعها إياه »[1] .

وعندما استقر أنس بن مالك في البصرة مكث فيها مدة تزيد على ستين سنة وهو يعلم الناس سنة رسول الله[2] ، وتمكن خلال هذه المدة من تكوين طبقة من العلماء في البصرة يعتبرون سادة علماء التابعين ، كان لهم أثر كبير في تاريخ الاسلام الفكري منهم الحسن البصري ، وسليمان التميمي ، ومحمد بن سيرين ، وسعيد بن جبير[3] .

وأورد البخاري في تاريخه أن يزيد بن أبي سفيان كتب الى عمر أن أهل الشام قد كثروا وربلوا وملؤوا المدائن واحتاجوا الى من يعلمهم القرآن ويفقههم، فأرسل اليه معاذ بن جبل وعبادة بن الصامت وأبا الدرداء وطلب اليهم أن يبدأوا بحمص ، « فانكم ستجدون الناس على وجوه مختلفة منهم من يلقن فاذا رأيتم ذلك فوجهوا اليه طائفة من الناس ، فاذا رضيتم فليقم بها واحد وليخرج واحد الى دمشق والآخر الى فلسطين »[4] . وقد أقام عبادة في حمص وخرج أبو الدرداء الى دمشق ، ومعاذ الى فلسطين ، حيث توفي عام طاعون عمواس بالشام بناحية الأردن سنة ثماني عشرة[5] ، وقال عمر بن الخطاب : لو أدركت معاذ بن جبل فاستخلفته فسألني ربي عنه لقلت ياربي إني سمعت نبيك يقول : إن العلماء اذا اجتمعوا يوم القيامة كان معاذ بن جبل بين أيديهم قذفة حجر[6] . أما عبادة بن الصامت فصار بعد الى فلسطين وهو أول من ولي القضاء بفلسطين[7] ،

---

(١) ابن سعد ، ج٤ ، ص ٨٠ .
(٢) عبد الحميد طهماز ، أنس بن مالك ، دار العلم ، بيروت ١٩٧٤ م ، ١٣٧٤ هـ ص ١١١،١١٣ .
(٣) المصدر السابق ، ص ١١٢ .
(٤) محمد كرد علي ، خطط الشام ، دمشق ١٩٢٦ ، ج٤ ، ص ١٦ .
(٥) ابن سعد ، ج٣ ، قسم ٢ ، ص ١٢٥ .
(٦) المصدر السابق ، ج٣ ، قسم ٢ ، ص ١٢٦ .
(٧) ابن حجر العسقلاني ، تهذيب التهذيب ، حيدر اباد ، ١٣٢٥ – ١٣٢٧ ، ج٥ ، ص ١١١ .

ولم يزل ابو الدرداء بدمشق حتى مات وكان معاوية قد ولاه قضاء دمشق بأمر من عمر بن الخطاب وهو أول قاض بها[1] .

ويعود لعمر بن الخطاب كذلك فضل تنبيه أبي بكر لضرورة جمع القرآن بعد أن استحر القتل بالقرّاء يوم اليمامة ؛ وأسند أبو بكر هذه المهمة الدقيقة الى زيد بن ثابت ، وكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله ثم عند عمر ثم عند حفصة ابنة عمر[2] .

وأمر الخليفة عثمان رضي الله عنه بنسخ المصحف الذي جمع زمن أبي بكر وتفريقه في الأمصار حين قدم حذيفة بن اليمان فحدثه عن اختلاف المسلمين في القراءة وحثه على أن يدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى[3] ، فأمر عثمان بنسخ الصحف التي كانت عند حفصة في المصاحف وأرسل الى كل أفق بمصحف مما نسخوا وأمر بما سواه من القرآن في صحيفة أو مصحف أن يحرق[4] .

ولقد حاول بعض الناس أن يلوموا عثمان على أمره باحراق المصاحف ، فقال لهم علي بن ابي طالب : لو لم يصنعه عثمان لصنعته أنا ، فجزى الله عثمان عن الأمة خير الجزاء ، فقد أحسن وبرّ فيما صنع وكان له فضل في رد الناس الى قراءة واحدة كفضل أبي بكر في جمع القرآن[5] .

٢ ــ نشر الدين الاسلامي في العصر الاموي

يعود للأمويين فضل نشر الدين الاسلامي في الجناح الشرقي والغربي من

---

(١) ابي نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء وطبقات الاصفياء ، مصر ١٣٥١ هـ ج١ ، ص ٢٠٨ . الذهبي ، تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والاعلام ج٢ ، ص ١٠٧ .
(٢) ابي بكر العربي ، العواصم من القواصم ، طبعة ١٩٧١ ، ص ٥٧ .
(٣) المصدر السابق ، ص ٥٧ ، ٥٨ .
(٤) المصدر السابق ، ص ٥٨ .
(٥) المصدر السابق ، ص ٥٩ .

الدولة الاسلامية ، واذا كان الأسلوب الذي اتبعه الأمويون لا يطابق أسلوب ونهج الخلفاء الراشدين تماماً الا أنهم ساروا على هديهم في كثير من الأمور .

إن أول مايسترعي الانتباه أثناء تتبع الفتوح في العصر الأموي أن ذلك الدعاء الذي عرفنا أنه كان أول الخطى في الفتوحات والذي شهدنا صوراً منه في الشام ومصر والعراق وفارس ، هذا الدعاء يغيب عن أعيننا ، فلا نلمح له إلا آثاراً ضئيلة ، ولا ندري أكان ذلك لأن المؤرخين أهملوا الاشارة إليه ، أم لأن المسلمين أهملوا القيام به أم هما الأمران معاً .

ففي المغرب يبدو أن ماتراوح فيه الفتح من تقدم وتقهقر أعطى الغزوات طابع الغلبة ، فنسيت فيها الدعوة منذ أن رفضت هـذه الدعوة في المفاوضات الأولى بين جرجير وعبد الله بن أبي السرح إذ يذكر المالكي أن عبد الله بن سعد راسل جرجير يدعوه الى الاسلام أو الجزية فامتنع وتكبر عن قبول إحداهما[١] .

كما تبدت في المغرب ظاهرة السبي التي لمحنا أوائلها في صلح برقة وصلح بلاد النوبة[٢] في شيء من الوضوح ، ويتحدث المؤرخون عن الغنائم التي كان يصيبها القـواد في غزواتهم ، فيخصون السبي بالاشارات المؤكدة ، فيروي ابن عبد الحكم : « أن عبد العزيز بن مروان والي مصر أخذ مما يحمل حسان من السبي كل ماكان معه ، وكان قد قدم معه من وصائف البربر بشيء لم يره مثله جمالاً ، فكان نصيب الشاعر يقول : حضرت السبي الذي كان عبد العزيز أخذه من حسان مائتي جارية منها مايقام بألف دينار »[٣] .

وليس أبلغ في غزارة السبي مما كان من عمل موسى بن نصير ، فقد بعث حين غزا المغرب ابنه مروان على جيش فأصاب مائة ألف ، وبعث ابن أخته في جيش آخر فأصاب مائة ألف ، فقيل لليث بن سعد من هم ؟ فقال : البربر[٤] .

---

(١) المالكي ، ص ١٠ ، ١١ .
(٢) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ، ص ١٨٩ .
(٣) ابن عبد الحكم ، فتوح مص ، ص ٢٠٢ .
(٤) المصدر السابق ، ص ٢٠٤ .

وليس هذا فحسب ، بل ان بعض الظواهر في علاقة المسلمين بالبربر كانت تتخذ شكل الرهن ، إذ يذكر ابن عذارى أن موسى بن نصير بعث سنة ٨٦ هـ زرعة بن أبي مدرك الى قبائل من البربر ، فلم يلق حربا منهم ، فرغبوا في الصلح منه فوجه رؤساهم الى موسى بن نصير فقبض رهونهم[١] وفي سنة ٩٢ هـ خرج طارق الى الاندلس وافتتحها بمن كان معه من العرب والبربر ورهائنهم الذين تركهم موسى عنده ، والذين أخذهم حسان من المغرب الأوسط قبله[٢] .

من الواضح أن هذه الظاهرة جديدة في تطور الفتح ، ولعل طبيعة فتح المغرب هي التي تسأل عن هذه الظاهرة وهي التي تعللها ، فقد تطاول على هذا الفتح الأمد واتخذ أطواراً من الهزيمة والنصر ، وما أكثر العقود التي عقدت ثم نقضت ولعل هذا أن يكون السبب الذي أظهر المسلمين على فكرة الرهائن هذه ليفيدوا منهم في الحرب من ناحية وليخلطوا بينهم وبين العرب من ناحية أخرى فيكونوا بعد ذلك سبيلهم الى نشر الاسلام . ولكننا يجب أن نشير الى أن المؤرخين الذين ينقلون الينا أحاديث السبي ينقلون الينا كذلك أن المسلمين عاملوا البربر الذين انضموا اليهم مثلما عاملوا جندهم ، فكان حسان ، كما يقول المالكي ، يقسم الفيء بينهم والأرض[٣] .

انتشر الاسلام في المغرب بشكل أسرع من انتشاره في الشام ومصر والعراق ، لان الخروج من الوثنية الى الاسلام أقرب الى الواقع وأسهل على التحقيق من الخروج من المسيحية أو غيرها الى الاسلام . وقد كانت سياسة الروم في إفريقية سبباً في القضاء على ماكان قد انتشر من المسيحية بين أهلها إذ وقف الأهلون موقف العداء من الروم وكل مايتصل بهم من دين وحضارة ، ويمكننا تصور اضمحلال المسيحية في إفريقية إذ ذاك اذا تذكرنا أن عدد الاسقفيات في البلاد كان قبل الغزو الوندالي خمسمائة بينما لم يزد عددها على

---

(١) ابن عذارى ، ص ٣٦ .
(٢) المصدر السابق ، ص ٣٧ .
(٣) المالكي ، ص ٢٦ .

مائة أسقفية في سنة ٥٣٤ م .[1] . ولا بد أن يكون عدد المسيحيين قد تضاءل جداً بعد الاضطهاد الشديد الطويل المستمر الذي نزل بهم خلال الفترة الأخيرة من الحكم البيزنطي[2] .

ويبدو أن المسلمين قد نشروا معهم الاسلام منذ غزوة برقة في ولاية عمرو الأولى ؛ يحدثنا البلاذري أنه فيما كتب عمرو الى عمر : « ان من بين زويله وبرقة سلم كلهم ، حسنة طاعتهم قد أدى مسلمهم الصدقة ، وأقر معاهدهم بالجزية ، وأنه قد وضع على أهل زويلة ومن بينه وبينها مارأى أنهم يطيقونه ، وأمر عمّاله جميعاً أن يأخذوا الصدقة من الأغنياء فيردوها الى الفقراء ، ويأخذوا الجزية من الذمة فتحمل إليه بمصر وأن يؤخذ من أرض المسلمين العشر ونصف العشر »[3]. ومعنى هذا أن الاسلام كان من سعة الانتشار بحيث أتاح لعمرو أن يذكر الصدقة التي يؤديها المسلمون . وليس من المستبعد أن تكون حملة عبد الله بن أبي سرح إلى إفريقية والتي انتهت بمقتل جرجير الذي كان سلطانه من اطرابلس الى طنجة[4] ، قد تركت آثارها في المدن التي جازتها أو التي وقفت بها ، ذلك أن عبد الله رجع الى مصر ولم يول على إفريقية أحداً بل اكتفى بناء على رواية الواقدي بأن يأخذ من عظماء إفريقية ثلاثمائة قنطار من ذهب على أن يكف عنهم ويخرج من بلادهم ، وفي رواية أخرى للواقدي أنه صالحهم على ألفي ألف دينار وخمسمائة ألف[3] .

وقد كان من نتائج الفتنة أن توقفت الفتوح في إفريقية لأن المسلمين ولوا وجوههم شطر المدينة والشام والعراق ، ليرقبوا ماكان من أحداث وما ثار من قتال

(١) حسين مؤنس ، فتح العرب للمغرب ، ص ٢٨١ .
(٢) Julien, p. 10.
(٣) البلاذري ، فتوح ، ص ٢٢٦ .
(٤) البلاذري ، فتوح ، ص ٢٢٨ ، المالكي ص ١٢ .
(٥) البلاذري ، فتوح ، ص ٢٢٨ ، ٢٢٩ . المالكي ، ص ١٢ وقال الواقدي ان هذا الصلح بلغ ألفي ألف وخمسمائة ألف فدل على أن القنطار ثمانية آلاف وأربعمائة دينار .

وخصومات ، فلما غلب معاوية على الأمر استأنف المسلمون نشاطهم في غزاة معاوية بن حديج وعقبة بن نافع .

وقد كان عقبة نموذجاً للقائد الذي تغلب عليه حماسته الدينية ويجعل الدعاء الى الاسلام أول أهدافه « وان كان في حماسته شيء من العنف ، اذ يذكر ابن عبد الحكم أن عقبة أثناء ولايته الأولى توجه الى جَرْمه مدينة فزّان العظمى فسار اليها ثماني ليال من ودّان فلما دنا منها أرسل فدعاهم الى الاسلام فأجابوا فنزل منها على ستة أميال وخرج ملكهم يريد عقبة ، وأرسل عقبة خيلاً فحالت بين ملكهم وبين موكبه فأمشوه راجلاً حتى أتى عقبة وقد لغب وكان ناعماً فجعل يبصق الدم ، فقال له : لم فعلت هذا وقد أتيتك طائعاً ؟ فقال عقبة : « أدباً لك اذا ذكرته لم تحارب العرب »[1] .

وقد رأى عقبة أن الاسلام لا يمكنه أن ينتشر في ربوع المغرب الا باستقرار المسلمين فيه ، ولذلك قرر بناء مدينة يتخذها المسلمون معسكراً وتكون عزاً للاسلام الى آخر الدهر[2] ، وهناك روايات وأخبار متعددة عن انتشار الاسلام على يدي عقبة في حملته الأولى وفي حملته الثانية ، فحين ولاه معاوية قيادة إفريقية كان عقبة مقيماً بنواحي برقة وزويله منذ ولاية عمرو بن العاص[3] ، فجمع اليه من أسلم من البربر وضمهم الى الجيش الوارد عليه من معاوية[4] ، كما يحدثنا ابن الاثير أن عقبة أثناء عمارته المدينة ، كان يغزو ويرسل السرايا ... ودخل كثير من البربر الاسلام واتسعت خطة المسلمين وقوي جنان من هناك من الجنود بمدينة القيروان وأمنوا واطمأنوا[5] .

وجاء أبو المهاجر دينار (٥٥ — ٦٢ هـ) فصالح بربر إفريقية وفيهم كسيلة

---

(١) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ، ص ١٩٤ ، ١٩٥ .
(٢) ابن الاثير ، ج٣ ، ص ٢٣٠ . ابن عذارى ، ص ١٣ . ياقوت الحموي ج٤ ، ص ٤٢٠ .
(٣) ياقوت الحموي ، ج٤ ، ص ٤٢٠ .
(٤) المصدر نفسه ، ج٤ ، ص ٤٢٠ . ابن الاثير ، ج٣ ، ص ٢٣٠ .
(٥) ابن الاثير ، ج٣ ، ص ٢٣٠ .

الأوربي وأحسن اليه[1] . وكان كسيلة رأس البرانس وقد أسلم كسيلة على يد أبي المهاجر[2] بعد أن هزمه في عيون تلمسان[3] . وفي ولايــة عقبة الثانيــة وصلت جيوش المسلمين الى طنجة أي المغرب الأقصى ورافق هنا مارافق جيش عقبة قبل من انتشار الاسلام ومن القصد الى انتشاره ، ويحدثنا ابن عذارى حديثاً يمكننا أن نستنتج منه أن عمل عقبة لم يكن ارتجالاً ولكنه كان ينظمه ويحسن تنظيمه ويقصر عليه جهود نفر من أصحابه ويكله اليهم ، ويتركهم يعلمون الناس الاسلام ويهدونهم اليه « وقد كان عقبة بن نافع الفهري ترك فيهم بعض أصحابه يعلمونهم القرآن والاسلام ، منهم شاكر وغيره ، ولم يدخل المغــرب الاقصى أحد من ولاة خلفاء بني أمية في الشرق الا عقبة بن نافع الفهري ، ولم يعرف المصامدة غيره ، وقيل إن أكثرهم أسلم طوعاً على يديه ودخل موسى ابن نصير بعده[4] .

وقد ترك موسى بن نصير بدوره في طنجة سبعة عشر رجلاً من العــرب يعلمونهم القرآن وشرائع الاسلام[5] .

وتتفق المراجع على أن اسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر والي الخليفة عمر بن عبد العزيز على إفريقية والمغرب على حربها وخراجهــا وصدقاتها[6] دعا من بقي من البربر الى دين الاسلام[7] ، فكان خير أمير وخير وال ، « ومازال حريصاً على دعاء البربر الى الاسلام حتى أسلم بقية البربر على يديه في دولــة عمر بن عبد العزيز وهو الذي علّم أهل إفريقية الحلال والحرام ، وبعث معــه

---

(١) المالكي ، ص ٢١ .

(٢) المالكي ، ص ٢٥ .

(٣) ابن خلدون ، ج٦ ، ص ١٠٨ .

(٤) ابن عذارى ، ج١ ، ص ٣٧ . ويذكر ابن خلدون كذلك ان عقبة حمل المصامدة على طاعــة الاسلام ، ج٦ ، ص ١٠٨ .

(٥) المصدر السابق ، ج١ ، ص ٣٦ . ابن الاثير ج٤ ، ص ٣٢ .

(٦) ابن عبد الحكم ، ص ٢١٣ .

(٧) المصدر السابق ، ص ٢١٣ . ابن عذارى ، ص ٤٥ .

عمر بن عبد العزيز عشرة من التابعين أهل علم وفضل منهم عبد الرحمن بن رافع التنوخي[1] ، وسعد بن مسعود التجيبي[2] وغيرهما وكانت الخمر بإفريقية حلالاً حتى وصل هؤلاء التابعون فبينوا تحريمها رضي الله عنهم »[3] وقد أخذ عن هؤلاء التابعين نفر طيب من أهل إفريقية ، ذكر المالكي منهم بكر بن سواده الجذامي وعبد الرحمن بن زياد[4] . بل يبدو أن هؤلاء التابعين كانوا على درجة وافرة من العلم ، بحيث انتشر صيتهم ووفد الناس من شتى النواحي للاخذ عنهم ، فقد أخذ عمران بن عوف الغافقي والحارث بن يزيد من أهل مصر عن اسماعيل بن عبيد الانصاري[5] .

ويذكر ابن خلدون نقلاً عن ابي محمد بن أبي زيدان أن البربر ارتدوا اثنتي عشرة مرة من طرابلس الى طنجة ولم يستقر إسلامهم حتى أجاز طارق وموسى بن نصير الى الأندلس بعد أن دوخ المغرب وأجاز معه كثير من رجالات البربر وأمرهم برسم الجهاد فاستقروا هنالك من لدن الفتح فحينئذ استقر الاسلام بالمغرب وأذعن البربر لحكمه[6] . كما يذكر ابن خلدون في معرض حديثه عن غمارة من بطون المصامدة « أنه لما استولى المسلمون أيام الفتح على بلاد المغرب وعمالاته واقتسموه وأمدهم الخلفاء بالبعوث الى جهاد البربر ، وكان فيهم من كل القبائل من العرب ، وكان صالح بن منصور الحميدي من عرب اليمن في البعث الأول وكان يعرف بالعبد الصالح فاستخلص نكور لنفسه وأقطعه إياها الوليد بن عبد الملك في عام إحدى وتسعين من الهجرة[7] ، ومعنى هذا أن العرب الفاتحين « تقاسموا » نواحي المغرب أي أن كل جماعة منهم

---

(١) المالكي ، ص ٧٢ ، ابن عذارى ، ص ٤٥ .
(٢) المالكي ، ص ٦٦ ، ابن عذارى ، ص ٤٥ .
(٣) ابن عذارى ، ص ٤٥ ، ٤٦ .
(٤) المالكي ، ص ٦٩ .
(٥) المالكي ، ص ٦٩ .
(٦) ابن خلدون ، ج٦ ، ص ١١٠ .
(٧) ابن خلدون ، ج٦ ، ص ٢١٢ .

اقتطعت منه قطعة واعتبرتها ناحيتها ، ولا يكون ذلك الا بعد حملات موسى بن نصير وخروجهم في البعوث الى جهاد البربر • وكان هؤلاء العرب الذين تقاسموا المغرب من كل القبائل العربية وكان بينهم صالح بن منصور الحميري هذا وهو من عرب اليمن الذين اشتركوا في البعث الأول الذي وصل نكور فاستخلصها لنفسه أي جعل نفسه عاملاً أو أميراً على ناحية نكور فاستقر فيها مع قومه ثم أقرّه الخليفة الوليد بن عبد الملك على هذه الناحية أي أعطاه إياها إقطاعاً لـه سنة ٩١ هـ • ويورد ابن خلدون أسماء بيوت أو جماعات من العرب استقرت في نواحي المغرب وتقاسمته[١] ، كما أن هناك إشارات في جمهرة أنساب العرب لابن حزم تؤيد ماذكره ابن خلدون من أن بيوتاً عربية ممن اشترك في الفتح أو لحق بالفاتحين نزلت في منازل بعض القبائل واتخذوها مواطن ورأسوا فيهـا وتسلسل عقبهم فيها ، فمن هؤلاء بيت أبي بكر بن عبد الله من أحفاد أبي بكر الصديق الذي ثار بالسوس زمان مروان بن محمد[٢] ، ولا يمكن أن يثـور بالسوس الا اذا كانت له ولأسلافه رياسة هناك • وفي كلامه عن بني عويج بن عدي بن كعب يذكر عبد الله بن مطيع ، كان من المهاجرين يوم الحرّة ومنازل ولده بودّان[٣] ويؤكد ياقوت ذلك عندما يتكلم عن مدينة ودّان وأن فيهـا قبيلتين من العرب[٤] •

هذه الأمثلة تؤكد ماذكره ابن خلدون من أن الفاتحين العرب جعلوا على رأس كل قبيلة ممن أسلم من البربر بيتاً أو قبيلاً من العرب أو مـن البربر المستعربة وجعلوا له الرياسة هناك ، والأغلب أن الذي حدث هو أن هـذه البيوت كانت تستقر بين القبائل لتعليم أهلها شرائع الاسلام أي أن رجالهـا

(١) المصدر السابق ، ج٦ ، ص ٢١٢ •
(٢) ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ، مصر ١٩٤٨ ، ص ١٣٧ •
(٣) المصدر السابق ، ص ١٥٨ •
(٤) ياقوت ، ج٥ ، ص ٣٦٦ • ودان مدينة في جنوبي افريقية بينها وبين زويله عشرة أيام من جهة افريقية •

كانوا يقيمون بين البربر معلمين لهم ومع الزمن يتحول التعليم الى رياسـة ، وقد يستقر الأمر لهذه البيوت فتتصل سيادتها ، أو يتصل عقبها فيه على الأقل وقد يثور به أهل الموضع ويقيمون على أنفسهم رؤساء آخرين ، إذ يذكر ابن خلدون في معرض حديثه عن صالح بن منصور « أنه لما اجتمع اليه قبـائل غماره وصنهاجه وأسلموا على يده وقاموا بأمره ... وانتشر الاسلام فيهم ثم ثقلت عليهم الشرائع والتكاليف وارتدوا وأخرجوا صالحاً وولوا عليهم رجلاً من نفزه يعرف بالرندي ثم تابوا وراجعوا الاسلام وراجعوا صالحاً فأقام فيهم الى أن هلك بتلمسان سنة اثنتين وثلاثين ومائة وولي الأمر من بعده ابنه المعتصم بن صـالح[1] .

وفي أثناء ثورة البربر سنة ١٢٢ نجد أسماء عرب آخـرين استقروا في نواحي مختلفة من المغرب وحكموا على هـذا الاساس[2] وان لم تطل أيامهم كما طالت أيام بني صالح في نكور ، كما نجد أسماء لشخصيات بربرية مستعربة رأست في نواحيها عقب الفتح مثل عبد الجبار بن قيس المرادي والحارث بن تليد الحضرمي من رؤساء جماعات البربر في إقليم طرابلس وكلاهما يلقب بالهواري ، أي أنهما بربريان هواريان أصلاً ثم دخلا في ولاء العرب فأصبح واحـد منهم مراديا والثاني حضرميا ورأس كل منهما ناحيته[3] .

ويمكننا أن نستخلص مما ورد عند ابن خلدون وابن عبد الحكم وابن حزم أن العـرب الـذين كانوا يرسلون الى القبـائل البربرية ليعلموهم الاسـلام كانوا يصبحون رؤسـاء في نفس الوقت ، وجـدير بالملاحظة أن اعتبـار معلم الاسلام والامام رئيساً فعلياً للجماعة ظل ساري المفعول وكأنه تقليد استقر في

---

(١) ابن خلدون ، ج٦ ، ص ٢١٢ .
(٢) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ، ص ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ .
(٣) ابن عبد الحكم ، ص ٢٢٤ .

المغرب ، ففي القرن الخامس الهجري ذهب عبد الله بن ياسين الى منازل قبيلة جدالة ثم لمتونة معلماً وإماماً لشؤون الدين ولكنه رأس الناس وقادهم فكان ذلك ميلاداً لدولة المرابطين[1] .

نرى مما تقدم أن خلفاء بني أمية وولاتها أولوا أمر الاسلام ونشره عناية كبيرة أدّت الى أن يسود الاسلام المغرب في فترة زمنية قصيرة ، ولا شك أن ظروف البربر وعدم تسامح الاسلام مع الوثنية ثم مشاركة البربر في فتح الأندلس على نطاق واسع ، ونجاح هذا الفتح في إغراء المتخلفين منهم ثم كون بلاد المغرب قد أصبحت مجازاً للمسلمين الى الأندلس ، كل هذه العوامل قد ساعدت على تحقيق هذه المهمة إلى حد كبير[2] .

ويعود لولاة بني أمية أيضا فضل نشر الدين الاسلامي في منطقة ما وراء النهر وطبرستان وجرجان وفي السند كذلك ، وان كانت المصادر شحيحة بالأخبار التي تتعلق بنشر الاسلام في هذه المناطق ، غنية بأنباء وأخبار الحروب والانتفاضات ، إذ لم يلق المسلمون من العنف والمقاومة مثل الذي لقوا في هذا الجناح من الدولة الاسلامية حيث كان كل شيء غريباً عنهم ، فقد كانت اللغة الايرانية لغة هذه المناطق فيما دون النهر ، وكانت الايرانية والتركية فيما وراء النهر وكانت لغات آرية أخرى في منطقة السند[3] ، ولم يكن هنا ما يصل بين العرب الوافدين وبين السكان المستوطنين فيما دون النهر وفيما وراء النهر وفي المناطق الداخلية والجبلية كطبرستان وجرجان ، فكان على العرب أن ينسجوا هذه الصلات تدريجياً خيطاً بعد خيط .

(١) Abun-Nasr, p. 93.

(٢) ابن خلدون ، ج٦ ، ص ١٠٦ .

(٣) فان فلوتن ، السيادة العربية والشيعة والاسرائيليات في عهد بني أمية ، الطبعة الثانية ، مكتبة النهضة المصرية ، سنة ١٩٦٥ ، ص ٤٥ .

يضاف الى ذلك أن المسلمين هنا لم يحاربوا كما حاربوا في الشام والجزيرة ومصر والعراق وإفريقية ، كانوا في العراق يحاربون مناطق ليست من صميم الوطن الايراني في شيء وكذلك كانوا في سورية ومصر وإفريقية يحاربون ولايات بيزنطية فلا يفعلون أكثر من أن يزيلوا عنها هذا الرداء الذي يكسوها من حكم الفرس أو حكم الروم . أما هنا في هذا الجناح الشرقي فهم يحاربون في صميم الوطن الايراني وخارجه ، هذا الوطن الذي شهد حضارات وخاض حروباً واقتسم العالم القديم أو أكثره فيما بينه وبين اليونان أو بينه وبين بيزنطة ولذلك فان المسلمين هنا يغالبون الناس على أنفسهم ، وهم ينازعون سلطانهم فما من عجب أن يلقوا مقاومة وثورات وخروجاً .

بلغ المسلمون في امتداد الفتوح في عهد عمر بن الخطاب حدود النهر ؛ وكتب عمر ، فيما يروي الطبري ، الى الأحنف بن قيس « أما بعد فلا تجوزن النهر واقتصر على مادونه »[1] . وبالاستيلاء على خراسان في خلافة عثمان انتهى الصراع بين المسلمين والفرس وبدأت مع عبور النهر مرحلة جديدة من مراحل الفتح كان للأمويين وولاتهم على العراق الفضل في وضع أسس فتحها فتحاً منظماً واضح الهدف ، فقد وجد زياد حين جمعت له الكوفة والبصرة ، وآلت اليه خراسان معهما ، أن الأمر لا يستقر فيما وراء النهر إن لم يستقر في خراسان ، ولذلك اتخذ زياد إجراءين كان لهما أهميتهما ، الأول أنه جعل من مرو مركز ولاية خراسان وولى عليها أمير بن أحمر الذي كان أول من أسكن العرب بمرو[2] ، الثاني هذه الخطوة الواسعة البعيدة المرمى حين حمل خمسين ألف أسرة على أن تهاجر من البصرة والكوفة وأن تستقر في خراسان ، وفي ذلك يروي البلاذري ، أن زياد بن أبي سفيان ولى الربيع بن زياد الحارثي سنة إحدى وخمسين خراسان وحوّل معه من أهل المصرين خمسين ألفاً بعيالاتهم وأسكنهم

---

(١) الطبري ، ج٤ ، ص ١٦٨ .
(٢) البلاذري ، فتوح ، ص ٤٠٠ .

دون النهر[1] • وما من شك أن هجرة خمسين ألفا بعيالاتهم كان عملاً منظماً يستر وراءه الكثير من الأهداف البعيدة سواء في ذلك تأمين ماكان من فتوح أو أقلمة هذه القبائل حتى تستطيع أن تنفذ الى الفتوح الأخرى ، أو نثر بذور التعريب أو الاسلام أو كل ذلك جميعاً •

وعندما مات زياد واستعمل معاوية عبيد الله بن زياد على خراسان قطع عبيد الله النهر في أربعة وعشرين ألفاً ، وقد وفق عبيد الله بن زياد أن يدخل بخارى وأن تصالحه خاتون ، وعندما عاد الى البصرة قدم معه خلق من أهل بخارى كلهم جيد الرمي بالنشاب ففرض لهم[2] ، مما يدل على أن الاسلام قد بدأ ينتشر في تلك المنطقة ، الا أن فتوحات ماوراء النهر كما رأينا مدينة بكثير من سعتها وامتدادها لقتيبة بن مسلم الباهلي الذي استطاع بمساندة الحجاج له وفي استثارته لهمم العرب في خراسان وتوحيد صفوفهم وحثهم على الجهاد[3] وفي براعته السياسية التي تجلّت في استثماره للخلاف بين أمراء تلك المنطقة[4] أن يستعيد طخارستان الدنيا (٨٣ — ٨٤ هـ) وأن يفتح بخارى ويثبت السيادة العربية في حوض جيحون ومدها الى الصغد (٩٠ — ٩٣ هـ) ثم قيامه بين سنة ٩٤ — ٩٦ هـ بحملات في ولايات سيحون[5] •

وقد كان أبرز مافي فتوح قتيبة فتح بخارى وسمرقند وتثبيت الاسلام فيها واتجاهه في بعض الروايات الى أن يقارب حدود الصين[6] •

يذكر البلاذري أن قتيبة أخرج الأصنام من بيوت الأصنام والنيران في سمرقند ، فأخذت حليها ثم أحرقت « وكانت الأعاجم تقول : ان من يهتك حرمتها

---

(١) المصدر السابق ، ص ٤٠٠ •

(٢) البلاذري ، فتوح ، ص ٤٠١ ، الطبري ، ج٥ ، ص ٢٩٨ •

(٣) الطبري ، ج٦ ، ص ٤٢٤ •

(٤) Gibb, H. A. R. The Arab Conquest in Central Asia, London, 1923, p. 31 .

(٥) Barthold, Turkestan, p.p. 184, 185

(٦) الطبري ، ج٦ ، ص ٥٠١ ، ٥٠٢ •

يهلك فلما أحرقها قتيبة بيده ، ولم ينله أذى أسلم منهم خلق كثير »[1] .

ويذكر النرشخي أن أهل بخارى كانوا يسلمون ثم يرتدون حين يعـود العرب . وكان قتيبة قد حملهم على الاسلام ثلاث مرات ثم عادوا فارتدوا وكفروا فلما استولى قتيبة على المدينة للمرة الرابعة « أظهر الاسلام وغرسه في قلوبهم وشدد عليهم بكافة الطرق » ورأى قتيبة أن أفضل وسيلة لنشر الاسلام بين سكان بخارى هو أن يسكن العرب في بيوتهم ومن ثم فقد أمر أهل بخارى أن يعطوا نصف بيوتهم للعـرب ليقيموا معهم ويطلعـوا على أحوالهم فيظلوا مسلمين بالضرورة[2] . وبهذه الطريقة انتشر الاسلام بين سكان بخارى « وألزمهم قتيبة بأحكام الشريعة وبنى المساجد وأزال آثار الكفر ورسم المجوسية ، وكان يبذل في ذلك جهداً عظيماً ويعاقب كل من يقصر في أحكام الشريعة وبنى المسجد الجامع وأمر الناس بأداء صلاة الجمعة »[3] .

وباستقرار العـرب في بخارى وسمرقند وخوارزم[4] استطاع قتيبة أن يوجهها لتكون مراكز للثقافة العربية ومنابت لغرس الاسلام في آسيا الوسطى كما كانت مرو ونيسابور في خراسان[5] .

وبدأ الاسلام ينتشر بعد ذلك بسرعة في منطقة ماوراء النهر وخاصة في بخارى وسمرقند[6] وفي ولاية أشرس بن عبد الله على خراسان سنة ١٠٩ هـ . أرسل اشرس أبا الصيداء صالح بن طريف مولى بني ضبة الى ماوراء النهر يدعو أهلها الى الاسلام ، وكان أبو الصيداء رجلاً له ورع وفضل ولكنه ليس ماهراً

---

(١) البلاذري ، فتوح ، ص ٤١١ ، ياقوت ، ج٣ ، ص ٢٣٨ ، وسمرقند عاصمة الصغد .

(٢) النرشخي ، تاريخ بخاري ، تحقيق أمين عبد المجيد بدوي ، دار المعارف بمصر ، القاهـرة ١٩٦٥ ، ص ٧٣ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٧٣ ، ٧٤ .

(٤) بخارى ، من اعظم مدن ماوراء النهر وبينها وبين سمرقند سبعة أيام ، ياقوت ، ج١ ، ص٣٥٣. أما خوارزم ليس اسما للمدينة انما هو اسم للناحية بجملتها ، ياقوت ، ج٢ ، ص ٣٩٥ .

(٥) فيليب حتي ، تاريخ العرب مطول ، ج٢ ، ص ٢٧٥ .

(٦) النرشخي ، ص ٧٥ . الاصطخري ، ص ٢٩١ .

بالفارسية ، فضم إليه أشرس الربيع بن عمران التميمي ، فخرجا شريطة أن لا تؤخذ الجزية من الذين يسلمون[1] ، وقد سارع الناس الى دخول الاسلام وبنوا المساجد ولكن الدهاقين ساءهم الأمر وبينوا للأشرس « أن الناس قد أصبحوا كلهم عرباً فممن يأخذون الخراج[2] » وبالرغم من أن أشرس نكث بوعده وكتب الى العمال أن يأخذوا الخراج من الذين كانوا يأخذونه منهم ، فان هذا العمل لم يرافقه ارتداد سكان المنطقة عن الاسلام .

ويشير بارتولد أن الذي ساعد على انتشار الاسلام بسرعة في مناطق ما وراء النهر هو أن التقاليد الدينية فيما وراء النهر لم تكن من العمق والتأصل بالقدر الذي كانت عليه في صميم الامبراطورية الساسانية ، إذ لم يكن فيها دين دولة بالمفهوم الدقيق لهذه الكلمة بالرغم من أن ديانة الطبقة الحاكمة هنا كما في فارس كانت الديانة الزردشتية Zoroastrism ، ولكن اتباع الطوائف التي كانت مضطهدة في ايران كانت تجد الملجأ لنفسها في منطقة ما وراء النهر ، ولذلك فانه عندما امتد الفتح العربي الى هذه المنطقة لم يكن هناك من مقاومة من الناحية الدينية[3] .

وفي ولاية الحجاج بن يوسف الثقفي استطاع محمد بن القاسم الثقفي أن يستولي على الديبل وأن يختط للمسلمين مسجداً وأن ينزلها أربعة آلاف ، وبعد مقتل الملك داهر غلب محمد بن القاسم على بلاد السند ، واستطاع بحسن سياسته وقدرته على تدبير أمور الحكم أن يتألف قلوب أهلها الذين بكوا عليه عندما حمل مقيداً الى العراق وحبس في واسط في خلافة سليمان بن عبد الملك[4] .

وكان من الطبيعي بعد ما جرى لهذا الفاتح أن تحين الفرصة لمن يريد

(١) الطبري ، ج٧ ، ص ٥٤ .
(٢) المصدر السابق ، ج٧ ، ص ٥٥ .
(٣) Barthold, p. 181.
(٤) البلاذري ، فتوح ، ص ٤٢٨ .

استرداد ملكه أو الرجوع عن الاسلام ، لذلك ثارت القلاقل في البلاد المفتوحة مما اضطر والي السند الى خوض الحرب من جديد لاسترداد مافتحه محمد بن القاسم من قبل ، فلما كانت خلافة عمر بن عبد العزيز كتب الى الملوك يدعوهم الى الاسلام على أن يملكهم ولهم ماللمسلمين وعليهم ماعليهم ، وقد كانت بلغتهم سيرته ، ومذهبه ، فأسلم عدد منهم وتسموا بأسماء عرب[١] .

وبالرغم من أن المسلمين أخرجوا من الهند في ولاية تميم بن زيد العتبي في خلافة هشام بن عبد الملك فان فضل غرس الاسلام في تلك المنطقة يعود الى هذه الفترة من تاريخنا .

هذا فيما يتعلق بالمناطق التي امتد الفتح الاسلامي اليها في العهد الأموي ، أمـا في الاقاليم الأخرى التي كان الاسلام قد بدأ بالانتشار فيهـا في خلافة الراشدين ، فقد حذا الخلفاء وولاتهم حذو الخلفاء الراشدين في إسناد المناصب الى أفاضل الصحابة والى الفقهاء من الصحابة والتابعين حتى يستطيع هؤلاء توجيه الناس وتعليمهم ، فقد كان أبو الدرداء أنصارياً من أفضل الصحابـة وأفقههم ، وقد ولي القضاء بدمشق ، وكان مقرىء أهل دمشق وعالمهم يهابـه معاوية ويتأدب معه[٢] .

وعندما حضرته الوفاة أخذ معاوية رأيه فيمن يولي القضاء من بعده ، فأشار عليه بفضالة بن عبيد وهو من الأنصار شهد أحُداً والخندق والمشاهد كلها مع الرسول ، فلما مات أرسل الى فضالة فولاه وبقي قاضياً حتى توفي في خلافـة معاوية بن أبي سفيان[٣] ، كما أبقى معاوية زيد بن ثابت الـذي كان مترئساً

---

(١) المصدر السابق ، ص ٤٢٩ .

(٢) كتاب الثغر البسام في ذكر من ولي قضاء الشام ، شمس الدين طولون ، صورة قديمة من قضاة دمشق في العهد الاموي منشورة في مجلة نقابة المحامين بدمشق ١٩٦٧ ، ص ٣٢٠ .

(٣) ابن سعد : ج٧ ، قسم ٢ ، ص ١١٧ ، ١٢٤ .

بالمدينة في القضاء والفتوى والقراءة والفرائض في عهد عمر وعثمان وعلي حتى وفاته سنة ٤٥ هـ[١] .

وكان زياد بن أبي سفيان يعتمد على الصحابة وعلى الطبقة الأولى من التابعين في ملء كثير من المناصب الادارية ، فقد كان ممثله في البصرة سمرة بن جندب من الصحابة[٢] ، وكذلك عمرو بن حريث الذي كان زياد يستخلفه على الكوفة عندما يخرج الى البصرة[٣] ، والحكم بن عمرو[٤] والي زياد على خراسان ، أما الربيع بن زياد فقد كان من الطبقة الأولى من التابعين وقد ولي خراسان كذلك لزياد بن أبي سفيان[٥] .

أسند زياد القضاء الى شريح[٦] وهو من الطبقة الأولى من التابعين ممن روى عن عمر بن الخطاب[٧] ، وكذلك كان الحجاج يجتهد في تولية القضاء أفقه الناس وأتقاهم وكاد أن يختار لهذا المنصب عبد الرحمن بن أبي ليلى أحد القراء المشهورين إلا أن صاحب شرطته أبا العوام بن حوشب صرفه عنه لموالاته السابقة لعلي بن أبي طالب وتأثره به في القضاء[٨] ، فعين شريح بن الحارث الكندي قاضي الكوفة المشهور بالعدل ، وظل في هذا المنصب فترة طويلة رغم تقدمه في السن ، ولما طلب من الحجاج أن يعفيه من هذه المهمة لكبر سنه رفض أن يعفيه حتى يدله على رجل ، فقال شريح : عليك بالعفيف الشريف أبي برده بن أبي موسى الأشعري[٩] فأحضره وولاه وجعل سعيد بن جبير كاتباً له ومساعداً[١٠] ، ويعود

(١) أحمد أمين ، فجر الاسلام ، الطبعة العاشرة ١٩٦٩ ، ص ١٧٥ .
(٢) ابن سعد ، ج٧ ، قسم ١ ، ص ٣٣ .
(٣) المصدر السابق ، ج٦ ، ص ١٤ .
(٤) ابن حجر العسقلاني ، تهذيب التهذيب ، حيدر أباد ١٣٢٥ ، ج٢ ص ٤٣٦ .
(٥) ابن سعد ، ج٦ ، ص ١١٠ . الطبري ، ج٥ ، ص ٢٨٦ .
(٦) خليفة بن خياط ، ج١ ، ص ٢٧٥ .
(٧) ابن سعد ، ج٦ ، ص ٩٠ .
(٨) المصدر السابق ، ج٦ ، ص ٧٦ .
(٩) ابن قتيبة ، عيون الاخبار ، المجلدة الاولى ، ج١ ، ص ٦٢ .
(١٠) المصدر السابق ، ج١ ، ص ٦٢ .

للحجاج فضل وضع الحركات والأعجام في المصاحف لئلا يلتبس شيء من الآيات مع من لا يعلم القرآن[١] . وكان قبيصة بن ذؤيب وهو من الطبقة الأولى من التابعين[٢] آثر الناس عند عبد الملك بن مروان وكان على خاتمه كما كان البريد اليه ، كما ولّى عبد الملك أبّان بن عثمان على المدينة وكان راوية ثقة من الطبقة الأولى من التابعين[٣] وكان الحسن البصري عالماً فقيهاً ثقة[٤] ، فكان يوكل اليه القضاء[٥] ، وكانت له الفتوى مع جابر بن زيد الأزدي الذي كان عالماً فقيهاً ، وعن ابن عباس أنه قال : لو نزل أهل البصرة عند قول جابر بن زيد لأوسعهم عمّا في كتاب الله علما[٦] .

وكان الخليفة الوليد بن عبد الملك أعظمهم نفقة في سبيل الله بنى مسجد دمشق ، ومسجد المدينة ووضع المنابر ، وكان الوليد يحتم على الناس جميعا أن يقرأوا القرآن ويعرفوه ، وكان يجعل ذلك شرطاً في قضاء حوائجهم ، ومن أمثلة ذلك أن رجلاً من بني مخزوم شكا ديناً لزمه فقال : نقضه عنك إن كنت لذلك مستحقاً ، فقال : يا أمير المؤمنين وكيف لا أكون مستحقاً في منزلتي وقرابتي ؟ قال : قرأت القرآن ؟ قال : لا ، قال : ادن مني ، فدنا منه فنزع العمامة عن رأسه بقضيب في يده ثم قرعه قرعة وقال لرجل من جلسائه : ضم إليك هـذا العلج ولا تفارقه حتى يقرأ القرآن[٧] ، وكان الوليد كذلك يرزق الفقهاء والقرّاء[٨] .

وقد اعتمد سليمان بن عبد الملك على رجاء بن حيوة الذي استطاع إقناعه

---

(١) كرد علي ، محاضرات المجمع العلمي ، ج٢ ، سنة ١٩٥٤ ، ص ٣٢٠ . ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج١ ، ص ١٢٥ .
(٢) ابن سعد ، ج٥ ، ص ١٣١ .
(٣) ابن سعد ، ج٥ ، ص ١١٢ . وكيع ، ص ١٣٠ .
(٤) المصدر السابق ، ج٧ ، قسم ١ ، ص ١١٥ .
(٥) المصدر السابق ، ج٧ ، قسم ١ ، ص ١٣١ .
(٦) المصدر السابق ، ج٧ ، قسم ١ ، ص ١٣١ .
(٧) ابن عبد ربه ، ج٤ ، ص ٤٢٤ .
(٨) السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص ١٤٣ .

بجعل الخلافة في عمر بن عبد العزيز وكان ثقة عالماً فاضلا[1] ، واستقضى يزيد بن عبد الملك ابن شهاب الزهري القرشي الذي كان من أعلم أهل المدينة وأورعهم وقد حفظ فقه علماء المدينة وحديثهم وكان من أسبق العلماء الى تدوين العلم[2] .

أما الخليفة عمر بن عبد العزيز فقد كانت سياسته سياسة اسلامية تنحو الى نشر الاسلام وادخال رعيته كلهم في رحابه ، وقد كان لرسالته التي أرسلها الى عمّاله جميعاً بأن « لا يولوا أمور المسلمين أحداً من أهل ذمتهم وخراجهم » وأمره برفع الجزية عمن أسلم تأثير كبير في دفع الكثيرين منهم الى الدخول في الاسلام[3] .

شجع الأمويون القبائل العربية على الاستيطان في الأقاليم المختلفة التي كانت نسبة العرب فيها قليلة ، فقد رأينا كيف حمل زياد خمسين ألف أسرة على أن تهاجر من البصرة والكوفة وتقيم في خراسان ، كما أسكن قتيبة العرب في سمرقند فرفضوا العودة عندما أمر عمر بن عبد العزيز باقفال من وراء النهر من العرب[4] ، وفي عهد عبيد الله بن الحبحاب مولى سلول وجد هـذا أن عرب الشمال أقلية بمصر فكتب الى هشام بن عبد الملك : إن أمير المؤمنين أطال الله بقاءه قد شرّف هذا الحي من قيس ونعشهم ورفع من ذكرهم ، واني قدمت مصر فلم أر لهم فيها حظاً الا أبياتاً من فهم وفيها كور ليس فيها أحد وليس يضر بأهلها نزولهم معهم ولا يكسر ذلك خراجاً وهي بلبيس[5] فان رأى أمير المؤمنين أن ينزلها هذا الحي من قيس فليفعل ، فكتب اليه هشام : أنت وذلك ، فبعث الى

---

(١) ابن سعد ، ج٦ ، قسم ٢ ، ص ١٦١ .
(٢) أحمد أمين ص ١٧٦ .
(٣) ماهر حماده ، ص ٤٢٧ ــ ٤٣٠ .
(٤) الطبري ، ج٦ ، ص ٥٦٨ .
(٥) مدينة بينها وبين الفسطاط عشرة فراسخ على طريق مصر ، الفرسخ ثلاثة أميال ، ياقوت ، ج١ ، ص ٤٧٨ .

البادية فقدم عليه مائة أهل بيت من بني نصر ومائة أهل بيت من بني عامر ومائة أهل بيت من أبناء هوازن ، ومائة أهل بيت من بني سليم ، فأنزلهم بلبيس وأمرهم بالزرع ، ونظر الى الصدقة من العشور فصرفها اليهم فاشتروا إبلاً ، فكانوا يحملون الطعام الى القلزم ، وكان الرجل يصيب في الشهر العشرة دنانير ، وأكثر وأقل ، ثم أمرهم باشتراء الخيول ، فجعل الرجل يشتري المهر فلا يمكث إلا شهراً حتى يركب ، وليس عليهم مؤونة في أعلاف إبلهم ولا خيلهم لجودة مرعاهم ، فلما بلغ ذلك عامة قومهم ، تحمل اليه خمسمائة أهل بيت من البادية فكانوا على مثل ذلك ، فأقاموا سنة فأتاهم نحو من خمسمائة من أهل بيت فمات هشام وببلبيس ألف وخمسمائة أهل بيت من قيس[1] ، حتى اذا كان زمن مروان بن محمد ، وولّى الحوثرة بن سهيل الباهلي مصر ، مالت اليه قيس ، فمات مروان وبها ثلاثة آلاف أهل بيت ، ثم توالدوا وقدم عليهم من البادية من قدم[2] .

وقد ساعد وجود العرب في القرى واشتغالهم بالزراعة على الاختلاط بالأهالي ، وكان لهذا الاختلاط أثره في انتشار الاسلام بمصر نتيجة للتزاوج أو للموالاة بينهم وبين الأهالي ، ولذلك يقول المقريزي : « ولم ينتشر الاسلام في قرى مصر الا بعد المائة من تاريخ الهجرة عندما انزل عبيد الله بن الحبحاب قيسا بالحوف الشرقي ، فلما كان بالمائة الثانية من سني الهجرة كثر انتشار المسلمين بقرى مصر ونواحيها[3] .

ويذكر لين بول أن الذي دعا عبيد الله بن الحبحاب الى احضار قيس الى مصر هو ما رآه من عدم انتشار الاسلام بين الأقباط[4] .

---

(١) الكندي ، ص ٧٦ ، ٧٧ . المقريزي ، الخطط ، عن طبعة بولاق سنة ١٢٧٠ هـ ج١ ، ص ١٤٦ ، ١٤٧ .

(٢) المقريزي ، الخطط ، ج١ ، ص ١٤٧ .

(٣) المقريزي ، البيان والاعراب عما بارض مصر من الاعراب ، القاهرة ، سنة ١٣٥٦ هـ ، ص ٥٠ – ٥١ .

(٤) Lane Pool, A. History of Egypt in the Middle Ages, London, 1925, p. 28.

٣ ـ نشر اللغة العربية

مامن شك في أن انتشار الاسلام كان يساعد على انتشار العربية ، لانه كان يسبقها ويمهد لها ، وقد تتالت خطوات الاسلام والتعريب في كل مراحل الحياة الاسلامية في مختلف الأقطار ، والذين يدينون بالاسلام كانوا مضطرين الى أن يتصلوا باللغة العربية بشكل أو بآخر ، بحكم أن القرآن كان عربياً ، ومع ذلك فان انتشار الاسلام واللغة العربية لم يسيرا في خطين متوازيين ، فقد كان انتشار اللغة العربية في بعض المناطق أبطأ من انتشار الاسلام كما سنلاحظ في بعض الولايات الشرقية في فارس وأصبهان ، وفي مصر كذلك ، اذ أن الحكم العربي كان سبباً في إنعاش اللغة القبطية في أول الأمر بعد أن كانت اللغة اليونانية حتى الفتح العربي هي اللغة الرسمية للحكومة والكنيسة وللتعليم والتجارة وللعلاقات الخارجية[1] .

ومن المؤكد أن انتشار العربية كان عسيراً بعض الشيء فليس بينها وبين اللغة اليونانية التي كانت تسود الادارة والحكم والطبقات المثقفة صلة ما ، ولا يختلف شأن القبطية في ذلك عن شأن اليونانية ، ومع ذلك فان الجو في مصر لم يكن غريباً عن هذه اللغة الجديدة غرابة كاملة ، فقد كان التجار العرب كثيراً مايفدون الى مصر ، فكان عمرو بن العاص مثلاً قد دخل مصر في الجاهلية وعرف طرقها ورأى كثرة مافيها[2] ، كما كانت هناك قبائل عربية ضاربة في الجانب الشرقي من مصر[3] ، وتكشف أوراق البردي عن رسائل كتبها الولاة تعود الى السنوات الأولى من الفتح « جمادى الاولى سنة ٢٢ هـ » وقد كتب بعضها بالعربية وبعضها بالعربية واليونانية[4] ، ولا شك أن هذه الرسائل البردية عظيمة الدلالة على الطريق الذي شقته العربية الى الدواوين والى ألسنة الموظفين وأقلامهم ؛ أما في الشام فقد كان انتشار اللغة أسرع من انتشار الدين إذ أن قسماً

---

(١) سيدة كاشف ، مصر في فجر الاسلام ، ص ٢٣٠ .

(٢) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ . الكندي ، ص ٧

(٣) شكري فيصل ، المجتمعات الاسلامية ، ص ١٥٨ .

(٤) المصدر السابق ، ص ١٥٩ .

كبيراً من سكان سوريا قد بقوا على مسيحيتهم الى القرن التاسع الميلادي[1] وان اللغة العربية التي جاء العرب المسلمون يحملونها ويتكلمون بها لم يكن لها من وقع أو معنى غريب ، فقد كانت واضحة في مسامع العرب يعونها ويتجاوبون معها لانها كانت لغتهم وان كان قد طرأ عليها بعض التغيير بسبب بعدها عن الوطن ومجاورتها للأعاجم ، كما أن اللغة العربية لم تكن نابية في مسامع الآراميين الذين كثيراً ما استمعوا اليها من قبل في مناطق الجزيرة حين « كانت تطفو عليهم أو تتصل بهم طبقات مهاجرة من العرب[2] » ، وكانت اللغتان عضوين في أسرة واحدة[3] لم يبعد الزمن في التفريق بينهما ، ولم يكن هناك الا الروم وحدهم لا يتمثلون هذه اللغة وكانوا بالقياس الى العرب والآراميين قلة حاكمة ، وكان المسلمون في شروط الصلح قد نفوهم عن البلاد وآمنوهم على الخروج وسمحوا لمن شاء أن يبقى منهم ، ولذلك لم يكن في هذا الاتصال اللغوي الذي نشأ عن التقاء المسلمين بالسكان الأصليين في بلاد الشام عنصر غريب متنافر ، وكان من الطبيعي أن ينتهي الصراع بين اللغتين العربية والآرامية بتغلب العربية ، فقد كانت لغة الدين ولغة الدولة معاً ، وكانت لغة فريق كبير من السكان وكان يلجأ اليها الذين يسلمون والذين يتعربون .

ولم يختلف الأمر في العراق العربي لكثرة القبائل العربية التي كانت مقيمة فيما بين النهرين في الجنوب وفي الجزيرة العليا في الشمال ، وكان قيام دولة عربية كدولة المناذرة في الحيرة ، وما حولها تمكيناً لمظاهر الحياة العربية من أن يأتي عليها الفرس ، ولم تكن دولة المناذرة في عزلة عن الجزيرة العربية ، وكان يفد على الملوك هنا ، كما كان يفد على ملوك غسان في الشام ، الشعراء وكان ينزل بهم

(١) محمود كامل ، الدولة العربية الكبرى ، ص ١٩ نقلا عن
A Short History of the Middle East, George E. Kirk.

(٢) شكري فيصل ، المجتمعات الاسلامية ، ص ٦٨ ـ ٦٩ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٦٩ .

التجار ، وكانت تصل بينهم روابط الدم وكانت تقوم كذلك الحروب والغارات وتعقد العهود والأحلاف[1] ، ولذلك فان المسلمين لم يجدوا عناءً وجهـداً في نشر اللغة العربية في العراق ، وانما كان الجهد والعناء في المناطق التي يكثر فيها الأعاجم أو يسودون ، هنالك لم يكن للغة العربية مكان فقد كانت البهلوية لغة سكان إيران في القرن السابع[2] واللغة الفارسية من الأسرة اللغوية الهنديـة الأوربية ، واللغة العربية من الأسرة اللغوية السامية[3] ، فالمدى بين اللغتين عميق متسع ، ولذلك كانت مهمة اللغة العربية في انتشارها قاسية صعبة ، وكان عملها كفاحاً قوياً لا للاسباب التي ذكرت فقط ، وانما لأن اللغة الفارسية كانت فوق ذلك لغة هؤلاء الناس الذين عانوا الادارة وتمرسوا فيها وكان لهم سلطان وملك وحضارة ، فكيف يمكن للغة العربية وهي بعد حديثة العهد في هذه المناطق أن تتسرب وتنتشر بسرعة ، ومع ذلك فان الدين الاسلامي وهو دين عربي اللغـة اقتضى من أتباعه أن يتعرفوا الى هذه اللغة تعرفاً عميقاً أو تعرفاً قريباً ولكنه على كل حال مؤالفة للغة واطمئنان اليها وتمهيد لها ، يذكر ابن رسته أن أول من كتب بالعربية في ديوان أصبهان : سعد بن إياس كاتب عاصم بن يونس عامل أبي مسلم صاحب الدولة وهو أول من أخذ الناس بتعلم القرآن من أهل أصبهان ، ويقال أنه استقرأ المسلمين بها فلم يجد الا ثمانين رجلاً فلم يكن فيهم من يحفظ القرآن الا ثلاثة[4] . وهذا دليل على أنه بالرغم من انتشار الاسلام فانه لم يرافقه انتشار مواز له في معرفة اللغة العربية واتقانها بشكل يساعد على قراءة القرآن وحفظه .

ويعود للأمويين ولعبد الملك وولاته خاصة فضل جعل اللغة العربية اللغة السائدة في الأقطار جميعها ، ففي سنة ٨١ هـ أمر عبد الملك بنقل ديوان الشام

---

(١) المصدر السابق ، ص ١٠٧ .

(٢) Muir, Annals of the Early Caliphate, London, 1833, pp. 229, 230 .

(٣) شكري فيصل ، ص ١٠٨ .

(٤) ابن رسته ، ص ١٩٦ .

الى العربية وكان قبل ذلك بالرومية ، وقد قام بهذا العمل سليمان بن سعد فكافأه عبد الملك بخراج الأردن سنة[1] • وقد أجبرت عملية التعريب هذه كل من يرغب في العمل في دواوين الدولة أن يتعلم اللغة العربية ويتقنها ، وبالرغم من أن سرجون خرج من عند عبد الملك كئيبا وطلب من الكتاب الروم أن يطلبوا المعيشة من غير هذه الصناعة لأن الله قطعها عنهم[2] ، الا أن ابنه خلفه في عمله ، كما استمر استعمال النصارى الذين يتقنون اللغة العربية ، وقلما خلا منهم ديوان من دواوين الدولة[3] •

وفي العراق أشرف الحجاج بن يوسف الثقفي على تحويل ديوان خراج السواد وسائر العراق من الفارسية الى العربية وقلّد ذلك صالح بن عبد الرحمن مولى بني تميم وكان كاتباً عند زادان فروخ بن بيري[4] • وبالرغم من أن مردانشاه بن فروخ بذل له مائة ألف درهم على أن يظهر العجز عن نقل الديوان ويمسك عن ذلك فانه أبى ونقله ، فكان عبد الحميد بن يحيى كاتب مروان بن محمد يقول : « لله در صالح ما أعظم منته على الكتاب »[5] • وكان من نتيجة ذلك أن اضطر الفرس وهم كثرة في العراق والموالي من الفرس الى تعلم اللغة العربية لدينهم ودنياهم ، فكانوا مضطربين الى نوع من العلم ليسهل لهم طريق التعلم ، فمست الحاجة الى وضع علم النحو[6] وكان طبيعياً أن ينشأ ذلك في العراق ، لا في الحجاز ولا في الشام لان الحجاز لم يكن في حاجة إلى قواعد يقيم بها لسانه ولأن موالي العراق أكثر عدداً من الموالي في الشام حيث تشكل القبائل العربية غالبية السكان ، ثم لأن الآداب السريانية كانت في العراق قبل

(١) البلاذري ، فتوح ، ص ١٩٧ •

(٢) المصدر السابق ، ص ١٩٧ •

(٣) Tritton, The Caliphs and their Non-Muslim Subjects Oxford, University press, 1930, p. 18 .

(٤) البلاذري ، فتوح ، ص ٢٩٨ •

(٥) المصدر السابق ، ص ٢٩٨ •

(٦) احمد امين ، ص ١٨٣ •

الاسلام ، وكان لها قواعد نحوية ، فكان من السهل أن توضع قواعد عربية على نمط القواعد السريانية خصوصاً واللغتان من أصل سامي واحد ، ولذلك كان السابقون الى وضع النحو هم البصريين أولاً ثم الكوفيين ، وفاق البصريون لقربهم من بادية العرب وبعد الكوفيين عن البادية الفصيحة[1] .

وقد حققت العربية كذلك في مصر وثبة واسعة ، عندما عربت الدواوين في خلافة الوليد بن عبد الملك وولاية أخيه عبد الله بن عبد الملك على مصر الذي صرف أشناس عن الديوان وجعل عليه ابن يربوع الفزاري من أهل حمص[2] ، وكان من نتيجة ذلك أن اضطر الأقباط الذين كانت تستخدمهم الحكومة العربية الى تعلم تلك اللغة منذ أن أصبحت لغــة الدواوين الرسمية سنة ٨٧ هـ[3] ، ويذهب رينودو Renaudot الى أنه بعد فتح العرب لمصر بنحو قرن تلاشت اللغة القبطية نهائياً في معظم القطر المصري ، ولم تعد تعرف الا بين العلماء الذين كانوا يدرسون تلك اللغة دراسة خاصة[4] .

ولكن هذا الرأي يمكن استبعاده إذا ما عرفنا أنه في عهد المأمون الــذي أصبح فيه الشعب المصري يدين معظم أفراده بالاسلام كانت اللغة القبطية لاتزال لغة التخاطب بين المصريين ، ويدلنا على ذلك ماذكره المقريزي في كلامه عن زيارة المأمون الخليفة العباسي لمصر إذ يقول : « وكان لا يمشي أبداً الا والتراجمة بين يديه من كل جنس »[5] . ويمكننا أن نوافق مع آدم متز بأن القبط لم يبدأوا في ترك لغتهم القبطية الا حوالي القرن الرابع الهجري[6] لاسيما وأننا نرى أن

---

(١) المصدر السابق ، ص ١٨٣ .

(٢) الكندي ، ص ٥٨ .

(٣) الكندي ، ص ٥٨ .

(٤) Quatremere, Recherches Citique et Historique Sur La Langue et La Litterature de L'Egypte, Paris, 1808. p. 309.

(٥) المقريزي ، الخطط ج١ ، ص ١٤٩ .

(٦) ادم ميتز ، الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ، ترجمة محمد عبد الهادي ابو ريده ، القاهرة ١٩٤٠ ، ج١ ، ص ٨٩ .

البطرك الملكاني سعيد بن بطريق يكتب كتابه في التاريخ باللغة العربية ، وذلك في القرن الرابع الهجري ، وكذلك نرى ساويرس ، آسقف الاشمونيين ، يؤرخ للبطاركة في أواخر القرن الرابع الهجري باللغة العربية ، مما يدل على أن اللغة العربية أصبحت لغة الكلام والتخاطب بين المصريين عامة ولم تعد اللغة القبطية تفهم بين عامة الشعب .

أما في المغرب فقد استطاعت العربية أن تنتشر بسرعة ، فاللغة اليونانية التي كانت اللغة الرسمية في ولاية إفريقية البيزنطية لم تعش طويلا على ألسنة الناس لأنها لم تستطع أن تجد في المغرب كما وجدت في مصر والشام ملجأ في الدواوين والادارات الحكومية ، ذلك أن المسلمين استصفوا إفريقية وغلبوا عليها في عهد عبد الملك وما بعده ، وكان عبد الملك هو الذي نقل الدواوين الى العربية ، ومن الواضح أن ذلك قد شمل إفريقية وأنه شملها ابتداء منذ أن استقر المسلمون فيها وكان لهم مع حسان نظام إداري وحياة حكومية منظمة[1] .

أما اللغة الوطنية الأصلية — لغة البربر — فقد طغت عليها بسرعة اللغة العربية لاسيما في السواحل والبسائط وعلى مقربة من المدن وفي طريق العرب الى الاندلس وفي منازل العرب المهاجرين[2] لان العربية هي لغة الاسلام والقرآن، ولقد رأينا أن الاسلام قد انتشر بسرعة في المغرب وقد أقبل البربر على العربية بمثل الحماسة التي أقبلوا بها على الدين الاسلامي ، ولذلك يمكن القول أن الاسباب التي ساعدت على انتشار الاسلام توشك أن تكون الاسباب التي ساعدت على انتشار اللغة العربية .

أما في خراسان فقد بقي ديوانها بالفارسية ، وكتابها من المجوس حتى كتب يوسف بن عمر والي العراق سنة ١٢٤ هـ الى عامله على خراسان ، نصر بن سيار،

---

(١) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ٢٠١ . المالكي ص ٣٦ . ابن عذارى ، ص ٢٩ ، ٣٠ . ابن خلدون ، ج٦ ، ص ١١٠ .

(٢) شكري فيصل ، ص ١٨٣ .

يأمره أن لا يستعين بأحد من أهل الشرك في أعماله وكتابته وأن ينقل الديوان الى العربية ، وكان أول من نقل الكتابة من الفارسية الى العربية هناك اسحاق بن طليق الكاتب رجل من بني نهشل كان مع نصر بن سيار[1] •

٤ ــ المساجد وأثرها

اذا لم يكن هناك مدارس في العصر الراشدي والاموي كالتي ظهرت في القرن الخامس الهجري فان المسلمين اتخذوا مساجدهم للصلاة والعبادة ، ومركزاً للادارة العامة والقضاء ومعهداً علمياً لتلقي القرآن والحديث[2] ، ولم يلبث أن تشعب عنهما علوم الدين وعلوم اللسان وما يتعلق بذلك من المطالب التي فيها خدمة دينهم أولاً ولغتهم ثانياً[3] •

واذا ما عرفنا أن الذين كانوا يقومون ببناء المساجد في العهد الراشدي والأموي هم الخلفاء والولاة[4] ، وأن الانفاق على هذه المساجد كان من بيت مال الدولة ، وأن الفقهاء والقراء كانوا يأخذون رواتبهم من بيت مال المسلمين[5] ، أمكننا القول إن الدولة كانت تسهم في الاشراف على التعليم وان لم يكن في ذلك الحين ديوان خاص بالتعليم ، ويقول حسين مولوي في كتابه الادارة العربية : استعمل المسجد دائماً مدرسة حيث احتلت دراسة القرآن المكان الأول وتلته دراسة الفقه وأرسل القراء المشهورون لارجاء مختلفة لتعليم القرآن ونال أولئك الفقهاء رواتب من الدولة ولم يقم بتدريس الفقه غير الأشخاص الذين كان يؤذن لهم بتدريسه[6] •

واهتم الخلفاء الراشدون ببناء المساجد ، فقد بني في عهد عمر بن الخطاب

---

(١) الجهشياري ، الوزراء والكتاب ، الطبعة الاولى ، القاهرة ، ص ٦٧ •

(٢) JOHS. Pederson, Masdjid, The Encycloaedia of Islam, Vol. III Leiden, 1936, pp. 315-390.

(٣) كرد علي ، خطط الشام ، ج٦ ، ص ٦٧ •

(٤) Ency. Isl. Vol. III pp. 368, 369.

(٥) الماوردي ، الاحكام السلطانية والولايات الدينية ، الطبعة الثالثة ، ١٩٧٣ ، ص ١٧٤ • ابو عبيد ، ص ٢٦٢ •

(٦) حسين مولوي ، ص ١٠٥ •

٤٠٠٠ مسجد في بلاد العرب وحدها[١] ، وكان المسلمون يحرصون على بنـاء مسجد جامع عند إنشائهم المدن لأنه مظهر من مظاهر سيادة الدين الاسلامي وآية استقرارهم في الأرض وغلبتهم عليها ، هذا مافعله عتبة بن غزوان عنـد إنشائه البصرة ، وسعد بن أبي وقاص عند تمصير الكوفة ، وعمرو بن العاص عند بنائه الفسطاط ، وعقبة بن نافع عند تأسيسه للقيروان ، والحجاج بن يوسف عند بنائه لواسط .

وعندما مصرت أذربيجان في خلافة علي بن أبي طالب بنى الأشعث بن قيس مسجدها[٢]، وكذلك بنى محمد بن القاسم بن ابي عقيل ابن عم الحجاج بن يوسف مسجد شيراز عند بنائه للمدينة[٣] . أما في المدن الآهلة الكبيرة فقـد استعان المسلمون ببعض أبنيتها القديمة وجعلوها مساجد ، ففي المدائن ، صلى سعد بن أبي وقاص في إيوان كسرى[٤] ، واستثنى ابو عبيدة الجراح ربع كنيسة يوحنا للمسجد في حمص[٥] ، وفي دمشق أعاد الوليد بناء كاتدرائية القديس يوحنـا وحولها الى مسجد[٦] .

اهتم الأمويون ببناء المساجد ، فمنذ أن كان معاوية والياً من قبل عثمان أخذ يبني المساجد في السواحل ويكبر ما ابتني منها قبل خلافته[٧] . كما بنى عبد الملك قبة الصخرة والمسجد الأقصى ورمم مسجد قيسارية ، وكانت الروم قد استغلت خروج عبد الله بن الزبير فهاجمت قيسارية وهدمت المسجد[٨] . وبنى سليمان بن عبد الملك مسجد الرملة[٩] ، ويذكر ابن الفقيـه أن زياد بن

(١) المصدر السابق ، ص ١٠٦ .
(٢) البلاذري ، فتوح ، ص ٣٢٤ .
(٣) الاصطخري ، ص ١٢٥ .
(٤) الطبري ، ج٤ ، ص ١٦ ، ٢٠ ، ٢١ .
(٥) البلاذري ، فتوح ، ص ١٣٧ .
(٦) المصدر السابق ، ص ١٣٢ .
(٧) المصدر السابق ، ص ١٣٥ .
(٨) المصدر السابق ، ص ١٤٨ .
(٩) المصدر السابق ، ص ١٤٩ .

أبيه بنى سبعة مساجد فلم ينسب اليه شيء منها[1] . وأن كل مسجد بالبصرة كانت رحبته مستديرة فانه من بناء زياد[2] . كما أن عدداً كبيراً من المساجد التي بنيت في الجناح الشرقي يعود الى العصر الأموي[3] في مرو وهراه ونيسابور وكرمان وأرجان ، وأشهر المساجد في الجناح الشرقي مسجد هراه ثم مسجد بلخ وسجستان « فان بهذه المساجد حلق الفقهاء والناس يتزاحمون على رسم الشام والثغور »[4] .

وحرص الولاة في المغرب على بناء المساجد في المدن والقرى وأقاموا فيها الفقهاء للصلاة والارشاد وللفتوى في مسائل الدين ، وعندما أرسل عمر بن عبد العزيز مع واليه اسماعيل بن عبيد الله عشرة من التابعين يمكننا أن نستنتج من تواريخهم أن معظمهم أقام بالقيروان[5] ، حيث ابتنوا المساجد ليعلموا فيها الاسلام ، ويبدو أن الأهلين كانوا يفدون الى هذه المساجد يستمعون الى هذه الدروس التي كانت تلقى بها ، ومن المساجد التي بنيت على يد هؤلاء التابعين المسجد الذي بناه عبد الله بن يزيد المعافري الافريقي ، وجامع الزيتونة بناه اسماعيل بن عبيد الله المعروف بتاجر الله[6] .

وقد لعبت المساجد دوراً كبيراً في النهضة العلمية ، ونعني بذلك علوم الدين ، فهذا عبد الله بن عباس يعلم بمكة في أخريات أيامه أثناء الخلاف بين عبد الملك بن مروان وعبد الله بن الزبير ، فكان يجلس في البيت الحرام ويعلم التفسير والحديث[7] .

وقد كان لكراهية أهل العراق للغناء والموسيقى وتحريم بعض الولاة للغناء

---

(١) ابن الفقيه ، ص ١٩١ .
(٢) المصدر السابق ، ص ١٩١ .
(٣) البلاذري ، فتوح ، ص ٣٨٤ . الاصطخري ، ص ٢٥٩ .
(٤) الاصطخري ، ص ٢٦٥ .
(٥) المالكي ، ص ٦٤ — ٧٦ .
(٦) الدباغ ، معالم الايمان في معرفة أهل القيروان ، تونس ١٣٢٢ هـ ، ج١ ، ص ١٣٨ ، ١٤٨ .
(٧) احمد امين ، فجر الاسلام ، ص ١٧٤ .

أثر في نشاط المجالس الأدبية في المساجد[1] . كذلك كانت المساجد بمثابة مدارس يقصدها طلاب العلم ، وكان الكميت الشاعر من أبرز معلمي العراق ، فكان يجلس في مسجد الكوفة لتعليم الصبيان[2] . ومن أشهر فقهاء العراق الحسن البصري الذي كان درسه مقصداً لكل طالب معرفة سواء أكان فقهاً أو أدباً أو حديثاً أو تفسيراً ، أما الشعبي فكان فقيهاً كبيراً راوية للتاريخ الاسلامي ، وكثيراً ما شهدت مساجد البصرة المجالس الأدبية التي كان يعقدها الشعبي والأحنف بن قيس ، وتدور فيها محاورات أدبية حول التفضيل بين البصرة والكوفة[3] .

وكان القصاص يتخذون من المساجد مكاناً لقص قصصهم ، فيجلس القاص بالمسجد ويلتف حوله الناس ، فيروي لهم القصص التي تمتزج فيها العبرة بالتسلية[4] ، ومن أشهر من قام بالقص في العراق الحسن البصري[5] ، وكان يجلس في آخر مسجد البصرة وحوله الناس يسألونه في الفقه وفي حوادث الفتن التي عاصرها إذ كان من رؤوس العلماء في الفتن[6] .

فالمساجد إذن كانت بمثابة مدارس يفد اليها الراغبون في العلم ويجتمعون حلقات حول استاذهم ، وتكبر الحلقة وتصغر تبعا لقدر الاستاذ ، ولكننا لا نسمع بتأسيس مدارس في العصر الاموي الا مانقل المقريزي عن الواقدي أن عبد الله ابن ام مكتوم قدم مهاجراً الى المدينة مع مصعب بن عمير ، وقيل قدم بعد بدر بقليل فنزل دار القراء ، ولم نعلم كثيراً عن دار القراء هذه وهل خصصت للمدارسة أو لا[7] ، وحكى السيد أمير علي في كتابه « مختصر تاريخ العرب » أن الحر بن

---

(١) ابو الفرج الاصبهاني ، الاغاني ، مطبعة التقدم ، ١٣٢٣ هـ طبعة ساسي ، ج٢ ، ص ١١٩ .
(٢) المصدر السابق ، ج١٤ ، ص ٨٥ .
(٣) المصدر السابق ، ج٥ ، ص ١٤٩ .
(٤) الجاحظ ، البيان والتبيين ، دار الفكر ، بيروت ، ج١ ، ص ٣٧٧ .
(٥) ابن سعد ، ج٧ ، قسم ١ ، ص ١٢١ .
(٦) المصدر السابق ، ج٧ ، قسم ١ ، ص ١١٨ .
(٧) أحمد أمين ، فجر الاسلام ، ص ١٦٥ .

يوسف بن الحكم عامل هشام بن عبد الملك على الموصل بنى مدرسة بالموصل ولكنه لم يذكر مستنداً[1] . والذي في تاريخ الموصل للازدي أن الحر بن يوسف بنى المنقوشة وأنها سميت المنقوشة لان الحر ابتناها فنقشها بألوان النقش والساج والفسيفساء فكانت قصر الامارة[2] . ويقول الاستاذ أحمد أمين : والذي نعرفه أن بعض المدارس التي كانت في الممالك قبل الفتح ظلت على حالها بعد الفتح كبعض مدارس السريانيين ، أما الأمويون فلا نعلم أنهم أنشأوا مدارس ولكن كانت الدراسة العلمية في المساجد والبيوت .

إذا لم تكن هناك مدارس في العصر الأموي فقد وجد مايسمى الكتاب ، ففي المغرب ترد كلمة « الكتاب » عند الدباغ في كتابه معالم الايمان إذ يورد هذه الرواية : « كان سفيان بن وهب صاحب رسول الله ﷺ يمر علينا ونحن غلمة بالقيروان فيسلم علينا في الكتاب وعليه عمامة قد أرخاها من خلف »[3] فاذا علمنا أن سفيان بن وهب دخل إفريقية سنة ٧٨ هـ[4] عرفنا أن الكتاتيب كانت قائمة قبل ذلك التاريخ في القيروان . كما يرد ذكر الكتاب في ترجمة خالد بن عبد الله المطرف بن عمير بن عثمان الذي كان من نبلاء قريش ووجوهها من أهل المدينة ، وفد على يزيد بن عبد الملك وجرت له معه قصة ، خطب اليه يزيد بن عبد الملك إحدى أخواته فترغب خالد في الصداق ، فغضب يزيد ، فأشخصه اليه ثم ردّه الى المدينة ، وأمر أن يختلف به الى الكتاب مع الصبيان يتعلم القرآن لأنه من الجاهلين ، فزعموا أنه مات كمداً[5] . فاذا كان الكتاب قد وجد في المغرب وفي المدينة فلا شك أن يكون منتشراً كذلك في أنحاء أخرى من الدولة الاسلامية .

---

(١) أحمد أمين ، ص ١٦٥ .

(٢) الازدي ، ص ٣٦ .

(٣) الدباغ ، ج١ ، ص ١٢٠ .

(٤) الزركلي ، الاعلام ، ج٣ ، ص ١٥٩ .

(٥) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، المجلد الخامس ، ص ٢٤١ ، آ ، ب . مخطوطة برقم ٣٣٧٠ نسخة سليمان باشا العظم .

ثانيا ــ جباية الاموال

بدخول الأقاليم المختلفة الفارسية والزومية ضمن نطاق الدولة الاسلامية ، انتهت الحروب شبه العالمية التي كانت تشنها الامبراطوريتان البيزنطية والفارسية، وكان من نتيجة ذلك أن استطاع الرعايا على اختلاف مذاهبهم أن يتجهوا الى الأعمال التي تكفل لهم المعيشة في طمأنينة ، أما الحروب التي حدثت فقد كانت إما حروباً بعيدة على الحدود واما حروباً محصورة محلياً في الداخل لا تشترك فيها الا جماعات سياسية معينة ، وليس القصد منها على كل حال التدمير والتخريب ، كما كان الحال في الحروب التي كانت تدور بين البيزنطيين والفارسيين ، فمنذ أوائل القرن السادس وبعد هدنة طال أمدها اشتعلت نيران الحرب من جديد بين الامبراطوريتين البيزنطية والفارسية بدأت عام ٥٠٢ م فلم تنته الا في عام ٥٩١ م ، ثم استؤنف القتال في مطالع القرن السابع ، فكانت هناك حروب أعنف وأوسع نطاقاً وأكثر إمعاناً في التدمير من تلك التي كانت في القرن السابق شنها كسرى الثاني أبرويز (٥٩٠ ــ ٦٢٠ م) على فوكاس (٦٠٣ ــ ٦٢٨ م) ثم على هرقل (٦١٠ ــ ٦٤١ م) دامت ربع قرن وهكذا عاشت الامبراطوريتان البيزنطية والفارسية في مدى قرن وثلث قبل ظهور الاسلام في حالة حرب شبه دائمة وكان ميدان هذه الحروب أقطار الشرق الأوسط(١) ، ومن الطبيعي أن ينعكس تأثير هذه الحروب على سكان البلاد الذين كان عليهم تحمل الدمار وعبء الضرائب الفادحة ، فلما امتدت الدولة الاسلامية وتوسعت لتشمل هذه الأقاليم في رحابها ساد نظام مالي يمكن القول إنه موحد مع وجود بعض الاختلافات البسيطة التي تقتضيها ظروف الاقاليم ، واذا قارنا بين الجزية والخراج اللذين فرضهما الاسلام وبين أنواع الضرائب والأعباء التي كانت مفروضة عليهم من قبل الدولتين السابقتين ، يتضح أن الاسلام ألغى أكثر الضرائب فلم يبق الا هذين النوعين لان الجزية والخراج كانا موجودين في

(١) Baynes, The Byzantine Empire, London, 1935., pp. 40-41.
Wells,, A Short History of The World, 1936, p. 157 .

الدولتين السابقتين ، فقد كانت المصادر الرئيسية لايراد الدولة الفارسية تتكون من الضريبتين العقارية والشخصية[١] ، الا أنه لما كانت جباية هاتين الضريبتين غير مضبوطة ومقاديرها متفاوتة ، كان ينتج عن ذلك غالباً أن تفاجيء الحرب الدولة فيعوزها المال فتضطر الى فرض ضرائب استثنائية كان عبؤها الفادح كما يقول كريستنسن يقع غالباً على الأقاليم الغربية الغنية وخاصة العراق[٢] ، ويضاف الى الضرائب المنظمة الهبات التي كانت تسمى (آيين) والتي كانت تقدم للملك جبرا في عيدي النيروز والمهرجان[٣] ، وغنائم الحروب التي كانت مورداً غير منتظم ولكنه مورد هائل في الواقع[٤] يضاف الى ذلك كله الضرائب والهبات التي كان يفرضها رجال الدين على الأفراد[٥] ، أما الضرائب التي كانت تفرضها الحكومة البيزنطية ، فقد كانت كثيرة متنوعة ولكن أهمها على الاطلاق ضريبة الارض (Land tax)إذ كانت القاعدة التي يقوم عليها النظام المالي البيزنطي كله ، ولذا كانت الدولة صارمة دقيقة فيما يتعلق باجراءاتها في كل مكان[٦] ، ثم كانت هناك ضرائب أخرى على الأرض ، فالى جانب هذه الضريبة العامة كانت هناك ضريبة (الانونا The Annona) التي كانت تطلق على حصص الغلال المخصصة لتموين رومة ثم القسطنطينية والاسكندرية[٧] ، كما كان يؤخذ أيضاً من مخازن القرى كميات من الغلال من أجل الاغراض الخيرية والصدقات[٨] ثم هناك ضريبة

---

(١) الدينوري ، ص ٧١ .

(٢) كريستنسن ، ص ١١١ ، ١١٢ . دانيل دينيت ، ص ٤٧ .

(٣) كريستنسن ، ص ١١٢ .

(٤) المصدر السابق ، ص ١١٣ .

(٥) المصدر السابق ، ص ١٠٤ .

(٦) Baynes, p. 99. p. 126 .

(٧) Johnson, Byzantine Egypt, Princeton, 1949, p. 234. pp. 218 — 219 .

(٨) Milne, A history of Egypt Under the Roman Rule, London, 1898, p. 120 .

تسمى (نوبيون Naubion) يستدل من الوثائق التي أوردها جونسون أنها كانت من أجل تطهير القنوات[١] .

ويتفق الجميع على وجود ضريبة رأس في بداية عهد الامبراطورية الرومانية وكانت كما يقول البيان (Ulpian) مفروضة على جميع الذكور من سن الرابعة والعشرين الى سن الخامسة والستين وعلى النساء كذلك[٢] ، ويزعم بجانيول Piganiol وثيبولت Thibault أن ضريبة الرأس « Tribitum Capitis » ألغيت في عهد قسطنطين ولكن فرديناند لوت[٣] يحاول أن يقدم الدليل على وجود ضريبة رأس عند الفتح العربي بالاستناد الى قوانين صدرت سنة ٢٩٠ م ، ٣٦٨ م ، ٣٧٠ م وقانون ٣٧٤ م ، ٣٧٥ م ؛ وهذه القوانين كانت ، في أوقات وجهات مختلفة ، تعفي من ضريبة الرأس دهماء المدن وغير المتزوجات من النساء والأطفال والمسنين والمرضى والضعفاء ، ويسوق « لوت » غير ذلك من الشواهد ليدلل على أن سكان المدن من أعضاء الارستقراطية الحاكمة في المدينة والتجار وأصحاب الحرف الذين كانوا يؤدون الضريبة التجارية ، وضريبة الحرف لم يكونوا يؤدون ضريبة الرأس ، ومن هذه الشواهد استخلص « لوت » أن ضريبة الرأس أصبحت بعد القرن الرابع وقفاً على الفلاح ، كما أصبحت علماً على طبقته في المجتمع[٤] ، ثم كانت هناك الضرائب التي تفرض على المنازل[٥] ، والماشية[٦] ، وعلى كل أنواع المهن بما في ذلك الباعة الجوالين والاسكافيين والعاهرات[٧] ، ثم الضرائب المفروضة على المبيعات[٨] ، والضرائب على النقل الداخلي والخارجي ؛ ففي مصر كانت تجبى الرسوم على البضائع والأشخاص

---

(١) Johnson, pp. 7,11

(٢) دانيل دينيت ، ص ٩٩ .

(٣) المصدر السابق ، ص ١٠٠ .

(٤) المصدر السابق ، ص ١٠٠ .

(٥) Milne, p. 121.

(٦) Ibid. p. 121.

(٧) Baynes, p. 127.

(٨) Milne, p. 124.

الواردين عن طريق الصحراء من جهة البحر الأحمر والواردين الى الفيوم من الصحراء الغربية ، وفي طريق النيل ، كما كان يوجد محطات خارج الاسكندرية لجباية العوائد على الداخلين اليها والخارجين منها ، كما كانت تجبى ضريبة على القرابين التي كانت تقدم إلى الكنائس[1] .

جاء الاسلام فألغى مختلف هذه الضرائب ، فلم يبق سوى الجزية والخراج ، أي أنه بسط نظام الضرائب وخفف الأعباء ، كما أنه ساوى بين الجميع في تحمل العبء فألغى الامتيازات التي كانت تتمتع بها طوائف خاصة كانت تعفى من دفع ضريبة الرأس أو غيرها ، كالطبقات الارستقراطية في سورية ومصر وكأهل البيوتات والعظماء والهرابذة والأساورة والكتاب ومن كان في خدمة الملك[2] .

وقبل الكلام عن أصناف الأموال التي كان الخلفاء والولاة يشرفون على جبايتها لا بد من الاشارة الى معنى الجزية والخراج ، فالمعروف أن الجزية هي الضريبة المفروضة على الرأس ، أما الخراج فضريبة الأرض ، ويبدو أن كلمة جزية كانت هي الأغلب أو الأكثر استعمالا في بدء عهد الاسلام كما تدل عليه كثرة ورودها في الاحاديث ، وفي مثل تعبير « أخذ أرضاً بجزيتها » ، فكأنها كانت تستعمل بالمعنيين أو دالة على ضريبة بصفة عامة ، ولكن بعد الفتوحات وفي خلافة عمر بالذات أخذ يتحدد لكل لفظ معناه ، وتختص كلمة خراج في الأكثر بما يرد من الأرض والجزية بما يدفعه الشخص ، وان كان ظل من الجائز أن يتبادل اللفظان ، لأن هذا من الوجهة اللغوية غير ممنوع ، ولا يزال يجوز حتى اليوم[3] مادام أن القرينة أو السياق تحدد لا محالة الحقيقة التي هي مقصودة ؛ ولما بعد عهد الفتوحات ، وأخذ عدد أهل الذمة يقل بالدخول في الاسلام ، أخذت كلمة خراج تنمو في الأهمية حتى صارت هي الأكثر شيوعاً ، لأن مدلولها صار

---

(١) Ibid. pp. 122 — 124.

(٢) الدينوري ، ص ٧٥ .

(٣) ضياء الدين الريس ، الخراج والنظم المالية ، ص ١٣٦ ، ١٣٧ .

عماد موارد الدولة ، فأصبحت تطلق أحياناً بمعنى شامل (الايراد العام للدولة) وان كان اختصاص الكلمة بمعناها الأضيق ، وهي الضريبة من الأرض ، ظل محتفظاً به في الكتب العلمية وكتب الفقه[1] .

الاموال التي كانت تجبى في العصر الاموي

كان لكل ولاية من ولايات الدولة الاسلامية إدارتها الخاصة بها منذ عهد الخلفاء الراشدين ، الا أن النظام الاداري اللامركزي للأمويين تطلب منح الأمراء على الولايات سلطاناً واسعاً ، ليس في شؤون الادارة فحسب بل وفي شؤون المال أيضاً ، وقد حاول الأمويون في بعض الأحيان فصل الشؤون الادارية عن الشؤون المالية بغية دعم سلطانهم على الولايات ، الا أن تحول بعض الولايات الى قواعد للفتح اقتضى ضم شؤون المال في الولاية الى الأمير أو تفويضه تعيين عمال الخراج من قبله .

كانت أهم الأموال التي تجبى في العصر الأموي هي ما أطلق عليه الفقهاء اسم الفيء والخمس والصدقة ، وقد طبق الأمويون الى حد بعيد القواعد الأساسية التي أوجدها الخليفة عمر بن الخطاب ، فمؤرخونا قد اعتادوا أن يشيروا الى كل ما يحدث من تغيير . فسكوت المصادر عن ذكر تغيير ما معناه استمرار لما كان في السابق ، ومن ثم فان العودة الى التشريعات التي تمت في عهد الخليفة عمر ضرورية لكي تتبين ما استمر منها ومدى ماطرأ عليها من تغيير .

الفيء

الفيء هو ما اجتبي من أموال أهل الذمة مما صولحوا عليه من جزية رؤوسهم ومن خراج الأرض التي افتتحت عنوة ، ومن وظيفة أرض الصلح التي

---

(١) المصدر السابق ، ص ١٣٧ .

منعها أهلها حتى صولحوا على خراج مسمى ، ومنه ما يأخذه العاشر من أموال أهل الذمة التي يمرون بها عليه لتجارتهم ومنه مايؤخذ من أهـل الحرب ، إذا دخلوا بلاد الاسلام للتجارة[1] ، وبالرغم من أن مافرض على نصارى بني تغلب هو ضعف الصدقة التي تؤخذ من أرض المسلمين (لانهم أنفوا من الجزية) ، الا أن سبيل مايؤخذ من أموال بني تغلب سبيل مال الخراج لأنه بدل الجزية[2] .

الجزيـــة

اتبع الأمويون القواعد نفسها التي كانت متبعة في عهد الرسول والخلفاء الراشدين ، فقد أمر الرسول أن يقاتل العرب من عبـدة الأوثان حتى يسلموا ولا تقبل منهم الجزية[1] وأن يقاتل أهل الكتاب من العرب وغير العرب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ، وقد قبل الرسول الجزية من أهل الكتاب من العرب ، فقد قبلها من أهل اليمن وهم عرب إذ كانوا أهل كتاب وقبلهـا أبو بكر من أهل الحيرة حين افتتحها خالد بن الوليد صلحاً وهم أخلاط مـن أفناء العرب من تميم وطيء وغسان وتنوخ[2] ، وكان مقدار الجزية أحياناً ديناراً على كل حالم كما فعل الرسول مع أهل اليمن[3] ، ومع أهل إيله عندما صالحه صاحب إيله على أن جعل على كل حالم بأرضه في السنة ديناراً[4] ، أو كانت جزية مشتركة على بعض الجهات مثلما فعل مع أهل تيماء الذين صالحوه على الجزية[5] ، وأهل تبوك[6] ، وأهل اذرح حيث صالحهم الرسول على مائة دينار كل رجب[7] .

---

(١) أبو عبيـد ، ص ١٦ . يحيى بن آدم القـرشي ، ص ٦٠ . أبو يوسـف ، ص ٢٨ . ابن تيمية ، ص ٣٤ .

(٢) أبو عبيد ، ص ٢٨ . ابن قتيبة ، المعارف ، ص ٢٤٩ . البلاذري ، فتوح ، ص ١٨٧ .

(١) أبو يوسف ، ص ٦٩ ـ ٧٠ .

(٢) أبو عبيد ، ص ٢٦ .

(٣) البلاذري ، فتوح ، ص ٧٢ .

(٤) المصدر السابق ، ص ٧١ .

(٥) المصدر السابق ، ص ٤٨ .

(٦) المصدر السابق ، ص ٧١ .

(٧) المصدر السابق ، ص ٧١ .

واشترط الرسول على بعض دافعي الجزية القيام بضيافة المسلمين على نحو ما قرر على أهل تباله وجرش[1] ، وكانت الجزية في بعض النواحي تدفع عيناً على نحو ما فعله الرسول مع أهل مقنا[2] ، ومع أهل نجران عندما قرر ألف حلة في صفر وألف حلة في رجب ، ثمن كل حلة أوقية فضة[3] .

اتبع الخلفاء الراشدون والأمويون هذه القواعد ، فكانت الجزية أحياناً تؤخذ مشتركة كما فعل خالد بن الوليد مع أهل الحيرة ، اذ صالحوه على مائة ألف درهم ، ويقال على ثمانين ألف درهم في العام[4] ، وصالح جرير بن عبد الله البجلي أهل بانقيا على ألف درهم وطيلسان[5] . وفي صلح خالد مع أهل الحيرة شرط عليهم جباية ماصالحهم عليه حتى يؤدوه الى بيت مال المسلمين عمّالهم منهم وان طلبوا المعونة من المسلمين قدمت اليهم ، وتكون مؤونة العون من بيت مال المسلمين[6] . وقد اتبعت هذه القاعدة مع معظم المدن الايرانية ، إذ نلاحظ عدم وجود تحديد للجزية على الفرد ، وانما ترك ذلك الى الحكام المحليين ، ولكن القادة المسلمين كانوا يؤكدون دائماً على ضرورة فرض الجزية على الحالم بقدر طاقته ، نجد ذلك في معاهدة النعمان مع أهل ماه بهراذان[7] ، ومعاهدة حذيفة بن اليمان مع أهل ماه دينار ، ومعاهدة أصبهان[8] ، ومعاهــدة نعيم بن مقــرن مع أهل الري[9] ، وأهل دنباوند[10] ، واللارز[11] ، والشرز[12] . أما في معاهدة

---

(١) المصدر السابق ، ص ٧٠ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٧١ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٧٥ .

(٤) المصدر السابق ، ص ٢٤٤ .

(٥) المصدر السابق ، ص ٢٤٦ .

(٦) محمد حميد الله ، ص ٣١٨ .

(٧) المصدر السابق ، ص ٣٥٨ . وبهراذان بلدة بينها وبين شهرستان فرسخان من جهة نيسابور . ياقوت ، ج١ ، ص ٥١٤ .

(٨) المصدر السابق ، ص ٣٥٩ .

(٩) المصدر السابق ، ص ٣٦٠ .

(١٠) دنباوند : جبل من نواحي الري . ياقوت ج٢ ، ص ٤٧٥ .

(١١) اللارز : قرية من أعمال آمل طبرستان بينها وبين آمل يومان . ياقوت ج٥ ، ص ٧ . والشرز : جبل في بلاد الديلم . ياقوت ج٣ ، ص ٣٣٤ .

(١٢) محمد حميد الله ، ص ٣٦٠ .

جرجان ومعاهدة عبد الله بن عامر مع عظيم هراة ، وبوشنج وباذغيس[1] فنجد الصيغة نفسها ، الا أننا نلاحظ رفع الجزية عمن يستعين بهم العرب « ومن استعنا به منكم فله جزاؤه في معونته عوضاً عن جزائه »[2] . وقد طبق ذلك في معاهدة عتبة بن فرقد مع أهل أذربيجان[3] ، ومعاهدة سراقة بن عمر مع شهربراز وأهل أرمينية[4] .

وفي خلافة الأمويين صالح يزيد بن المهلب أهل جرجان على صلح سعيد بن العاص فقبلها وكانت مائتي ألف درهم[5] . وصالح يزيد أهل طبرستان عندما توجه اليهم على نقد أربعة آلاف درهم وعلى سبعمائة ألف درهم مثاقيل[6] ، وفتح يزيد الرويان ودنباوند على مال وثياب وآنية[7] ، وصالح قتيبة بن مسلم غوزك على سبعمائة ألف درهم وضيافة المسلمين ثلاثة أيام[8] .

أما في الارض التي افتتحها المسلمون عنوة وتركها الخليفة في أيدي أصحابها مقابل الجزية والخراج ، فقد فرضت الجزية على كل من رفض اعتناق الدين الاسلامي مقابل المنعة من اليهود والنصارى والصابئين والسامرة وحتى المجوس بعد أن أكد عبد الرحمن بن عوف لعمر بن الخطاب أنه سمع رسول الله يقول : « سنّوا بهم سنة أهل الكتاب »[9] ، وعندما ذكر عمرو بن عوف حليف بني عامر بن لؤي ، وكان قد شهد مع رسول الله بدراً أن رسول الله قبل الجزية من أهل البحرين وكانوا مجوساً[10] ، وكانت الجزية في عهد الخلفاء الراشدين

---

(١) المصدر السابق ، ص ١٦٧ . بوشنج ، بليده من نواحي هراة بينهما عشرة فراسخ . ياقوت ج١ ، ص ٥٠٨ . وباذغيس : ناحية تشتمل على قرى من أعمال هراة ومردالروز . ياقوت ، ج١،ص٣١٨.

(٢) محمد حميد الله ، ص ٣٦١ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٣٦٣ .

(٤) المصدر السابق ، ص ٣٧٤ .

(٥) البلاذري ، فتوح ، ص ٣٣٠ .

(٦) المصدر السابق ، ص ٣٣٣ .

(٧) المصدر السابق ، ص ٣٣٣ .

(٨) المصدر السابق ، ص ٤١١ .

(٩) ابو عبيد ، ص ٣٢ .

(١٠) المصدر السابق ، ص ٣٢ .

والأمويين لا تضرب الا على من جرت عليه الموسى[١] ، ليس على صبي ولا امرأة ولا من ليس في يديه من الدنيا شيء[٢] . وقد اختلفت الجزية بقدر يسار أهل المنطقة وطاقتهم ، وفي هذا يعلق أبو عبيد أن الرسول فرض على أهل اليمن ديناراً على كل حالم ، وقيمة الدينار يومئذ إنما كانت عشرة دراهم أو اثنتي عشر درهماً ، فهذا دون مافرضه عمر رحمه الله على أهل الشام والعراق وان عمر فعل ذلك وزاد عليهم بقدر يسارهم وطاقتهم[٣] .

وقد كانت الجزية في الشام في بادىء الامر جريباً[٤] وديناراً على كل جمجمة ، ثم وضعها عمر بن الخطاب على أهل الذهب أربعة دنانير وعلى أهل الورق أربعين درهماً وجعلهم طبقات لغنى الغني واقلال المقل وتوسط المتوسط[٥] ، فكان التغيير الأول الذي أحدثه العرب في النظام البيزنطي هو عندما فرض عمر أن تسري الجزية على جميع طبقات المجتمع ، ومن ثم أمر عمر كما يقول ميخائيل السرياني باجراء إحصاء فيما يختص بمال الرؤوس في كل أنحاء الدولة[٦] .

وقد رفعت الجزية عن الجراجمة مقابل أن يكونوا أعواناً للمسلمين وعيوناً ومسالح في جبل اللكام[٧] ، ولكن الجراجمة كانوا يستقيمون للولاة أحياناً ويعرجون أخرى مما اضطر الوليد بن عبد الملك سنة ٨٩ هـ أن يوجه اليهم مسلمة بن عبد الملك ، فافتتحها على أن ينزلوا المكان الذي يختارونه من الشام

---

(١) المصدر السابق ، ص ٣٧ .

(٢) محمد حميد الله ، ص ٣٦٢ .

(٣) ابو عبيد ، ص ٣٩ ، ٤٠ .

(٤)) الجريب ، بوصفه مكيالا = ٧ أقفزه وذلك في القرن السابع وهو يساوي مايعادل ٢٢ر٧١٥ كغم من القمح ـ فالتر هنتس ، المكاييل والاوزان الاسلامية ومايعادلها بالنظام المتري الذي ترجمه الدكتور كامل العسلي ، منشورات الجامعة الاردنية ، ص ٦١ .

(٥) البلاذري ، فتوح ، ص ١٣١ .

(٦) دانيل دينيث ، ص ١٠٨ .

(٧) البلاذري ، فتوح ، ص ١٦٤ .

ويجري على كل امرىء منهم ثمانية دنانير وعلى عائلاتهم القوت من القمح والزيت وهو مدّان من قمح وقسطان من زيت وأن لا تؤخذ منهم الجزية وعلى أن يغزوا مع المسلمين فينفلوا أسلاب من يقتلونه مبارزة على أن يؤخذ من تجاراتهم وأموال موسريهم مايؤخذ من أموال[1] .

وفي الجزيرة وضع عياض بن غنم الفهري على كل جمجمة ديناراً[2] ، وأخرج النساء والصبيان[3] ووظف عليهم مع الدينار مدّين قمحاً وقسطين زيتاً وقسطين خلاً وجعلهم جميعاً طبقة واحدة ، ويذكر البلاذري أن معاوية جعل ذلك جزية عليهم[4] ، ثم لمّا ولي عبد الملك بن مروان بعث الضحاك بن عبد الرحمن الاشعري ، فاستقل مايؤخذ منهم فأحصى الجماجم ، وجعل الناس كلهم عمالاً بأيديهم وحسب مايكسب العامل سنته كلها ، ثم طرح من ذلك نفقته في طعامه وادامه وكسوته وحذائه ، وطرح أيام الأعياد في السنة كلها فوجد بعد ذلك أن كل شخص يستطيع أن يدفع أربعة دنانير فالزمهم ذلك جميعاً[5] .

أما في السواد فتتفق رواية البلاذري مع مايذكره أبو يوسف من أن عمر ابن الخطاب أمر أن يوضع على الدهاقين الذين يركبون البراذين ويتختمون بالذهب ، على الرجل ثمانية وأربعين درهماً ، وعلى أوسطهم من التجار على رأس كل رجل أربعة وعشرين درهماً في السنة ، وعلى الأكرة وسائر من بقي منهم على الرجل اثنا عشر درهماً[6] ، وان عثمان بن حنيف أحصى سكان السواد

---

(١) البلاذري ، فتوح ، ص ١٦٥ .

(٢) أبو يوسف ، ص ٤٩ . البلاذري ، فتوح ، ص ١٧٩ .

(٣) البلاذري ، ص ١٧٩ .

(٤) المصدر السابق ، ص ١٧٩ . المد الشرعي في فجر الاسلام كان = ¼ صاع = ٥ر٨١٢ غم من القمح . فالتر هنتس ص ٧٤ . القسط منه في العراق حجمان الصغير ويعادل وزنا قدره ثلاثة أرطال من السوائل أي أن سعته ١٫٢١٥٨ر١ ليتر والقسط الكبير ضعف الصغير سعته ٢ر٤٣١٦ ليتر . فالترهنتس ص ٦٥ .

(٥) أبو يوسف ، ص ٤٩ .

(٦) أبو يوسف ، ص ٤٥ . البلاذري ، فتوح ، ص ٢٧١ .

فختم في رقاب خمسمائة وخمسين ألف علج[1] ؛ ويذكر ابو عبيد في كتابه الاموال أن عمر بن الخطاب بعث حذيفة بن اليمان وسهل بن حنيف وأنهما فلجا الجزية على أهل السواد وقالا : من لم يأتنا فنختم رقبته فقد برئت منه الذمة ، قال : فحشدوا وكانوا أول ما افتتحوا خائفين من المسلمين فختما أعناقهم ثم فلجا الجزية على كل انسان أربعة دراهم في كل شهر ثم حسب أهل القرية وما عليهم لدهقان كل قرية « على قريتك كذا وكذا فاذهبوا وتوزعوا بينكم » ، فكانوا يأخذون الدهقان بجميع ما على أهل قريته[2] .

نستنتج من رواية أبي عبيد أن الدهاقين كانوا مسؤولين عن جباية الأموال في قريتهم بعد إحصاء عدد السكان ، وأن متوسط مايجب أن يدفعه الشخص هو أربعة دراهم وأن الدهقان بعد ذلك يوزع المبلغ على الأشخاص ، حسب يسارهم وفقرهم ، وهذا دليل على أن عمر بن الخطاب استعان بالدهاقين لأن لديهم الخبرة التي تساعدهم على القيام بهذا العمل على الوجه الأكمل ولأنهم أعرف بسكان منطقتهم وبأوضاعهم المادية ، وليس هناك إشارات تدل على أن الأمويين قد خالفوا هذا المبدأ في السواد أو أنهم زادوا نسبة الجزية على السكان .

وبعد فتح العرب لمصر أي بعد معاهدة بابليون الاولى فرض العرب على أهل مصر الجزية وهذا نص ماذكره المؤرخون : فاجتمعوا على عهد بينهم واصطلحوا على أن يفرض على جميع من بمصر أعلاها وأسفلها من القبط ديناران على كل نفس شريفهم ووضيعهم ومن بلغ الحلم منهم ، ليس على الشيخ الفاني ولا على الصغير الذي لم يبلغ الحلم ولا على النساء شيء ، وعلى أن للمسلمين عليهم النزل لجماعتهم حيث نزلوا ومن نزل عليه ضيف واحد من المسلمين أو أكثر من ذلك كانت لهم ضيافته ثلاثة أيام مفترضة ... واحصوا عدد القبط يومئذ

---

(١) البلاذري ، فتوح ، ص ٢٧٠ .
(٢) أبو عبيد ، ص ٥٢ .

خاصة من بلغ منهم الجزية وفرض عليه الديناران ، رفع ذلك عرفاؤهم[١] .

هذا فيما يتعلق بالجزية التي فرضت على أهل الذمة في مصر كما ذكرها بعض المؤرخين ، ويذكر البلاذري في رواية عبد الله بن عمرو بن العاص أنه وضع على كل حالم دينارين الا أن يكون فقيراً[٢] . وتقول الدكتورة سيدة كاشف : اننا لا نفهم من هذا النص إذا كان الفقراء قد اعفوا من الجزية أم قدرت عليهم جزية أقل من غيرهم ، وانه اذا استثنينا النص الذي يذكره البلاذري بأن الفقراء لم يدفعوا الدينارين نفهم مما ذكره المؤرخون أن المصريين تساووا في دفع الجزية، بينما اثبتت أوراق البردي فساد الرأي الذي يقول بمساواة الذميين في دفع الجزية ، واثبتت انا لجزية كانت تتناسب مع ثروة الشخص ، ففي كتاب من قرة بن شريك الى صاحب كورة اشقوة نجده يأمره بأن يرسل كشفاً بالأماكن المختلفة لمعرفة عدد الرجال في كل مكان ، والجزية الواجب عليهم أداؤها ومايملكه كل رجل من الاراضي ، وما يقوم به من الاعمال ويطلب من صاحب الكورة ألا يوجد أي مجال للشكوى او الاستياء منه ويذكره بأنه مصمم على مكافأة من يسير سيراً حسناً ومعاقبة من يتنكب عن طريق العدل وتقول الدكتورة سيدة : « ونحن نرى من هذا الكتاب انه لو كان كل فرد يدفع جزية متساوية لما يدفعه الآخر لما طالب والي مصر كشفاً بما يملكه كل شخص وما يقوم به من عمل وبالجزية الواجبة عليهم ، ولما طلب من صاحب الكورة أن يكون عادلاً في عمله »[٣] ؛ وأنا بدوري أعتقد أنه ليس ثمة من تناقض على الاطلاق بين ما أورده المؤرخون وما كشفت عنه أوراق البردي إذ أن مبلغ الدينارين انما هو مبلغ متوسط على كل من تجب عليه الجزية ، ولكن ليس معنى هذا أن كل فرد يجب

---

(١) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ، ص ٧٠ . المقريزي ، الخطط ، جـ ١ ، ص ١٤٠ ، ص ٥٤٨ . السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج١ ، ص ٥١ .

(٢) البلاذري ، فتوح ، ص ٢١٦ .

(٣) سيدة كاشف ، مصر في فجر الاسلام ، ص ٣٦ ، ٣٧ .
Abbot, Nabia, The Kurrah Papyri From Aphrodito In The Oriental Institute, The University of Chicago pp. 65,66,67.

أن يدفع هذا المبلغ فقط لاسيما وأن هناك نصاً يورده ابن الحكم نفسه أن عمر بن الخطاب كتب الى أمراء الاجناد ألا يضربوا الجزية إلا على من جرت عليه الموسى وجزيتهم أربعون درهماً على أهل الورق وأربعة دنانير على أهل الذهب[1] ، مما يدل على أن أعلى نسبة هي أربعة دنانير وهي التي تفرض على الغني ، فلماذا يفرض قيمة دينارين على الغني وعلى الفقير ومصر بلاد غنية بينما يفرض على الموسر في العراق والشام أربعة دنانير ؟ ثم إننا إذا اعتمدنا على الرواية التي أوردها ابو عبيد[2] نفهم أن الدهقان كان مسؤولاً عن دفع الجزية عن قريته بعد احصاء سكان القرية وفرض أربعة دراهم على كل شخص ، ولو كان قد فرض على كل شخص أربعة دراهم لما طلب حذيفة بن اليمان وسهل بن حنيف من الدهقان أن يتوزعوا المبلغ بينهم ، ولذلك يمكننا أن نفترض أن متوسط مايجب أن يدفعه الشخص هو مبلغ دينارين وأن على صاحب الكورة أن يوزع المبلغ على رجال كورته بالعدل وهذا يفسر بالتالي تشدد قرة بن شريك مع عمال الكورة وطلبه اللوائح بعدد الرجال والجزية الواجب عليهم أداؤها ، وما يملكه كل رجل من الأراضي وما يقوم به من الأعمال خوفاً من تلاعب عمال الكور الذين قد يفرضون على الفقير أكثر مما قد يفرضون على الغني الموسر ، ولا شك أن يقظة قرة بن شريك تدل على مدى اهتمام ولاة بني أمية في مصر باحلال العدل في جباية الضرائب .

ويبدو أن الجزية في مصر استثني منها الرهبان في بادىء الامر اذ يذكر ساويرس أن أول جزية أخذت من الرهبان كانت في عهد عبد العزيز بن مروان الذي أمر باحصاء جميع الرهبان في كل الكور وفي وادي النطرون وسائر الأماكن وفرض ديناراً جزية على كل راهب ، وأمر أن لا يترهب أحد بعد من أحصاه[3] . وأحصى أسامة بن زيد عامل الخراج في مصر من قبل سليمان بن عبد الملك

(١) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ، ص ١٥٢ . المقريزي ، الخطط ج١ ، ص ١٤٠ .
(٢) ابو عبيد ، ص ٥٢ .
(٣) ساويرس ، سير الاباء البطاركة ، باريس ، ١٩١٠ ، ج٥ ، ص ٥١ . المقريزي ، ج٣ ، ص٥٣٦ .

الرهبان مرة ثانية وتقدم الى الرهبان أن لا يرهبوا من يأتي إليهم ووسمهم كل واحد بحلقة حديد في يده اليسرى ليكون معروفاً ووسم كل واحد منهم باسم بيعته وديره والتاريخ الهجري وفرض على كل واحد منهم ديناراً جزية[1] ، ولعل اتخاذ هذه الاجراءات يعود الى أن العرب عندما فتحوا مصر حافظوا على ماكان موجوداً قبلهم من التقليد الذي يحرم فرض أية ضريبة أو جزية على الرهبان[2] ، فوجدت منذ الفتح طبقة ممتازة من المسيحيين لا تقع تحت طائلة الأعباء المالية ، ولذا لجأ كثير من الاقباط الى الأديرة لكي يتخلصوا من الضرائب ، فلما منع الاصبغ بن عبد العزيز وأسامة بن زيد قبول رهبان جدد وفرضا الجزيـة على الرهبان قضيا بذلك على الدافع المادي الذي كان يرغبهم في الترهب[3] .

الخــراج

أوجدت الفتوحات مشكلة كبرى هي مشكلة الأراضي الفسيحة التي غلب عليها المسلمون ، فقد كتب سعد بن أبي وقاص بعد فتح العراق الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ينبئه « أن الناس سألوه أن يقسم بينهم مغانمهم وما آفاء الله عليهم »[4] ، كذلك كتب أبو عبيدة بعد فتح الشام الى عمر ينبئه أن المسلمين سألوه أن يقسم بينهم المدن وأهلها والأرض وما فيها من شجر أو زرع وأنه أبى ذلك عليهم حتى يبعث اليه عمر برأيه[5] ، وطلب الجند الذين قدموا من جيش العراق وطائفة من الصحابة أن يقسم عمر رضي الله عنه الأرضين التي فتحت كما تقسم غنيمة العسكر[6] ، وكان من رأي عمر أنه إذا قسمت أرض العراق بعلوجها وأرض الشام بعلوجها فما تسد به الثغور ، وما يكون للذرية

---

(١) ساويرس ، ج٥ ، ص ٦٨ ، ٧٠ . المقريزي ، الخطط ج٣ ، ص ٥٣٦ .

(٢) Munier, t. II, p. 77.

(٣) دانيل دينيت ، ص ١٣٠ .

(٤) أبو يوسف ، ص ٢٩ . البلاذري ، فتوح ، ص ١٦٥ . ابن الجوزي ، ص ٢١٢ .

(٥) محمد حميد الله ، ص ٣٧٦ .

(٦) ابو يوسف ، ص ٢٨ .

والأرامل بهذا البلد وبغيره من أهل الشام والعراق[١] ، وقد استشار عمر المهاجرين الأولين فاختلفوا[٢] ، ثم أرسل الى عشرة من الأنصار خمسة من الأوس وخمسة من الخزرج من كبرائهم وشرفائهم وشرح لهم الموقف وفائدة ترك الأرض لاصحابها مقابل وضع الخراج على أرضهم والجزية على رؤوسهم فتكون فيئاً للمسلمين « المقاتلة والذرية ولمن يأتي بعدهم » ، فوافقوه على رأيه[٣] ، وكتب عمر بن الخطاب لسعد بن أبي وقاص « فاذا أتاك كتابي هذا فانظر ما أجلب الناس به الى العسكر من كراع أو مال واقسمه بين من حضر من المسلمين واترك الارض والأنهار لعمالها ليكون ذلك في أعطيات المسلمين فانك ان قسمتها بين من حضر لم يكن لمن بقي بعدهم شيء[٤] .

وعندما استقر رأي عمر على ترك الارض لعمالها ، كان أول مافعله هو أن ارسل عثمان بن حنيف فمسح السواد فوجده ستة وثلاثين ألف ألف جريب[٥] ، أما حد السواد الذي وقعت عليه المساحة فمن لدن تخوم الموصل ماراً مع الماء الى ساحل البحر ببلاد عبّادان من شرقي دجلة هذا طوله وأما عرضه فحده منقطع الجبل من أرض حلوان الى منتهى أطراف القادسية المتصل بالعذيب من أرض العرب فهذه حدود السواد وعليها وقع الخراج[٦] .

وقد استصفى عمر من السواد أرض من قتل في الحرب وأرض من هرب ، وكل أرض لكسرى وأهل بيته ، وكل مغيض ماء ، وكل صافية اصطفاها كسرى[٧] ، وسوف نتكلم عن الصوافي ووضعها المالي فيما بعد .

---

(١) المصدر السابق ، ص ٣٠ .
(٢) المصدر السابق ، ص ٣٠ .
(٣) المصدر السابق ، ص ٣٠ .
(٤) يحيى بن آدم ، ص ١٣ . ابن الجوزي ، ص ١١٢ .
(٥) البلاذري ، فتوح ، ص ٢٦٨ . ابن الجوزي ، ص ١١٢ . أبو يوسف ص ٣١ . الجريب : كمقياس للأرض يساوي شرعا = ١٠٠ قصبة مربعة وبذلك يكون الجريب على وجه الدقة ١٥٩٢ م٢ . فالترهنتس ص ٩٦ .
(٦) ابن الجوزي ، ص ١١٢ .
(٧) البلاذري ، فتوح ص ٢٧٢ . الطبري ، ج٣ ، ص ٥٨٦ ، ٥٨٧ .

ويورد البلاذري روايات مختلفة حول قيمة مافرض على جريب الكرم أو القصب أو الشعير وغيره ، ولكن الروايات تتفق كلها على أن عمر وضع على كل جريب عامر أو غامر يبلغه الماء درهماً وقفيزاً[1] ، وقد وضع عمر ذلك بعد أن أكّد له عثمان بن حنيف أن هذا المقدار لا يشق عليهم ولا يجهدهم[2] .

ويذكر أبو عبيد أن عمر جعل ذلك عاماً على كل من لزمته المساحة وصارت الأرض في يده من رجل أو امرأة أو صبي أو مكاتب أو عبد ، فصاروا متساوين فيها ، ومما يبين ذلك قول عمر في دهقانة نهر الملك حين اسلمت فقال : « دعوها في أرضها تؤدي عنها الخراج »[3] ، فأوجب عليها ما أوجب على الرجال ، كما أنه جعل الخراج على الأرض التي تغل من ذوات الحب والثمار والتي تصلح للغلة من العامر والغامر وعطل من ذلك المساكن والدور والتي هي منازلهم فلم يجعل عليها شيئاً[4] .

وبعد أن مسح السواد كتب عمر بن الخطاب الى أهل الكوفة يبعثون اليه رجلاً من أخيرهم وأصلحهم والى أهل البصرة كذلك ، فبعث اليه أهل الكوفة عثمان بن فرقد وبعث اليه أهل البصرة الحجاج بن علاط فاستعمل كل واحد منهما على خراج أرضه[5] . وقد كان عمال الخراج في العراق مسؤولين أمام الخليفة في العهد الراشدي ، أما في خلافة بني أمية فانه اذا استثنينا الفترة الاولى من خلافة معاوية بن أبي سفيان عندما فصل ولاية الخراج عن الولاية العامة وجعلها الى مولاه عبد الله بن دراج[6] ، واذا استثنينا خلافة سليمان بن عبد الملك

---

(1) البلاذري ، فتوح ، ص ٢٦٨ . أبو يوسف ، ص ٤٥ . القفيز : اقدم رواية مؤكدة عن هذا المكيال تتعلق بقفيز الحجاج ، وبمقتضاها كان القفيز = صاع النبي أي = ٢١٢٥ر٤لتره ، فالتر هنتس ص ٦٦ ، وانظر ص ٦٧ ، ٦٨ حول سعة هذا المكيال في الاقاليم المختلفة .

(2) البلاذري ، فتوح ، ص ٢٦٨ .

(3) أبو عبيد ، ص ٧٢ .

(4) المصدر السابق ، ص ٧٢ .

(5) المصدر السابق ، ص ١٣٥ .

(6) البلاذري ، فتوح ، ص ٢٩١ ، الجهشياري ، ص ٢٤ .

عندما طلب واليه على العراقين يزيد بن المهلب أن يكل أمر الخراج الى غيره[1] ، فان الولاة أنفسهم كانوا يشرفون على أمور الخراج وتعيين عمال الخراج على الكور المختلفة .

عمد زياد بن أبيه كما يبدو الى مسح السواد مرة ثانية خلال ولايته العراق، ولا يذكر ذلك المؤرخون وانما ذكره الماوردي في معرض حديثه عن الاذرع فيشير الى أن الذراع الهاشمية الصغرى أصغر من الهاشمية الكبرى بثلاثة أرباع عشر ، وانها سميت زيادية لان زياد مسح بها أرض السواد[2] ، كما يذكر القلقشندي أن زياد بن أبيه حين ولاه معاوية العراق وأراد قياس السواد جمع ثلاثة رجال ، رجلاً من طوال القوم ورجلاً من قصارهم ورجلاً متوسطاً بين ذلك وأخذ طول ذراع كل منهم فجمع ذلك وأخذ ثلثه فجعله ذراعاً لقياس الأرضين وهو المعروف بالذراع الزيادية[3] ، ولعل سكوت المؤرخين كالبلاذري والطبري واليعقوبي وغيرهم عن مسح زياد للسواد يعود الى عدم وجود اختلاف مابين المسح الذي تم في عهد الخليفة عمر بن الخطاب والمسح الذي قام به زياد سواء من ناحية الأراضي التي وقع عليها الخراج أو من حيث مقدار الخراج المفروض .

وفي سنة ١٠٥ هـ قام عمر بن هبيرة في خلافة يزيد بن عبد الملك بمسح السواد[4] ، وحدد الجهات التي تؤخذ منها الضرائب وهو المسح الذي صار قاعدة النظام المالي في تلك الولاية حتى بعد انتهاء العصر الأموي وقيام العباسيين في الخلافة إلا أنه في نهاية خلافة المنصور أعيد مسح السواد وطبق نظام المقاسمة[5] .

---

(١) الطبري ، ج٦ ، ص ٥٢٣ .
(٢) الماوردي ، ص ١٥٣ .
(٣) القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج٣ ، ص ٤٤٧ .
(٤) اليعقوبي ، تاريخ ، ج٢ ، ص ٣١٣ .
(٥) البلاذري ، فتوح ، ص ٣٧١ .

ظل النيروز كما في العهد الساساني أول السنة المالية طوال حكم الخلفاء الراشدين والأمويين ، فكان النيروز هو موسم جباية الخراج وضرب العملة ، وتولية العمال[1] . واذا كان النيروز هو بدء السنة المالية الا أن الخراج كان يجبى في عهد الساسانيين في ثلاثة أنجم[2] ، وربما طبق العرب ذلك في العراق وفي مناطق أخرى إذ يذكر الطبري أنه في كتاب الصلح الذي كتبه عمرو بن العاص لأهل مصر ... « أن عليهم ماعليهم أثلاثاً في كل ثلث جباية ثلث ماعليهم »[3] . واذا كان الخليفة عمر قد قام بمسح السواد فلا بدّ أن يكون قد قام بهذه العملية في الشام والجزيرة ، وبالرغم من أن المصادر العربية لا تذكر سوى أن القادة قد فرضوا الجزية والخراج فان تيوفانس يذكر أنه في العام الثلاثين من حكم هرقل ، أجرى عمر إحصاءاً لكل الأراضي والرجال والحيوان[4] ، ولكن ليس هناك ذكر لمقدار الخراج المفروض على الأرض إلا اذا اعتبرنا أن الخراج كان يؤخذ عيناً[5] في الجزيرة والشام وأن مقداره كان مُدَّين من حنطة وثلاثة أقساط من الزيت في كل شهر لكل انسان وودك وعسل[6] ، ويمكننا أن نعتبر ذلك خراجاً قياساً على ماورد في البلاذري أن عمرو بن العاص وضع على كل حالم دينارين جزية إلا أن يكون فقيراً ، وألزم كل ذي أرض مع الدينارين ثلاثة أرادب حنطة وقسطي زيت وقسطي عسل وقسطي خل رزقاً للمسلمين[7] ؛ وكما كان أهل الذمة يعفون من الجزية أحياناً مقابل مساعدتهم للمسلمين ، فكذلك أطعم أبو عبيدة الجراح أهل السامرة أرضهم عندما صالحهم بالأردن وفلسطين على أن

---

(١) الجاحظ ، التاج ، ص ١٤٨ . فون كريمر ، الحضارة الاسلامية ومدى تأثرها بالمؤثرات الاجنبية ، ترجمة الدكتور طه بدر ، مطبعة دار الفكر العربي ، القاهرة ، ص ٦٠ .

(٢) الدينوري ، ص ٧١ .

(٣) الطبري ، ج٤ ، ص ١٠٩ .

(٤) دانيل دينيت ، ص ١٠٨ .

(٥) البلاذري ، فتوح ، ص ١٨٢ .

(٦) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ، ص ١٥٢ .

(٧) البلاذري ، فتوح ، ص ٢١٦ .

يكونوا عيوناً وأدلاء للمسلمين وفرض عليهم الجزية فلما كان يزيد بن معاوية وضع الخراج على أرضهم[1] .

أما فيما يتعلق بأوقات جباية الخراج في الشام فهناك رواية يوردها أبو عبيد عندما سأل عمر بن الخطاب سعيد بن عامر بن حذيم والي حمص عن سبب ابطائه في ارسال الخراج فأجابه : « أمرتنا أن لا نزيد الفلاحين على أربعة دنانير فلسنا نزيدهم على ذلك ولكنا نؤخرهم الى غلاتهم » ، ويقول الراوي : « ليس لأهل الشام حديث في الخراج غير هذا » ، ويعلق أبو عبيد فيقول : « وانما وجه التأخير الى الغلة للرفق بهم ولم نسمع في استبداء الخراج والجزية وقتا من الزمان يجتبى فيه غير هذا »[2] .

وفي مصر طبق عمر بن الخطاب نفس النظام الذي طبق في السواد والشام والجزيرة ، فأجرى الأرض العنوة مجرى الصلح ، ومع ذلك فان سؤال هل فتحت مصر صلحا أم عنوة سؤال طالما واجه المؤرخين الأقدمين والمحدثين ، وحول اثارة هذه المشكلة يعلق الدكتور شكري فيصل قائلاً : « إن إثارة مشكلة الفتح عنوة أو صلحاً لم يكن ثمة من حاجة اليها لانه أضحى من سياسة المسلمين العملية أن يغفلوا الأصل النظري في تقسيم الأرض العنوة ، وأن يجروها مجرى الصلح، يصالحون أهلها على الجزية والخراج[3] ، ولقد كان الطبري موفقاً حين نقل عن القاسم ، وانما هاج هذا الحديث أن ملوك بني أمية كانوا يكتبون إلى أمراء مصر أن مصر انما دخلت عنوة ، وانما هم عبيدنا نزيد عليهم كيف شئنا ، ونضع ماشئنا »[4] .

مهما يكن من اختلاف آراء وروايات المؤرخين ، فانهم يتفقون في أن مصر أجريت مجرى البلاد المفتوحة صلحاً ، وقد اختلفت الروايات حول مقدار

---

(١) البلاذري ، فتوح ، ص ١٦٢ .
(٢) ابو عبيد ، ص ٤٢ ، ٤٣ .
(٣) شكري فيصل ، المجتمعات الاسلامية ، ص ١٣٢ .
(٤) الطبري ، ج٤ ، ص ١٠٦ .

الوظيفة الخراجية التي وضعت فأثبت البلاذري ثلاث روايات ، الأولى : أن عمر ألزم كل ذي أرض ثلاثة أرادب حنطة وقسطي زيت وقسطي عسل وقسطي خل رزقاً للمسلمين تجمع في دار الرزق وتقسم فيها[1] ، الثانية : أنه وضع الخراج على أرض مصر فجعل على كل جريب ديناراً وثلاثة أرادب طعاماً[2] ، والرواية الثالثة : أن أهل الجزية بمصر صولحوا في خلافة عمر بعد الصلح الأول مكان الحنطة والزيت والعسل والخل على دينارين فألزم كل رجل أربعة دنانير فرضوا بذلك وأحبوه[3] .

يتبين من هذه الروايات الثلاث وما يرويه اليعقوبي[4] أن جزية الرؤوس كانت تدفع نقداً بينما كان الخراج يدفع عيناً ونقداً ، وكان يطلق على الضريبة التي تدفع عيناً في أوراق البردي العربية اسم ضريبة الطعام ، أما في أوراق البردي اليونانية فكانت تعرف باسم Embolé [5] ؛ ولا شك أن الضرائب التي كانت ترسل الى الخلافة كانت عيناً ونقداً ، وانه عقب الفتح مباشرة بدأت مصر ترسل القمح الى المدينة ، كما كانت ترسله لروما ومن بعد لبيزنطة ، والمعروف أن عمر بن الخطاب كتب سنة ٢١ هـ الى عمرو بن العاص يعلمه مافيه أهل المدينة من الشدة ويأمره أن يبعث اليها مايجمع من الطعام في الخراج ، فكان ذلك يحمل اليها ومعه الزيت ، وانقطع في زمن فتنة عثمان ثم حمل في أيام معاوية ويزيد ثم انقطع الى زمن عبد الملك بن مروان ثم لم يزل يحمل الى خلافة المنصور[6] .

وهناك بعض النصوص التي تشير الى مقدار ماكان يرسل نقداً الى بيت المال في مقر الخلافة ، فيقال إنه في زمن معاوية أرسل واليه على مصر مسلمة بن

---

(١) البلاذري ، فتوح ، ص ٢١٦ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٢١٧ . الاردب : ٦٩,٦ كغم من القمح أو ٥٦ كغم من الشعير ، والتر فنتس ، ص ٥٨ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٢١٨ .

(٤) اليعقوبي ، تاريخ ، ج٢ ، ص ١٥٤ .

(٥) دانيل دينيت ، ص ١٤٧ .

(٦) البلاذري ، فتوح ، ص ١٠٢ .

مخلد (٤٧ — ٦٢ هـ) بعد أن أعطى أهل الديوان أعطياتهم وأعطيات عيالاتهم وأرزاقهم ونوائبهم ونوائب البلاد من الجسور وأرزاق الكتبة وحملان القمح الى الحجاز مبلغ ستمائة ألف دينار فضلاً[1] ، وهذا المبلغ بالطبع يضم فضل مابقي من أموال الفيء سواء ماكان منها جزية أو خراجاً أو عشراً • ويذكر ساويرس أن ماكان يحمل الى بيت المال يقدر بمائتي ألف دينار[2] بعد النفقة على الأجناد وما تحتاج اليه البلاد • ويشير المقريزي الى أن خراج مصر انحط في خلافة بني أمية وخلفاء بني العباس خلا أيام هشام بن عبد الملك الذي أوصى عبيد الله بن الحبحاب عامل مصر بالعمارة[3] • وقد خرج عبيد الله بنفسه « ومسح العامر من أراضي مصر والغامر مما يركبه ماء النيل فوجد قانون ذلك ثلاثين ألف ألف فدان سوى ارتفاع الجرف ، فراكها كلها وعدّلها غاية التعديل ، فعقدت معه أربعة آلاف ألف دينار ••• هذا والسعر راخ ، والبلد بغير مكس ولا ضريبة[4] • وقد نفهم من تعليق المقريزي بأن السعر راخ والبلد بغير مكس ولا ضريبة أن الازدياد في الخراج لم يكن ناجماً عن رفع نسبة الخراج التي كانت موضوعة في السابق وانما يعود الى ازدياد مساحة الأراضي التي تؤدي الخراج ، ولكن المقريزي نفسه أثناء كلامه عن انتقاض الأقباط يذكر أن عبد الله بن الحبحاب صاحب خراج مصر كتب الى هشام بن عبد الملك بأن أرض مصر تحتمل الزيادة ، فزاد على كل دينار قيراطاً فانتقضت كور مختلفة منها قربيط وطرابية وعامة الحوف الشرقي[5] ، وهذا يدل على أن الازدياد في الخراج قد يكون عائداً الى الازدياد في نسبة الاراضي التي وضع عليها الخراج من ناحية وفي زيادة الخراج من ناحية أخرى •

اتبع العرب في جباية الضرائب النظام الذي اتبعه البيزنطيون من قبل ،

---

(١) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ١٠٢ ، المقريزي ، الخطط ، ج١ ، ص ١٤٥ •
(٢) ساويرس ، ج٥ ، ص ١٨٩ •
(٣) المقريزي ، الخطط ، ج١ ، ص ١٨٢ •
(٤) المقريزي ، الخطط ، ج١ ، ص ١٨٢ •
(٥) المقريزي ، الخطط ، ج١ ، ص ١٤٥ •

ولكنهم حاولوا إعادة النظر في هذا النظام محاولين جهدهم أن يتداركوا عيوبه ونقائصه ، فقد كسر العرب شوكة النبلاء السابقين ، كما ألغى العرب نظام الاوتوبراجيا وقسموا الديوان في الفسطاط عاصمتهم الجديدة الى إدارتين إحداهما لمصر العليا ، والأخرى لمصر السفلى[١] ، وأصبحت الوحدة الادارية هي الكورة Pagarchie وأعطي الباجارك الذي كانت سلطته محدودة في النظام السابق سلطاناً مطلقاً في مقاطعته كلها بما في ذلك المدينة والقرى والكنائس والأديرة وما هو أصغر من ذلك من أقسام[٢] ، وانتهى عهد الموظفين وسلطتهم المعقدة وأصبح عامل الكورة على اتصال مباشر بالوالي في الفسطاط ، واتبع الولاة في العهد الاموي نهج المركزية الى درجة فائقة حتى أن التقسيم الفعلي للحصص الضريبية من الوحدات الادارية العديدة في المقاطعة لم يكن ليقوم به الباجارك وانما موظفو الديوان في الفساط معتمدين في ذلك على قوائم محلية لتقويم الثروة[٣] ، ويعلق دانيل دينيت على النظام الضريبي الذي ساد الفتح بعد ستين عاماً بأنه كان على درجة رائعة من الاتقان والتخصيص ، وقد اعتمد في حكمه هذا على ماورد في أوراق البردي المصرية وخاصة « بردي افروديتي » ، فحسب هذه البردي كانت الخطوة الاولى في الاجراءات الضريبية إعداد قائمة katagraphon لا يعدها (الباجارك) وانما أفراد حسن اختيارهم كانوا يتكونون من عمد القرى meizones ومن كبار ملاكي الاراضي ، وكانت هذه القوائم تشمل جميع الذكور من السكان وضريبة الرأس التي قدرت على كل منهم ، والأرض التي يملكها والضريبة المقدرة عليها وكذلك الخدمات الخاصة التي قام بها كل منهم ، وعندما كان يتم إعداد القائمة كانت ترسل الى موظفي بيت المال في الفسطاط[٤] ، وكثيرا ماكان يطلب من مقدري الضرائب أن يصحبوا

(١) دانيل دينيت ، ص ١٢٥ .
(٢) المصدر السابق ، ص ١٢٥ .
(٣) المصدر السابق ، ص ١٢٥ .
(٤) المصدر السابق ، ص ١٤٩ .

قوائمهم الى العاصمة كما يتضح من البردية رقم ١٣٣٨ ، ١٣٣٩ ، وعلى أساس هذه القوائم كان موظفو بيت المال يقدرون لا حصة أفروديتي نفسها فحسب وانما الحصص الخاصة بالقرى والاديرة التي تدخل ضمن سلطة البجارك ، أي أن الخطوة الأولى كانت إعداد قائمة التقدير لكل فرد وما يؤديه من عمل ويفلح من أرض ، وكانت الخطوة الثانية جمع المبالغ الفردية كما تظهر على القائمة بعضها الى بعض ، وكانت الخطوة الثالثة أن يؤخذ من كل فرد مافرض عليه ، أما الخطوة الرابعة فكانت صاحبة المظهر الجماعي إذ كان التسديد يتم بواسطة القرية لكل الحصة المجموعة[1] .

وقد طبق الأمويون في ولاية إفريقية نفس النظام الذي طبقه عمر وأجروا أرض العنوة مجرى أرض الصلح . وكتب حسان الخراج على عجم إفريقية ومن أقام معهم على النصرانية من البربر والبرانس[2] . أما أرض البربر الذين أسلموا فان حسان الذي امتازت ولايته بلون من الاهتمام بالعمل الاداري حاول أن يفرد لكل قبيلة من البربر جزءاً من الأرض يخصهم بها ويقفها عليهم ، وكأنه كان يحاول أن ينتقل بالقبائل خطوة في طريق الاستقرار ، وفي ذلك يقول المالكي : « فمن ذلك صارت الخطط للبربر في إفريقية فكان يقسم الفيء بينهم والأرض »[3] .

واذا اعتمدنا على القطعة القيمة التي نشرها عالم تونس الراحل حسن حسني عبد الوهاب بالاشتراك مع الدكتور ف. الدشراوي من كتاب الاموال لابي جعفر احمد بن نصر الداوودي المتوفى سنة ٤٠٢ نلاحظ اختلاف الروايات في أمر إفريقية فقيل إنها فتحت صلحاً وقيل عنوة . ونقل الشيخ عبد الله بن أبي زيد في كتابه (النوادر والزيادات على المدونة) عن سحنون قوله : كشفت

---

(١) المصدر السابق ، ص ١٤٩ ، ١٥٠ .

(٢) ابن خلدون ، ج٦ ، ص ١١٠ .

(٣) المالكي ، ص ٣٦ .

عن أرض إفريقية فلم أقف منها على حقيقة ، هل هي عنوة أو صلح وسألت عن ذلك علي بن زياد فقال : لم يصح عندي فيها شيء وأما بلاد المصامدة وأرض مراكش فقد اتفق أشياخ بلادنا من أهل العلم أنها أسلم عليها أربابها ، وليس فيها صلح ولا عنوة[1] ، ويذكر السلاوي كذلك أنه حين سأل أحد عمّال المنصور ابن أبي عامر أهل فاس حين تغلب عليهم اذا كانت أرضهم أرض صلح أم عنوة ، قالوا له لا جواب لنا حتى يأتي الفقيه ، يعنون أبا جيده ، فجاء الشيخ المذكور فسأله العامل فقال : ليست بصلح ولا عنوة وانما أسلم عليها أهلها[2] ، وكذلك يقول أبو زكريا يحيى بن أبي بكر : « أنه لا خلاف في أن أهل المغرب اسلموا عليه فلم يعز الى عنوة ولا الى صلح[3] » بمعنى أن هذه الاراضي كانت أراضي عشرية تبعاً للمبدأ المتبع بأن الاراضي التي أسلم عليها أهلها والاراضي التي رفضها أهلها فاقطعت للعرب وأرض الموات التي أحياها العرب فهي أراض عشر[4] .

وضع من أسلم في عهد الأمويين

واجه الأمويون مشكلة لم يواجهها الخلفاء الراشدون على نطاق واسع ، وهي دخول سكان الاقاليم المختلفة في الاسلام ، ولم يكن وضع أهل الذمة واحداً فقد كانت هناك مدن صولح أهلها على مبلغ معين من المال ، وأرض صلح على سكانها الجزية وعلى أرضها الخراج ، يؤخذ منهم ماصولحوا عليه . وعن ابن شهاب أن عمر بن الخطاب كان يأخذ ممن صالحه من أهل العهد ماصالحهم عليه لا يضع عنهم شيئاً ولا يزيد عليهم[5] ، وأرض عنوة أجريت مجرى أرض

---

(١) حسين مؤنس ، التنظيم الاداري والمالي لافريقيا والمغرب خلال عصر الولاة : ص ٩٤ ، ٩٥ .
(٢) السلاوي ، الاستقصاء لاخبار المغرب الاقصى ، ج١ ، ص ٤١ .
(٣) ابن خلدون الفقيه ، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد ، الجزائر ١٩٠٣ ، ج١،ص٧٢ .
(٤) البلاذري ، فتوح ، ص ١٨٤ .
(٥) أبو عبيد ، ص ١٤٤ .

الصلح فالأرض أرض خراج وللامام أن يضع عليهم الخراج حسبما يرتأيه ولا يكلفوا من ذلك مالا يطيقون[1] .

أما المدن التي صولح أهلها على مبلغ معين من المال فكان على أهلها أن يدفعوا ماصولحوا عليه ويخلى بينهم وبين أرضيهم ولا يوضع عليها شيء ما أقاموا بصلحهم يؤدونه الى المسلمين ، وان تظالموا فيما بينهم حملهم إمام المسلمين على العدل ووضع ذلك الصلح عليهم جميعاً بقدر مايطيقون في أموالهم وأرضيهم لا يطرح عنهم شيء لموت من مات ولا لاسلام من أسلم[2] ، وهذا مانفهمه من أمر عمر بن عبد العزيز عندما كتب الى حيان بن شريح أن يجعل جزية موتى القبط على أحيائهم[3] وماذكره ابن عبد الحكم من أن الجزية جزيتان ، فجزية على رؤوس الرجال ، وجزية جملة تكون على أهل القرية يؤخذ بها أهل القرية ، فمن هلك من أهل القرية التي عليهم جزية مسماة وليس له ولد ولا وارث ترجع أرضه الى قريته في جملة ماعليهم من الجزية ومن هلك ممن جزيته على رؤوس الرجال ولم يدع وارثاً فان أرضه للمسلمين[4] .

أما أرض العنوة فكان وضعها واضحاً فمن أسلم فهو حر مسلم وتطرح الجزية عن رأسه[5] ، أما الارض فيبقى الخراج عليها لأنها فيء للمسلمين[6] . ويعتمد يحيى بن آدم وأبو عبيد وغيرهما في أن أرض العنوة لا يوضع عنها الخراج اذا أسلم صاحبها قول عمر للرجل حين قال : « إني قد أسلمت فضع عن أرضي الخراج » فقال : « إن أرضك أخذت عنوة »[7] ، وقول علي لدهقان من أهل عين التمر أسلم : « أما جزية رأسك فنرفعها وأما أرضك للمسلمين فان شئت

(١) أبو يوسف ، ص ٧٥ .
(٢) يحيى بن آدم ، ص ٧ .
(٣) ابن عبد الحكم ، ص ١٥٤ .
(٤) المصدرالسابق ، ص ١٥٤ .
(٥) يحيى بن آدم ، ص ٧ . ابن عبد الحكم ، ص ١٥٤ .
(٦) يحيى بن آدم ، ص ٧ . ابو يوسف ، ص ٧٥ . ابن عبد الحكم ، ص ١٥٤ .
(٧) البلاذري ، فتوح ، ص ٢٦٨ .

فرضنا لك وان شئت جعلناك قهرماناً لها »[1] وقول عمر في دهقانة نهر الملك حين أسلمت « دعوها في أرضها تؤدي عنها الخراج »[2] .

كما يورد يحيى بن آدم نقلاً عن يحيى بن حسن قوله في أرض الخراج لاهل الذمة أن من أسلم منهم فهو حر مسلم تطرح الجزية عن رأسه وله الخيار في أرضه إن شاء أقام فيها يؤدي ماكانت تؤدي وان شاء تركها فقبضها الامـام للمسلمين مع مافي يديه مما كان في أيدي أهل فارس ، ومن قتل منهم في الحرب ومن هرب وترك أرضه فذلك للمسلمين وهو الى الامام إن شاء أنفق عليها من بيت مال المسلمين واستأجر من يقوم بها ويكون فضلها للمسلمين وان شاء أقطعها رجلاً ممن له غناء عند المسلمين[3] ، كما أن أرض العنوة كان يمنع بيعها ؛ فعن عبد الله بن مغفل المزني[4] ، قال : لا تباع أرض دون الجبل (أي في منطقـة السواد) إلا أرض بني صلوبا وأرض الحيرة فان لهم عهداً . وفي روايات أخرى يرد اسم الحيرة وإلّيس وبانقيا لأنه شيء عليهم وليس على أرضهم شيء[5] .

وقد اختلف الفقهاء في أرض الصلح لعدم وجود سابقة في العصر الراشدي يعتمدونها .

يورد أبو عبيد رواية عن يحيى بن عبد الله بن بكير عن مالك قوله : أما أهل الصلح فمن أسلم منهم فهو أحق بأرضه وأما أهل العنوة فان أرضهم ومالهم للمسلمين لأن أهل العنوة غلبوا على بلادهم وصارت فيئاً للمسلمين وأما أهـل الصلح فانهم منعوا بلادهم وأنفسهم حتى صولحوا عليها ، وقال أبو عبيـد : وينبغي أن يكون في هذا المذهب أيضا أنهم اذا أسلموا صارت أرضوهم أرض

---

(١) يحيى بن آدم ، ص ٤٣ .
(٢) ابو عبيد ، ص ٧٢ .
(٣) يحيى بن آدم ، ص ٧ .
(٤) صحابي من أصحاب الشجرة سكن المدينة ثم كان احد العشرة الذين بعثهم عمر ليفقهوا الناس بالبصرة فتحول اليها وتوفي فيها وقيل وفاته سنة ٦٠ أو ٦١ هـ . المزركلي ، الاعلام ، ج٤ ، ص ٢٨٣ .
(٥) يحيى بن آدم ، ص ٣٥ .

عشر لأنها ملك أيمانهم ، وأما الذي يقول به أبو حنيفة فغير هذا ، أخبرني عنه محمد أنه كان يقول : من أسلم منهم أو اشترى أرضه مسلم من أهل الصلح فان الصلح باق على حاله ، قال أبو عبيد : وأما الذي اختار أنا فذاك القول أنهم اذا أسلموا ردّت أحكامهم الى أحكام المسلمين فكانت أرضوهم أرض عشر ، لأنه شرط رسول الله ﷺ « أن من أسلم فله ما للمسلمين وعليه ما عليهم فان الاسلام يهدم ماقبله »[1] .

أما يحيى بن آدم فيذكر أنه إذا كان أهل الصلح صولح أهلها على أن يوضع الخراج عليها فهي أرض خراج لا تغير سواء أسلم صاحبها أم اشتراها مسلم[2] .

نفهم مما تقدم أن ارض الصلح التي صولح أهلها على الجزية والخراج قد اختلف في أمرها هل تصبح عشرية باسلام صاحبها أو شراء مسلم لهـا أم تبقى خراجية .

وسواء أكانت الأرض أرض صلح أو عنوة أجريت مجرى الصلح فقد كان الخلفاء الراشدون يعارضون فكرة شراء المسلمين للأراضي الخراجية كرهاً أو طوعاً لأن الخليفة عمر والخلفاء الراشدين من بعده كانوا يفضلون بقاءها وقفـا على آخر هذه الأمة من المسلمين المجاهدين وقوة على جهاد من لم يظهر عليه[3] .

ولكن يبدو أن عبد الملك بن مروان عندما سئل القطائع (وكانت تعطى عادة من أرض الصوافي التي سوف نتكلم عنها) وجد أنه لم يبق من الصوافي شيء فنظر عبد الملك أرضاً من أرض الخراج قد باد أهلها ولم يتركوا عقباً ورفع ما كان عليها من خراجها عن أهل الخراج ولم يحمله أحداً من أهل القرى وجعلها عشراً[4] ، فلم يزل يفعل ذلك حتى لم يبق من تلك الأراضي شيء فسأل الناس

(١) ابو عبيد ، ص ١٥٥ .

(٢) يحيى بن آدم ، ص ٧ .

(٣) ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، المجلدة الاولى ، ص ٥٩٤ .

(٤) المصدر السابق ، المجلدة الاولى ، ص ٥٩٥ .

عبد الملك والوليد وسليمان قطائع من أرض القرى التي بأيدي أهل الذمة فرفضوا ذلك فسألوهم أن يأذنوا لهم في شراء الارض من أهل الذمة ، فأذنوا لهم على إدخال أثمانها بيت المال ، وتقوية أهل الخراج به على خراج سنتهم الذي عجزوا عن أدائه ، وسجلوا ذلك في الدواوين[1] ، ووضعوا خراج تلك الأراضي عن من باعها منهم وعن أهل قراهم وصارت هذه الأراضي التي اشتراها المسلمون أرض عشر[2] .

فلما جاء عمر بن عبد العزيز لم يتعرض للقطائع التي أقطعها معاوية وعبد الملك والوليد وسليمان وتركها لأهلها تؤدي العشر كما لم يتعرض للأراضي التي اشتراها المسلمون باذن من ولاة الأمر لاختلاط الأمور فيها من المواريث ومهور النساء وقضاء الديون ، كما أعرض عن الأشرية التي اشتراها المسلمون بغير إذن ولاة الأمر لما وقع في ذلك أيضاً من المواريث واختلاط الأمر وترك الأرض بيد أصحابها على أنها أرض عشرية ولكنه أصدر أمراً سنة ١٠٠ هـ قرئ على الناس جميعاً بأن من يشتري أرض خراج فان بيعه مردود[3] ، أي أنه منع شراء أرض الخراج ، كما أنه خير من أسلم من أهل الخراج أن يبقى في أرضه يؤدي عنها الخراج أو أن يردها إلى من يؤدي عنها الخراج من أهلها[4] .

وهكذا نجد أن سياسة عمر بن عبد العزيز كانت تطبيقاً لسياسة عمر بن الخطاب وعلى درجة كبيرة من الوعي لاقتصاد الدولة من ناحية ورغبة في عدم إثارة الضغائن من ناحية أخرى ، فقد أبقى الارض الخراجية التي اشتراها أهلها بيدهم على العشر ولكنه في الوقت نفسه جعل سنة مائة حداً فاصلاً لا يجوز

(١) المصدر السابق ، المجلدة الاولى ، ص ٥٩٥ ، ٥٩٦ .
(٢) المصدر السابق ، المجلدة الاولى ، ص ٥٩٦ .
(٣) المصدر السابق ، المجلدة الاولى ، ص ٥٩٦ .
(٤) ابو عبيد ، ص ٩٤ .

معها بيع أراضي خراجية للمسلمين ، وقد أمضى هذا الأمر يزيد وهشام ابنا عبد الملك[1] .

يرى البعض أن عمر بن عبد العزيز قد ناقض نفسه عندما أعلن أن « لا خراج على من أسلم » ثم اعلانه منع بيع أرض الخراج وبقائها أرض خراج سواء أسلم صاحبها أم لم يسلم ، ويعللون ذلك بأنه أراد تطبيقه ثم وجد أن مثل هذا الأمر قد يضر بواردات الدولة فاتبعه بقراره الذي أصدره عام ١٠٠ هـ ، وأنا اعتقد أن كلمة خراج هنا تعني الجزية وهي ترد عند الطبري[2] وعند أبي عبيد[3] دون قرينة تدل على أنها ضريبة الأرض ، ثم إنه ورد في النص المذكور في كتاب الأموال لابي عبيد قوله : أمر عمر بن عبد العزيز بعدم أخذ ثمن الصحف ، ولا أجور البيوت ولا دراهم النكاح ، قال عبد الرحمن قوله دراهم النكاح يعني من بغايا كان يؤخذ منهن الخراج ، فليس من المعقول هنا أن يكون معنى الخراج هو ضريبة الأرض .

ثم إن هناك أدلة كثيرة تشير الى أن عمر ن عبد العزيز أسقط الجزية فقط وليس الخراج عمن أسلم ، وابن عبد الحكم يورد رواية عن يزيد بن أبي حبيب[4] قول عمر بن عبد العزيز : « أيما ذمي أسلم فان اسلامه يحرز له نفسه وماله وما كان من أرض فانها من فيء الله على المسلمين[5] وعن الليث بن سعد[6] ، أن عمر بن عبد العزيز وضع الجزية عمّن أسلم من أهل الذمة

---

(١) ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، المجلدة الاولى ، ص ٥٩٦ .
(٢) الطبري ، ج٦ ، ص ٥٩٦ .
(٣) ابو عبيد ، ص ٤٦ ، ٤٧ .
(٤) يزيد بن ابي حبيب ، مفتي أهل مصر في صدر الاسلام ، وأول من أظهر علوم الدين والفقه قال الليث : يزيد عالمنا وسيدنا ، توفي سنة ١٢٨ هـ الزركلي ، الاعلام ، ج٩ ، ص ٢٣٦ .
(٥) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ، ص ١٥٤ .
(٦) الليث بن سعد امام اهل مصر في عصره حديثا وفقها ٦٤ هـ - ١٧٥ هـ قال ابن تغرى بردى كان كبير الديار المصرية ورئيسها وامير من بها في عصره بحيث ان القاضي والنائب من تحت امره ومشورته، الزركلي ، اعلام ، ج٦ ، ص ١١٥ .

من أهل مصر[1] ، وفي رسالة من عمر الى الجراح بن عبد الله والي خراسان حول وضع الجزية عمن أسلم « انظر من صلى قبلك الى القبلة فضع عنه الجزية »[2] وبالرغم من أن بعض المستشرقين مثل كريمر وموللر[3] وفان فلوتن[4] قد انتقدوا سياسة عمر بن عبد العزيز المالية بشدة بل حملوه تبعة سقوط الدولة الأموية ، فإن فلهوزن قد قادته بحوثه الى إثبات خطأ هؤلاء المدعين ، ففند آراءهم وردها في ثقة وحزم مقرراً أن العكس هو الذي وقع ، وهو أن الاضطراب انما حدث في عهد عبد الملك والحجاج نتيجة للظروف السياسية ، وأما في عهد عمر بن عبد العزيز فان ماليات الدولة تحسنت ونظمت ، كما أعلن أن هؤلاء الناقدين المحدثين هم الذين ليست لهم فكرة صحيحة عن الأحوال العملية في ذلك العصر ، إذ أن تلك الأحوال العملية هي التي دفعت عمر الى اتباع السياسة التي ينتقدونها ، فأنقذ بها الدولة وقوّى مركزها ، ولما كانت الدولة هنا قد قامت على الاسلام فان مخالفة أسلاف عمر من الأمويين بعض مبادئه زعزعت دعائم الدولة على حين أن التزام عمر بالمبادىء الاسلامية وطد تلك الدعائم •

ثم إن الأدلة التاريخية نفسها تفند دعاوى فون كريمر وموللر وفان فلوتن وتثبت صحة النتائج التي انتهى اليها فلهوزن ، فهناك اجماع على أن خراج العراق في عهد عمر بن عبد العزيز بلغ المائة والعشرين ألف ألف درهم وذلك بعدله وعمارته [5] ، وهو أكثر مما جبي في عهد الحجاج وغيره من الولاة ، كما أن خراج خراسان في عهده كان فائضاً عن حاجات الدولة يدل على ذلك ما رواه الطبري[6] من أن عمر بن عبد العزيز كتب الى عامله على خراج خراسان ، عقبة

---

(١) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ١٥٥ •

(٢) الطبري ، ج٦ ، ص ٥٥٩ •

(٣) ذكر فلهوزن التهم التي وجهوها الى الخليفة وناقشها ورد عليها في كتابه تاريخ الدولة العربية، ص ٢٩٤ ، ٢٩٦ •

(٤) فان فلوتن ، ص ٥٩ ، ٦٠ •

(٥) الماوردي ، ص ١٦٧ •

(٦) الطبري ، ج٦ ، ص ٥٦٨ ، ٥٦٩ •

ابن زرعة الطائي ، أن يستوعب الخراج ويحرزه في غير ظلم ، فان يك كفافاً لاعطيات الجند فسبيل ذلك ، والا فليعلمه حتى يحمل اليه الأموال ، فيوفر لهم أعطياتهم ، فبحث عامل الخراج عن ذلك ثم كتب الى عمر يقول أنه وجد أن الخراج يفضل عن أعطياتهم ، فكتب اليه الخليفة أن يقسم الفضل في أهل الحاجة وهذا يثبت خطأ ماذكره فان فلوتن « من أن الغاء الجزية في خراسان قد أثر على موارد الدولة تأثيراً محسوساً »[1] .

ثم إن هناك قضية الجزية التي اتهم الأمويون وولاتهم بعدم رفعها عن الذين أسلموا والتي يستغلها البعض ليؤكد أن هدف الفتوحات في خلافة بني أمية لم يكن نشر الاسلام وانما جمع الأموال[2] ، نلاحظ أن عبد الحكم يذكر أن أول من أخذ الجزية ممن أسلم من أهل الذمة هو الحجاج بن يوسف الثقفي[3] ، أما الطبري فلا يذكر سوى أن عمال الخراج كتبوا الى الحجاج « أن الخراج قد انكسر وأن أهل الذمة قد أسلموا » فكتب الحجاج الى البصرة وغيرها : « من كان له أصل في قرية فليخرج إليها »[4] أي أن ارجاع الفلاحين الى قراهم جاء بطلب من العمال وجباة الخراج حيث شكوا الى الحجاج انكسار الخراج نتيجة إسلام أهل الذمة ولحاقهم بالأمصار ، أي أن قلة الأيدي العاملة في الأراضي الزراعية كانت وراء هذه الشكوى التي تحمل في طياتها عدم قدرة الدهاقين على جمع الأموال المطلوبة من أراضيهم ونواحيهم نتيجة لذلك ، وقد كان بامكانه أن يأمر بتحصيل الجزية من المسلمين الجدد في الأمصار وهو أمر لم يحدث ولم يشر اليه مصدر مما يدل على أن غاية هذا الاجراء الاولى هي تعمير الريف واستيفاء خراجه ، واذا كانت المصادر التاريخية العباسية قد أكثرت التباكي على قضية هؤلاء وحملت الحجاج مسؤولية ظلمهم ، فان هذه المصادر سكتت عن إجراء

---

(١) فان فلوتن ، ص ٥٩ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٣ .

(٣) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ١٥٦ .

(٤) ماهر حمادة ، الوثائق السياسية والادارية العائدة للعصر الاموي ، ص ٣٥٥ .

مماثل تم في عهد أبي جعفر المنصور عندما أقدم عامله على الجزيرة موسى بن مصعب على الاقتداء بعمل الحجاج فوشم الفلاحين بوشم خاص ومنعهم من مغادرة قراهم الى المدن ، وهذه واقعة أثبتها البطريرك ديونيسيوس في تاريخه الذي يرجع تسجيله الى عام ٢٠١ هـ[١] •

ثم إن هنالك أمراً بالغ الأهمية لا بد من الاشارة اليه وهو أن القادة العرب كانوا قد عقدوا عهود صلح مع معظم المدن الايرانية سواء منها في فارس أو خراسان ، وكان الذي يفاوض في هذه الاتفاقيات إما أولو الامر في الحكومة المحلية في المدينة أو أميرها الحاكم أو صاحب الاقليم ، وهكذا كانت مدن خراسان كلها تؤدي جزية محددة يقومون بجمعها بأنفسهم ، غير أنه من وجهة نظر الفرد في إيران كان النظام الضريبي هو النظام الساساني[٢] إذ كان يؤدي ضريبة أرض وضريبة تجارة ، وضريبة رأس ، وهكذا لم يكن هنالك فرق بين أنواع الضرائب في منطقة السواد وبينها في خراسان وما وراء النهر ، ولكن الفرق والفرق الكبير كان في طريقة جمعها ، ففي السواد كان العرب أنفسهم يحتفظون بسجلات للارض والناس ويجمعون الضرائب التي قدروها ، أما في خراسان وما وراء النهر فقد كان أمر هذه السجلات في أيدي الرؤساء المحليين والعظماء أو الأمراء فكانوا يجمعون الضرائب بالطريقة التي يرونها ويحتفظون بما يشاؤون ولا يعطون للعرب إلا المبالغ التي صولحوا عليها[٣] • ولذلك نلاحظ أن الدهاقين كانوا يقاومون حركة الدخول في الاسلام ، ويفسر فلهوزن هذه الحقيقة على أسس مالية محضة[٤] فهؤلاء الناس عجزوا عن القيام بجمع المطلوب منهم من حصص الا بمشقة بسبب نجاح برنامج الأشرس[٥] ، ويرى بارتولد وجيب أن

---

(١) احسان صدقي العمد ، الحجاج بن يوسف الثقفي ، حياته وآراؤه السياسية ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٧٣ ، ص ٤٢٣ •

(٢) دانيل دينيت ، ص ١٨٥ •

(٣) دانيل دينيت ، ص ١٨٥ •

(٤) فلهوزن ، ص ٤٤٠ •

(٥) الطبري ، ج٧ ، ص ٥٤ •

هناك سبباً آخر وراء مقاومة الأمراء المحليين أو الدهاقين لانتشار الاسلام غير عجزهم عن تقديم حصصهم في الجزية المحددة الا بمشقة ، فقد كان لهؤلاء مصلحة سياسية في ذلك ألا وهي الاحتفاظ بسلطانهم وهذا السلطان كان يقوضه انتشار الاسلام[1] . كما أن الدهاقين لم يكونوا في كثير من الأحيان يعفون من أسلم من ضرائبه « وأخذوا ضريبة الرأس ممن أسلم من الضعفاء »[2] ، وتتضمن العبارة الأخيرة أنهم لم يأخذوها من الأقوياء ، كما نفهم من الخطاب الذي ألقاه نصر بن سيار سنة ١٢١ هـ أن بهرامسيس كان مانح المجوس يمنحهم ويدفع عنهم ويحمل أثقالهم على المسلمين وهذا مافعله ابن جريجور مانح النصارى وعقيبة اليهودي مانح اليهود[3] . وقد رأى نصر بن سيّار أنه لا بد من تصحيح هذا الوضع الخاطىء فعين منصور بن عمر بن أبي الخرقاء ليشرف على جمع الجزية والخراج وأعلن « أنه أيما رجل منكم من المسلمين كان يؤخذ منه جزية من رأسه أو ثقل عليه في خراجه وخفف مثل ذلك عن المشركين فليرفع ذلك الى المنصور بن عمر يحوله عن المسلم الى المشرك »[4] ، فكان من نتيجة ذلك أن رفع عن ثلاثين ألف رجل من المسلمين ضريبة رؤوسهم ووضعت ضريبة الرأس على ثمانين ألفاً من المشركين ، كما نظر نائب نصر في الشكوى الخاصة بثقل ضريبة الأرض وتقديرها بغير عدل على المسلمين ، وقد قوّم هذا الحيف ، وصنف الخراج حتى وضعه مواضعه ، ثم وظف الوظيفة التي جرى عليها الصلح[5] .

ويقول برنارد لويس في كتابه العرب في التاريخ : إن المعلومات التي بين أيدينا لا تعطينا صورة واضحة عن سياسة هشام بن عبد الملك المالية ، ولكن لدينا بعض المعلومات المتعلقة بسياسات ولاة ثلاث ولايات رئيسية : عبيد الله بن

---

(١) دانيل دينيت ، ص ١٩١ .
(٢) الطبري ، ج٧ ، ص ٥٦ .
(٣) الطبري ، ج٧ ، ص ١٧٣ .
(٤) المصدر السابق ، ج٧ ، ص ١٧٣ .
(٥) المصدر السابق ، ج٧ ، ص ١٧٣ .

الحجاب في مصر ، خالد القسري في العراق ، ونصر بن سيار في خراسان ، ومن معلوماتنا هذه يمكننا أن نبني صورة لسياسة الفترة الأموية الأخيرة ، كانت القاعدة الاساسية للقرار الجديد هو أن الارض ، وليس المالك ، تدفع الخراج ، ومن ذلك العهد بقيت أراضي الخراج أراضي خراجية ، سواء أسلم أصحابها أم لم يسلموا وسواء اشتراها العرب المسلمون ، وبقيت أراضي العشر تدفع العشر، ولكن وضع حد لازدياد هذا النوع من الأراضي ، أما الذمة فكانوا بالطبع يدفعون الجزية بالاضافة الى الخراج ، وقد ازدادت فعالية هذا القرار الجديد بتعيين الدولة المراقبين الماليين الى جانب الحكام المحليين لمراقبة منع أي تغيير في تنفيذ القانون .

الصوافي

كان من نتائج الفتح أن أراضي عديدة في العراق والشام والجزيرة ومصر بقيت دون مالك إذ جلا عنها أهلها ، أو كانت تابعة للملوك أو لرجال الدين أو النبلاء ، وقد قرر عمر ضمها الى بيت مال المسلمين وعرفت بالصوافي لانه استصفاها أي جعلها خالصة للمسلمين ، وسميت أيضا القطائع لأنها اقتطعت فيما بعد لمن يتعهدونها ، قال ابو يوسف : أما القطائع من أرض العراق فكل ما كان لكسرى ومرازبته وأهل بيته مما لم يكن في يد أحد ، وكل من فرّ من أرضه وقتل في المعركة أو كل مغيض ماء أو أجمة . فكان عمر رضي الله عنه يقطع من هذه لمن أقطع[1] ، ويقول أبو يوسف إن الصوافي بمنزلة المال الذي لم يكن لأحد ولا في يد وارث فللامام العادل أن يجيز منه ويعطي من كان له غناء في الاسلام ويضع ذلك موضعه ولا يحابي به ، فكذلك هذه الأرض فهذا سبيل القطائع في أرض العراق والذي صنع الحجاج ثم فعل عمر بن

---

(١) ابو يوسف ، ص ٦٨ ، يحيى بن آدم القرشي ، ص ٤٥ . البلاذري ، فتوح ، ص ٢٧٢ .

عبد العزيز[1] ، وأرض القطائع قد يؤخذ منها العشر أو يؤخذ منها الخراج اذا كانت تشرب من أنهار الخراج[2] ، وهذا يعود الى رأي الامام ويؤخذ العشر من أصحابها اذا اضطر الى حفر الانهار وبناء البيوت وعمل الأرض لأن في هذا مشقة عظيمة على صاحب الاقطاع[3] .

وقد كان لعبد الله بن مسعود أرض خراجية وكان لخباب وللحسين بن علي ولغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم أراض خراجية ، وكان لشريح أرض خراج فكانوا يؤدون عنها الخراج[4] ، وكانت هذه القطائع كلها مثبتة في الديوان ، فلما أحرق الديوان أيام الحجاج بن يوسف ، أخذ كل قوم مايليهم[5] .

كما يذكر ابن عساكر أن الاراضي التي كان يملكها بطارقة الروم الـذين قتلوا أو هربوا صارت صافية للمسلمين موقوفة يقبلها والي المسلمين كما يقبل مزرعته فلم تزل تلك المزارع موقوفة مقبلة تدخل قبالتها بيت مال المسلمين حتى كتب معاوية الى عثمان أثناء ولايته على الشام أن ما أجراه عليـه من الرزق « لا يقوم بمؤن من يقدم عليه من وفود الأجناد ورسل أمرائهم ومن يقدم عليه من رسل الروم ووفودها »[6] ، وبعد أن أكد معاوية لعثمان أن هذه المزارع ليست من قرى أهل الذمة ولا الخراج ، كتب اليه عثمان بذلك كتاباً[7] . وعندما أصبح معاوية خليفة استصفى عامله على خراج الكوفة عبد الله بن دراج كـل ما كان لكسرى وآل كسرى لمعاوية فبلغت جبايته خمسين ألف ألف درهم من أرض الكوفة وسوادها[8] ، وكتب الى عبد الرحمن بن أبي بكره بمثل ذلك في

---

(١) أبو يوسف ، ص ٦٩ .

(٢) المصدر السابق ، ٦٩ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٦٩ .

(٤) المصدر السابق ، ص ٧٣ .

(٥) البلاذري ، فتوح ، ص ٢٧٢ .

(٦) ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، المجلدة الاولى ، ص ٥٩٥ .

(٧) المصدر السابق ، ص ٥٩٥ .

(٨) اليعقوبي ، تاريخ ، ج٢ ، ص ٢١٨ . البلاذري ، فتوح ، ج١ ، ص ٢٩١ ، يذكر البلاذري أن دخل معاوية من الاراضي التي استصفاها بلغ خمسة آلاف ألف وهو الاقرب الى الصواب .

أرض البصرة ، فكان مقدار ما يحمل اليه من صوافيه في العراق والمناطق التابعة إدارياً لها مبلغ مائة ألف ألف درهم منها كانت صلاته وجوائزه[1] .

وفعل معاوية بالشام والجزيرة واليمن مثلما فعل بالعراق من استصفاء ما للملوك من الضياع وتصييرها خالصة لنفسه وأقطعها أهل بيته وخاصته[2] ، حتى فدك اصطفاها معاوية وأقطعها لمروان بن الحكم[3] ، فلما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة ردّها الى ما كانت عليه ، وكان الرسول يضع مايأتيه منها في أبناء السبيل وكذلك فعل الخلفاء الراشدون .

ونلاحظ أن ابن عساكر استعمل في نصه لفظ التقبل عندما قال « فلم تزل تلك المزارع موقوفة مقبلة تدخل قبالتها بيت مال المسلمين » ، والتقبل هو أن يجعل شخص قبيلاً ، والقبيل هو الكفيل والعريف والضامن[4] ، أي أن يقوم شخص بتحصيل المال وأخذه لنفسه مقابل قدر معلوم يدفعه ، وهو ما عرف فيما بعد باسم نظام الالتزام فيستفيد السلطان تعجيل المال ويستفيد المتقبل الفرق بين ما دفعه وما حصله[5] . ولكن هذه الكلمة لا ترد الا بشكل نادر عند التكلم عن العصر الأموي ، وربما استخدم ابن عساكر لفظاً كان شائعاً في عصره ، فقد وردت إشارة له في عهد هشام عندما تقبل فروخ ابن المثنى من ضياع هشام ابن عبد الملك بموضع يقال له رستاق الرمان أو نهر الرمان ، ثم زاد عليه حسان النبطي ألف ألف درهم فسلمت اليه[6] .

ويبدو أن هذا النظام سيأخذ في الانتشار في العصر العباسي ، لأن أبا يوسف ينصح الخليفة هارون الرشيد أن لا يقبل شيئاً من السواد أو غيره لأن المتقبل

---

(١) اليعقوبي ، ج٢ ، ص ٢٣٣ .
(٢) المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٢٣٤ .
(٣) المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٣٠٥ . البلاذري ، فتوح ، ص ٤٦ .
(٤) الفيروزبادي ، القاموس المحيط ، الطبعة الثانية ، ج٢ ، ص ١٩٥٢ .
(٥) الخضري ، محاضرات تاريخ الأمم الاسلامية ، طبعة ١٣٤٨ هـ ، ص ٦٩٩ .
(٦) الطبري ، ج٧ ، ص ١٤٢ .

لا يبالي بهلاك أهل الخراج بصلاح أمره في قبالته ، ولعله يستفضل بعد مايتقبل فضلاً كثيراً ، وليس يسكنه ذلك الا بشدة منه على الرعية وضرب لهم شديد... وان هذا مما نهى الله عنه ، فقد أمر الله عز وجل أن يؤخذ منهم العفو وليس يحل أن يكلفوا فوق طاقتهم[1] .

وقد بـدأ يظهر في العصر الأموي نظام الالجاء وهو أن يلتجيء صاحب الأرض إلى بعض الكبراء فيكتب ضيعته باسمه فلا يتجرأ الجباة على العسف والظلم ويجعل صاحب الضيعة نفسه مزارعاً له ويدون ذلك في دفاتر الحكومة فتصبح تلك الضيعة بتوالي الأيام ملكاً للملجأ اليه[2] .

وعندما انبثقت البثوق في منطقة البطائح في ولاية الحجاج كتب الحجاج الى الوليد بن عبـد الملك يعلمه ذلك وأن سدها يكلف ثلاثـة ملايين درهم فاستكثرها الوليد ، فتطوع مسلمة بن عبد الملك بالانفاق عليهـا وأن يتولى الحجاج أمر الانفاق مقـابل أن يقطعه الوليد الأراضي المنخفضة التي يبقى فيها الماء بعد إنفاق الملايين الثلاثة ، فأجابه الوليد الى ذلك فحصل على أراض كثيرة وطساسيج متصلة وتألف الأكرة والمزارعين وعمّر تلك الأراضي ، ومن ثم الجأ الناس اليه ضياعاً كثيرة للتعزز به[3] . وعندما عسكر مروان بن محمد والي ارمينية واذربيجان في المراغة بعد انصرافه من غزو موقان وجيلان الجأ أهلهـا أراضيهم الى مروان فابتناها وتألف وكلاؤه أهلها فكثروا فيها للتعزز به[4] ، ثم إن العرب عندما نزلت أذربيجان نزعت إليها عشائرها من المصرين والشام وغلب كل قوم على ما أمكنهم وابتاع بعضهم الأراضي من العجم والجئت إليهم القرى للخفارة فصار أهلها مزارعين لهم[5] .

---

(١) ابو يوسف ، ص ١٢٥ .
(٢) ابن خلدون ، ج١ ، ص ٣٠٨ .
(٣) البلاذري ، فتوح ، ص ٢٩٢ .
(٤) البلاذري ، فتوح ، ص ٣٢٥ . ياقوت ، ج٥ ، ص ٩٣ .
(٥) المصدر السابق ، ص ٣٢٤ ، ٣٢٥ .

العشور :

العشور أشبه بما نسميه في وقتنا الحاضر بالضرائب الجمركية ، فكانت تؤخذ من التجار من المسلمين ربع العشر ومن أهل الذمة نصف العشر ومن أهل الحرب العشر[1] ، ويورد يحيى بن آدم روايتين : الأولى تذكر أن عمر بن الخطاب كتب الى أبي موسى الاشعري أن يأخذ من تجار المسلمين من كل مائتين خمسة دراهم ، وما زاد على المائتين فمن كل أربعين درهماً درهم ، ومن تجار أهل الخراج نصف العشر ، ومن أهل الحرب العشر ، أما الرواية الثانية عن عبد الله بن مغفل عن زياد بن جرير قال : ماكنا نعشر مسلماً ولا معاهداً ، وانما كنا نعشر تجار أهل الحرب كما يعشرونا إذا أتيناهم[2] ، وكان عمر بن الخطاب أول من عشر من أهل الحرب عندما كتب قوم من أهل الحرب الى عمر طالبين منه أن يسمح لهم بدخول أرض المسلمين كتجار مقابل أن يدفعوا العشر فشاور عمر أصحاب رسول الله في ذلك فأشاروا عليه أن يفعل[3] ، ولم تكن الضريبة تؤخذ من التاجر إلا مرة واحدة كل سنة اذا انتقل من بلدة الى بلاد أخرى ، وكان العاشر يكتب لهم كتاباً بما يأخذه[4] ، ويستخدم المقريزي لفظ المكس والمقس فيقول إن المقس كانت ضيعة تعرف بأم دنين وانما سميت المقس لان العاشر كان يقعد بها وصاحب المكس ، فقيل المكس ، فقلب فقيل المقس[5] . والمكس دراهم كانت تؤخذ من بائع السلع في الأسواق في الجاهلية ويقال للعشار صاحب مكس[6] . ويقال ان ربيعة بن شرحبيل بن حسنه رضي الله عنه وكان ممن شهد فتح مصر من أصحاب الرسول عليه الصلاة والسلام ، كان والياً

(١) أبو يوسف ، ص ١٦١ .
(٢) يحيى بن آدم ، ص ١٢٦ .
(٣) أبو يوسف ، ص ١٦١ . المقريزي ، الخطط ، ج٢ ، ص ٥٠٨ ، ٥٠٩ .
(٤) المصدر السابق ، ص ١٦٠ .
(٥) الخطط ، ج٢ ، ص ٥٠٧ .
(٦) المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٥٠٧ .

لعمرو بن العاص على المكس في مصر[1] ، وأثر عن زريق بن حيان الذي كان على مكس مصر زمن الخليفة عمر بن عبد العزيز أنه قال إن الخليفة كتب إليه أن يراقب من مر عليه من المسلمين فيأخذ مما ظهر من أموالهم وما ظهر له من التجارات من كل أربعين ديناراً ديناراً وما نقص بحسابه حتى تبلغ عشرين ديناراً، فان نقصت عن ذلك تركها ولا يأخذ منها شيئاً ، وإذا مر عليه أهل الذمة أخذ منهم من كل عشرين ديناراً ديناراً وما نقص فبحسابه ذلك حتى تبلغ تجاراتهم عشرة دنانير ، فان نقصت عن ذلك لا يأخذ منها شيئاً ، والا يأخذ العشر من التجار إلا مرة واحدة في العام وأن يكتب لهم كتاباً بما أخذه[2] ، ونفهم مما ذكره مالك رحمه الله أن هذه الضريبة كانت تؤخذ على التجارة الخارجية إذ يقول : والسنة أنه ما أقام الذمة في بلادهم التي صالحوا عليها فليس عليهم فيها الا الجزية ، الا أن يتجروا في بلاد المسلمين ويختلفوا فيها ، فيؤخذ منهم العشر فيما يديرون من التجارة ، وان اختلفوا في العام الواحد مراراً الى بلاد المسلمين، فعليهم كلما اختلفوا العشر ، واذا اتجر الذمي في بلاده من أعلاها الى أسفلها ، ولم يخرج منها الى غيرها ، فليس عليه شيء .. مثل أن يتجر الذمي الشامي في جميع الشام ، أو الذمي المصري في جميع مصر ، أو الذمي العراقي في جميع العراق[3] . ويعلق المقريزي أن أخذ العشر مرة واحدة من التاجر لم يطبق إلا في عهد عمر بن عبد العزيز فيقول : « وليس العمل عندنا على قول عمر بن عبدالعزيز وانما العمل على أن يؤخذ منهم العشر وان خرجوا في السنة مراراً من كل ما اتجروا به قل أو كثر ، هذا قول ربيعة وابن هرمز »[4] .

ويجب أن نشير هنا أن كل ما يؤخذ من المسلمين من العشور فسبيله

---

(١) المقريزي ، الخطط ، ج٢ ، ص ٥١١ .
(٢) المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٥١٠ .
(٣) المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٥٠٨ .
(٤) المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٥٠٨ .

سبيل الصدقة[١] ، وسبيل ما يؤخذ من أهل الذمة جميعاً وأهل الحرب سبيل الخراج[٢] .

الخمس :

ونعني بذلك خمس الغنيمة ، وهو ماغلب عليه المسلمون بالقتال[٣] قلّ أو كثر حتى الابره ، أما الأرض فالى الامام إن رأى أن يخمسها ويقسم أربعة أخماسها للذين ظهروا عليها فعل ذلك ، وان رأى أن يدعها فيئاً للمسلمين فعل بعد أن يشاور في ذلك ويجتهد برأيه لأن رسول الله قد وقف بعض ما ظهر عليه من الأرض فلم يقسمها وقد قسم بعض ما ظهر عليه[٤] . وقد رأينا أن عمر أجرى أرض العنوة كلها مجرى أرض الصلح فلم يقسمها وانما تركها فيئاً للمسلمين واتبع الأمويون المبدأ نفسه في فتوحاتهم في المغرب والمشرق .

والواجب في المغنم تخميسه إذ يقول الله تعالى في سورة الأنفال : « واعلموا أنما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل »[٥] ، أما الباقي ، فيقسم بين الجند من أهل الديوان وغيرهم[٦] ، إذ قال عمر بن الخطاب : « الغنيمة لمن شهد الوقعة »[٧] . وقد بقيت الغنائم تقسم بين الغانمين في عهد بني أمية عندما كان المسلمون يغزون الروم والترك والبربر[٨] . ولكن تقدير الخمس كان يعتمد إلى حد كبير على أمانة قائد الحملة ودقته في تسجيل الغنائم أو رغبته في التباهي كما فعل يزيد بن المهلب عندما كتب الى سليمان بن عبد الملك مفاخراً بفتحه جرجان وطبرستان ، وان

---

(١) ابو يوسف ، ص ١٦٠ .
(٢) المصدر السابق ، ص ١٦١ .
(٣) يحيى بن آدم ، ص ٣ ، ص ١٣ . ابن تيمية ، ص ٣٠ .
(٤) يحيى بن آدم ، ص ٥ .
(٥) سورة الانفال آية ٤١ .
(٦) يحيى بن آدم ، ص ٣ ، ابو يوسف ، ص ٢١ .
(٧) ابن تيمية ، ص ٣٠ .
(٨) المصدر السابق ، ص ٣٠ .

خمس ما أفاء الله على المسلمين بعد أن صار الى كل ذي حق حقـه من الفيء والغنيمة ستة آلاف ألف وانه حامل ذلك الى أمير المؤمنين[1] ، وقد نصحـه كاتبه المغيرة بن أبي قرّه أن لا يكتب اليه بقيمة المبلغ لانه عند ذلك سوف يضع نفسه في موقف حرج فاما أن يستكثر سليمان المبلغ ويطلب اليه أن يحمله اليه واما ان يسوغه المبلغ فلا بد من أن يقدم له هدية « فلا يأتيه من قبلك شيء الا استقله ، ولم يقع منه موقعاً »[2] ، وبين له الكاتب أنه إذا عين قيمة المبلغ فان ذلك سوف يدون في الدواوين وعند ذلك يمكن للوالي من بعده أن يأخذه بها ، وان ولي من يتحامل عليه فقد يطالبه بأضعافه ، وانه من الأفضل أن يكتب له بالفتح وأن يسأله القدوم ثم يشافهه مشافهة[3] ، وقد حدث هذا بالفعل ، فانه عندما أصبح عمر بن عبد العزيز خليفة طالب يزيد بن المهلب بالمبلغ فأخبره أنه إنما فعل ذلك لكي يسمع الناس به[4] ، فاضطر عمر بن عبد العزيز الى حبسه لأنـه عجز عن دفع المبلغ الـذي هو حق من حقوق المسلمين[5] ، ويمكن أن نستنتج من هذه الرواية أموراً عدة منها أن الخمس كان يسوغ أحياناً للولاة ، وكان يرسل للخليفة أحياناً أخرى ، وانه كان بامكان الوالي أو القائد بالاتفـاق مع كاتبه أن يسجل الرقم الذي يريده ، وكان من سوء حظ يزيـد أن رغبته في التباهي قد أوقعته في السجن .

ومن هذه الرواية وروايات أخرى نلاحظ أن الأمويين لم يكونوا يطبقون في الخمس القواعد المطبقة في عهد الرسول ، إذ كان الخمس يوزع على خمسة أسهم : لله وللرسول سهم ، ولذي القربى سهم ، ولليتامى والمساكين وابن السبيل

---

(١) الطبري ، ج٦ ، ص ٥٤٤ .
(٢) المصدر السابق ، ج٦ ، ص ٥٤٤ .
(٣) المصدر السابق ، ج٦ ، ص ٥٤٥ .
(٤) المصدر السابق ، ج٦ ، ص ٥٥٧ .
(٥) المصدر السابق ، ج٦ ، ص ٥٥٧ .

ثلاثة أسهم ، ثم قسمه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم على ثلاثة أسهم وسقط سهم الرسول وسهم ذوي القربى وقسم على الثلاثة الباقين[1] .

وقد اختلف الناس بعد وفاة الرسول الكريم في هذين السهمين ، سهم الرسول وسهم ذوي القربى ، فقال قوم سهم رسول الله للخليفة من بعده ، وقال آخرون سهم ذوي القربى لقرابة الرسول عليه السلام ، وقالت طائفة منهم أن سهم ذوي القربى لقرابة الخليفة من بعده ، ثم أجمعوا على أن جعلوا هذين السهمين في الكراع والسلاح[2] ؛ وعن عطاء بن السائب أن عمر بن عبد العزيز بعث سهم الرسول وسهم ذوي القربى الى بني هاشم[3] ، ويبدو حسب رواية يوردها ياقوت أن البعض كانوا يرون أن سبيل الخمس سبيل الفيء ، يكون حكمه للامام ، وان رأى أن يجعله لمن سمى الله جعله ، وان رأى أن الأفضل للمسلمين والأوفر لحظهم أن يضعه في بيت مالهم لنائبة تنوء بهم ومصلحة تعن لهم ، مثل سد ثغر ، واعداد سلاح وخيل وأرزاق أهل الفيء من المقاتلين والقضاة وغيرهم ممن يجري مجراهم[4] ، فعل ؛ ولعل الأمويين طبقوا هذا المبدأ لا سيما وأنهم كانوا بحاجة إلى الأموال التي مكنتهم من القيام بهذه الفتوحات شرقاً وغرباً ، ويدل على ذلك أن زياداً كتب الى الحكم بن عمرو بخراسان ، أن معاوية قد أمره أن يصطفي له كل صفراء وبيضاء والروائع ، عندما سمع بالغنائم التي كسبها المسلمون في غزوة جبل الأشل ، ولكن الحكم لم ينفذ طلب معاوية وانما عزل الخمس وقسم الغنائم بين المقاتلين .

٣ ـ الصدقة :

الصدقة هي زكاة أموال المسلمين من الذهب والورق والابل والبقر والغنم

---

(١) أبو يوسف ، ص ٢١ .
(٢) أبو يوسف ، ص ٢٤ .
(٣) أبو يوسف ، ص ٢٤ . اليعقوبي ، تاريخ ، ج٢ ، ص ٣٠٥ .
(٤) ياقوت الحموي ، ج١ ، ص ٤٢ .

والحب والثمار[1] ، يضاف إلى ذلك مايؤخذ من المسلمين من العشور ، عشور الأموال وربع العشر الذي يؤخذ من تجارتهم[2] . وقد اعتبرت أرض الحجاز ومكة والمدينة وأرض اليمن وأرض العرب التي فتحها رسول الله أرض عشر ولم يجعل على شيء منها خراجاً[3] ، وبالرغم من أن النبي جعل على قوم من أهل اليمن يرى أنهم من أهل الكتاب الجزية فانه لم يفرض الخراج على أرضها « وانما جعل العشر في السيح ونصف العشر في الداليه لمؤونة الدالية والساقية »[4] .

ويبدو أن الأمويين قد وضعوا على أهل اليمن صدقاتهم وظائف إن افتقروا لم ينقصوا وان استغنوا زيد عليهم ، فلما كانت خلافة عمر بن عبد العزيز كتب الى واليه على اليمن أن يبطل هذا الحيف وأن يأخذ منهم مايرى عليهم من الحق وأن يقسم ذلك على فقرائهم[5] .

أما في خارج الجزيرة العربية فقد اعتبرت الاراضي التي أسلم عليها أهلها وأرض الموات التي أحياها المسلمون ، والأراضي التي رفضها أهلها فاقطعت للعرب أراضي عشر[6] ، ففي صلح الرها مثلا دفع عياض بن غنم مالم يرده أهل الذمة فرفضوه من الأرض الى المسلمين على العشر[7] ؛ وقد رأينا أن حسان بن النعمان كتب الخراج على عجم إفريقية ومن أقام معهم على النصرانية من البربر والبرانس[8] . أما أرض البربر الذين أسلموا فان حسان جعلها خططاً للبربر ،

---

(١) أبو عبيد ، ص ١٦ .
(٢) المصدر السابق ، ص ١٦ .
(٣) أبو يوسف ، ص ٧٠ ، ٧٩ .
(٤) المصدر السابق ، ص ٧٠ .
(٥) ابن عبد الحكم ، سيرة عمر بن عبد العزيز ، ص ٥٦ .
(٦) البلاذري ، فتوح ، ص ١٨٤ . ياقوت الحموي ، ج١ ، ص ٤٥ .
(٧) المصدر السابق ، ص ١٧٩ .
(٨) ابن خلدون ، ج٦ ، ص ١١٠ .

كما أنه كان يقسم الفيء بينهم والأرض ، أي أنه عاملهم معاملة العرب[1] الذين أسلموا .

وقد حدد الله وجوه صرف الصدقات في الآية الكريمة : « إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين ، وفي سبيل الله وابن السبيل »[2] .

ولا يدخل مال الصدقة في مال الخراج ولا يجوز أن يتولها عمال الخراج بل إن للصدقة عمالها ولهم رزقهم من مال الصدقة ، على أن لا يستغرق أكثر الصدقة[3] . وتصرف صدقة كل ناحية في أهلها ، ولا يجوز نقل صدقات بلد إلى غيره إلا سهم سبيل الله في الغزاة فانه ينقل إليهم لانهم يسكنون الثغور في الأغلب[4] .

وكانت الزكاة تؤخذ في خلافة الراشدين من المسلمين المسجلين في العطاء[5] ، وكذلك فعل معاوية الذي سنّ أخذ الزكاة من الأعطية[6] .

وقد نتساءل الى أي مدى طبق الأمويون مبدأ عدم نقل صدقات بلد الى بلد آخر واستخدام أموال الصدقات في غير ماذكر في الآية الكريمة ؟ ليس بين أيدينا في الواقع روايات تشير الى أنهم ناقضوا هذا المبدأ وان كان هناك خبر واحد يدل على أن الأمويين كان لديهم الاستعداد في تغيير هذا المبدأ ، فقد ذكر ابو عبيد أن معاوية حاول أن يعطي أهل المدينة أعطياتهم وافرة غير منقوصة ولكنه وجد عجزاً في المال ، فكتب الى مروان بن الحكم أن يأخذها من صدقة مال

(١) المالكي ، ص ٣٦ .
(٢) ابن تيمية ، ص ٣٤ .
(٣) أبو يوسف ، ص ٩٥ .
(٤) الماوردي ، ص ١٢٤ .
(٥) أبو عبيد ، ص ٣٥٩ .
(٦) اليعقوبي ، تاريخ ، ج٢ ، ص ٢٠٧ .

اليمن ، فرفض أهل المدينــة ذلك لأن مال اليمن صدقة ، والصدقــة لليتامى والمساكين وعطاؤهم من الجزية[1] •

الضرائب الاضافية في العصر الأموي :

من نصوص وردت في كتاب الخراج لأبي يوسف وكتاب الأموال لابي عبيد وفي تاريخ اليعقوبي نستنتج أن الأمويين لم يكتفوا بالجزية والخراج والعشور من التجارة ، بل فرضوا أنواعاً من الضرائب الاضافية التي جاء الخليفة عمر بن عبد العزيز فألغاها :

١ ــ فرض ضرائب موحدة على الأراضي المزروعة وغير المزروعة •

٢ ــ تحصيل ضرائب إضافية بعضها كان إحياءاً لرسوم تقليدية ساسانية كهدايا النيروز والمهرجان • وقد قال الجاحظ في « التاج »[2] : ومن حق الملك هدايا المهرجان والنيروز والعلة في ذلك أنهما فصلا السنة ، فالمهرجان دخول الشتاء وفصل البرد والنيروز اذن بدخول فصل الحر • وأول ماورد ذكر لهذه الهدايا في أثناء الفتوح كان في عهــد عثمان وذلك أنــه في سنة ٣٢ هـ صالح الأحنف بن قيس أهل بلخ على أربعمائة ألف ، وأناب ابن عمه وهو اسيد بن المتشمس ليأخذ منهم ماصولحوا عليه ، وقد قبض اسيد ذلك ، ووافق وهــو يجبيهم المهرجان ، فاهدوا اليه هدايا ، من آنية الذهب والفضة ، ودنانير ودراهم ومتاع وثياب[3] ، فقال : هذا ما صالحناكم عليه ؟ قالوا لا ، ولكن هذا شيء تصنعه في هذا اليوم لمن ولينا، نستعطفه به، قال ماأدري ماهذا ولكن أقبضهوأعزله حتى قدم على الأحنف فأخبره ، فسألهم عنه ، فقالوا مثل ماقالوا لابن عمه فحمله الى ابن عامر وهو الأمير فأخبره ، فقال : اقبضه يا أبا بحر ، فهو لك ، قال : لا حاجة لي فيه ، فأخذه ابن عامر ، قال الحسن وهو يقص الحادث : « فضمه

---

(١) أبو عبيد ، ص ٢٥٦ •
(٢) الجاحظ ، التاج ، ص ١٤٦ •
(٣) الطبري ، ج٤ ، ص ٣١٣ •

القرشي وكان مضما »[1] . وفي سنة ٤٣ هـ عزل عبد الله بن عامر قيس بن هيثم عن خراسان لأنه استبطأ قيساً بالخراج ولأنه أمسك عنه الهدية[2] ، ويبدو أن الهدية أصبحت واجباً فيما بعد ذلك حتى جاء عمر بن عبد العزيز فأمر بابطالها .

٣ ـ تحصيل ثمن الورق المستخدم في الطلبات الرسمية والأجور التي تدفع للعمال المشتغلين في دور ضرب النقود .

٤ ـ فرض ضرائب على البغايا وعلى بعض البيوت .

٥ ـ اشتراط العمال تحصيل الضرائب لعملات ذات وزن معين بدلا من العملات المتوفرة لدى الأهالي والاستيلاء على فروق النقد بينهم .

وفي ذلك كتب عمر بن عبد العزيز الى عامله : .. وأمرتك أن لا تحمل خراباً على عامر ، ولا عامراً على خراب ، ولا تأخذ من الخراب إلا ما يطيق ولا من العامر إلا وظيفة الخراج في رفق وتسكين لأهل الارض وأمرتك أن لا تأخذ في الخراج إلا وزن سبعة ليس لها أس ولا أجور الضرابين ولا إذابة الفضة ، ولا هدية النيروز والمهرجان ، ولا ثمن الصحف ، ولا أجور البيوت ولا دراهم النكاح[3] .

ونلاحظ أن كتاب عمر بن عبد العزيز يتضمن الضرائب الاضافية التي فرضت على الولايات الشرقية ، فهل هناك ذكر لضرائب إضافية في مصر ؟ لا يتكلم المؤرخون العرب الذين يبحثون في تاريخ مصر عن ضرائب إضافية ، وانما يشيرون الى محاولات الأمويين في زيادة نسبة الجزية والخراج ، إذ يورد ابن عبد الحكم رواية عن عبيد الله بن أبي جعفر عن رجل من كبراء الجند أن معاوية كتب الى مولاه وردان : « أن زد على كل رجل منهم قيراطاً » فكتب وردان الى

---

(١) الطبري ، ج٤ ، ص ٣١٤ .
(٢) الطبري ، ج٥ ، ص ٢٠٩ .
(٣) ابو عبيد ، ص ٤٦ ، ٤٧ . أبو يوسف ، ص ١٣٠ . اليعقوبي ، تاريخ ، ج٢ ، ص ٣٠٥ .

معاوية ، كيف تزيد عليهم وفي عهدهم أن لا يزاد عليهم شيء ؟[1] وليس ثمة من رواية تشير الى أن معاوية فرض بعد ذلك مثل هذه الزيادة . أما الزيادة التي تمت في الخراج فهي التي ذكرها المقريزي عند الكلام عن ذكر انتقاض القبط عندما كتب عبيد الله بن الحبحاب عامل الخراج في مصر الى هشام بن عبد الملك يخبره أن أرض مصر تحتمل الزيادة ، فزاد على كل دينـار قيراطاً[2] ، إلا أن ساويرس في كتابه سير الآباء البطاركة يشير مثلا أن قرة بن شريك قد فرض على البلاد مائة الف دينار سوى خراجها المعروف[3] . فاذا كان ما ذكره ساويرس صحيحاً فان هذا يدل على وجود ضرائب أخرى قـد فرضت وان لم يشر الى نوعيتها ، كما يتكلم ساويرس عن هرب أسر بأسرها رجالاً ونساءً وأطفالاً من مكان الى مكان فراراً من دفع الضرائب وأن قرّة اضطر ازاء هذا الى انشـاء هيئة خاصة لوقف تلك الحركة واعادة كل شخص الى موضعه[4] وان هـذه الحركة بدأت في عهد عبد الله بن عبد الملك الذي تشدد على الأقباط في الأمور المالية[5] . وتلقي أوراق بردي كوم اشقاو شعاعاً من النور على هذه الحركة التي كان محورها الزراع من أهل الذمة ، وكان الوالي يأمر باعادتهم الى قراهم الأصلية فنراه يكتب الى صاحب أشقوه أنه علم بوجود جالية بأرضه ويطلب منه أن يرد الجالية ــ أي الهاربين ــ الى أرضهم الأصلية[6] .

وفي خلافة سليمان بن عبد الملك أمر اسامة بن زيد ــ عامل الخراج ــ ألا يأوي أحد غريباً في الكنائس أو الفنادق أو السواحل ، ولشدة الخوف منه طرد الناس من كان عندهم من الغرباء أو الهاربين[7] ، ولكي لا يتمكن أحـد من

(١) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ٨٦ .
(٢) المقريزي ، الخطط ، ج١ ، ص ١٤٥ .
(٣) ساويرس ، ج٥ ، ص ٦٤ .
(٤) ساويرس ، ج٥ ، ص ٦٤ .
(٥) المصدر السابق ، ج٥ ، ص ٥٤ ، ٥٥ .
(٦) Grohmann, Arabic Papyri, Vol. III. p. 24.
(٧) ساويرس ، ج٥ ، ص ٦٨ .

الهرب من منطقة أخرى عملت سجلات للأهالي أشبه بالبطاقات أو الهوية أو بجوازات السفر اليوم فالزم كل شخص يريد الانتقال من جهة الى جهة في أنحاء القطر المصري أو يريد ركوب سفينة أو النزول منها أن يحمل معه سجله • وقد أمر الوالي بالقبض على أي شخص يرى ماشياً في موضع ما أو عابراً من موضع الى موضع وليس معه سجله ، أما من فقد سجله أو أتلفه فقد ألزمه الوالي بالحصول على سجل آخر مقابل دفع غرامة قدرها خمسة دنانير[١] •

هذه الروايات التي يوردها ساويرس تشير إن صحت إما الى فرض نسبة أعلى من الجزية والخراج أو الى فرض ضرائب إضافية دفعت السكان الى الهرب فراراً من دفع الجزية •

واذا مادرسنا أوراق البردي المتعلقة بالضرائب بين عامي ٨٠ ، ١٠٠ هـ فانها تعطينا قوائم عما كان يدفعه الأشخاص وانذارات بدفع الضرائب والطلبات المالية التي تقتضيها المصلحة العامة من الأفراد ، كما أن بعض هذه الأوراق تعطي صورة عن الأثمان والأجور التي هي خير دليل على تقدير القيمة الفعلية للنقود ذلك أنه في سنة ٨٠ هـ قدر العشرون اردباً من الحنطة بمبلغ دينار واحد ، وفي سنة ٨٨ هـ بلغ ثمن الاثني عشر اردبا منها بدينار واحد ، ونرى بعد ذلك أن عشرة أرادب من الحنطة أو العشرين اردبا من الشعير تساوي ديناراً واحداً[٢] • وفي سنة ٨٨ هـ كانت ضريبة الغلة تبلغ على وجه التقريب اردبا عن كل دينار من الخراج[٣] ، ولكن في سنة ٩٦ هـ كانت اردبين عن الدينار[٤] • وفي سنة ٨٠ هـ دفعت « بوصير » سبعين ديناراً وواحداً وعشرين قيراطاً ثم دفعت في سنة ٩٢ هـ مبلغ مائة وأربعة دنانير وثلثي دينار[٥] • وفي سنة ٩١ هـ طلب أولو الأمر سبعين

---

(١) ساويرس ، ج٥ ، ص ٧٠ •

(٢) Greek Papyri, in The British Museum, Vol. IV 1893 No. 1433 P.P 282-307. No. 1434, P.P. 307-322.

(٣) Op. Cit., No. 1420, P.P. 231-241 .

(٤) Op. Cit., No. 1424, P.P. 254-256 .

(٥) Op. Cit., No. 1412, P.P. 81-103 .

قميصاً ، كل واحد بربع دينار جزية لأمير المؤمنين[1] • وكان الوالي يحتاج الى مواد مختلفة « لاعالتنا وللعمال الذين معنـا من العرب والنصارى على السواء ولغيرهم »[2] • كما أن الأساطيل كانت في حاجة الى كثير من البحارة الـذين يلتزم لهم دافعو الضرائب بأجورهم ، وكذلك الحال إزاء العمال الذين كان لا بد من اتخاذهم للعمل في بيت المقدس وفي دمشق[3] • ونلاحظ من الأمثلة التي أوردناها ارتفاع الاسعار من ناحيـة بين سنة ٨٠ هـ و ٩٦ هـ وازدياد نسـبة الخراج وفرض طلبات معينة كانت تتطلبها مصلحة الدولة فهذه مجتمعة شكلت ولا شك عبئاً على المواطنين •

وجوه انفاق مال الفيء

اتبع الأمويون نظام اللامركزية فكانت كل ولاية تصرف ايراداتهـا على مرافقها الخاصة ويرسل الباقي الى بيت المال العام المعد للمصالح العامة •

وكان من أهم وجوه صرف مال الفيء عطاء الجند وعطاء المسلمين اللذان كانا يسيران جنبا الى جنب في أيام عمر بن الخطاب حين كان المسلمون كلهـم جنداً ، ولكن سرعان ما افترق هذان النوعان عن بعضهما خلال الحكم الأموي حين زاد عدد المسلمين وتوقفت حركة الفتح واشتغل المسلمون بالحرف المختلفة واختلف عدد الجند ومقدار عطائهم باختلاف الخلفاء والولاة وتبعا للظروف السياسية والاقتصادية كما سيتوضح ذلك عند البحث عن ديوان الجند والعطاء •

وكان ينفق من أموال الفيء على مصالح الدولة فيصرف منها على مشاريع الري واقامة المنشآت وشراء ملابس الجنـد وأسلحتهم ودفع رواتب الولاة والقضاة والعمال والموظفين على اختلاف مهامهم[4] • ثم إن المهـام الموكلة في

---

(١) Op. Cit., No. 1362, p. 1.

(٢) Op. Cit., No. 1375 .

(٣) Op. Cit., No. 1413 .

(٤) ابو يوسف ، ص ٢٢١ •

الوقت الحاضر الى وزارة العمل والشؤون الاجتماعية كانت تشرف عليها الدولة من الاهتمام بالايتام وترتيب المؤدبين لهم ، والاهتمام بالزمنى والاضراء وترتيب من يخدمهم ويقودهم ، وقضي على التسول عن طريق توفير الرزق لهؤلاء الفقراء وحرّم عليهم سؤال الناس[١] ، كما أن عمر بن عبد العزيز اهتم بتوفير الراحة للمسافرين من المسلمين فأمر ببناء الخانات إذ كتب الى عامله على سمرقند سليمان ابن أبي السرى : ان أعمل خانات في بلادك فمن مر بك من المسلمين فأقروهم يوماً وليلة وتعهدوا دوابهم ، فمن كانت به علة فاقروه يومين وليلتين ، فان كان منقطعاً به فقوه بما يصل به الى بلده[٢] . وهو بعمله هـذا إنما طور ما فعله عمر بن الخطاب عندما بنى دار الدقيق ، فجعل فيه الدقيق والسويق والتمر والزبيب وما يحتاج اليه يعين به المنقطع والضيف ينزل بعمر ، ووضع عمر في طريق السبل مابين مكة والمدينة مايصلح من ينقطع به[٣] .

ولم يكن اهتمام الدولة موقوفاً على المسلمين وانما كانت الدولة تنفق كذلك على من كبرت سنه من أهل الذمة وضعفت قوته ، إذ كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن أرطاة أن يجري على هؤلاء من بيت مال المسلمين وذلك أنه بلغه أن أمير المؤمنين عمر مر بشيخ من أهل الذمة يسأل على أبواب الناس ، فقال : ما أنصفناك إن كنا قد أخذنا منك الجزية في شبيبتك ثم ضيعناك في كبرك[٤] .

وقد كانت الدولة تشرف على نظافة المدن بعد أن رأت أن الاعتماد على الأفراد لا يؤدي الى الغاية المنشودة ، وان كانت تعتبر الأفراد مسؤولين عن نظافة فناء بيوتهم وتعاقب من يهمل ذلك ؛ فعن المدائني أن زياداً كان يأخذ صاحب كل دار بعد المطر اذا أضحت برفع ما بين يدي فنائه من الطين ، فمن لم يفعل أمر

---

(١) ابن عبد ربه ، ج٤ ، ص ٤٢٤ .
(٢) الطبري ، ج٦ ، ص ٥٦٧ .
(٣) الكتاني ، التراتيب الادارية ، الرباط ، ١٣٤٦ هـ ، ج١ ، ص ٤٥٣ .
(٤) ابو عبيد ، ص ٤٦ .

ذلك الطين فألقي في مجلسه ، وكان يأخذ الناس بتنظيف طرقهم من القذر والكناسات ثم انه اشترى عبيداً ووكلهم فكانوا يلمونه[1] ، فهذه الرواية تشير الى وجود موظفين مهمتهم مراقبة النظافة من ناحية ، كما تشير الى أن زياداً تنبه الى أن نظافة الطرق أمر يجب أن يتولاه أشخاص معينون فاشترى عبيداً وكل إليهم تنظيف الطرق من القذر والكناسات .

وقد يقول قائل : إن هذا خبر واحد لا يمكن أن يستند عليه في التعميم وفي القول بأن الدولة كانت تنفق وتشرف على نظافة المدن ، ولكن ما الذي يمنعنا من الافتراض أن زياداً كان لا يأمر عماله على الولايات التابعة له أن يهتموا بقضية النظافة وان أمراء الولايات الأخرى قد أهملوا هذه الناحية ؟ جل ما في الامر أن مؤرخينا أولوا الاخبار السياسية والحروب والفتن اهتمامهم الأكبر ، ولذلك فنحن مدينون للبلاذري بالكثير لاهتمامه بكثير من الشؤون الاجتماعية والاقتصادية التي أهملها غيره .

ثالثا ـ توطيد الأمن

إذا لم يكن في العصر الأموي ما يماثل وزارة الداخلية في الوقت الحاضر فان مهمة توطيد الأمن كانت من المهمات الادارية البالغة الأهمية في العصر الأموي ، واذا كان اقرار الأمن الخارجي قد استحوذ على اهتمام الخلفاء الراشدين رغبة في الحفاظ على الأقاليم التي امتد الفتح الاسلامي اليها فان الفتنة التي أعقبت مقتل عثمان ، ثم الفتنة الثانية التي اندلعت إثر موت معاوية ابن يزيد وما تبع ذلك من فوضى واضطراب جعل الأمويين يولون اهتمامهم لتوطيد الأمن الداخلي والخارجي على حد سواء .

توطيد الأمن الخارجي

ونعني به حماية الدولة الاسلامية من خطر هجوم الأعداء إذ أن توسع المد

(١) البلاذري ، أنساب الاشراف ، ج٤ ، قسم١ ، ص ٢٠٦ .

الاسلامي في عهد عمر واحاطة الأعداء بهم من روم وفرس دفعت عمر الى اتخاذ اجراءات تساعد المسلمين أن يكونوا مستعدين في أي وقت لرد هجوم الأعداء ، فمنع الجند من الزراعة لأن عطاءهم قائم ورزق عيالهم سائل(١) .

كما اتخذ عمر في كل مصر خيولاً على قدره من فضول أموال المسلمين عدة لكون إن كان(٢) ، فكان بالكوفة من ذلك أربعة آلاف فرس ، وكان القيم عليها سليمان بن ربيعة ونفر من أهل الكوفة وفي كل مصر من الأمصار الأخرى على قدره فاذا ما حدث هجوم مفاجيء ساروا الى أن يتجهز الناس(٣) .

وقد وجدت الدولة الاسلامية نفسها مندفعة نحو البحر الأبيض المتوسط منذ شرعت تجوس خلال ديار الشام ، واعتبرته حدوداً ينبغي تحصينها ضد غارات البيزنطيين الذين مافتئوا يستخدمونه لصد الفتح الاسلامي أولاً ثم محاولة استعادة مافقدوه ثانية ؛ فالبلاذري يروي أنه بعد فتح صيدا وعرقه وجبيل وبيروت وكلها مدن ساحلية نجح الروم بالاستيلاء على بعضها في آخر خلافة عمر وأول خلافة عثمان وأن معاوية قصد لهم حتى فتحها ثم رمّها وشحنها بالمقاتلة(٤) .

ولذلك كان أول مافعلته الدولة الاسلامية لتلافي ضعفها في الحروب البحرية أن اتجهت الى تحصين السواحل وتعمير محارسها ، فنجد المسلمين يضعون نظاماً دقيقاً لحراسة السواحل وينقلون إليها أقواما من القادرين على الحرب ، إذ يذكر البلاذري أن معاوية كتب الى عمر بن الخطاب بعد موت أخيه يصف له حالة السواحل « فكتب اليه في مرمة حصونها وترتيب المقاتلة

---

(١) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ١٦٢ .
(٢) ابن الاثير ، ج٢ ، ص ٣٧٢ .
(٣) المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٣٧٢ .
(٤) البلاذري ، فتوح ، ص ١٣٣ .

فيها واقامة الحرس على مناظرها[1] واتخاذ المواقيد لها ، وكان المسلمون كلما فتحوا مدينة ظاهرة أو عند الساحل رتبوا فيها قدر ما يحتاج لها اليه من المسلمين فان حدث في شيء منها حدث من قبل العدو سربوا اليها الأمداد ، فلما استخلف عثمان بن عفان كتب الى معاوية يأمره بتحصين السواحل وشحنها واقطاع من ينزل اياها القطائع[2] .

وقد عمد معاوية الى اعادة بناء التحصينات في عدد من المدن منها انطرطوس[3] التي حصنها وأقطع المقاتلة بها القطائع كما قام بتحصين صيدا وعرقة وجبيل وبيروت[4] .

وكان من بين الاجراءات الدفاعية التي اتخذها العرب المسلمون بعد الفتح على الساحل نظام الأربطة[5] ، والرباط ملازمة ثغر العدو . قال القتيبي أصل المرابطة أن يربط الفريقان خيولهما في ثغر كل منهما معد لصاحبه ، فسمي المقام في الثغور رباطاً[6] ، وقد اعتنى معاوية بهذا النظام حتى أصبح جزءاً مرتبطاً أشد الارتباط بالجهاد والحرب المقدسة ، إذ اجتذب الرباط اليه كل الاتقياء المتحمسين العاملين دائماً على إعزاز الاسلام ونصرته[7] . وقد يكون الرباط في المناطق البرية أيضا ، ولكن معظم الأربطة نشأ وتطور على السواحل الشامية[8] ، ويبدو أن معاوية استعار هذا النظام من البيزنطيين ، وأدخل عليه تغييرات جعلته صالحاً لتنفيذ مشاريعه ، إذ عرف البيزنطيون نظام الأديرة المسلحة وهي الأماكن التي

---

(١) المناظر ، جمع منظرة وهو موضع في رأس جبل فيه رقيب ينظر العدو بحرسه ، ابن منظور ، لسان العرب ، ط ١٣٨٨ هـ ، ١٩٦٨ م ، ج٥ ، ص ٢١٧ .

(٢) البلاذري ، فتوح ، ص ١٣٤ .

(٣) انطرطوس ، وهي آخر أعمال دمشق من البلاد الساحلية واول أعمال حمص ، ياقوت ، ج١ ، ص ٢٧٠ .

(٤) البلاذري ، فتوح ، ص ١٣٣ .

(٥) العدوي ، الأمويون والبيزنطيون ، ص ٨٤ .

(٦) ابن منظور ، لسان العرب ، ج٧ ، ص ٣٠٢ .

(٧) العدوي ، الامويون والبيزنطيون ، ص ٨٤ .

(٨) شاكر مصطفى ، تاريخ بني العباس ، مطبعة الجامعة السورية ١٩٥٧ ، ج٢ ، ص ٢٩٨ .

انقطع فيها الرهبان للعبادة واجتمعوا فيها سوياً لخدمة مطالبهم ، ولكن لا توجد شواهد قاطعة على اشتراك أشباه أولئك الرهبان المقيمين في الأديرة المسلحة في العمليات الحربية التي قامت بها الدولة البيزنطية(1) .

وقد تدرج معاوية في تدعيم هذا النظام على نحو ما اتبعه في كل أعماله التي اتسمت بالدقة والابتعاد عن الارتجال ، فأعد الاربطة لتكون حصوناً يتجمع فيها الجند عند المناطق المعرضة لغارات الأساطيل البيزنطية ، ولتكون ملجأ يحتمي بها الأهالي في المناطق التي يدهمها العدو(2) ، وقد خصص حاميات في الرباط لانذار الأهالي في المناطق الساحلية ، بأن يأخذوا حذرهم إذا مالاح خطر السفن البيزنطية في المياه الاقليمية ، وكان الحصن في الرباط يضم حجرات للجند ومساكن لهم ومخازن للأسلحة وبرجاً للمراقبة(3) . وكان المرابط في الثغر يتلقى معونة تعينه على التجهيز وسكناً للاقامة وزيادة في العطاء واقطاعاً في ريف الثغر تشجيعاً له على الرباط(4) .

ونظرا لعدم تجاوب أهل الساحل في بادىء الأمر لتأثرهم بالصبغة الرومية أكثر من الداخل ، فقد اضطر معاوية الى نقل قوم من فرس بعلبك وحمص وانطاكية الى سواحل الأردن وصور وعكا وغيرها سنة ٤٢ هـ(5) ، ونقل من أساورة البصرة والكوفة الى أنطاكية(6) ، ونقل سنة ٤٩ هـ أو ٥٠ هـ قوماً من زط البصرة والسباتجة الى سواحل انطاكية(7) ، وأسكن معاوية جماعة كبيرة من اليهود في طرابلس(8) ، وعندما هاجم الروم الساحل سنة ٤٩ هـ شعر معاوية

---

(١) العدوي ، الأمويون والبيزنطيون ، ص ٨٤ .
(٢) المصدر السابق ، ص ٨٤ .
(٣) المصدر السابق ، ص ٨٤ .
(٤) احسان هندي ، الحياة العسكرية عند العرب ، مطبعة الجمهورية بدمشق ، ص ٢٢٣ .
(٥) البلاذري ، فتوح ، ص ١٢٤ .
(٦) المصدر السابق ، ص ١٢٤ .
(٧) المصدر السابق ، ص ١٦٦ ، ٣٦٩ .
(٨) المصدر السابق ، ص ١٣٣ . اليعقوبي ، تاريخ ، ج٢ ، ص ١٣٣ .

بضرورة انشاء مركز لصناعة السفن التي كانت تصنع في مصر فقط ، فجمع الصناع والنجارين واتخذ عكا في الأردن مركزاً لصناعتها ، ولم تزل صناعة المراكب في عكا حتى نقلها المروانيون الى صور[١] .

وقد تابع المروانيون العناية بمدن الساحل وتحصينها كما تابعوا سياسة اجتلاب جماعات شديدة البأس والسطوة ووضعهم في المواقع الاستراتيجية الهامة عند السواحل والحدود ، فقد فرض عبد الملك لقوم من أهل انطاكية وأنباطها وجعلوا مسالح وأردفت بهم عساكر الصوائف فسموا الروادیف[٢] ، ونقل الوليد بن عبد الملك الى أنطاكية قوماً من زط السند ممن حملهم محمد بن القاسم الى الحجاج ، فبعث بهم الحجاج الى الشام ، وفي القرن الثالث الهجري كان بانطاكية محلة تعرف بالزط ، وببوقا من عمل أنطاكية قوم من أولادهم يعرفون بالزط[٣] ؛ ولكي يشجع الوليد بن عبد الملك الجند على الاقامة في انطاكية أقطعهم أرض سلوقية عند الساحل وصيّر إليهم الفلتر[٤] بدينار ومدّي قمح فعمروها وجرى ذلك لهم وبنى حصن سلوقية[٥] .

واهتم عمرو بن العاص بعد أن استقامت مصر للعرب بالساحل وبالاسكندرية بشكل خاص ، لأن الاسكندرية كانت تضم أخلاطاً من الناس[٦] ، وكان يغلب عليها الطابع البيزنطي بسبب مركزها التجاري والحربي كمسلحة للأسطول البيزنطي وأكبر قواعده في هذا الجانب من البحر ثم مركزها السياسي كعاصمة لايالة مصر ، وبالرغم من هجرة كثيرة من الروم عند الفتح ، فقد بقي العدد الأكبر من الروم في الاسكندرية ويحدثنا ابن عبد الحكم « أن عدة من بالاسكندرية من الروم مائتا ألف من الرجال وأنه لحق بأرض الروم منهم أهل

(١) المصدر السابق ، ص ١٢٤ .
(٢) المصدر السابق ، ص ١٦٦ .
(٣) المصدر السابق ، ص ١٦٦ ، ٣٦٩ .
(٤) الفلتر ، مقدار من الأرض معلوم كما يقول غيرهم الفدان والجريب ، ياقوت ج١ ، ص ٢٦٩ .
(٥) ياقوت ، ج١ ، ص ٢٦٩ .
(٦) ابن اياس ، ص ٢٢ .

القوة وركبوا السفن وكان بها مائة مركب من المراكب الكبار فحمل فيها ثلاثون ألفاً مع ماقدروا عليه من المال والمتاع والأهل وبقي من بقي »[١] •

ونظراً لأهمية الاسكندرية للروم وخوفاً من محاولاتهم لاستعادتها فقد وزع عمرو بن العاص جنده ، ربع في الاسكندرية وربع في السواحل ، والنصف مقيمون معه ، فكان الربع يقيم في الاسكندرية مدة ستة أشهر في الصيف ويعقب بعدهم شاتية ستة أشهر[٢] • وكان الجند في بادىء الأمر يبتدرون المنازل التي كان يسكن فيها أصحابها من الروم قبل هجرتهم فيسكنونها ، أي أن المنازل لم توزع أول الأمر بين الجند ولم تقسم عليهم ، وانما يسبق أحدهم الى بيت فينزله ، ولكن عمراً خشي على هذه المنازل أن تخرب إذ كانوا يتعاورونها[٣] ولذلك لجأ الى تخصيص كل جماعة بالمنزل الذي غلبوا عليه فيكون لهم ولبني أبيهم ، وكان الأساس في هذا التخصص السبق كذلك فكانت علامته أن يركز الرجل رمحه ، فمن ركز رمحه في دار فهي له ولبني أبيه[٤] ، فأدى ذلك إلى أن يدخل الرجل الدار فيركز رمحه في منزل فيها ثم يأتي الآخر فيركز رمحه في بعض بيوت الدار « فكانت الدار تكون لقبيلتين ثلاث »[٥] • ونفهم مما يورده البلاذري وابن عبد الحكم أن الجند الذين يرابطون في الصيف لهم بيوتهم ، والجند المرابطون في الشتاء لهم بيوتهم ، إذ يقول وكانوا يسكنونها حتى اذا قفلوا سكنها الروم وعليهم مرمتها »[٦] •

وكان يزيد بن أبي حبيب يقول : لا يحل من كرائها شيء ولا بيعها ولا يورث منها شيء إنما كانت لهم يسكنونها في رباطهم[٧] ، وكان عمر بن الخطاب يبعث

(١) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ٨٢ •
(٢) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ١٣٠ •
(٣) البلاذري ، فتوح ، ص ٢٢٤ •
(٤) المصدر السابق ، ص ٢٢٤ • ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ١٣٠ •
(٥) المصدر السابق ، ص ٢٢٤ • ابن عبد الحكم ، ١٣٠ ، ١٣١ •
(٦) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ١٣١ • البلاذري ، فتوح ، ص ٢٢٤ •
(٧) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ١٣١ •

في كل سنة غازية من أهل المدينة ترابط بالاسكندرية وكان يأمــر الولاة أن لا يغفلوا أمرها وأن يكثفوا رابطتها وأن لا يأمنوا الروم عليها »[١] .

وقد طبق عثمان سياسة عمر بن الخطاب فطلب من عبد الله بن سعد أن يلزم الاسكندرية رابطتها وأن يجري عليهم أرزاقهم ويعقب بينهم في كل ســتة أشهر[٢] ، وفي خلافة معاوية بن أبي سفيان عقد عتبة بن أبي سفيان لعلقمة بن يزيد القطيفي على الاسكندرية وبعث معه اثني عشر ألفاً فاعتبر علقمة هــذا العدد ضئيلاً وكتب الى معاوية : « أنك خلفتني بالاسكندرية وليس معي إلا اثنا عشر ألفاً ما يكاد بعضنا يرى بعضاً من القلة »[٣] . فكتب اليه معاوية أنه قد أمده بعبد الله بن مطيع في أربعة آلاف من أهل المدينة ، كما أمر معن بن يزيد السلمي أن يكون بالرملة في أربعة آلاف « ممسكين بأعنة خيولهم » مستعدين لامداده إذا احتاج إلى عون ومدد[٤] . إلا أن هذا الجند المرابط في الاسكندرية والساحل لم يكن باستطاعته أن يقوم بواجب الحماية كاملاً من غير أسطول يحمي سواحلها ، وقد بدأ الاهتمام ببناء السفن في خلافة عثمان بن عفان وولاية عبد الله بن سعد ، وهذا مامكنه من الانتصار في معركة ذات الصواري سنة ٣٤هـ على الروم بقيادة الامبراطور كنستانز الثاني (٦٤١ ــ ٦٦٨ م)[٥] الذي كــان يحاول طرد العرب من مصر واسترداد الاسكندرية[٦] .

وقد استفاد العرب من خبرة المصريين البحرية ومن العمال المصريين وأصبح اسم الصناعة في مصر يدل على المكان الذي تبنى فيه السفن الحربية[٧] ، وقــد

---

(١) المصدر السابق ، ص ١٩٢ .
(٢) المصدر السابق ، ص ١٩٢ .
(٣) المصدر السابق ، ص ١٩٢ .
(٤) المصدر السابق ، ص ١٩٢ .
(٥) نبيه عاقل ، الامبراطورية البيزنطية ، دمشق ، طبعة ١٩٧٠ ، ص ٣٥٣ . المقريزي ، الخطط ، ج٣ ، ص ٥ .
(٦) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ١٩١ .
(٧) المقريزي ، الخطط ، ج٣ ، ص ٣ .

أثبتت الحوادث أن المسلمين كانوا محقين عندما اعتنوا بحماية سواحل مصر ، فقد نزل الروم بالبرلس[1] في إمرة مسلمة بن مخلد سنة ٥٣ هـ واستشهد في تلك الغزوة وردان مولى عمرو بن العاص[2] . ثم نزل الروم بدمياط في سنة ٩٠ هـ وأسروا خالد بن كيسان وكان على البحر هناك وسيروه الى ملك الروم فأرسله الى الخليفة الوليد بن عبد الملك من أجل الهدنة التي كانت بينه وبين الروم[3] . وفي سنة إحدى ومائة في إمارة بشر بن صفوان الكلبي على مصر من قبل يزيد بن عبد الملك نزل الروم بتنيس[4] ، كما نزلوا دمياط في ثلثمائة وستين مركباً سنة إحدى وعشرين ومائة في خلافة هشام بن عبد الملك[5] ، ونلاحظ من هذه الهجمات المتكررة أن المراكب الحربية في عهد الأمويين لم تكن من الكثرة بحيث تستطيع حماية مصر كما يجب ومن ثم فان المقريزي يشير الى أن انشاء أسطول في مصر بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى إنما تم في عهد المتوكل على الله عندما هاجم الروم دمياط سنة ٢٣٨ هـ وقتلوا بها جمعاً كبيراً وسبوا النساء ، والأطفال عند ذلك بدأ الاهتمام الفعلي بأمر الاسطول وأصبح أهم ما يعمل بمصر « وانشئت الشواني برسم الأسطول وجعلت الأرزاق لغزاة البحر كما هي لغزاة البر وانتدب الأمراء له الرماة »[6] .

وفي المغرب رأينا كيف أن حسان عندما استقرت له الأمور في ولاية إفريقية بعد القضاء على الكاهنة واخراج الروم من قرطاجنة وتدميرها ، قرر أن ينشىء قاعدة بحرية في تونس ازاء الروم وأنه انتبه الى ضرورة انتقاء موضع محمي ومن ثم تميزت تونس بأنها غير مفتوحة على البحر مثل قرطاجنة بل داخلية غرب

---

(١) البرلس ، بلينة على شاطىء نيل مصر قرب البحر من جهة الاسكندرية . ياقوت ، ج١ ، ص٤٠٢ .
(٢) الكندي ، ص ٣٨ . المقريزي ، الخطط ، ج٣ ، ص ٥ .
(٣) المقريزي ، الخطط ، ج١ ، ص ٤٠١ .
(٤) تنيس : جزيرة في بحر مصر قريبة من البر مابين الفرما ودمياط والفرما في شرقها . ياقوت ، ج٢ ، ص ٥١ . المقريزي ، الخطط ، ج٣ ، ص ٥ .
(٥) المقريزي ، الخطط ، ج١ ، ص ٤٠١ .
(٦) المصدر السابق ، ج٣ ، ص ٦ .

البحيرة التي تتصل بالبحر من جهة الشرق ، ولما كانت البحيرة ضحلة لا تسمح بمسير المراكب الحربية وجب حفر قناة في وسطها تصل مابين دار الصناعة الذي قرر إنشاءها في تونس والميناه أو المرسى في رادس[1] .

وقد طلب حسان من عبد الملك بن مروان أن يرسل اليه من يعمر دار الصناعة في تونس ويعلم المسلمين صناعة السفن في المغرب ، فكتب الخليفة عبد الملك الى أخيه عبد العزيز وهو والٍ على مصر أن يوجه لتونس ألف قبطي بأهله وولده وأن يحملهم من مصر ويحسن عونهم حتى يصلوا إلى «ترشيش»[2] وهي تونس ، وكان على البربر أيضا أن يساهموا في البناء فتقرر أن يكون جلب الخشب اللازم لصناعة المراكب من غابات الجبال الداخلية نوعاً من « التكليف » يقومون به وربما كان ذلك العمل نوعاً من الخدمة أشبه بالخدمة الالزامية إذ يقول النص « ليكون ذلك جارياً عليهم إلى آخر الدهر »[3] ، فلما كانت ولاية موسى بن نصير عمد الى توسيع دار الصناعة وشق القناة التي توصل بين ميناء رادس وبين المدينة على طول إثني عشر ميلاً ، وبفضل تلك القناة أصبحت المدينة نفسها مشتى للمراكب تحميها من العواصف والأنواء[4] ، كما أنه أمر بصناعة مائة مركب[5] . واهتمام ولاة بني أمية بدار الصناعة بتونس هو الذي مهد وساعد على غزو صقلية في أيام زيادة الله الأول بن ابراهيم بن الأغلب[6] .

ومن المعروف أن المغرب الاسلامي بلد الرباط والمرابطين ، كان ساحله كله معرضاً للغارات البحرية المفاجئة من القسطنطينية أو صقلية أو جنوبي إيطاليا وسردانية ، فاعتبره المسلمون ثغراً يعد الرباط فيه جهاداً في سبيل الله وقربة إليه ، وكانت سواحل إفريقية (تونس) أكثر تعرضاً للخطر من غيرها لقربها

---

(١) سعد زغلول عبد الحميد ، ص ٢٠٢ .
(٢) ابن ابي دينار ، المؤنس في اخبار افريقية وتونس . تونس سنة ١٣٨٦ هـ خن ١٢ ، ٣٣ .
(٣) سعد زغلول عبد الحميد ، ص ١٩٩ ، نقلا عن البكري ، ص ٣٧ .
(٤) ابن قتيبة ، الامامة والسياسة ، ج٢ ، ص ٥٧ .
(٥) المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٥٧ .
(٦) المقريزي ، الخطط ، ج٣ ، ص ٥ .

من مصادر الغارات كلها ، فنشأت الرباطات على ساحلها من أول الأمر عند سوسه ولمطه وتونس والمنستير[1] . وابتنيت الحصون ليقوم فيها المرابطون بحراسة المسلمين والتعبد لله ، ومن تونس انتشرت الرباطات فيما بعد على الساحل المغربي كله ، ونظم المقيمون أنفسهم تنظيماً حسناً مكنهم من القيام بواجباتهم كلها على وجه حسن وأصبح الرباط مع الزمن نظاماً عسكرياً دينياً تحددت أصوله وقواعده شيئاً فشيئاً ، وانتقل هذا النظام إلى الأندلس ، فقامت الربط على السواحل كلها وخاصة بعد غارات النورمانديين الأولى على الأندلس في عهد عبد الرحمن الأوسط[2] ؛ وبلغ من حماس أهل المغرب للرباط أن كان ذوو الحمية من أهل قبائل الصحراء يقبلون إلى ساحل البحر للرباط وحراسة المسلمين ،ثم عمت الحركة شيئاً فشيئاً حتى شغلت روح « الرباط » قبائل بأسرها، وأخذ المتشوقون للجهاد من أهل قبائل الصحراء يرابطون على أحواز الصحراء لحماية مايليهم من بلاد الاسلام من أخطار من يليهم من الجنوب وقامت الربط على حدود بلد السودان ، وصارت هذه الربط الصحراوية مراكز للغزو والتوسع ونشر الاسلام في السودان وبلاد إفريقية الغربية ، وما زالت هذه الحركة تقوى وتشتد حتى قامت على أساسها دولة كدولة المرابطين[3] .

وكتاب « رياض النفوس » يلقي ضوءاً كاشفاً على نشوء الرباط وتطوره خلال القرون الثاني والثالث والرابع فقد حرص المؤلف على أن يجعل في نهاية كل طبقة من العلماء والفقهاء فصلاً خاصاً عن « أهل العبادة والنسك » أو « المتعبدين الزاهدين » ؛ ولو تتبعنا سير أولئك الزهاد لوضعنا يدنا على نشأة حركة الرباط في المغرب ورأيناها تتكون وتنتظم شيئاً فشيئاً . فنحن نرى كيف نشأت عند ساحل تونس ، وكيف أقبل عليها رجال ذوو نسك وحمية من أمثال عبد الخالق المتعبد القتات الذي قال عنه سهل بن يونس بمصر ، لو كان عبد

---

(١) المالكي ، رياض النفوس ، المقدمة ، ص ٢٥ م .
(٢) المصدر السابق ، ص ٢٥ م .
(٣) المصدر السابق ، ص ٢٦ م .

الخالق في بني إسرائيل لصوروه في الكنائس[1] ، وحفص بن عمر الجزري الذي كان يقيم بطائفة الصالحين « بجزيرة شريك »[2] ، ومنهم مكرم المتعبد بالمنستير وكانت سكناه « بالقصر الكبير » وبه قبره على ساحل البحر ، وعبد الرحيم بن عبد ربه الربعي الزاهد الذي بنى « قصر زياد » ورابط فيه[3] ، وأبو السري المتعبد « بقصر جمة » الذي أصبح يعرف في عصر المالكي باسم قصر الرباط بالمهدية[4] وغيرهم ، نرى أولئك يهجرون مساكنهم في المدن ويتخيرون مواضع على الساحل يرابطون فيها ويقيمون فيها « القصور » وهي حصون الرباط ، ويتجمع حولهم الناس ، فيمضون يضعون للناس قواعد الرباط والزهد والتعبد، لا بقوانين يقرونها ، بل بضرب المثل الصالح الذي يحتذى به في كل شيء والمحافظة عليه في حرص شديد .

وهكذا نرى أن نظام الأربطة الذي تدرج معاوية في تدعيمه على السواحل الشامية ، لم يلبث أن امتد الى سواحل المغرب مع امتداد الفتوحات الاسلامية وانتشار الاسلام فيها ومع بناء مدينة تونس . ولكن هذا النظام تطور واتسع في أواخر القرن الثاني فظهرت بعض الرباطات الهامة مثل سوسه التي بنى حصنها زيادة الله بن الأغلب[5] والمنستير التي بنى قصرها الكبير أي حصنها هرثمة بن أعين[6] .

هذا فيما يتعلق باهتمام الولاة والخلفاء بالسواحل أو الثغور البحرية ، إذ أن الثغور منها برية تلقاها بلاد العدو وتقاربه من جهة البر ومنها بحرية تلقاه

---

(١) المالكي ، ص ٢٣٢ .

(٢) المالكي ، ص ٢٣٨ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٣٢٧ .

(٤) المصدر السابق ، ص ٣٣٤ .

(٥) ياقوت الحموي ، ج٣ ، ص ٢٨٣ .
وسوسه تبعد عن القيروان ستة وثلاثين ميلا ، وهي مدينة قد أحاط بها البحر من ثلاث نواح ، من الشمال والجنوب والشرق .

(٦) ياقوت الحموي ، ج٥ ، ص ٢٠٩ . والمنستير موضع بين المهدية وسوسه بينه وبين كل واحدة منهما مرحلة .

وتواجهه من جهة البحر ومنها مايجتمع فيه الأمران وتقع المغــازي من أهله في البر والبحر[1] ، والثغر كما يقول ياقوت كل موضع قريب من أرض العدو كأنه مأخوذ من الثغرة وهي الفرجة في الحائط[2] .

لم يكن اهتمام الخلفاء والولاة بالثغور البرية أقل ، فقد كانت خراسان من أهم الثغور بالنسبة للدولة الاسلامية ، واعتبرها عمر بن عبد العزيز أهم ثغر « وليس من ثغور المسلمين ثغر أهم إليّ ولا أعظم عندي من ثغر خراسان »[3] ، ورأينا كيف نقل زياد ٥٠ ألف أسرة اليها لدعم القوة العربية فيها لكونها المركز الذي تنطلق منه الجيوش إلى منطقة ماوراء النهــر والسند كذلك ، وكانت قزوين منذ أن مصرت ثغر أهل الكوفة يرابط فيه المسلمون وينطلقون منــه لمحاربة الديلم[4] .

حظيت الثغور الشامية والجزرية باهتمام الخلفاء الأمويين ، وقد كانت ثغور المسلمين الشامية أيام عمر وعثمان ، وما بعد ذلك ، أنطاكية وغيرها من المدن التي سمّاها الرشيد عواصم[5] وهي كورة قورس[6] ، الجومــة[7] ، ومنبج ، وأنطاكية ، وبالس[8] ، والرصافة[9] ، رصافة هشام بن عبد الملك .

وكانت دابق هي القاعدة الرئيسية العسكرية في الداخل في العصر الأموي[10] ثم أصبحت منبج هي مركز المنطقة التي أطلق عليها الرشيد العواصم[11] . أما

(١) قدامه بن جعفر ، نبذة من كتاب الخراج وصنعة الكتابة ، ص ٢٥٣ .
(٢) ياقوت : ج٢ ، ص ٧٩ .
(٣) الطبري ، ج٦ ، ص ٥٦٨ .
(٤) البلاذري ، فتوح ، ص ٣١٨ . ابن الاثير ، ج٤ ، ص ١٧ . النويري ، ج٢١ ، ص ٢٠٢ .
(٥) البلاذري ، فتوح ، ص ١٦٨ . ياقوت ، ج٢ ، ص ٨٠ .
(٦) قورس ، مدينة قرب حلب ، ياقوت ، ج٤ ، ص ٤٢١ .
(٧) الجومه ، مدينة قرب حلب ، ياقوت ، ج٢ ، ص ١٨٩ .
(٨) بلدة بالشام بين حلب والرقة ، ياقوت ، ج١ ، ص ٣٢٨ .
(٩) تقع في غربي الرقة بينهما أربعة فراسخ على طرف البرية . ياقوت ، ج٣ ، ص ٤٦ .
(١٠) ياقوت ، ج٥ ، ص ٢٠٥ .
(١١) ياقوت ، ج٢ ، ص ٤١٦ . ودابق بالقرب من حلب بينها وبين حلب اربعة فراسخ .

في الساحل فقد كانت أنطاكية هي المركز الرئيسي[1] . واهتم العرب بهذه الجبهة التي كانت تفصل بين الشام وآسيا الصغرى وجروا في الدفاع عنها بأساليب مختلفة حسب العصور ، ولكنهم انتهوا على أي حال ببناء مدن محصنة على طول الطرق الواصلة بين الشام وآسيا الصغرى وأنشأوا بذلك خطوط دفاع عميقة ، فبنوا مدناً محصنة على طول الساحل شمالي أنطاكية ، وبنوا مدناً محصنة على طول خط الفرات من منبج التي هي بمستوى أنطاكية الى أرض الروم الواقعة على ضفة الفرات عند المجرى الأعلى لهذا النهر ، فهذان خطان من الحصون أحدهما ساحلي والآخر نهري ويضاف اليهما خط ثالث وسط بينهما . وتسمى هذه الخطوط الثلاثة باسم ثغور الشام والجزيرة وتدافع عن الشام والجزيرة وعن أرمينية[2] .

ولم يهتم الخلفاء الراشدون ببناء حصون أو مدن ثغرية شمالي الشام وراء أنطاكية شمالاً ، إنما بدأ هذا الاهتمام في عهد بني أمية وخاصة في خلافة هشام بن عبد الملك حتى أنه لم ينته عصر بني أمية حتى كان نظام التحصين البري قد استكمل معالمه[3] .

اهتم معاوية منذ أن كان والياً على الشام والجزيرة بمنطقة الثغور فوجه حبيب بن مسلمة الى ملطية ففتحها عنوة ورتب فيها رابطة من المسلمين مع عاملها[4] وعندما قدمها معاوية يريد دخول أرض الروم شحنها بجماعة من أهل الشام والجزيرة وغيرهما فكانت طريق الصوائف[5] ، كما تعهد حصون مرعش والحدث[6] ، واهتم بمنطقة منبج وبنى لها جسراً لمرور الصوائف الى الأراضي

---

(١) جون باجوت ، الفتوحات العربية الكبرى ، ترجمة خيري حماد ، بيروت ، ص ٦٢٩ .

(٢) محمد عبد الهادي شعيره ، المرابطون في الثغور الاسلامية الرومية ، بحث في كتاب الى طه حسين في عيد ميلاده السبعين ، ص ٤٣٢ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٤٣٣ .

(٤) البلاذري ، فتوح ، ١٩٠ .

(٥) المصدر السابق ، ص ١٩٠ .

(٦) المصدر السابق ، ص ١٩٢ ، ١٩٣ . ياقوت ، ج٢ ، ص ٢٢٧ .

البيزنطية منذ عهد عثمان[1] ، فلما توفي معاوية بن أبي سفيان سنة ٦٠ هـ اضطر يزيد الى توجيه اهتمامه الى توطيد الكيان الداخلي ، فاستغل البيزنطيون ذلك الوضع الداخلي للدولة الاموية وكثرت غاراتهم على الثغور بعد موت يزيد وحاصروا مرعش التي تركها أهلها بسبب الضغط البيزنطي عليها[2] . كما هدم الروم ملطية في فترة الاضطراب السياسي[3] مما دفع عبد الملك بمجرد أن قضى على منافسيه أن يتخذ إجراءات سريعة وجريئة واستراتيجية فاختار مواضع متقدمة في الأراضي البيزنطية لتحل محل مرعش وملطية وهي طرندة ومصيصة ، وقد بنى ملطية عبد الله بن عبد الملك سنة ٨٣ هـ[4] . كما أن عبد الله بن عبد الملك خرج سنة ٨٤ هـ على الصائفة فأتى المصيصة وبنى حصنها على أساسه القديم ووضع بها سكاناً من الجند فيهم ثلثمائة رجل انتخبهم من ذوي البأس والنجدة المعروفين[5] ، ومنذ أن بنى حصن المصيصة كانت الطوالع من أنطاكية تطلع عليها في كل عام فتشتو بها ثم تنصرف[6] . فلما كانت خلافة هشام بن عبد الملك جعل من المصيصة قاعدة كبرى ، ولتحقيق ذلك أحاطها بثلاث حصون ، حصن الربض[7] ثم حصن المثقب على يد حسان بن ماهويه الانطاكي[8] وهو حصن على ساحل البحر قرب المصيصة[9] ، وحصن قطرغاش على يد عبد العزيز بن حيان الانطاكي[10] ، وهو كذلك بالقرب من المصيصة[11] . وكذلك اهتم هشام بالطريق الداخلي الموصل بين انطاكية والمصيصة فبنى عدة حصون منها

---

(١) البلاذري ، فتوح ، ص ١٥٧ .
(٢) المصدر السابق ، ص ١٩٢ .
(٣) المصدر السابق ، ص ١٨٩ .
(٤) المصدر السابق ، ص ١٨٩ .
(٥) البلاذري ، فتوح ، ص ١٦٩ . النويري ، نهاية الارب ، ج ٢١ ، ص ٢٠٤ .
(٦) البلاذري ، فتوح ، ص ١٦٩ .
(٧) المصدر السابق ، ص ١٧٠ .
(٨) البلاذري ، فتوح ، ص ١٧١ . ياقوت ، ج٥ ، ص ٥٤ .
(٩) ياقوت ، ج٥ ، ص ٥٤ .
(١٠) البلاذري ، فتوح ، ص ١٧١ .
(١١) ياقوت ، ج٤ ، ص ٣٧٣ .

حصن موره[1] ورتب فيه أربعين رجلا وجماعة من الجراجمة وبنى حصنا بيغراس وأقام مسلحة في خمسين رجلاً[2] وحصن بوقا من عمل أنطاكية[3] . واهتم هشام بن عبد الملك بأمر ملطية عندما هاجمها الروم سنة ثلاث وعشرين ومائة ، فأرسل هشام خيلاً مع الرسول الذي خرج من ملطية مستغيثا به وهو بالرصافة ثم غزا هشام بنفسه ونزل ملطية وعسكر عليها حتى بنيت[4] .

وفي سنة خمس وعشرين ومائة بنى الوليد بن يزيد بن عبد الملك الجسر بين اذنه[5] والمصيصة[6] كما أعاد بناء حصن زبطره ، وكان هذا الحصن قد خربه البيزنطيون فاحتاج الأمر الى إعادة بنائه[7] .

وفي عهد مروان بن محمد تركز الاهتمام كذلك بالمصيصة فبنى حصن الخصوص شرقي جيحان وأحاطه بسور وزوده بأبواب من خشب وأحاطه بخندق وأسكنه الفرس والصقالبة والأنباط[8] .

كما بنى في عهد مروان « حصن منصور » نسبة الى منصور بن جعونه بن الحارث العامري الذي تولى بناءه ، وأقام فيه مع جند كثيف من أهل الشام والجزيرة[9] ليرد العدو . وأهمية هذا الحصن تأتي من أنه نقطة مركزية لأربع مدن محيطة به وهي زبطرة ومرعش وملطية وسميساط[10] .

ولم يكن بناء الحصون وشحنها بالمقاتلة ، الاجراءات الامنية الوحيدة

---

(١) البلاذري ، فتوح ، ص ١٧١ .
(٢) المصدر السابق ، ص ١٧١ .
(٣) المصدر السابق ، ص ١٧١ .
(٤) البلاذري ، فتوح ، ص ١٩٠ .
(٥) اذنه ، بلدة من الثغور قرب المصيصة ، ياقوت ، ج١ ، ص ١٣٣ .
(٦) البلاذري ، فتوح ، ص ١٧٢ .
(٧) المصدر السابق ، ص ١٩٥ .
(٨) المصدر السابق ، ص ١٧٠ .
(٩) المصدر السابق ، ص ١٩٦ .
(١٠) شعيره ، ص ٤٣٨ .

التي قام بها خلفاء بني أمية ، بل إنهم طبقوا نظام الصوائف والشواتي الذي كان الخليفة عمر بن الخطاب هو أول من أوجده • ففي سنة ١٧ هـ عندما جاء الخليفة عمر الى الجابية سمى الشواتي والصوائف[١] لما وجد أن البيزنطيين لا يكفون عن الاغارة على الثغور البحرية في بلاد الشام • وأصبحت الشواتي والصوائف عبارة عن غارات تجري في مواسم معينة من صيف وشتاء كل عام ؛ ويقدم لنا قدامة بن جعفر صورة عن أوقات هذه الحملات اعتمد فيها على أهل الخبرة من الثغريين ، يقول قدامة : « تقع الغزاة التي تسمى الربيعية لعشرة أيام تخلو من أيار بعد أن يكون الناس قد أربعوا دوابهم وحسنت أحوال خيولهم فيقيمون ثلاثين يوماً وهي بقية أيار وعشرة من حزيران فانهم يجدون الكلأ في بلد الروم ممكناً وكأن دوابهم ترتبع ربيعاً ثانياً ثم يقفلون فيقيمون الى خمسة وعشرين يوما وهي بقية حزيران وخمسة من تموز حتى يقوى ويسمن الظهر ، ويجتمع الناس لغزو الصائفة ثم يغزون لعشر تخلو من تموز فيقيمون الى وقت قفولهم ستين يوماً ، أما الشواتي فكان من الأفضل ألا يذهب فيها المحارب بعيداً وألا يوغل ، ولا يتجاوز فترة المسيرة عشرين يوما « بمقدار مايحمل الرجل لفرسه ما يكفيه على ظهره » ، وأن يكون ذلك في آخر شباط فيقيم الغزاة الى أيام تمضي من آذار فانهم يجدون العدو في ذلك الوقت أضعف مايكون نفساً »[٢] •

كانت الصوائف والشواتي في بادىء الأمر حملات وقائية لضمان سلامة الثغور العربية وأمنها ، ثم أصبحت أسلوباً ورداً عسكرياً على الحملات البحرية التي كان يوجهها البيزنطيون الى السواحل العربية التي لم يكن لها آنذاك قوة بحرية تحفظها وتحميها وتحرسها ، فكانت تهدف الى إشغال القوة البحرية البيزنطية بالدفاع عن سواحلها وقواعدها البحرية في المتوسط وبحر إيجه[٣] •

---

(١) الطبري ، ج٤ ، ص ٦٤ •

(٢) قدامة بن جعفر ، ص ٢٥٩ •

(٣) أمين النفوري ، العرب والسيطرة على المتوسط ، المجلة العسكرية عدد ٨ ، ١٣٩٣ هـ ، ١٩٧٣ م ، ص ٥ •

وقد تطورت هذه الصوائف والشواتي في زمن الخليفة عثمان بأن تحولت الى إدارة عسكرية فعـالة تتمثل في حملات كثيفة بقوات برية متعاقبة مستمرة تستخدم في إطار استراتيجية برية وبحرية متكاملة بلغت أقصى شدتها في حملة القسطنطينية في خلافة معاوية[١] ، ووصلت أوج قوتها على عهد الوليـد بن عبد الملك[٢] وفي حملة القسطنطينية الأخيرة في خلافة سليمان بن عبد الملك[٣] ، ثم عادت الصوائف في آخر خلافة هشام بن عبد الملك حتى سقوط الأمويين قوة دفاعية وقائية بحتة لايقاف تقدم البيزنطيين والحد من هجومهم المعاكس وكبح اندفاعهم المستمر على طريق القسطنطينية في اتجاه الثغور العربية الاسلامية[٤] .

الأمن الداخلي :

كان من نتائج الفتنة الاولى والثانية وما نجم عنهما من فوضى واضطراب أن وجه ولاة بني أمية اهتمامهم في الأقاليم المختلفة لتوطيد الأمن ، نلاحظ ذلك في خطبهم وفي الاجراءات التي كانوا يتخذونها .

ونظراً لأن العراق جمعت لوال واحد طيلة خلافة بني أمية باستثناء الفترة الأولى من خلافة معاوية وخلافة عمر بن عبد العزيز ، وبما أن سلطة والي العراق كانت تمتد الى الجناح الشرقي كله ، فان التدابير التي اتخـذها هؤلاء الولاة لتوطيد الأمن تعطينا صورة عن الاجراءات التي كانت تتخذ في سبيل فرض النظام والقانون على الولايات ، وكانت أهم هذه الاجراءات هي التي اتخذها زياد بن أبيه الذي وطد الأمن لمعاوية وتلك التي اتخذها الحجاج بن يوسف الثقفي والذي أفصح عن هدفه في إشاعة الأمن والاستقرار في ربوع ولايته بقوله : « ألا أنه لو ساغ لأهل المعصية معصيتهم ماجبي فيء ولا قوتل عدو ولعطلت الثغور »[٥] .

---

(١) نبيه عاقل ، خلافة بني أمية ، ص ٨٦ ، ٨٧ .
(٢) المصدر السابق ، ص ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ .
(٣) المصدر السابق ، ص ٢٤٧ ، ٢٤٨ .
(٤) أمين النفوري ، ص ٥ ، ٦ .
(٥) الطبري ، ج٦ ، ص ٢٠٤ من خطبة الحجاج المشهورة .

الاجراءات التي اتخذها زياد بن أبيه :

في سنة ٤٥ هـ استعمل معاوية زياداً على البصرة وخراسان وسجستان ، ثم جمع له الهند والبحرين وعمان ، فقدم البصرة والفسق بالبصرة ظاهر فاش[١]، نتيجة لسياسة اللين التي كان قد اتبعها عبد الله بن عامر « فقد كان ليناً سهل الولاية لا يعاقب في سلطانه ولا يقطع لصاً »[٢] .

قدم زياد فأوضح للبصريين سياسته التي سوف ينهجها في خطبته المشهورة المعروفة باسم البتراء[٣] ، أشار زياد في بداية خطبته الى أخطاء أهل البصرة ، ثم بين نواحي الفساد وأعلن عزمه على القضاء عليه ، وهدد زياد بعقاب المخالفين كما أعلن تضامن الناس في حفظ النظام فقال : « واني أقسم بالله لآخذن الولي بالمولى، والمقيم بالظاعن ، والمقبل بالمدبر ، والصحيح منكم بالعليل » . ثم نهى زياد عن التجول وبين عقوبة ذلك فقال : « إياي ودلج الليل فاني لا أوتى بمدلج الا سفكت دمه » . كذلك أوضح زياد العقوبات التي سيوقعها على كل مذنب ، وهي تعطينا صورة عن الجرائم التي كانت ترتكب : « وقد أحدثنا لكل ذنب عقوبة ، فمن غرّق قوماً غرّقته ، ومن حرق قوما حرقناه ، ومن نقب بيتاً نقبت عن قلبه ، ومن نبش قبراً دفنته فيه حياً » ، ولم يفت زياد أن يبين في خطبته حرصه على أهل البصرة واهتمامه بهم فقال : « أيها الناس إنا أصبحنا لكم ساسة وعنكم ذادة ، نسوسكم بسلطان الله الذي أعطانا ، ونذود عنكم بفيء الله الذي خولنا ، فلنا عليكم السمع والطاعة فيما أحببنا ولكم علينا العدل فيما ولينا فاستوجبوا عدلنا وفيأنا بمناصحتكم » .

---

(١) المصدر السابق ، ج٥ ، ص ٢١٧ . كان بالبصرة حين قدمها زياد سبع مائة ماخور فهدمها وركب الى ماخور كان في بني قيس بن تغلب فتولى هدمه ، البلاذري ، أنساب الاشراف ، ج٤ ، قسم ١ ، ص ١٧٦ .

(٢) المصدر السابق ، ج٥ ، ص ٢١٢ .

(٣) انظر نص الخطبة في الطبري ، ج٥ ، ص ٢١٨ ، ٢٢١ وقد سميت البتراء لان زيادا لم يحمد الله فيها وكان هذا أمرا لم يألفه المسلمون .

كان لهذه الخطبة أثر حاسم في نفوس البصريين وسلوكهم ، لانه أتبعها بالعمل وأظهر أنه ينفذ مايهدد به[1] . وعندما علم زياد أن لبعض البيوت حرّاسها لأن الناس من البيات والسرق في أمر عظيم ، وان المرأة لتستغيث فما يغيثها أحد ، جمع الناس وحمد الله وأثنى عليم ثم قال : « أيها الناس إنه بلغني مالا صبر عليه ، إني قد أجلتكم في أن يبلغ شاهدكم غائبكم ثلاثاً ، انّا إن وجدنا أحداً بعد صلاة العتمة ضربنا عنقه »[2] ، وكان زياد عند قوله فانفذ وعيده فصار يؤخر صلاة العشاء حتى يكون آخر من يصلي ، ثم يأمر المقرىء بتلاوة سورة البقرة ، وبعد فترة يأمر صاحب الشرطة بالخروج الى الطرقات ، فكان لا يرى إنساناً إلا قتله[3] ، وفعل ذلك ليالي متوالية ثم نادى مناديه : « برئت الذمة من رجل أغلق بابه ، ومن ذهب له شيء فأنا له ضامن » ففتح الناس أبوابهم لا يخافون سرقاً[4] .

لم يكتف زياد بتوطيد الأمن داخل المدينة وانما في الطرق المؤدية اليها كذلك ، ولكنه لم يعمد الى ذلك الا بعد أن نجح في توطيد النظام في المدينة نفسها ، اذ أنه قيل لزياد : « إن السبل مخوفة » ، فقال : « لا أعاني شيئاً سوى المصر حتى أغلب على المصر وأصلحه فان غلبني المصر فغيره أشد غلبه ، فلما ضبط المصر تكلف ماسوى ذلك فاحكمه »[5] . وبعث زياد الى رجال من بني تميم ورجال من بني بكر وطلب منهم أن يدلوه على صلحاء كل ناحية ومن يطاع فيها ، فدلوه ، فضمنهم الطريق وحد لكل رجل حداً ، فكان يقول : « لو ضاع حبل بيني وبين خراسان عرفت من آخذ به »[6] .

وعمد زياد الى الحد من مقاومة التكتلات القبلية في الكوفة والبصرة بأن

---

(١) نبيه عاقل ، خلافة بني أمية ، ص ٧٢ .
(٢) البلاذري ، أنساب الاشراف ، ج٤ ، قسم ١ ، ص ١٧١ .
(٣) المصدر السابق ، ص ١٧١ . الطبري ، ج٥ ، ٢٢٢ .
(٤) المصدر السابق ، ص ١٧١ .
(٥) الطبري ، ج٥ ، ص ٢٢٣ .
(٦) ابن عبد ربه ، ج٥ ، ص ٧ .

حمل من البصرة وأعمال مابين النهرين جماعات من العرب مخلصة لقضيته ليوطنها الكوفة[1] ، وأعاد تنظيم أحياء البصرة والكوفة فجعل البصرة أخماساً والكوفة أرباعاً ، بعد أن كانت مقسمة الى سبعة أقسام ، وجمعت في هذه الأرباع قبائل مختلفة ، كوحدات ذات قوة متعادلة ، ووضع على رأس هذه التقسيمات رؤساء عينهم من قبله[2] ، ولذلك لم يبالغ من قال بأن زياداً كان أول من شد أمر السلطان وأكد الملك لمعاوية وألزم الناس الطاعة فخافه الناس في سلطانه خوفاً شديداً ، حتى أمن الناس بعضهم بعضاً وحتى كان الشيء يسقط من الرجل والمرأة فلا يعرض له أحد حتى يأتيه صاحبه فيأخذه ، وتبيت المرأة فلا تغلق بابها وساس الناس سياسة لم ير مثلها وهابه الناس هيبة لم يهابوها أحداً قبله[3] .

الاجراءات في عهد الحجاج :

إن الفترة التي تلت وفاة يزيد بن معاوية كانت حافلة بالحركات السياسية في العراق ، فقد طمع أهل العراق في التخلص من الحكم الأموي بعد وفاة يزيد فبايعوا ابن الزبير ، ثم ظهر سليمان بن صرد زعيم التوابين فأسرعوا الى تأييده ، ولما أعلن المختار بن أبي عبيد الله أنه سيكمل مابدأه التوابون التفوا حوله وخلعوا طاعة ابن الزبير ثم قتل المختار سنة ٦٧ هـ وعادت بلاد العراق ولاية يحكمها مصعب بن الزبير نائباً عن أخيه ، وبدأ منذ ذلك الوقت النزاع بين عبد الملك بن مروان خليفة الشام وعبد الله بن الزبير خليفة الحجاز على حكم بلاد العراق انتهى بمقتل مصعب في معركة دير الجاثليق سنة ٧١ هـ ، وعاث الخوارج فساداً في منطقة البصرة مابين سنة ٧١ هـ وقدوم الحجاج والياً على العراق سنة ٧٤ هـ ، وترك كثير من الناس معسكرهم برامهرمز عندما بلغهم نعي بشر بن

(١) Lammens, Etude sur le siècle des Omayyades, p. 126

(٢) الطبري ، ج٤ ، ص ٤٨ . العقد الفريد ، ج٥ ، ص ٨ . البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج٤ ، قسم ١ ، ص ١٩٠ .

(٣) الطبري ، ج٥ ، ص ٢٢٢ .

مروان والي البصرة[1] ، وهذا ماحدا بالحجاج أن يخطب خطبته المشهورة المليئة بالوعيد والتهديد[2] ، وأنهى خطبته بقوله : « وقد بلغني رفضكم المهلب واقبالكم على مصركم عصاة مخالفين ، واني أقسم لكم بالله لا أجد أحداً بعد ثالثة إلا ضربت عنقه » ، ثم دعا العرفاء وطلب منهم أن يلحقوا الناس بالمهلب وأن يأتوه بالبراءات بموافاتهم ، وأن لا يغلقوا أبواب الجسر ليلاً ولا نهاراً حتى تنقضي هذه المدة[3] ، قال ابن أبي عبيدة في حديثه : « فعبر الجسر تلك الليلة أربعة آلاف من مذحج فقال المهلب : « قدم العراق رجل ذكر »[4] .

حذا الحجاج حذو ابن زياد في إجراءاته لتوطيد الأمن الا أنه كان أشد قسوة ، كان زياد في خطبه يعد ويتوعد ، أما الحجاج فان خطبه مليئة بالوعيد يستشف منها الانسان احتقاره لأهل العراق وعدم احترامه إياهم ، ولعل الفوضى التي سادت العراق قبل الحجاج وتعود الناس على المخالفة والتمرد هو الذي دفع الحجاج الى أن يقسو على الجناة والجانحين والخارجين على الدولة ، ولا بد من الاشارة إقراراً للحقيقة والواقع أن فرض هذه العقوبات الشديدة كان يسبقه العديد من بيانات التحذير والانذار والوعيد ، واذا عرفنا أن الحجاج كان يطبق القانون على الجميع حتى على أهل بيته ، عرفنا أنه لم يكن للحجاج من هدف سوى إقرار الأمن والاستقرار في ربوع ولايته ، وعندما دله مستشاروه على عبد الرحمن بن عبيد التميمي ليعينه صاحب شرطة ، رفض الأخير أن يقبل المنصب إلا إذا كفاه عياله وولده وحاشيته ، فقال الحجاج : يا غلام ناد في الناس « من طلب اليه منهم حاجة فقد برئت فيه الذمة [5] » . قال الشعبي : فوالله ما رأيت صاحب شرطة قط مثله ، كان لا يحبس الا في دين ، وكان إذا آتي برجل قد نقب

---

(١) الطبري ، ج٦ ، ص ١٩٧ .
(٢) المصدر السابق ، ج٦ ، ص ٢٠٢ ، ٢٠٤ .
(٣) الطبري ، ج٦ ، ص ٢٠٤ .
(٤) المصدر السابق ، ج٦ ، ص ٢٠٧ .
(٥) ابن قتيبة ، عيون الأخبار ، ج١ ، ص ١٦ . ابن عبد ربه ، ج٥ ، ص ١٩ .

على قوم وضع منقبته في بطنه حتى تخرج من ظهره ، واذا أتي بنباش حفر له قبراً فدفنه فيه ، واذا أتي برجل قاتل بحديدة أو شهر سلاحاً قطع يده ، واذا أتي برجل قد أحرق على قوم منزلهم أحرقه ، واذا أتي برجل يشك فيه وقد قيل إنه لص ولم يكن منه شيء ضربه ثلثمائة سوط ، قال : فكان ربما أقام أربعين ليلة لا يؤتى بأحد فضم اليه الحجاج شرطة البصرة مع شرطة الكوفة[1] .

وكان عمل صاحب الشرطة ينحصر داخل المدن[2] ، أما ضبط الأمن خارج المدن فقد ألقيت مسؤوليته كما في عهد زياد على السكان من القبائل والسكان الأصليين وجعل كل قوم مسؤولين عن أي حادث يقع في المنطقة التي ينزلونها وأنذروا بانزال أشد العقوبات الجماعية بهم إذا وقع حادث في منطقتهم[3] .

وكان من الاجراءات التي اتخذها الحجاج أيضاً أنه لجأ الى إقامة مراكز للشرطة على مفارق الطرق الرئيسية وخاصة تلك التي تؤدي الى منطقة أخرى في ولايته الواسعة ، وقد أشارت المصادر الى اثنين من هذه المراكز عرضاً ، المركز الأول يقع في سفوان على الحدود العراقية المتاخمة للكويت حيث كان يوجد مركز يعرف بقصر سفوان ينزله المجيزون « الذين يحفظون الطريق ويجيزون السابلة »[4] أي يسمحون للمسافرين بالمرور ، أما المركز الثاني فكان في الطريق المؤدية من العراق الى الرقة حيث يذكر عمر بن شبه وجود أهل مسلحة في الطريق يمنعون النساء[5] ولا بد أنه كانت توجد عدة مراكز من هذا النوع عبر الطرق الرئيسية التي تربط مختلف الولاية وان أغفل المؤرخون ذكرها .

لم يكتف الحجاج بجهود الشرطة في المحافظة على الأمن الداخلي بل استعان بمجموعة كبيرة من العيون والمخبرين لصيانة أمن الدولة من المتربصين

---

(١) المصدر السابق ، عيون الأخبار ، ج١ ، ص ١٦ .
(٢) النويري ، نهاية الارب ، ج ٢١ ، ص ١٧ ــ ١٨ . صالح العلي ، ص ١١٣ .
(٣) الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج١ ، ص ٤٠٩ .
(٤) البلاذري ، انساب الاشراف ، م ٧ ، ورقة ٥ . احسان صدقي العمد ، ص ٣٨٩ .
(٥) البلاذري ، أنساب الاشراف ، م٧ ، ورقة ٤٦ . احسان صدقي العمد ، ص ٣٩٠ .

بها ومدبري الفتن والدسائس ضدها ، فكان مخبروه يوافونه بكل ما يحتاج اليه من معلومات لكشف أولئك الأعداء واحباط خططهم في الوقت المناسب ، وكان يقول : « والله إني لأعد للأمر عسى ألا يكون أبداً »[1] .

ويبدو أن هؤلاء العيون كانوا منتشرين في كل مكان وعن طريقهم تمكن خلال يومين فقط من معرفة الوجهة التي قصدها يزيد بن المهلب بعد فراره من السجن الى بلاد الشام حيث التجأ الى سليمان بن عبد الملك[2] . وبهذه الطريقة علم الحجاج المكان الذي التجأ اليه سعيد بن جبير في مكة . ويروى أنه قال عندما مثل سعيد بين يديه : « لعن الله ابن النصرانية » يعني خالداً القسري ، « أما كنت اعرف مكانه ؟ بلى والله ، والبيت الذي هو فيه بمكة ؟ »[3] . وأدى انتشار العيون والجواسيس في كل مكان الى حذر الناس من الخوض في شؤون السياسة والحكم والارتياب بكل غريب يطرقهم كما يتضح من قول الشاعر حميد الأرقط يذكر ضيفاً[4] :

اذا ما أتانا وارد المصر مرسلاً
تأوّب ناري أصفر العقل قافل

فقلت لعبديّ اعجلا بعشائه
وخير عشاء الضيف ما هو عاجل

فقال وقد ألقى المراسي للقرى
أين لي ما الحجاج بالناس فاعل

فقلت لعمري ما لهذا طرقتنا
فكل ودع الأخبار ما أنت آكل

(١) القالي ، الامالي ، مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٢٦ ، ج١ ، ص ٨٧ .
(٢) الطبري ، ج٦ ، ص ٤٤٩ . النويري ، ج ٢١ ، ص ٣١٧ .
(٣) النويري ، ج ٢١ ، ص ٣٢٢ .
(٤) ابن قتيبة ، عيون الاخبار ، ج٣ ، ص ٢٤٢ ، ٢٤٣ .

وقد لجأ الى هذه الطريقة ، طريقة بث العيون والمخبرين عثمان بن حيان والي المدينة بعد عزل عمر بن عبد العزيز إذ قال عندما خاطب أهل المدينة : « ... أيها الناس إنا والله ما رأينا شعاراً قط مثل الأمن فالزموا الطاعة ، فان عندي يا أهل المدينة خبرة من الخلاف ، والله ما أنتم بأصحاب قتال ، فكونوا من أحلاس بيوتكم وعضوا على النواجذ فاني قد بعثت في مجالسكم من يسمع فيبلغني عنكم »[1] .

ويبدو أن جهاز الاستخبارات وصل الى درجة كبيرة من الاحكام في خلافة هشام بن عبد الملك ، إذ يصف ابن قتيبة استقرار الأمن في أرجاء الدولة الاسلامية بقوله : « فصارت البلاد المتنائية الشاسعة كدار واحدة ، ثم يرجع الى حاكم قاض يرقبه الناس في المواضع النائية كما يرقبه من معه ، وقد وضع العيون والجواسيس في خيار الناس وفضلاء العباد في سائر الأمصار والبلدان يحصون أقوال الولاة والعمال ويحفظون أعمال الأخيار والأشرار ، قد صار هؤلاء أعقاباً يتعاقبون ينهض قوم بأخبار قوم مايلوا في المصر الذي كانوا فيه ، ويقبل آخرون يدخلون مسترقين ويخرجون متفرقين ، لا يعلم منهم واحد ولا يرى لهم عابر ، فلا خبر يكون ولا قصة تحدث من مشرق الأرض ولا مغربها ، الا وهو يتحدث به في الشام وينظر فيه هشام »[2] ، واذا كان في رواية ابن قتيبة بعض المبالغة الا أنه يعطي صورة تمكننا من القول إن جهاز الاستخبارات كان من الأجهزة الهامة في الدولة ، وكان تطرق الخلل الى هذا الجهاز في أواخر الدولة من الأسباب التي أدت الى سقوطها ، كما اعترف بذلك أحد افراد البيت الأموي حيث قال : « وكان زوال ملكنا استتار الأخبار عنا فزال ملكنا عنا بنا »[3] .

---

(١) الطبري ، ج٦ ، ص ٤٨٦ .

(٢) ابن قتيبة ، الامامة والسياسة ، ج٢ ، ص ١٠٨ .

(٣) البيهقي ، المحاسن والمساوىء ، مطبعة السعادة ، ١٣٢٥ هـ ١٩٠٦ م ج١ ، ص ٢٥٤ .

رابعا ــ سك النقود :

لم يكن سك النقود في عهـد الخلفاء الراشدين من المهمـات الادارية الأساسية كما أصبح في العصر الأموي وخاصة في خلافة عبد الملك بن مروان ومن أتى بعده من الخلفاء •

عرف العرب قبل الاسلام الدراهم الساسانية وكانوا قد حصلوا عليها من تجارتهم الخارجية مع العراق وسواحل الخليج العربي ، وعندما فتح العـرب المسلمون العراق ثم ايران كان في أيدي الناس نقود يزدجرد الثالث (٦٣٢ ــ ٦٥١) وخسروا الثاني الساسانية[١] • أما النقود البيزنطية المتداولة قبل الاسلام وبعده فهي نقود فوكاس (٦٠٢ ــ ٦١٠ م) ونقود هرقل (٦١٠ ــ ٦٤١ م) ولا بد أن تكون بعض نقود الأباطرة السابقين موجودة أيضاً بدليل أن النقود المقلدة من قبل العرب تحمل صورهم وكان النقـد البيزنطي يسمى سوليدس Solidus [٢] •

وأقدم درهم إسلامي هو الدرهم الذي ضربه الخليفة عمر بن الخطاب عام ٢٠ هـ على الطراز الساساني ، غير أنه زاد في لفظها « الحمد لله » وفي بعضها « محمد رسول الله » وفي بعضها « لا اله الا الله وحده »[٣] • وقد سك معاوية أيضاً في خلافته الدراهم والدنانير ، ولما قام عبد الله بن الزبير بمكة ضرب دراهم مستديرة ، وكان ما ضرب منها قبل ذلك ممسوحاً غليظاً قصيراً فدوّرها ونقش على أحد وجهي الدراهم « محمد رسول الله » وعلى الآخر « أمـر الله بالوفاء والعدل » • وضرب أخوه مصعب بن الزبير دراهم بالعراق وأعطاها الناس في العطاء[٤] • غير أن هذه المسكوكات لم تكن تعتبر رسمية في الدولة الاسلامية

(١) محمد ابو الفرج العش ، النقود العربية الاسلامية مصدر وثائقي للتاريخ والفن ، محـاضرة من كتاب المؤتمر الدولي لتاريخ بلاد الشام ، الجامعة الاردنية ، ١٩٧٤ ، ص ٢٦٩ •

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٧٢ •

(٣) الاب انستاس الكرملي : النقود العربية وعلم النميات ، ط ١٩٢٩ •
المقريزي ، كتاب النقود القديمة الاسلامية ، ص ٣٢ •

(٤) المقريزي ، ص ٣٣ •

إذ بقيت أكثر معاملاتهم بالنقود البيزنطية والفارسية[١] ، فلما ولي عبد الملك بن مروان الخلافة وتمهدت له الأمور في الدولة بعد القضاء على منافسيه والخارجين عليه أراد أن يصلح النقود ويوحدها في جميع الدولة الاسلامية ويستغني عن النقود الأجنبية لاسيما وأن الدرهم الفارسي كان متدني القيمة ، وقد أدى تدني قيمة النقد الى فوضى وصعوبات أثناء جمع الخراج والجزية[٢] . يضاف الى ذلك أن الدولة الاسلامية الواسعة الأرجاء كان لا يمكن أن تظل معتمدة في نشاطها الاقتصادي على نقد أجنبي محدود الكمية باق من أيام الجاهلية ويورد من بلاد العدو عن طريق تجارة تهددها الحرب بالانقطاع من آن لآخر[٣] .

ويجمع المؤرخون على أن عبد الملك هو أول من ضرب الدراهم والدنانير العربية في الاسلام ، وان كان المؤرخون يختلفون في السنة فان عدداً كبيراً يؤكد أن ذلك تم سنة ٧٦ هـ[٤] ، وربما يعود ذلك الى أن تعريب النقود مرّ بمراحل قبل أن يصبح النقد عربياً خالصاً . فقد وجد دينار في سورية حوالي سنة ١٩٥٤ وانتقل الى لبنان ومنه اقتني لصالح متحف كراتشي حيث هو محفوظ فيه الآن ، وهذا الدينار العربي الجديد يعود الى سنة ٧٤ هـ وهو يمثل على الوجه شخص عبد الملك واقفاً متقلداً سيفاً مرتدياً ملابس مزركشة[٥] ، وكتب في المدار حوله حسب اتجاه حركة عقرب الساعة « بسم الله ، لا اله الا الله وحده ، محمد رسول الله » وعلى الظهر بدا في الوسط الصليب البيزنطي المحور وكتب حوله حسب اتجاه حركة عقرب الساعة « بسم الله ضرب هذا الدينار سنة ٧٤ هـ » هذا الدينار لا يزال فريداً في العالم وقد ضرب على نمطه دنانير في السنوات ٧٥،٧٦،٧٧[٦] .

(١) جرجي زيدان ، ج١ ، ص ٩٩ .

(٢) Levy, p. 303 .

(٣) Sayid Amer Ali, A Short History of the Saracens, London, 1953, p. 189 .

(٤) الدينوري ، ص ٣١٦ ، ابن قتيبة ، المعارف ، ص ٢٤١ . القلقشندي ، ج١ ، ص ٤٢٤ . ابن الاثير ، ج٤ ، ص ٥٤ . السيوطي ، تاريخ الخلفاء ص ٢٣٧ .

(٥) Miles, The Earliest Arab Gold Coinage, 1967, p. 212.

(٦) Ibid p. 212 .

سميت الدنانير التي ضربها عبد الملك بالدمشقية ، وجعل وزن الدينار اثنين وعشرين قيراطاً إلا حبة بالشامي ، وكتب الى الحجاج بن يوسف أن يضرب الدراهم على خمسة عشر قيراطاً من قراريط الدينار[١] ، وبعث عبد الملك بالسكة الى الحجاج فسيرها الى الآفاق لتضرب الدراهم بها وتقدم الى الأمصار كلها أن يكتب إليه في كل شهر بما يجتمع قبلهم من المال ، كي يحصه عندهم وأن تضرب الدراهم في الآفاق على السكة الاسلامية ، وتحمل إليه أولاً فأولاً[٢] أي أن الحجاج أمر بأن تضرب الدراهم في الآفاق على السكة الاسلامية وأن تسحب النقود الأخرى التي كان يجري التعامل بها تدريجياً ، فبطل منذ ذلك الوقت التعامل بالنقود الفارسية والرومية[٣] .

وكان يظن أن أقدم درهم عربي خالص ضرب سنة ٧٩ هـ من دون ذكر مكان الضرب وهو فريد حتى الآن في العالم ، ولكن ظهر حديثاً في العراق درهم عربي خالص ضرب بأرمينية سنة ٧٨ هـ وكان هذا حدثاً هاماً جداً في عالم المسكوكات العربية الاسلامية[٤] .

وليس في مأثورات الدرهم العربي الأموي ما يلفت النظر إلا ذكر مدينة الضرب مما يدل على أن الخليفة فوض الولاة القيام بهذه المهمة[٥] . وقد استمر الولاة بضرب النقود حتى خلافة هشام بن عبد الملك الذي أمر خالد بن عبد الله القسري والي العراق سنة ست ومائة أن يبطل السكك من كل بلدة الا واسطاً ، وكذلك فعل يوسف بن عمر الثقفي عندما عزل خالداً سنة عشرين ومائة ، فلما استخلف مروان بن محمد ضرب الدراهم بالجزيرة بحران[٦] .

---

(١) البلاذري ، ص ١٠ ، المقريزي ، ص ٣٤ . النقود العربية وعلم النميات .
(٢) المقريزي ، ص ٣٦ . النقود العربية .
(٣) ابن خلدون ، السكة ، النقود العربية وعلم النميات ، ص ١٠٨ .
(٤) محمد ابو الفرج العش ، ص ٢٧٧ .
(٥) المصدر السابق ، ص ٢٧٨ .
(٦) المقريزي ، ص ٤٤ ، النقود العربية وعلم النميات .

وعندما أمر الحجاج بسك الدراهم سأل عمّا كانت الفرس تعمل به في ضرب الدراهم ، فاتخذ دار ضرب وجمع فيها الطباعين ، فكان يضرب المال مما يجتمع له من التبر وخلاصة الزيوف[١] والستوقة والبهرجة[٢] . كما أن الحجاج هو أول من عمل الأوزان ، فبعد أن كان الناس يأخذون الدرهم الوازن فيزنون به غيره ، وضع له سمير اليهودي الأوزان ، وزن ألف ، ووزن خمسمائة ، ووزن ثلثمائة الى وزن ربع قيراط وجعلها حديداً[٣] .

تشدد ولاة العراق في أمر الوزن وجودة الدراهم ، وكان عمر بن هبيرة أول من فعل ذلك ثم اشتد خالد بن عبد الله القسري أيام هشام بن عبد الملك أكثر من ابن هبيره ، فلما ولي يوسف بن عمر أفرط في الشدة ، فامتحن يوماً العيار فوجد درهماً ينقص حبة ، فضرب كل صانع ألف سوط وكانوا مائة صانع[٤] ؛ وكانت الهبيرية والخالدية واليوسفية أجود نقود بني أمية ، ولم يكن المنصور يقبل في الخراج من نقود بني أمية غيرها[٥] .

لم يختلف شكل الدينار العربي عن الدينار البيزنطي إلا في النقوش والكتابة إذ نقش على كلا الوجهين كتابات بالكوفية بدلاً من الكلمات اللاتينية ، وظهرت صورة الخليفة والسيف بيده عوضاً عن الامبراطور حاملاً عصا في نهايتها صليب ، وتغير الصليب القائم على أربع درجات الى عامود في نهايته كرة[٦] .

وقد اتخذ ضرب النقود في المغرب والأندلس شكلاً مميزاً ، فعلى الرغم من وجود الدينار العربي قبل الفتح ، إلا أن المتداول هناك كما تدل البقايا اتبع

---

(١) الزيوف ، جمع زيف بالفتح وهو الدرهم الذي خلط به نحاس أو غيره ففات صفة الجودة ، فيرده بيت المال .

(٢) البهرجة مايرده التجار ، واما اذا غلب عليه الغش فيقال له الستوق ، انستاس الكرملي ، ص ٥٠ .

(٣) ابن الاثير ، ج٤ ، ص ٥٣ . القلقشندي ، ج١ ، ص ٤٢٥ .

(٤) ابن الاثير ، ج٤ ، ص ٥٣ . البلاذري ، فتوح ، ص ٤٥٤ .

(٥) البلاذري ، فتوح ، ص ٤٥٤ .

(٦) Levy, p. 303 .

خط سير مستقل ، فقد ضربت أول الأمر دنانير جديدة في المغرب ، كانت عبارة عن المستعملة قديماً والأحرف عليها لاتينية باستثناء استبعاد الاشكال المتعلقة بالديانة المسيحية ، وفي عام ٩٨ هـ تظهر نقود جديدة مزدوجة اللغة بحيث تكون الكتابة العربية في الوسط واللاتينية على الأطراف ، وهكذا نقش على الوجه الأول « لا اله الا الله » في الوسط وحوله في الأطراف كتب باللاتينية :

Novus Solidus Feritus In Africa Anno XCVII.

أي دينار جديد ضرب في إفريقية سنة ٩٧ هـ . أما على الوجه الآخر فقد كتب بالعربية محمد رسول الله ، كما نقش على الأطراف باللاتينية كلام ، الا انه غير مقروء في الدينار المتوفر . أما في الأندلس فعثر على أعدادٍ من الدنانير المضروبة فيها على نفس المراحل التي عرضناها بالنسبة للمغرب وان اختلف فيها شكل الدنانير المزدوجة اللغة إذ نرى وجهها الأول عربياً كله فنقش في الوسط « محمد رسول الله » وعلى الأطراف « ضرب هذا الدينار بالأندلس سنة ثمان وتسعين » أما على الوجه الآخر فقد نقشت نجمة في الوسط وعلى الأطراف نقش باللاتينية :

Novus Feritus Solidus In Spania Anno XCVIII.

أي دينار جديد ضرب في اسبانية عام ٩٨ هـ[١] .

وحوالي سنة ١٠٠ الى سنة ١٠٢ هـ ظهرت في الأندلس النقود العربية الصافية ومن جملة بقاياها الدينار وعليه ضرب على الوجه الأول « لا اله الا الله وحده » في الوسط ، وفي الأطراف « محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق » وعلى الوجه الآخر « بسم الله الرحمن الرحيم » في الوسط ، وعلى الأطراف « ضرب هذا الدينار بالأندلس سنة ثنتين ومائة » .

وسكت الدراهم الفضية في المشرق على نماذج الدراهم الساسانية[٢] ،

---

(١) Codera, Numesmatica Arabigo - Espanola, Madrid, 1879, pp. 35, 65 .

(٢) Levy, p. 304 .

واستعملت العلامات من أقمار ونجوم ونقط وحروف وكلمات بهلوية وزخارف في الدرهم المضروب على الطراز الساساني ، والحلقات والنقط في الدرهم المضروب على الطراز الاسلامي[1] .

ويصف المقريزي الدرهم الذي ضربه الحجاج بأنه نقش على أحد وجهي الدرهم « قل هو الله احد » وعلى الوجه الآخر « لا اله الا الله » ، وطوق الدرهم على وجهيه بطوق وكتب في الطوق الواحد ضرب هذا الدرهم بمدينة كذا وفي الطوق الآخر « محمد رسول الله ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون »[2] ، أما النماذج القليلة الباقية لدراهم المغرب والاندلس فانها تعود الى سنوات متأخرة نسبياً ، إذ تنتمي لسنوات ١١٤ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١٢٤ أما نقوشها فكانت نقوشاً لصيغ إسلامية ، ففي درهم سنة ١١٦ نقش على الوجه الأول « لا اله الا الله وحده لا شريك له » في الوسط وعلى الأطـراف « بسم الله ضرب هذا الدرهم بالاندلس سنة ست عشر ومائة » ، وعلى الوجـه الآخر في الوسط « الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد » وعلى الأطراف « محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون »[3] ، ويلاحظ أن الصيغ هنا أطول بكثير من السابقـة ومن الدراهم المشرقية لأن مساحة الدرهم أكثر اتساعاً ، ويلاحظ أنه لم ينقش على الدراهم الأموية التي ضربت على الطراز الاسلامي اسم أحد .

وكان عبد الملك كذلك هو أول من نقش كلمة درهم بالعربية على الدراهم، واستمرت كلمة درهم تكتب الى مابعد سقوط الدولة العباسية ، واختفت باختفاء كلمة دينار سنة ٦٦١ هـ في بغداد وسنتي ٧٤٧ هـ و ٧٤٨ هـ في مصر في حكم

(١) محمود النقشبندي ، الدرهم الاســلامي ، مطبوعات المجمع العلمي العراقي سنة ١٩٦٩ ، ج١ ، ص ٩ .

(٢) الكرملي ، المقريزي ، ص ٣٦ .

(٣) Codera, pp. 35,36. J. Navascus, Numario Hispanica, T. III, Nnms, p.p. 5-66 .

سيف الدين الحجي أحد ملوك المماليك البحرية[1] ، واذا كان التعامل في العراق والقسم الشرقي من الدولة قائماً على أساس الدرهم فان التعامل في سورية ومصر والمغرب بقي على أساس الدينار الذهبي ؛ ويقول المقريزي في بحثه عن النقود في مصر : « أما مصر من بين الأمصار فما برح نقدها المنسوب اليه قيم الاعمال وأثمان المبيعات ذهباً في سائر دولها جاهلية واسلاماً يشــهد لذلك بالصحة أن خراج مصر في قديم الدهر وحديثه إنما هو الذهب[2] ، وبما أن مصر كانت دار إمارة فقد كانت سكتها سكة بني أمية ثم سكة بني العباس حتى ضرب أحمد بن طولون دنانير خاصة به[3] » .

كانت النقود الذهبية والفضية في العهد الأموي ثم جميع النقود في العهــود التالية تحمل التاريخ الهجري المتسلسل ، وان اثبات التاريخ بالتقويم المتعارف عليه يعتبر ابداعاً عربياً مفيداً في غايــة الأهمية . إن بعض النقــود الساسانية والبيزنطية تحمل تاريخاً ، إلا أن هذا التاريخ يبدأ من أول حكم كل ملك وليس تاريخاً تقويمياً ، فاذا أردنا أن نحدد تاريخ النقد ، وجب مقارنته بسلسلة تعاقب الملوك استناداً الى التقويم الميلادي لنعرف على وجه الدقة تاريخ النقد ، ولهذا تعتبر النقود العربية الاسلامية من هذه الزاوية أفضل من جميع النقود المعاصرة والسابقة[4] .

بما أن سك النقود كان من مسؤوليات الادارة ، فقد كان لا بد من مراقبة النقد ومعاقبة من يعبث به ، أو يحاول أن يضرب نقوداً خارج تلك الدور معاقبة شديدة ، فقد كاد الحجاج أن يقتل سمير اليهودي لأنه ضرب نقوداً على غير سكة السلطان ، ولم يعف عنه الا عند مادله على شيء هو أفضل له من قتله ألا وهي الأوزان[5] .

---

(١) محمود النقشبندي ، ج١ ، ص ٢ .
(٢) المقريزي ، ص ٥٢ . النقود العربية وعلم النميات .
(٣) المصدر السابق ، ص ٥٤ .
(٤) العش ، ص ٢٦٨ .
(٥) ابن الاثير ، ج٤ ، ص ٥٣ .

وقد أراد عبد الملك قطع يد رجل ضرب على غير سكة المسلمين ، ثم ترك ذلك وعاقبه كما عاقب عمر بن عبد العزيز رجلاً فعل ذلك بسجنه وأخذ حديده وطرحه في النار[1] .

وكانت عقوبة من يقطع الدراهم قطع اليد كما فعل مروان بن الحكم أو الضرب ثلاثين سوطا كما فعل إبان بن عثمان وهو على المدينة اذ كان يعاقب من يقطع الدراهم بضربه ثلاثين سوطاً وأن يطاف به « وهذا عندنا فيمن قطعها ودس فيها المفرغة والزيوف »[2] .

وهكذا يمكننا القول إن عبد الملك هو أول من أوجد النقد القومي العربي للدولة الاسلامية ، وقد بقي عمله لأنه قام على أساس علمي إذ حدد عياراً ثابتاً لكل من النقدين بنسبة معينة بينها وفق ما أقره الشرع ، وقد كانت الدولة شديدة العناية بجودة العملة ، وقد رأينا تنافس الولاة في البلوغ بالجودة أكمل درجة ، وكان هذا ولا شك عملاً عظيماً إذ قضى على المفاسد التي كانت موجودة وأفادت منه الرعية كما أفادت الدولة ، بل كان بمثابة حجر الأساس للنهضة التجارية الاسلامية[3] .

خامسا ـ تأمين وسائل الري واصلاح الأراضي :

اهتم الخلفاء والولاة طوال عهد الخلفاء الراشدين والأمويين بشؤون الزراعة في البلاد التي تحتم جغرافيتها أن تكون حرفتها الأولى الزراعة ، كما هو الحال في العراق والشام ومصر ، وقد ترك لخليفة عمر كما رأينا الأراضي بيد أصحابها لأنه كان يدرك أن أصحاب الأرض سوف تكون عنايتهم بزراعة أرضهم أعظم مما لو زرع الفاتحون هذه الأراضي لانشغالهم بالحروب من جهة ، وعدم درايتهم بأساليب الزراعة من جهة أخرى .

---

(١) البلاذري ، ص ٤٥٥ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٤٥٦ .

(٣) ضياء الدين الريس ، الخراج والنظم المالية للدولة الاسلامية ، ص ٢٢٦ .

وكان حفر الانهار وكراؤها وكل ما فيه مصلحة لأهل الخراج في أرضهم وأنهارهم على نفقة بيت المال[1] وكذلك البثوق[2] والمسنيات[3] والبريدات[4] التي تكون في دجلة والفرات وغيرهما من الأنهار العظام فان النفقة على هذا كله من بيت المال لأن في ذلك مصلحة للمزارعين وللمسلمين عامة[5] .

وجه عمر بن الخطاب اهتمامه الى مشاريع الري والى كل مافيه مصلحة لأهل الأرض ، وعندما توجه الأحنف بن قيس زعيم البصرة بالشكوى من فقر البصرة وملوحة مياهها بعث عمر الى أبي موسى يأمره بحفر نهر البصرة ، فحفر أبو موسى نهر الابله[6] . وفي الكوفة طلب دهاقين الأنبار من سعد بن أبي وقاص أن يحفر لهم نهراً ، وكانوا قد تقدموا بهذا الطلب الى حكامهم الفرس من قبل ، فأمر سعد بحفر هذا النهر لهم[7] .

واهتم الخليفة معاوية بن أبي سفيان بزيادة مساحة الأراضي المزروعة ؛ وكانت البطائح ، هي مشكلة العراق الدائمة ، إذ كان نهر دجلة يتفرع عند مصبه الى نهيرات كثيرة متشعبة ، وكانت هذه النهيرات قليلة العمق تفيض المياه على الجانبين وتغرق الأراضي الزراعية ؛ وفي أواخر الحكم الفارسي للعراق شغل الأكاسرة بضعف دولتهم عن مكافحة طغيان المياه ، فتحولت بعض الأراضي الى بطائح واسعة[8] ، وقد فطن معاوية الى ذلك فأمر عبد الله بن دراج عامل الخراج بمكافحة ذلك فاستخرج له من البطائح أراضي كثيرة بلغت غلتها خمسة آلاف

---

(١) أبو يوسف ، ص ١٣١ . الماوردي ، ص ١٧٤ .
(٢) البثوق هو ما يخرقه الماء في جانب النهر .
(٣) المسنيات : جمع مسناه وهو الحائط يبنى في وجه الماء .
(٤) البريدات : مفاتيح الماء ، وهي كلمة فارسية .
(٥) أبو يوسف ، ص ١٣٢ .
(٦) البلاذري ، فتوح ، ص ٣٥١ .
(٧) المصدر السابق ، ص ٢٧٣ .
(٨) البلاذري ، ص ٢٩٠ .

ألف درهم[١] • وسمح ولاة معاوية لأهل العراق باحياء الأرض الموات ، فكان زياد بن أبيه يقطع الرجل قطعة من الأرض مساحتها ٦٠ جريباً ثم يدعه عامين فان عمرها أصبحت له ، والا استردها منه[٢] •

وأولى الولاة اهتمامهم كذلك الى مشاريع الري فقاموا بحفر الأنهار والقنوات كما أقاموا القناطر والجسور ، وقد حفرت عدة أنهار في ولاية عبد الله ابن عامر منها نهر الأساورة ويعرف نهر عبد الله[٣] ، ونهر أم عبد الله وكان يشق البصرة[٤] ونهر نافذ[٥] ونهر مرّة[٦] • واهتم زياد بشؤون الزراعة والري[٧] وأنشأ جسراً ليمنع طغيان الماء في الكوفة ، وظل هذا الجسر قائماً طوال الحكم الأموي وقام باصلاحه وتجديده كل من ابن هبيرة ، وخالد بن عبد الله القسري ، ويزيد بن عمر بن هبيرة[٨] •

وفي ولاية الحجاج بن يوسف الثقفي حفرت أنهار عدة ، منها نهر الصين ، ونهر النيل والزابي ، وأحيا ماعلى هذين النهرين من الأراضي[٩] ، وعمد الى ضياع كان عبد الله بن دراج مولى معاوية بن أبي سفيان استخرجها له أثناء ولايته خراج الكوفة مع المغيرة بن شعبة « من موات مرفوض ومغايض وآجام » فضرب عليها المسنيات ، فقلع قصبها وحازها لعبد الملك بن مروان وعمرها ، وانبثقت بعض البثوق في منطقة البطائح فكتب الحجاج الى الوليد بن عبد الملك يعلمه أن سدها يكلف ثلاثة آلاف ألف درهم فاستكثرها الوليد ، فتبرع مسلمة بن

---

(١) المصدر السابق ، ص ٢٩١ •
(٢) البلاذري ، فتوح ، ص ٣٥٦ ، ٣٥٧ •
(٣) المصدر السابق ، ص ٣٦٦ •
(٤) الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج١ ، ص ٤٠٥ •
(٥) سمي نهر نافذ لأن مولاه نافذ تولى حفره ، ابن قتيبة ، المعارف ، ص ٢٤٦ •
(٦) سمي نهر مره لان الذي تولى حفره هو مرة مولى أبي بكر الصديق • البلاذري ، فتوح ، ص ٣٥٤ •
(٧) ابن الفقيه ، ص ١٩١ •
(٨) البلاذري ، فتوح ، ص ٢٨٥ •
(٩) المصدر السابق ، ص ٢٨٨ •

عبد الملك أن ينفق عليها على شرط أن يقطعه الأرض المنخفضة التي يبقى فيها الماء بعد انفاق الملايين الثلاثة من الدراهم يقوم الحجاج بانفاقها ، فأجابه الوليد الى ذلك فكان من نتائجه أن استصلحت أراض واسعة فسيحة متصلة بعضها ببعض[1] ، كما عمد الحجاج الى جلب جماعة من زط السند وأصناف ممن بها من الأمم معهم أهلوهم وأولادهم وجواميسهم فاسكنهم بأسافل كسكر[2] ، فلم يلبثوا أن غلبوا على البطيحة وتناسلوا بها[3] .

ولخالد بن عبد الله القسري أياد بيضاء على الزراعة في العراق كسلفه الحجاج ، ولكنه خالفه في أنه كان يخدم نفسه وأسرته في نفس الوقت الذي كان يخدم فيه خليفته[4] . ومن الأنهار التي حفرها نهر الجامع[5] ، ونهر خالد وكان يغل خمسة آلاف ألف[6] ، والمبارك بجهة واسط الذي قال فيه الفرزدق هذه الأبيات :

أعطى خليفته بقوة خالد
نهراً يغيض على الأنهار
إن المبارك كاسمه يسقي به
حرث السواد وناعم الجبّار
وكأن دجلة حين أقبل مدها
ناب يمد له بحبل قطار[7]

---

(١) البلاذري ، فتوح ، ص ٢٩٢ .

(٢) كسكر كورة واسعة حدها من الجانب الشرقي في آخر سقى النهروان الى أن يصب دجلة في البحر ، وقال هيثم بن عدي ، لم يكن بفارس كورة أهلها أقوى من كورتين - كورة سهلية وكورة جبلية ، أما السهلية فكسكر ، وأما الجبلية فاصبهان . ياقوت ج٤ ، ص ٤٦١ .

(٣) البلاذري ، فتوح ، ص ٣٦٨ .

(٤) الطبري ، ج٧ ، ص ١٤٩ ، ١٥٢ .

(٥) البلاذري ، فتوح ، ص ٢٨٤ .

(٦) الطبري ، ج ٧ ، ص ١٥٢ .

(٧) البلاذري ، فتوح ، ص ٢٨٩ .

وحفر من الأنهار كذلك نهر بارمّانا وباجوى[1] ، وأصلح قنطرة الكوفة[2] وأقام قنطرة على دجلة وأعظم النفقة عليها فلم يلبث أن قطعها الماء فأغرمه الخليفة هشام ما كان أنفق عليها لأنه لم يوافق على هذا المشروع إلا على مضض . كما أن خالداً سكر دجله ، أي أنه أقام السدود لمنع مياهه من الفيضان وكان يفاخر بأن أحداً قبله لم يتكلف ذلك[3] .

وفي مصر أدرك العرب ضرورة إشراف الادارة على تنظيم الانتاج والري وحفر الترع والخلجان وتصليح الجسور ودفع خطر الفيضان وغير ذلك من الأمور[4] التي تتطلبها هذه البلاد والتي لا يستطيع الأفراد القيام بها من غير هيئة عليا تشرف عليها وتقوم بالنفقات التي تلزم .

ويذكر المؤرخون أن حكومة العرب باشرت عقب الفتح مباشرة الى حفر خلجها واقامة جسورها وبناء قناطرها وقطع جزائرها وأنهم كانوا يقومون بهذا العمل صيفاً وشتاءاً[5] .

اهتم العرب عقب الفتح مباشرة ببناء مقاييس للنيل لمعرفة مقدار الزيادة والنقصان في مياهه ، لأن الزراعة والري تتوقفان على مقدار الزيادة والنقصان ، وعن القضاعي أنه لما فتحت العرب مصر ، عرف عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما يلقى أهلها من الغلاء عند وقوف النيل عن حده في مقياس لهم فضلا عن تقاصره ، وأن فرط الاستشعار يدعوهم الى الاحتكار ، وأن الاحتكار يدعو الى تصاعد الاسعار بغير قحط[6] . فكتب عمر الى عمرو يسأله عن شرح الحال فأجابه : إني وجدت ماتروى به مصر حتى لا يقحط أهلها أربعة عشر ذراعاً ،

---

(١) الطبري ، ج٧ ، ص ١٥٢ .
(٢) البلاذري ، فتوح ، ص ٢٨٥ .
(٣) الطبري ، ج٧ ، ص ١٤٣ .
(٤) ابن اياس ، ص ٢٥ .
(٥) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ١٥١ . المقريزي ، الخطط ، ج١ ، ص ١٤٠ السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج١ ، ص ٦٣ .
(٦) المقريزي ، ج١ ، ص ١٠٦ .

والحد الذي يروى منه سائرها حتى يفضل عن حاجتهم ويبقى عندهم قوت سنة أخرى ستة عشر ذراعاً ، والنهايتان المخوفتان في الزيادة والنقصان ، وهما الظمأ والاستبحار ، إثنا عشر ذراعاً في النقصان ، وثمانية عشر ذراعاً في الزيادة[1] .
وبناء على هذا التقرير طلب الخليفة من عمرو أن يبني مقاييس جديدة مقسمة على أساس الذراع وكل ذراع ينقسم الى أربعة وعشرين اصبعاً[2] ، فبنى عمرو بن العاص عند فتحه مصر مقياساً بأسوان[3] وحلوان[4] ودندره[5] . ثم بنى في أيام معاوية مقياساً بأنصنا[6] بقي الولاة يعتمدون عليه إلى أن بنى عبد العزيز بن مروان مقياساً بحلوان[7] ، وبنى أسامة بن زيد التنوخي عامل الخليفة سليمان بن عبد الملك على الخراج مقياساً بجزيرة الروضة سنة ٩٧هـ[8].

شجع العرب كل ما من شأنه زيادة الانتاج ، فنرى في عقود إيجار الأراضي في ذلك العهد أن المؤجر يشترط على المستأجر شرطاً هذا نصه : « وما بورت ، فعليك خراجه » ، أي أنه يلزمه بدفع الخراج عن الأراضي التي يتركها دون زرع ، وطبيعي ألا يرضى المزارع أن يدفع خراجاً عن الأراضي البور التي لا يستفيد منها ، فكان هذا الشرط يحمل المزارعين على الانصراف الى الزراعة وعدم إهمال الأرض ، ولعل هذا الشرط الذي اعتاد المؤجرون أن ينصوا عليه كان بسبب حرص الحكومة على زراعة الأرض وعدم إعفاء الأرض البور من الخراج[9] .

---

(١) المقريزي ، الخطط ، ج١ ، ص ١٠٦ .
(٢) المقريزي ، الخطط ، ج١ ، ص ١٠٦ ، ١٠٧ . ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج٢ ، ص ٣١٢ ، ٣١٣ .
(٣) المقريزي ، الخطط ، ج١ ، ص ١٠٥ .
(٤) المصدر السابق ، ج١ ، ص ١٠٧ .
(٥) المصدر السابق ، ج١ ، ص ١٠٥ . ودندرة تقع على غربي النيل من نواحي الصعيد ، ياقوت ، ج٢ ، ص ٤٧٨ .
(٦) المصدر السابق ، ج١ ، ص ١٠٥ . وانصنا مدينة قديمة في صعيد مصر على شرقي النيل ، ياقوت ، ج١ ، ص ٢٦٥ .
(٧) المصدر السابق ، ج١ ، ص ١٠٥ .
(٨) المصدر السابق ، ج١ ، ص ١٠٥ .
(٩) Grohman, Arabic Papyri, Vol. II, pp. 45, 48 .

وعندما دخل العرب بلاد الشام كانت مساحة الأرض الصالحة للزراعة قد تقلصت كثيراً وتدنى الانتاج الزراعي إلى مستوى منخفض بسبب ما أسفرت عنه حروب الروم والفرس من سلب ونهب[1] ، ونتيجة للسياسة المالية التي كان يتبعها الامبراطور هرقل ، يضاف الى ذلك أن وسائل الري من آقنية وترع قد تهدمت بسبب الاهمال ، كما أن عدد سكان الريف الزراعي كان قد انخفض كثيراً بسبب نزوح الفلاحين عن ديارهم أو بسبب الوفيات من جراء الأوبئة المتعاقبة ، فاستحالت الأراضي الزراعية المروية الى قفار مجدبة ، هذه الأراضي التي استولى عليها العرب عند فتح الشام لم تلبث تحت إشرافهم أن استحالت الى حقول ومروج وحدائق وبساتين وكروم ذات عطاء عظيم[2] ، الا أن بليابيف في الوقت نفسه يحاول أن يتهم الأمويين بأن اهتمامهم بمشاريع الري وبالزراعة إنما كان لرغبة منهم في زيادة الخراج[3] ، ثم يعود فيناقض نفسه أحياناً فيقول إن حكم الأمويين كان عاملاً في تقدم عمران البلاد وزيادة الانتاج فيها ، وفي رأيي انه لا بأس من أن تستفيد الدولة ويستفيد المزارعون في آن واحد ، فالخراج لا بد من جبايته ، فمن الأفضل مساعدة المزارعين على زيادة انتاجهم حتى يستطيعوا دفع ما عليهم دون مشقة من أن يجبروا على دفع خراجهم بالرغم من سوء حالة الأراضي كما كان الوضع قبل الفتح العربي ، يضاف الى ذلك آن المصادر لا تشير الى أن الأمويين قد حاولوا زيادة الخراج الذي فرض على الشام في خلافة عمر بن الخطاب ، ولذلك فان تشجيع الأمويين للزراعة ومساعدة المزارعين بواسطة مشاريع الري كان يساعد على زيادة الانتاج ، وهذا بدوره كان يؤدي الى رفع مستوى معيشة السكان ٠

من أهم الأنهار التي حفرت في العصر الأموي ، نهر يزيد ، حفره يزيد بن معاوية بن أبي سفيان وكان قبلاً نهراً صغيراً يسقي ضيعتين في الغوطة ، فلما

(١) بليايف ، ص ٢١١ ٠

(٢) المصدر السابق ، ص ٢١١ ، ٢١٢ ٠

(٣) المصدر السابق ، ص ٢١٤ ، ٢١٥ ٠

أصبح خليفة ورأى تلك الأراضي الواسعة التي ليس فيها ماء أمر بحفر ذلك النهر الصغير وتوسيعه ؛ ويصف ابن عساكر يزيداً بأنه كان مهندساً ، وأنه احتفر نهراً سعته ستة أشبار في عمق ستة أشبار وأن أهل الغوطة عندما حاولوا منعه أرضاهم بأن ضمن لهم خراج سنتهم[1] • وكانت المياه توزع عن طريق الأقنية ، وما يسمى المواصي ، كما كانت هنالك أنهار عديدة متفرعة عن بردى ، فكان الخليفة يعمد الى توزيع المياه على هذه الأنهار عندما تقل المياه في بردى • ففي خلافة هشام بن عبد الملك شكا أهل بردى قلة الماء فأمر القاسم بن زياد أن يوزع الماء عليهم ، فأعطى نهر يزيد ست عشرة مسكبة ، وأعطى الغور الكبير عشر مساكب، والغور الصغير خمس مساكب ، ونهر داريا ست عشرة مسكبة ، وأعطى نهر توره اثنتين وأربعين مسكبة ، وفيه يومئذ أربع عشرة ماصية لتسقي ليس عليها رحاء•• فبلغ عدد الأنهار المتفرعة عن بردى في عهد هشام مايزيد عن ثلاثة عشر نهراً •

ويعلق غلى ذلك ابن عساكر قائلا : فهذه الأنهار التي ينتفع بها الداني والقاصي وينقسم فيها الماء في الأرضين في الجداول من المواصي ويدخل من بعدها الى البلد في القنى فينتفع به الناس الانتفاع العام ويتفرق في البرك والحمامات ويجري في الشوارع والسقايات فذلك من المرافق الهنية والمواهب الجزيلة السنية[2] •

هذه أمثلة عن اهتمام الادارة في ثلاث من أهم الولايات • ولا شك أن الولاة اهتموا بوسائل الري في مناطق أخرى ، فنحن نسمع عن نهر سعيد الذي حفره سعيد بن عبد الملك والي الموصل في خلافة عبد الملك بن مروان[3] • وفي سنة ١٠٨ هـ كتب الحر بن يوسف الى هشام بن عبد الملك يخبره ببعد الماء على أهل البلد فكتب اليه يأمره بحفر نهر في وسط المدينة[4] ، فابتدأ في حفر النهر في

(١) ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، المجلدة الثانية ، قسم ١ ، ١٩٥٤ ، ص ١٥٢ •
(٢) المصدر السابق ، المجلدة الثانية ، القسم ١ ، ص ١٥٢ •
(٣) البلاذري ، فتوح ، ص ٣٢٧ •
(٤) الازدي ، ص ٢٧ •

تلك السنة واستمر العمل فيه ثلاث عشرة سنة ، وذكروا أنه أنفق عليه ثمانية ملايين درهم وجعل عليه ثمانية عشر حجراً تطحن[1] .

ونظراً لتشجيع الدولة للزراعة ولمشاريع الري فاننا نجد كبار الاقطاعيين يقومون بحفر أنهار لري اقطاعاتهم فسميت الأنهار باسمائهم ، ففي البصرة يورد البلاذري أمثلة كثيرة منها نهر حرب نسبة الى حرب بن سلم بن زياد[2] ، ونهر ابن عميرة[3] ، ونهر بشار ينسب الى بشار بن مسلم بن عمرو الباهلي أخي قتيبة وكان أهدى الى الحجاج فرساً فسبق عليه فاقطعه سبعمائة جريب ويقال أربعمائة جريب فحفر لها النهر[4] ، ونهر فيروز ينسب الى فيروز حصين ، ونهر العلاء ينسب الى العلاء بن شريك الهذلي أهدى الى عبد الملك شيئاً أعجبه فاقطعه مائة جريب[5] ، ونهر حبيب نسبة الى حبيب بن شهاب الشامي التاجر في قطيعة من زياد ويقال من عثمان ، ونهر أبي بكرة نسبة الى أبي بكره بن زياد[6]، ونهر مسلمة بن عبد الملك في بالس[7] ، وكان أهل بالس قد طلبوا من مسلمة أثناء توجهه غازياً الى الروم أن يحفر لهم نهراً من الفرات يسقي أرضهم وأراضي قاصرين وعابدين وصفين وهي قرى منسوبة الى بالس على أن يجعلوا له الثلث من غلاتهم بعد العشر الذي يدفع للدولة ، فحفر النهر المعروف باسمه ووفوا له بالشرط[8] .

* * *

(١) المصدر السابق ، ص ٤٣ .
(٢) البلاذري ، فتوح ، ص ٣٥٣ .
(٣) المصدر السابق ، ص ٣٥٤ .
(٤) المصدر السابق ، ص ٣٥٥ .
(٥) المصدر السابق ، ص ٣٥٥ .
(٦) المصدر السابق ، ص ٣٥٥ .
(٧) بالس ـ بلدة بالشام بين حلب والرقة .
(٨) ياقوت ، ج١ ، ص ٣٢٨ .

الفصل الرابع

المؤسسات الإدارية

الدواوين

أتيح للأمويين من الاتصال بالفرس والبيزنطيين أكثر مما أتيح للراشدين ، فاتسعت في عصرهم مرافق الدولة ، واحتاجت الى دواوين جديدة تنظم إدارتها وتساعد الخليفة في الواجبات المعقدة التي فرضها السلم ، وهذه الدواوين عبارة عن دوائر رسمية أو وزارات حسب المفهوم الحديث[١] .

وبينما يذكر المؤرخون العرب الديوان بشكل عام في خلافة عمر وعثمان وعلي كذكرهم لديوان المدينة أو الكوفة أو البصرة ، نلاحظ ابتداء من خلافة معاوية بن أبي سفيان تأسيس دواوين ، لكل ديوان اختصاصاته[٢] ، ولم تلبث أن تفرعت عنها دواوين أخرى بازدياد الحاجة الى الاختصاص والتنظيم الاداري، فظهر ديوان الزمام[٣] ، وديوان المستغلات ، وديوان النفقات[٤] ، وديوان الخاتم الصغير[٥] ، وديوان الأحباس[٦] .

(١) Levy, p. 298 .

(٢) الجهشياري ، ص ٤٧ .

(٣) البلاذري ، انساب ، ج٤ ، قسم ١ ، ص ١٧٦ .

(٤) الجهشياري ، ص ٤٧ .

(٥) ابن عبد ربه ج٤ ص ٤٧ .

(٦) الكندي ، ص ٣٤٦ .

جرى نظام الدواوين في الدولة الأموية بما يتفق والنظام الاداري اللامركزي وذلك من حيث الاستقلال الذاتي للولايات مع دعم أسباب الاشراف عليها في نفس الوقت من قبل عاصمة الخلافة في دمشق ، واقتضى هذا الارتباط أن يكون في الدولة نوعان من الدواوين ، دواوين مركزية مقرها العاصمة دمشق ، والثانية دواوين إقليمية مقرها حواضر الولايات . وقد انتظم العمل في هذين النوعين من الدواوين وفق قواعد واحدة في إدارتها وأهدافها حتى صار كل منهما صورة صادقة عن الأخرى في مؤسساتها[1] .

وقد اختلف في أصل كلمة ديوان ، فذهب قوم الى أنه عربي ، قال النحاس : والمعروف في لغة العرب أن الديوان هو الأصل الذي يرجع اليه ويعمل بما فيه ومنه قول ابن عباس : « اذا سألتموني عن شيء من غريب القرآن فالتمسوه في الشعر فان الشعر ديوان العرب »[2] ، ويقال دونته أي أثبته واليه يميل كلام سيبويه ، وذهب آخرون الى أنه عجمي وهو قول الأصمعي وعليه اقتصر الجوهري في صحاحه فقال : الديوان فارسي معرب[3] . ويقول الماوردي في كتابه « الأحكام السلطانية » : ولتسمية الديوان وجهان : أحدهما أن كسرى اطلع ذات يوم على كتاب ديوانه فرآهم يحسبون مع أنفسهم فقال : « ديوانه » أي مجانين ، فسمي موضعهم بهذا الاسم ، ثم حذفت الهاء عند كثرة الاستعمال للتخفيف فقيل ديوان ، والثاني أن الديوان بالفارسية اسم « الشياطين » فسمي الكاتب باسمهم لحذقهم بالأمور ، وقوتهم على الجلي والخفي وجمعهم لما شذّ وتفرّق ، ثم سمي مكان جلوسهم باسمهم فقيل « ديوان »[4] .

---

(١) العدوي ، النظم الاسلامية ، ص ٢٣٢ .
(٢) القلقشندي ، ج١ ، ص ٨٩ .
(٣) المصدر السابق ، ج١ ، ص ٨٩ .
(٤) الماوردي ، ص ١٩٩ .

ديوان الجند

هو نفس الديوان الذي أسسه عمر بن الخطاب لتحديد العطاء لجميع العرب والجند الاسلامي[1] ، وكان يعرف باسم الديوان لأنه لم يكن يوجد غيره فلم يحتاجوا الى تمييزه بلفظ آخر يضاف اليه .

كان النفير الى القتال وتكوين الجيوش على عهد الرسول لا يجري على قواعد إلزامية ، وانما بادر المسلمون القادرون على حمل السلاح الى الجهاد طواعية لا يبغون إلا مرضاة الله سبحانه وتعالى . وحرص الرسول الكريم على احترام هذا التقليد الخاص بالجهاد ، حيث قال عليه الصلاة والسلام: « لا يخرجن معنا إلا راغب في الجهاد »[2] . كما قال لقادته إذا رأوا شخصاً متثاقلاً عن القتال : « دعوه ، فان يك فيه خيراً فسيلحقه الله بكم ، وان يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه »[3] .

وكانت اللياقة البدنية والمهارة في استخدام الأسلحة هي الأساس في التجنيد زمن الرسول ، لان مسألة السن وتحديدها لم تكن أمراً يسهل ضبطه في ذلك الوقت ، فقد أجاز الرسول يوم أحد ، سمرة بن جندب ورافعاً بن حديج في الرماة ، وسنهما خمسة عشر عاماً ، إذ لما تبين للرسول قدرة رافع على القتال أجاز تجنيده في يوم أحد ، وعندئذ حزن « سمره » والتمس من الرسول تجنيده لانه يستطيع أن يثبت تفوقه على رافع ، ولما تأكد الرسول من قول سمره عملياً ، أجاز تجنيده بدوره ، نظراً لقدرته البدنية ولياقته[4] .

(١) مولوي حسين ، ص ١٦٨ . منير العجلاني ، ص ٢٩٢ .
(٢) ابن سعد ، ج٢ ، ص ٢٧ .
(٣) الطبري ، ج٣ ، ص ١٠٧ .
(٤) ابن هشام ، ج٣ ، ص ٧٠ .

وسار نظام التجنيد وفق القواعد التي أقرها الرسول الكريم طوال عهد الخليفة أبي بكر الصديق والأيام الأولى من خلافة عمر بن الخطاب، إلا أن انطلاق عجلة الفتوح الاسلامية خارج شبه الجزيرة العربية تطلب وضع قواعد جديدة للتجنيد أحس بها الخليفة عمر عندما أراد أن يرسل جنداً لمساعدة المثنى بن حارثة ضد الفرس، إذ ظل الخليفة يدعو الناس ثلاثة أيام دون جدوى لأنهم كانوا يخشون هذه القوة الحربية لدولة الفرس[1]، ولم يلب نداء الخليفة الا أبو عبيد ابن مسعود في اليوم الرابع[2] فصار أول متطوع، ثم جاءه في أثره كثيرون من أجل حرب الفرس في العراق؛ ووضع عمر بن الخطاب أسس القاعدة الجديدة للتجنيد حين نص على الالتزام الى جانب التطوع فكتب الى عماله على الأقاليم « ولا تدعوا في ربيعة ولا مضر ولا حلفائهما أحداً من أهل النجدة ولا فارساً الا جلبتموه فان جاء طائعاً وإلا حشرتموه »[3]. ثم اتسع العمل بقاعدة الالزام باتساع الحروب مع كل من الفرس والروم، واقتضت تلك القاعدة تنظيماً جديداً لضبط نشاطها، فكان أن أوجد عمر الديوان الذي أصبحت مهمته كما يقول ابن خلدون هو القيام على أعمال الجبايات وحفظ حقوق الدولة في الدخل والخرج واحصاء العساكر بأسمائهم وتقدير أرزاقهم وصرف أعطياتهم[4].

وضع الديوان في المدينة ضمن أساس حفظت فيه مكانة بني هاشم الاجتماعية وزادها الاسلام أيضاً منزلة وتقديراً بين القبائل، ورتبت المنزلة الاجتماعية حسب الأقرب فالأقرب لبني هاشم[5]، ووضع العطاء ضمن أسس جديدة حفظت فيه حقوق المسلمين، ولكنهم كوفئوا على قدر جهادهم ودورهم من أجل رفع راية الاسلام. فمن أسلم قبل بدر من المهاجرين والأنصار

---

(١) الطبري، ج٣، ص ٤٤٤، ٤٤٧.

(٢) المصدر السابق، ص ٤٤٤، ٤٤٧.

(٣) الطبري، ج٣، ص ٤٧٨.

(٤) ابن خلدون، ج١، ص ٢٠٢.

(٥) ابن سعد، ج٣، ص ٢١٢ – ٢١٣، الطبري، ج٤، ص ٢١٠، البلاذري فتوح، ص ٤٣٧. ابن خلدون، ج١، ص ٢٠٣.

ومواليهم كان عطاؤهم أكثر ممن أسلم بعد بدر ، وهذا يأخذ عطاء أكثر ممن أسلم بعد الحديبية[1] .

وكان الديوان يتألف من سجلات كتب فيهـا أسماء المسلمين الـذين يستحقون العطاء مع ذكر مبلغ عطائهم ، وكان عمر ربما حمل هذه السجلات التي رتبت على البيوتات والقبائل فطاف على أصحابها وسلم كل واحد منهـم عطاءه بيده[2] .

غير أن هذه القاعدة في تفضيل الناس في العطاء حسب أسبقيتهم في الاسلام لم يكن من الممكن تطبيقها في كل الامصار لقلة من كان فيها أحيانا ممن لهـم سابقة في الاسلام ، ولذلك كان لا بد من اتخاذ تنظيمات أخرى تقوم على أسس غير الأسبقية في الاسلام ، ففرض عمر لمن شهد الفتح وقاتل عن أبي بكر ومن ولي الأيام قبل القادسية كل هؤلاء ثلاثة آلاف ثلاثة آلاف ، ثم فرض لأهـل القادسية وأهل الشام ألفين ألفين ، وفرض لأهل البلاء منهم ألفين وخمسمائة ، وفرض لمن بعد القادسية واليرموك ألفـاً ، ثم فرض للروادف الثني خمسمائة خمسمائة ، وللروادف الثليث بعدهم ثلثمائة وسوى كل طبقة في العطاء قويهـم وضعيفهم عربهم وعجمهم ، وفرض للروادف الربيع على مائتين وخمسين ، وفرض لمن بعدهم وهم أهل هجر والعباد على مائتين[3] .

يوضح هذا النص المفصل الأسس التي اتبعت في تنظيم العطاء في الشـام والعراق ، ويروي المدائني أن الأساورة بعد أن أسلموا جعلوا أسوة بالعرب ، وكتب عمر الى أبي موسى أن يلحقهم على قدر البلاء في أفضل العطاء وأكثر شيء

---

(١) البلاذري ، فتـوح ، ص ٤٣٧ . ابو يوسف ، ص ٥٥ ـ الطبـري ج٣ ص ٦١٤ ، ٦١٥ . الماوردي ، ص ٢٠٠ .

(٢) الطبري ، ج٤ ، ص ٢٠٩ ، ٢١٠ ، البلاذري ، فتوح ، ص ٤٣٨ ، ٤٣٩ .

(٣) المصدر السابق ، ج٣ ، ص ٦١٤ .

أخذه أحد من العرب ، ففرض لمائة منهم في ألفين ألفين ، ولستة منهم في ألفين وخمسمائة[1] وفي ذلك قال الشاعر :

ولمــــا رأى الفاروق حسن بلائهــم
وكان بما يأتي مــن الأمــر أبصــرا

فسنّ لهــم ألفين فرضــاً وقــد رأى
ثلاثمئين فــرض عــك وحميــرا[2]

أما البلاذري فيذكر أنه فرض لأهل اليمن وقيس بالشــام والعراق لكل رجل ما بين ألفين الى ألف الى تسعمائة الى خمسمائة الى ثلاثمائة ولم ينقص أحداً عن ثلاثمائة ، بينما يشير النص الذي أورده الطبري على أن الحد الأدنى للعطاء كان مائتين[3] .

وقد أوضح عمر منذ البدء أن المستحقين للعطاء هم أهل الفيء الــذين صاروا بعد الى الكوفة والبصرة ودمشق وحمص والأردن وفلسطين ومصر ومن لحق بهم وأعانهم وأقام معهم ، ولم يفرض لغيرهم لأن بهم سكنت المدائن والقرى، وعليهم جرى الصلح واليهم أدى الجزاء وبهم سدّت الفروج ودوّخ العدو[4] .

غير أنه لم يكن من الممكن عملياً أن يظل باب العطاء مفتوحا أمام كل عربي أو مسلم وافد الى الأمصار وان كانت بعض القبائل قد أدخلت في نصيبها من العطاء أبناء قبيلتها الوافدين[5] ، في حين ظل الباقون في وضع إقتصادي قلق ينافسون أخوانهم على الامتيازات التي يتمتعون بها ، ومن الطبيعي أن ترفض هذه الفئة بدورها رفضاً شديداً إشراك عنــاصر أخرى في الامتيازات الماليــة

---

(١) البلاذري ، فتوح ، ص ٣٦٦ ، الطبري ، ج٤ ، ص ٩١ .
(٢) الطبري ، ج٤ ، ص ٩١ .
(٣) البلاذري ، فتوح ، ص ٤٣٨ .
(٤) الطبري ، ج٣ ، ص ٦١٥ .
(٥) صالح احمد العلي ، ص ١٦٤ ، ١٦٥ .

التي تتمتع بها كما حدث عندما نقم عرب الكوفة على المختار بن أبي عبيد لادخال مواليهم في العطاء وانضموا الى مصعب بن الزبير في مقاومته المختار والقضاء عليه(١) .

إلا أنه كان يضاف بين آونة وأخرى الى أهل العطاء عدد ممن لم يكونوا يأخذونه وخاصة عندما يكون الدخل وافراً وبيت المال قادراً على الدفع ، أو عندما تشتد الحاجة الى المقاتلة ، ولا ريب أن هذه الاضافات الى أهل العطاء كانت تحدث بكثرة واستمرار في الأزمنة التي تطلبت الفتوحات فيها عدداً كبيراً من الجنود ، وقد حدثت مثل هذه الاضافات الكبيرة في عهد زياد إذ كانت المقاتلة بالبصرة حين قدم زياد أربعين ألفاً فبلغ بهم ثمانين ألفاً ومقاتلة الكوفة ستين ألفا(٢) . وفي سنة ٩٦ هـ كان في خراسان من المقاتلة من أهل البصرة من العالية تسعة آلاف ، وبكر سبعة آلاف ، وتميم عشرة آلاف ، وعبد القيس أربعة آلاف ، والأزد عشرة آلاف ، ومن أهل الكوفة سبعة آلاف ، والموالي سبعة آلاف(٣) .

وكان من الطبيعي نتيجة للزيادات التي قد تطرأ على أهل الديوان أن يصار الى تدوين جديد بين فترة وأخرى ، ولدينا مثال على ذلك بما حدث في مصر ، حيث مرّ ديوان مصر في أربع مراحل ، الأولى في عهد عمرو بن العاص الذي كان أول من دون هذا الديوان ، ثم دون عبد العزيز بن مروان التدوين الثاني في خلافة عبد الملك بن مروان ، ودون قرة بن شريك التدوين الثالث في خلافة الوليد بن عبد الملك ، وأخيراً دون بشر بن صفوان التدوين الرابع في خلافة يزيد بن عبد الملك(٤) . وقد يعود تعدد التدوين في مصر الى الزيادات التي طرأت

---

(١) الطبري ، ج٦ ، ص ٤٣ ، ٤٤ ، ٩٤ .
(٢) البلاذري ، أنساب ، ج٤ ، قسم ١ ، ص ١٩٠ ، ج٤ ، قسم ٢ ، ص ١١٦ ، فتوح ، ص ٣٤٤ . ابن عبد ربه ، ج٥ ، ص ٨ .
(٣) الطبري ، ج٦ ، ص ٥١٢ .
(٤) الكندي ، ص ٧٠ ، ٧١ . المقريزي ، الخطط ج١ ، ص ١٧٣ .

على أهل الديوان ، فبعد أن كان عدد أهل الديوان في ولاية عمرو بن العـاص الاولى هو ستة عشر ألفاً ، ارتفع على عهـد معاوية بن أبي سفيان الى أربعين ألفاً[1] ، ويذكر المقريزي أنه لم يكن بعد تدوين بشر شيء له ذكر إلا ما كان من الحاق قيس بالديوان في خلافة هشام بن عبد الملك[2] .

كان الانضمام الى الديوان اختيارياً من حيث المبدأ ، كما لم تفرض الدولة على الفرد الانضمام الى الديوان إلا وقت الضرورة ، وفي حالة دخول الشخص الديوان كان عليـه الاجابة حين دعوته[3] ، وكانت تكتب أوصـاف الرجل الجسمانية كاملة الى جانب اسمه في الديوان منذ أيام زياد بن أبيه[4] . وان الفرض لأناس في العطاء عند الحاجة يشعر بأن الكثيرين لم يكونوا في الديوان ؛ يذكر أبو مخنف أن الحارث بن عميرة خرج لمحاربة الخوارج في ألف من المقاتلة الأولى وألفين من الفرض الذين فرض لهم الحجاج[5] ، ويبدو أن تعبير الفرض يشير الى التسجيل لأول مرة في الديوان .

ويظهر أن الضرورة العسكرية أيام الحجاج لمواجهة الثورات ولحفظ الأمن في بعض النواحي إضافة الى توسع حركة الفتوح ، دعت الى الفرض لأناس كثيرين وتسجيلهم في الديوان ، يذكر أبو اليقظان أن الحجاج كان قد استعمل بلالاً الضبي على جيش وأغزاه قلاع فارس ، وكان يقال لذلك الجيش بيبي ، سمي بذلك لأنه فرض فرضاً من أهل البصرة ، وكان أهلوهم وأمهاتهم يأتون ويقولون بيبي أي بأبي وأمي[6] ، ويلاحظ من هذين النصين ما يشعر بتطبيق الحجاج في فترة ما التجنيد الاجباري ، وفي نهاية الدولة الأموية نلاحظ قلة عدد أهـل

---

(١) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ، ص ١٠٢ .
(٢) الكندي ، ص ٧٠ ، ٧١ ، الخطط ج١ ، ص ١٧٣ .
(٣) ابن سعد ، ج٦ ، ص ٢٣٤ .
(٤) البلاذري ، انساب ج٤ ، قسم ١ ، ص ١٧٦ . الماوردي ، ص ٢٠٣ ، القلقشندي ، ج١٣ ، ص ١١١ .
(٥) الطبري ، ج٥ ، ص ٢٢٢ .
(٦) ابن قتيبة ، عيون الاخبار ، ج١ ، ص ٢٧٤ .

الديوان في العراق ، فلما ظهر أبو مسلم في خراسان ، كتب مروان بن محمد الى يزيد بن عمر بن هبيره عامله على العراقين ، يأمره أن ينتخب من جنوده أثني عشر ألف رجل مع فرض يفرضه بالعراق من عرب الكوفة والبصرة، «فكتب يزيد بن عمر بن هبيرة الى مروان » أن من معه من الجنود لايفون باثني عشر ألفاً ، ويعلمه أن فرض الشام أفضل من فرض العراق ، لأن عرب العراق ليست لهم نصيحة للخلفاء من بني أمية[١] .

لم يكن عطاء المقاتلة بنسبة واحدة في العهد الأموي ، فقد كان هناك حد أعلى من العطاء يدعى شرف العطاء ، وبينما كان محدداً بألفين وخمسمائة درهم في عهد عمر ومن تبعه من الخلفاء الراشدين[٢] ، فانه انخفض في خلافة بني أمية الى ٢٠٠٠ درهم . يذكر البلاذري أنه قتل مع الضحاك في مرج راهط ثمانون من الأشراف كان لكل رجل منهم في العطاء ألفان وقطيفة يعطونها مع عطائهم[٣] .

وقد كان شرف العطاء يدفع في بادىء الأمر لأهل الأيام والفتوح الأولى مجازاة لهم لمساهمتهم في تلك الحروب الخطيرة الأولى وبلائهم فيها ، ولما كان شرف العطاء لا يورث أي لا يتحتم أن يرث الابن أباه في شرف العطاء فان الخلفاء والأمراء كانوا يضيفون بين آونة وأخرى لمن في شرف العطاء أسماء جديدة ، ولعله كان يراعى فيمن يجعل في شرف العطاء أن يكون ممن أبدى بسالة في الحروب[٤] أو من يقوم ببعض الأعمال الادارية والقيادية[٥] ، وهو مبدأ كان يعتمده عمر بن الخطاب نفسه ، إذ كتب الخليفة الى عمرو بن العاص « آن افرض لمن بايع تحت الشجرة في مائتين من العطاء يعني مائتي دينار ، وابلغ ذلك لنفسك

(١) الدينوري ، ص ٢٦٠ .
(٢) الطبري ، ج٣ ، ص ٦١٤ ، ج٤ ، ص ٧٥ .
(٣) البلاذري ، انساب ، ج٥ ، ص ١٣٦ . وانظر ابن سعد ، ج٥ ، ص ٢٥٥ .
(٤) الطبري ، ج٦ ، ص ٣١٠ .
(٥) الطبري ، ج٨ ، ص ١٧٧ ، ١٧٨ . الازدي ، ص ٢٥٦ .

لامارتك وأفرض لخارجه بن حذافة في شرف العطاء لشجاعته »[1] • أما عدد من كان يفرض لهم في شرف العطاء فقليل إذا قيس ببقية الأعطيات وقد لا يتجاوز العشر ، إذ يذكر ابن عبد الحكم أن عدد المقاتلة المسجلين في الديوان في زمن معاوية كان أربعين ألفاً ، وكان منهم أربعة آلاف في مائتين مائتين[2] • أما أغلبية المقاتلة فكان عطاؤها يتراوح بين مائتين الى ثلاثمائة الى ألف وألف وخمسمائة[3] درهم •

اتخذ العطاء في العصر الأموي وسيلة سياسية لتدعيم نفوذ الخلفاء وتثبيت أركان الدولة ، واختلف مقدار العطاء باختلاف الخلفاء والولاة ، وتبعاً للظروف السياسية والاقتصادية ، فقد كتب معاوية الى النعمان بن بشير على الكوفة يأمره أن يلحق لأهل الكوفة أعطياتهم زيادة عشرة دنانير لاستمالتهم[4] ، كما هدد زياد أهل الكوفة إن لم ينطلقوا لقتال الخوارج أن يمنع عنهم أعطياتهم وأرزاقهم[5] •

وعندما خلع أهل المدينة يزيد بن معاوية حاول أن يستميلهم بأن وعدهم عطاءين في كل سنة : عطاء في الشتاء وآخر في الصيف اذا أقروا بالطاعة ونزعوا عن غيهم وضلالهم[6] •

وفي سنة ٦٧ هـ عندما وفد عبد العزيز على أخيه عبد الملك وحضر مقتل عمرو بن سعيد زاد عابس صاحب الشرطة في مصر أعطيات الناس من الجند ، فلما سأله عبد العزيز عن ذلك قال : أردت أن أثبت وطأتك ووطأة أخيك فان أردت

---

(١) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ١٤٣ • البلاذري ، فتوح ، ص ٤٤٢ •
(٢) المصدر السابق ، ص ١٠٢ • المقريزي ، الخطط ج١ ، ص ١٧٢ ، ١٧٣ •
(٣) الطبري ، ج٥ ، ص ٢٢٣ • البلاذري ، انساب ج٥ ، ص ٣٥٤ • ابن قتيبة ، عيون الاخبار ، ج٢ ، ص ٤٤ ، ٤٥ •
(٤) البلاذري ، انساب ، ج٤ ، قسم ١ ، ص ١٢ •
(٥) المصدر السابق ، ج٤ ، قسم ١ ، ص ١٣٨ •
(٦) ابن قتيبة ، الامامة والسياسة ، ج١ ، ص ١٧٧ •

أن تنقضه فانقضه ، فقال عبد العزيز : « ماكنا لنرد عليك شيئاً فعلته »[1] .

وكان مصعب قد زاد الناس في العطاء مائة مائة فاعتبر الحجاج هذه الزيادة زيادة مخسر باطل ملحد ولذلك فهو لا يجيزها[2] ، وفي خلافة عمر بن عبدالعزيز ورد كتاب منه على أيوب بن شرحبيل بالزيادة في أعطيات الناس عامة[3] ، فلما كانت خلافة يزيد بن عبد الملك كتب سنة ١٠٢ الى بشر بن صفوان يمنع الزيادة التي كان عمر بن عبد العزيز أمر لأهل الديوان بها فمنعها[4] . ولما ولي الوليد بن يزيد بن عبد الملك زاد الناس جميعاً في العطاء عشرة عشرة[5] .

وقد كان عطاء أهل العراق خلال الحكم الأموي أقل دائماً من عطاء أهل الشام ، وقد وعد عبد الملك أهل العراق خلال ثورة ابن الاشعث أن يجعل عطاءهم مساوياً لعطاء أهل الشام ، ولكنه لم يبر بوعد[6] ، أما الوليد بن يزيد الذي عرف بسخائه في العطاء ، فقد زاد عطاء جميع الأمصار ، غير أنه مالبث أن زاد عطاء أهل الشام بعد زيادة العشرات عشرة ، عشرة[7] .

كان العطاء يدفع سنوياً في المحرم عند بداية السنة الهجرية في عهد عمر بن الخطاب[8] ، وفي زمن زياد بن أبيه كانت الأعطيات كذلك تدفع في محرم « ما بلغ الناس عاشوراء قط في أيام زياد إلا وطائفة يأخذون العطاء » ، وكان زياد إذا اهل هلال المحرم أخرج للمقاتلة أعطياتهم[9] . غير أن دفع العطاء في وقته المحدد لم يكن أمراً ميسوراً دائماً وخاصة إذا لم يصل الخراج في وقته المعين أو

---

(١) الكندي ، ص ٤٩ .
(٢) ابن الاثير ، ج٤ ، ص ٣٦ .
(٣) الكندي ، ص ٦٨ .
(٤) المصدر السابق ، ص ٧٠ .
(٥) الطبري ، ج٧ ، ص ٢١٧ .
(٦) المصدر السابق ، ج٦ ، ص ٣٤٧ .
(٧) المصدر السابق ، ج٧ ، ص ٢١٧ .
(٨) المصدر السابق ، ج٤ ، ص ٤٢ .
(٩) البلاذري ، أنساب ، ج٤ ، قسم ١ ، ص ١٩ .

بسبب الاضطرابات ، وفي هذه الحال كان العطاء يدفع أقساطا أو يؤخر دفعه عن الموعد المقرر • فقد وعد يزيد بن معاوية الناس أن يجمع لهم عطاءهم كله اذ أن معاوية كان يخرج لهم العطاء ثلاثاً[1] ، وعندما حاول معاوية أن يعطي أهل المدينة أعطياتهم وافرة غير منقوصة ، ولكنه وجد عجزاً في المال قدره مائة ألف ، كتب الى مروان بن الحكم أن يأخذ من صدقة مال اليمن ، فرفض أهل المدينة ذلك لان مال اليمن صدقة ، والصدقة لليتامى والمساكين وعطاؤهم من الجزية ، وطلبوا منه أن يكتب لمعاوية أن يبعث اليهم ببقية عطائهم[2] • وقد اضطرت الأحداث الداخلية مروان بن محمد الى تأخير العطاء عن ديوان مصر ، ثم دفعه لهم في العام التالي معتذراً لهم بقوله : « اني إنما حبست عنكم العطاء في السنة الماضية لعدو حضرني فاحتجت فيه الى المال وقد وجهت اليكم بعطاء السنة الماضية وعطاء هذه السنة »[3] •

كان على أهل العطاء أن يجهزوا أنفسهم بالأسلحة ويذهبوا للقتال عندما يضرب عليهم البعث ويدعون الى الخدمة[4] ، ويظهر أن هذا كان منذ البداية كما يبدو من قول عمر بن الخطاب : « لقد هممت أن أجعل العطاء أربعة آلاف » ، ألفا يجعلها في أهله وألفا يزودها معه ، وألفا يتجهز بها وألفا يترفق بها[5] • وروى الهيثم بن عدي عن ابن عباس الهمذاني وغيره أن كثير بن شهاب كان على الري ودستبي وقزوين كان إذا غزا أخذ كل امرىء ممن معه بترس ودرع وبيضة ومسلة وخمس أبر وخيوط كتان ومقص ومقراص ومخلاة[6] • وعندما أراد المهلب الخروج للازارقة « وضع للناس العطاء ، فجعلوا يقبضون ويتجهزون الى

(١) ابن كثير ، ج٨ ، ص ١٤٣ •
(٢) ابي عبيد ، ص ٢٥٦ •
(٣) المقريزي ، الخطط ، ج١ ، ص ١٧٣ •
(٤) الطبري ، ج٦ ، ص ٢٣٠ ، ٢٣١ •
(٥) الطبري ، ج٣ ، ص ٦١٥ •
(٦) البلاذري ، فتوح ، ص ٣١٤ •

المهلب لحرب الأزارقة[1] ، وفي نص آخر إن عمر بن عبد العزيز وجه كتاباً الى ولاته حين أخرج العطاء جاء فيه : لا يقبل من رجل له مائة دينار إلا فرس عربي ودرع وسيف ورمح ونبل »[2] .

وبما أن بعض العطاء كان يصرف في تجهيز المقاتل ، لذا كان الخروج للقتال ، أو إرسال بعث من البعوث ، يوجب توزيع العطاء ؛ يذكر أبو مخنف أن الحجاج لما جهز ابن الأشعث لمقاتلة رتبيل « أعطى الناس أعطياتهم كملاً »[3] . وكان على أهل الديوان المشاركة بالبعوث والغزو ، وكثيراً ما يرد لفظ الديوان مقروناً بالغزو ، فشبيب وصالح بن مسرح الخارجيان « كانا في الديوان والمغازي[4] وكان للشعبي ديوان يغزو عليه »[5] .

ويظهر أنه كان على أهل الديوان المرابطة في الثغور بالتناوب في أكثر الاحيان ، فعن الواقدي أن عمر بن الخطاب كان يعقب بين الغزاة وينهى أن تحمل الذرية الى الثغور[6] ، وكانت المدة تختلف من فترة لأخرى ، مما جعل الخلفاء والولاة ينهون عن التجمير في البعوث ، فقد قال زياد بن أبيه لمعاوية في معرض توضيح أسباب ضبطه الحكم في العراق : « لكني ضبطت ملكي بالحكم عند انبراء القوي الألد ، مع تو ددي الى العامة ، وأداء حقوقهم وتعقيب بعوثهم ، فسلت لي الصدور عفواً وانقادت الأجنة طوعاً »[7] . ومن سياسته التي أعلنت للعراقيين عندما وليهم ، أنه لن يحبس عطاء ولا رزقا عن موعد ولن يجمر لهم بعثاً[8] .

---

(١) ابن الاعثم ، فتوح ، مخطوط ، ج٢ ، ص ٧١ أ .
(٢) ابن سعد ، ج٥ ، ص ٢٥٨ .
(٣) الطبري ، ج٦ ، ص ٣٢٧ .
(٤) المصدر السابق ، ج٦ ، ص ٢٢٤ .
(٥) ابن سعد ، ج٦ ، ص ١٧٣ .
(٦) ابن سعد ، ج٣ ، قسم ١ ، ص ٢٢١ .
(٧) ابن عساكر ، تهذيب ، ج٥ ، ص ٤٢١ .
(٨) الطبري ، ج٥ ، ص ٢٢٠ . ابن قتيبة ، عيون الاخبار ، ج٢ ، ص ٢١١ .

كانت المرابطة في الثغور اختيارية أحياناً اذا لم يكن هناك خطر يهدد هذه الثغور ، فيذكر الأزدي أن عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك (ولي المدينة سنة ١٢٩ هـ) ضرب على الناس البعث فقال أبو ضمرة بن عياض حينها « كنت فيمن اكتتب ثم محوت اسمي »[١] ، ولما ولى معاوية مسلم بن زياد خراسان سنة ٦١ هـ جاء للبصرة وضرب البعث « وكان الناس يكلمون مسلما ويطلبون اليه أن يكتبهم ، وكان صلة بن اشيم يأتي الديوان فيقول لـه الكاتب « يا أبا الصهباء ألا أثبت اسمك »[٢] . واذا سجل الرجل لثغر في منطقة ما اعتبر ذلك الثغر مكتبه ، أي المحل الذي اكتتبه لنفسه ، فكان مكتب أبو قلابة بداريا بالشام[٣] ، ومكتب وكيع ابن قيس التميمي بسجستان ثم تحول منها الى خراسان[٤] ، ومكتب عبد الرحمن بن عمرو الهمداني باليمامة[٥] ، وكان مكتب ابراهيم النخعي براذان[٦] .

أما الفترة التي يتعاقب فيها الجند على ثغورهم فلم تكن محددة ، وربما كان هذا يرتبط بالحالة الأمنية في الثغور وبعدد المقاتلة ، ففي أيام الوليد بن عقبة (٢٥ ــ ٣٠ هـ) كان مقاتلة الكوفة فيما ذكر أربعين ألفاً يخرج منهم في كل سنة أربعة آلاف الى ثغري قزوين وأذربيجان ، فكان يصيب الرجل غزوة واحدة كل أربع سنوات[٧] ، وارتبط الأمر كذلك ببعد الثغر وقربه ، يذكر المقريزي عن أيام الخلافة الراشدة أن الأمير كان « يقري البعوث على قدر المسافة إن كان

(١) الازدي ، ص ١٠٣ .
(٢) الطبري ، ص ٤٧٢ ، ج٥ .
(٣) ابن سعد ، ج٧ ، قسم ١ ، ص ١٣٥ .
(٤) ابن قتيبة ، المعارف ، ص ١٨٣ .
(٥) ابن سعد ، ج٧ ، قسم ٢ ، ص ١٨٥ .
(٦) ابن سعد ، ج٦ ، ص ١٩٥ ، وبراذان مواضع كثيرة ولكننا اذا اعتمدنا على ماورد عند ابن سعد يمكننا أن نعتبرها براذان الواقعة على بعد ٧ فراسخ من بغداد وهي من نواحي دجيل (ياقوت ج١ ، ص ٣٧٥) .
(٧) الطبري ، ج٤ ، ص ٢٤٦ .

بعيداً فسنة ، وان كان دون ذلك فستة أشهر فاذا أخل الرجل بثغره نزعت عمامته، وأقيم في مسجد حيه ، فقيل هذا فلان قد أخل »[1] .

وفي ولاية زياد بن أبيه كان الرجل يصيبه البعث كل سنتين اذا كان بعيداً وكل سنة اذا كان مكتبه قريباً ، فيذكر ابن عياش أن زياداً قال لأهل الكوفة حين وليها « وأي رجل مكتبه بعيد فأجله سنتان ثم هو أمير نفسه ، وأي رجل مكتبه قريب فأجله سنة ثم هو أمير نفسه »[2] .

إن التزام المقاتلة بالخروج في البعوث ولمكاتبهم كان يختلف من فترة لأخرى كما اختلفت العقوبات التي كانت تطبق على المتخلفين ، وكان الحجاج أول من عاقب على التخلف عن البعوث بالقتل ، وكان الرجل اذا أخل بوجهه الذي يكتب اليه زمن عمر وعثمان وعلي تنزع عمامته ، ويقام بين الناس ، فلما ولي مصعب أضاف اليه حلق الرؤوس واللحى ، فلما ولي بشر بن مروان أضاف اليه تعليق الرجل بمسمارين في يده في حائط فيخرق المسمار يده وربما مات ، فلما جاء الحجاج ترك ذلك كله ، وجعل عقوبة من يخل بمكانه من الثغر أو البعث القتل[3] .

وكان لا يسمح بنقل اسم جندي من ديوان الى آخر إلا بعد موافقة أولي الامر ، فقد رفض عبد الملك نقل اسم شبيب بن يزيد الشيباني وعطائه من ديوان الجند في الكوفة الى ديوان الجند في دمشق خوفاً من أن يكثر المنتسبون الى بكر وتميم في بلاد الشام[4] .

وبالرغم من أنه كان من واجب كل من يأخذ العطاء أن يقوم بالغزو فباستطاعة من لا يريد الغزو أن يخرج بدلاً . ويروي المدائني أنه لم يكن أحد

---

(١) المقريزي ، ج١ ، ص ١٧٢ .
(٢) البلاذري ، انساب ج ٤ ، قسم ١ ، ص ١٧٢ .
(٣) النويري ، ج٢١ ، ص ٢١٣ . عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي ، ج٣ ، ص ١٩ .
(٤) البلاذري ، انساب ، ج٧ ، ص ٨٩ . احسان صدقي العمد ، ص ٤١٣ .

من بني مروان يأخذ العطاء الا عليه الغزو فمنهم من يغزو ومنهم من يخرج بدلاً؛ وكان لهشام بن عبد الملك مولى يقال له يعقوب فكان يأخذ عطاء هشام مائتي دينار ودينار فيأخذها يعقوب ويغزو ، وكانوا يصيرون أنفسهم في أعوان الديوان، وفي بعض ما يجوز لهم المقام ، ويوضع به الغزو عنهم[1] ، أي بامكان أهل العطاء التخلص من البعوث اذا عملوا في الوظائف التي تقتضي البقاء في المصر أو اذا ارسلوا عنهم بديلاً .

ديوان الذراري

يرد اسم ديوان الذراري في عهد زياد بن أبيه[2] وعبيد الله بن زياد ، ففي خطبة عبيد الله حين جاءه نبأ موت يزيد بن معاوية يتبين لنا وجود ديوان للجند وديوان للعيالات أو الذرية ، إذ يقول في خطبته : « لقد وليتكم وما أحصي في ديوان مقاتلتكم الا أربعون ألفاً ، ولا في ديوان عيالاتكم الا سبعون ألفاً ، ولقد أحصي الى اليوم في ديوانكم ثمانون ألف مقاتل وفي ديوان عيالاتكم مائة وعشرون ألفاً »[3] . أي يمكن القول إن ديوان العطاء الذي أوجده عمر بن الخطاب انقسم الى ديوان للجند وديوان للذراري ، فكان ديوان الجند يضم أسماء المقاتلة ومقدار أعطياتهم ومكان مكاتبهم ، ويسجل في ديوان الذراري الأفراد الذين يحق لهم العطاء من عائلة المقاتل ، لأننا نستطيع أن نستنتج من النص الذي أوردته أن السفيانيين لم يفرضوا العطاء لجميع ذراري المقاتلة ، فقد ذكر عبيد الله أن عدد المقاتلة في البصرة كانوا ثمانين ألفاً وذراريهم مائة وعشرين ألفاً وأن مقاتلة الكوفة كانوا ستين ألفاً وذراريهم ثمانين ألفاً[4] ، ومن المتوقع أن يكون لهؤلاء المقاتلة ذراري أكثر من هذه الأعداد ، مما يؤكد أن

(١) الطبري ، ج٧ ، ص ٢٠٢ .
(٢) ابن عبد ربه ، ج٥ ، ص ٨ .
(٣) البلاذري ، انساب ج٤ ، قسم ١ ، ص ١٩٠ ، ج٤ ، قسم ٢ ، ص ١١٦ ، فتوح ص ٣٤٤،٣٤٥.
(٤) المصدر السابق ، انساب ، ج٤ ، قسم ١ ، ص ١٩٠ ، ج٤ ، قسم ٢ ، ص ١١٦ .

بل اقتصر على عيل أو اثنين ، أي أن الامر اختلف في عهد السفيانيين عما كان متبعاً في العهد الراشدي عندما فرض عمر للنساء والذرية في العطاء ، واذا كان عمر قد فضل بين النساء فجعل عطاء نساء أهل الأيام ثلاثمائة درهم ، ونساء أهل القادسية مائتي درهم ، وبقية النساء ممن ردف بعد ذلك مائة درهم[١] ، فان عمر فرض للأولاد سواء الذكر أو الأنثى مائة درهم في السنة بعد الفطام وجعل هذا العطاء بالوراثة[٢] ، ويظهر أن هذا جعل الكثيرين يفطمون أولادهم قبل الموعد المحدد كي يستحقوا العطاء مبكراً ، لذلك قرر عمر أن يفرض للمولود حال ولادته ذكراً أو أنثى حتى إذا بلغ الذكر أصبح له عطاء الرجل وألحق على خمسمائة أو ستمائة[٣] .

طبق معاوية نظم عمر بن الخطاب في العطاء ، إلا أنه فرض العطاء للفطيم دون المولود ، فلما تولى عبد الملك بن مروان قطع ذلك كله الا عمّن شاء[٤] ، يذكر أبو مخنف أنه لما جاء أبو الجهم بن كنانة برأس قطري بن الفجاءة الى عبد الملك « فالحق في ألفين ، وأعطي فطيماً »[٥] .

وربما كان لتراجع عمارة السواد نتيجة لهجرة الفلاحين ، ولتوالي الثورات في العراق ، وتكلف الدولة الأموال الطائلة لذلك ، صلة بقطع عطاء الذرية لقلة خراج السواد حينها ، مما أثار النقمة على الأمويين ، ويظهر هذا من عرض عبد الملك على أهل العراق مقابل تراجعهم عن موقفهم مع ابن الاشعث أن يعزل الحجاج ويجري عليهم أعطياتهم وأعطيات ذراريهم كما تجري على أهل الشام[٦] .

---

(١) الطبري ، ج٣ ، ص ٦١٤ ، ٦١٥ المقريزي الخطط ، ج١ ، ص ١٧١ .
(٢) البلاذري ، فتوح ، ص ٤٤٥ ـ الطبري ، ج٣ ، ص ٦١٥ ، ج٤ ص ٢٠٩ ، ٢١٠ .
(٣) ابن سعد ، ج٣ ، قسم ١ ، ص ٢١٥ . البلاذري فتوح ، ص ٤٤٥ .
(٤) البلاذري ، فتوح ، ص ٤٤٥ .
(٥) الطبري ، ج٦ ، ص ٣١٠ .
(٦) الطبري ، ج٦ ، ص ٢٤٧ . مؤلف مجهول ، تاريخ الخلفاء بيروت ١٩٧١ ص ٢٨٤ .

وكان عمر بن عبد العزيز يفرض لكل فطيم عشرة دنانير[1] ، وحاول أن يمنع الوراثة وأن يجعل العطاء عاماً على عيال من ليس في الديوان من المسلمين غير أن سليمان بن حبيب (الراوية) قال له : إني أخاف أن يستن بك من بعدك في قطع الوراثة ولا يستن بك في عموم الفريضة[2] .

أما الطبري فيورد رواية عن المجاشعي ، يذكر أن عمر بن عبد العزيز طلب منه أن يقرع بين ذراري الرجال الذين في العطايا فمن أصابته القرعة جعله في المائة ومن لم تصبه القرعة جعله في الأربعين[3] ، ولعله في هذه القرعة كان يختار ولداً واحداً يجب أن يعطى المائة من العطاء ثم يرث مكان أبيه في العطاء بعد البلوغ ، أما الباقون من الأولاد ممن يجعلون في الأربعين فلا نعلم ما يحل بهم بعد البلوغ ، ومن المشكوك فيه أن يجعلوا جميعاً في العطاء لأن ميزانية الدولة لا تتحمل ذلك خاصة وأن الزيادة مستمرة .

يبدو أن عطاء الذرية استمر أيام هشام بن عبد الملك الا أنه اتبع سياسة السفيانيين في عدم إلحاق كل الذرية في العطاء ، فقد بين نصر بن سيار ليحيى بن حصين موقف الخليفة منه ، « وزيد في عطائك وفرض لأهل بيتك وبلغت الدرجة الرفيعة »[4] . وجاء علياء بن منظور الليثي على هشام بن عبد الملك ، فأنشده شعراً فأمر له بخمسمائة درهم وألحق له عيلاً في العطاء[5] .

كان من الضروري إجراء إحصاء دائم متواصل لمعرفة من مات ومن ولد ، ويذكر ابن عبد الحكم والمقريزي أن معاوية قد جعل على كل قبيلة من قبائل العرب بمصر رجلاً يصبح كل يوم فيدور المجالس فيقول : هل ولد الليلة فيكم مولود ، وهل نزل بكم نازل ؟ فاذا فرغ من ذلك أتى الديوان حتى يثبت ذلك

---

(١) البلاذري ، فتوح ، ص ٤٤٥ .
(٢) المصدر السابق ، فتوح ، ص ٤٤٥ .
(٣) الطبري ، ج٦ ، ص ٥٧٠ .
(٤) الطبري ، ج٧ ، ص ١٧٥ .
(٥) الطبري ، ج٧ ، ص ٢٠٦ .

فيه[1] ، ولا شك أن هذه الطريقة لم تكن متبعة في مصر فقط وانما في بقية الأمصار ، وان أهمل المؤرخون ذكرها ، أو ربما اعتمد الولاة على العرفاء[2] الذين كانوا يوزعون العطاء في إبلاغ الديوان عن كل تغير يحدث ضمن القبيلة ، ولتلاعب العرفاء أحياناً كان لا بد من ضبط الاحصاء بين حين وآخر ، ففي كتاب نسب قريش ، أن معاوية بن أبي سفيان وجه عاصماً الى المدينة فقدم ، وكان العطاء يدفع الى العرفاء ، وكان لكل قبيلة عريف يأخذ أعطياتهم ويدفعها اليهم ، فحبس أعطيات الناس وطلب منهم أن يأتوا اليه حتى يدفع الى كل رجل عطاءه في يده ، وكانت العرفاء يأخذونها فلا يغيبون غائباً ولا يميتون ميتاً ويصدقون أهلها ، فيعطونها بعضاً ويأخذون بعضاً ، فأراد عاصم أن يصحح الديوان فلا يعطون غائباً ولا ميتا ويأتيه أهل العطاء فيدفع إليهم أعطيتهم وقد عرفهم ، فكره الناس ذلك لما كانوا يصيبون من حظ الموتى والغيب[3] .

ويبدو أن كتمان أمر الموتى استمر وهذا مادفع الخليفة عمر بن عبد العزيز الى أن يرسل كتاباً يقرأ على الناس : « أن ارفعوا كل منفوس نفرض له وارفعوا موتاكم فانما هو مالكم نرده عليكم[4] .

ديوان الخراج

يعتبر هذا الديوان من أهم دواوين الدولة لأنه مصدر جميع الأموال للأقاليم والدولة ، وكان عبد الملك يدرك هذه الحقيقة فيقول : الملك لا يصلح الا بالرجال ، والرجال لا يقيمها الا الأموال[5] ، كما اعتبر عمر بن عبد العزيز الأموال أحد الأركان الأربعة التي تثبت السلطان[6] ، وقال

---

(1) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ١٠٢ . المقريزي ، الخطط ج١ ، ص ١٧٤ .
(2) سأتكلم بتفصيل عن واجبات العريف في الفصل الخامس .
(3) مصعب الزبيري ، نسب قريش ، تصحيح وتعليق ليفي بروفنسال ، ص ١٥٤ .
(4) ابن سعد ، ج٥ ، ص ٢٥٥ .
(5) احسان صدقي العمد ، ص ٤٠٤ .
(6) الطبري ، ج٦ ، ص ٥٦٨ .

جعفر بن يحيى البرمكي « الخراج عمود السلطان ما استغزر بمثل العدل ولا استنزر بمثل الجور »[١] .

ومنذ أن أسس عمر بن الخطاب ديوانه في المدينة وجد في الكوفة والبصرة والشام ومصر ديوانان أحدهما بالعربية لاحصاء الناس وأعطياتهم والآخر لوجوه الأموال باللغة الفارسية في العراق وباللغة القبطية في مصر[٢] . واستمر الأمر على ذلك حتى خلافة عبد الملك بن مروان عندما عرّبت الدواوين في العراق والشام ، وبعد ذلك في مصر في خلافة الوليد بن عبد الملك ، وأصبح بامكان الولاة والخلفاء أن يشرفوا إشرافاً مباشراً على هذا الديوان الهام ، وقد ضعف بصر الحجاج لكثرة نظره في الدفاتر[٣] . وتميز هشام بن عبد الملك بتشدده أكثر من غيره بأمر الأموال ووجوه صرفها[٤] ، وبدقة دواوينه .

يذكر عبد الله بن علي « جمعت بين دواوين بني مروان ، فلم أر ديواناً أصح ولا أصلح من ديوان هشام في أمر الخاصة والعامة والسلطان »[٥] . وكان هشام يراقب بنفسه هذه الدواوين ، ومجالات صرف الأعطيات ، فيذكر غسان بن عبد الحميد الكاتب : « لم يكن أحد من بني مروان أشد نظراً في أمر أصحابه ودواوينه ، ولا أشد مبالغة في الفحص عنهم من هشام »[٦] .

يمكن اعتبار معاوية المنظم الحقيقي للدولة ومبتدع نظام البيروقراطية في الدولة الاسلامية[٧] ، فقد استطاع بمعاونة زياد في المشرق ، وسرجون بن منصور في الشام ، واتناس في مصر أن ينشىء وزارة حقيقية للمالية كما نفهمها بالوقت

---

(١) احسان صدقي العمد ، ص ٤١٤ .
(٢) الجهشياري ، ص ٣٨ . المقريزي ، الخطط ، ج١ ، ص ١٨١ ، الماوردي ، ص ٢٠٢ .
(٣) ابن عبد ربه ، ج٥ ، ص ٤٦ .
(٤) الازدي ، ص ٢١ .
(٥) الطبري ، ج٧ ، ص ٢٠٣ .
(٦) المصدر السابق ، ج٧ ، ص ٢٠٣ .
(٧) دانيل دينيت ، ص ٦٤ .

الحاضر[1] ، ومعاوية هو أول من أمر بتسجيل أو حفظ سجلات بمقادير الجزية والخراج لكل منطقة أو إقليم ، وميز تمييزاً واضحاً بين دخل أرض الخراج ودخل الصوافي وأنشأ مبدأ وضع الصوافي عموماً تحت سلطة البيت الحاكم[2] .

وكان كل ما يرد يسجل في ديوان الخراج[3] ، واتبع الخلفاء الأمويون القاعدة نفسها ، فكان يسجل في ديوان الخراج كل ما يرد من أموال الفيء أما أموال الصدقات فكانت تسجل في ديوان خاص بها يسميه الماوردي باسم ديوان العشر[4] .

كان في العهد الأموي ديوان مركزي للخراج في دمشق ثم دواوين في كل إقليم من أقاليم الدولة الاسلامية ، وكان ديوان خراج العراق من أهم دواوين الخراج في الدولة لما كان يدره سواد العراق من أموال خراجية ، اعتمدت عليها الخلافة الأموية في توطيد سلطانها وملكها ، فقد قال معاوية : « ما للشام رجال العراق وأموالها[5] » ؛ وأبى عبد الملك بن مروان الا الخروج لقتال مصعب بن الزبير بنفسه ، وقال : « الشام بلد قليل المال ولا آمن نفاذه »[6] .

ويقدم لنا اليعقوبي قائمة بما استقر عليه خراج العراق والمناطق التابعة للعراق إدارياً ثم خراج مصر والشام والموصل وغيرها ، وهي تعطينا صورة عن الأموال التي كانت تجبى في خلافة معاوية .

يقول اليعقوبي : استقر خراج العراق وما يضاف اليه مما كان في مملكة الفرس في أيام معاوية ستمائة ألف ألف وخمسة وخمسين ألف ألف درهم .

---

(١) Irving, Washington, Lives of the Successors of Mohammed, vol . II, London, 1850, p. 487 .

(٢) دانيل دينيت ، ص ٦٤ .

(٣) الجهشياري ، ص ٣ .

(٤) الماوردي ، ص ٢٠٧ .

(٥) ابن قتيبة ، الامامة والسياسة ، ج١ ، ص ٩٣ .

(٦) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج٥ ، ص ٣٣٥ .

خراج السواد	مائة ألف ألف وعشرين ألف ألف درهم
خراج فارس	سبعين ألف ألف
خراج الأهواز	أربعين ألف ألف
خراج اليمامة والبحرين	خمسة عشر ألف ألف درهم
خراج كور دجله	عشرة آلاف ألف درهم
خراج نهاوند وماه الكوفة وهو الدينور وماه البصرة وهو همذان وما يضاف الى ذلك من أرض الجبل	٤٠ ألف ألف درهم
خراج الري وما يضاف اليها	٣٠ ألف ألف درهم
خراج حلوان	٢٠ ألف ألف درهم
خراج الموصل وما يضاف اليها	٤٥ ألف ألف درهم
خراج أذربيجان	٣٠ ألف درهم[1]
خراج مصر	استمر في عهد معاوية على ثلاثة آلاف ألف دينار وكان عمرو بن العاص يحمل منها اليه الشيء اليسير ، فلما مات عمرو حمل المال الى معاوية فكان يحمل اليه بعد تفريق الأعطيات بين الناس والمصاريف الاخرى ألف ألف دينار ٠
خراج فلسطين	٤٥٠ ألف دينار
خراج دمشق	٤٥٠ ألف دينار
خراج جند حمص	٣٥٠ ألف دينار
خراج قنسرين والعواصم	٤٥٠ ألف دينار

(١) اليعقوبي ، تاريخ ، ج٢ ، ص ٢٣٣ ٠

خراج الجزيرة وهي ديار مضر وربيعة ٥٥ ألف ألف درهم
خراج اليمن ألف ألف ومائتي ألف دينار وقيل ٩٠٠ ألف دينار[1] .

كانت حدود كل بلد ونواحيه تفصل في الديوان اذا اختلفت أحكام نواحيه، وكذلك أحكام الضياع إن اختلفت في كل ناحية ، أما اذا لم تختلف اقتصر على تفصيل النواحي ، كما كان يسجل في الديوان حال البلد هل فتح عنوة أو صلحاً وما استقر عليه حكم أرضه ، فاذا كان الخراج في حكم الأجرة سجلت مساحات الأراضي دون تسجيل لأسماء أصحابها لأن الاجرة لا تختلف باسلام أو كفر ، وان كان الخراج يحكم الجزية وجب تسجيل أرباب الأرض ووصفهم بالاسلام والكفر لاختلاف حكمه ، باختلاف أهله ، وان كانت بعض الأراضي عشراً وبعضها خراجاً ، فصل في ديوان الخراج الأراضي الخراجية فقط ، كما كان يسجل مقدار الخراج على كل أرض لاسيما اذا كان الخراج مختلفاً باختلاف الزرع[2] . وكذلك يسجل في ديوان الخراج من في كل بلد من أهل الذمة وما استقر عليهم في عقد الجزية ، فان كانت مختلفة باليسار والاعسار سموا في الديوان مع ذكر عددهم ليختبر حال يسارهم واعسارهم ، وان لم تختلف في اليسار والاعسار جاز الاقتصار على ذكر عددهم ووجب مراعاتهم في كل عام لتثبيت من بلغ واسقاط من مات[3] .

كان يتولى شؤون دواوين الخراج موظفون من أبناء المنطقة يتقنون لغتها بالاضافة الى المامهم بالعربية ، وذلك أن سجلات ديوان الخراج التي شملت جميع الأراضي الخراجية بما في ذلك أراضي الصوافي أي أراضي الدولة وحدود جميع هذه الأراضي وأسماء أصحابها والمبالغ المستحقة عليها كانت تسجل باللغة

---

(١) المصدر السابق ، ص ٢٣٤ .
(٢) الماوردي ، ص ٢٠٧ .
(٣) الماوردي ، ص ٢٠٨ .

الفارسية والرومية والقبطية ، وكانت هذه الظاهرة شيئاً طبيعياً بعد الفتح بحكم معرفة أولئك الموظفين التامة بقواعد فرض الخراج ومقاديره وأسماء القرى والنواحي ويشرف على أولئك الموظفين رئيس يعرف بكاتب الخراج ويتمتع بمنزلة عالية لدى الأمير ، ومن أشهر من تقلد هذا المنصب في العراق زادان فروخ بن بيري وابنه مردانشاه ، ثم صالح بن عبد الرحمن الذي تم على يديه تعريب سجلات دواوين الخراج في العراق[1] ، وفي الشام اشتهر سرجون بن منصور الرومي[2] ومن بعده ابنه منصور[3] حتى نقل سليمان بن سعد كاتب الرسائل الديوان الى العربية[4] .

وفي مصر اشتهر اثناس الذي كان رئيساً لديوان الخراج منذ عهد مسلمة بن مخلد[5] ، وكان في ديوانه في بادىء الامر عشرون كاتباً ثم زادوا فأصبحوا أربعة وأربعين[6] .

بقي اثناس رئيساً لديوان الخراج حتى صرفه عبد الله بن عبد الملك ونقل ديوان مصر من القبطية الى العربية سنة ٨٧ هـ ، وعين ابن يربوع الفزاري في حمص[7] ، وكان آخر ديوان عرب هو ديوان خراج خراسان الذي تولى تعريبه سنة ١٢٤ اسحق بن طليق الكاتب بتكليف من الوالي نصر بن سيار[8] .

كان زياد ينتقي كتاب الخراج من رؤساء الأعاجم العالمين بأمور الخراج[9] ، كما استخدم الموالي والدهاقين في جباية الأموال[10] وكذلك فعل

---

(١) البلاذري ، فتوح ص ٢٩٨ . المقريزي ، الخطط ، ج١ ، ص ١٨١ .

(٢) خليفة بن خياط ، ج١ ، ص ٢٧٦ . المقريزي ، الخطط ، ج١ ، ص ١٨٢ .

(٣) الجهشياري ، ص ٣١ . المقريزي ، ج١ ، ص ١٨٢ .

(٤) البلاذري ، فتوح ، ص ١٩٧ . المقريزي ، الخطط ، ج١ ، ص ١٨٢ .

(٥) الكندي ص ٥٩ ، المقريزي الخطط ج ١ ، ص ١٨١ . Tritton, p. 20.

(٦) Tritton, p. 20.

(٧) الكندي ، ص ٥٩ ، المقريزي ، الخطط ج١ ، ص ١٨١ ، الجهشياري ص ٢٤ .

(٨) الجهشياري ، ص ٦٧ .

(٩) اليعقوبي ، تاريخ ج٢ ، ص ٢٣٤ .

(١٠) المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٢٣٤ .

عبيد الله بن زياد الذي استخدم الدهاقين لأنهم أبصر بالجباية وأوفى بالأمانة وأهون في المطالبة من عمال العرب[1] ، وقيل إن أمراء العراق لم يولوا الخراج عربياً قط[2] ومع ذلك فان الولاة كانوا يعينون أمناء من قبلهم على أعمال الدهاقين وتصرفاتهم خشية أن يتمادوا في ظلم الناس[3] .

وفي مصر كلف الأقباط منذ البدء بجباية الخراج إذ يذكر ابن عبد الحكم أنه لما استوسق الأمر لعمرو بن العاص أقر قبطها على جباية الروم[4] . ومن الطبيعي أن يعمد العرب الى الاستفادة من خبرات أبناء المنطقة في جباية الخراج في كل الأقاليم التي امتدت اليها الدولة الاسلامية .

ديوان الصدقات

واسمه مأخوذ من آية الصدقات في قوله تعالى : « إنما الصدقات للفقراء والمساكين[5] » ويقول القلقشندي : « إذا صح ماذكره القضاعي في تاريخه (عيون المعارف) بأن الزبير بن العوام وجهيم بن الصلت كانا يكتبان للنبي أموال الصدقات ، أمكننا القول بأن هذا الديوان قد وضع في زمنه »[6] .

والصدقة زكاة ، والزكاة صدقة ، يفترق الاسم ويتفق المسمى ، ولا يجب على المسلم في ماله حق سواها ، والأموال المزكاة نوعان ، ظاهرة وباطنة ، فالظاهرة مالايمكن إخفاؤه كالزرع والثمار والمواشي والباطنة ما أمكن إخفاؤه من الذهب والفضة وعروض التجارة[7] .

---

(١) الطبري ، ج٥ ، ص ٥٢٣ .
(٢) الطبري ، ج٧ ، ص ٢٨ .
(٣) المصدر السابق ، ج٥ ، ص ٥٢٣ .
(٤) ابن عبد الحكم ، ص ١٥٢ ، ١٥٣ .
(٥) سورة التوبة ، الاية ٦١ .
(٦) القلقشندي ، ج١ ، ص ٩١ .
(٧) الماوردي ، ص ١١٣ .

وليس لعامل الصدقات نظر في زكاة المال الباطن وأربابه أحق باخراجه منه ، وقد عين الرسول منذ البدء عمالاً على الصدقات ، على كل قبيلة أو قبيلتين عامل[1] ، وقد قاتل أبو بكر الصديق رضي الله عنه مانعي الزكاة ، كما أن عثمان كان يبعث السعاة لقبض الصدقات[2] .

كان الخلفاء الأمويون يعينون عمالاً للصدقات غير عمال الخراج[3] إذ أن مال الصدقة لا ينبغي أن يدخل في مال الخراج ، فمال الخراج فيء لجميع المسلمين بينما الصدقات لمن سماهم الله في كتابه العزيز ، فاذا اجتمعت الصدقات من الابل والبقر والغنم جمع الى ذلك مايؤخذ من المسلمين من العشور ، عشور الأموال ، وما يمر به على العاشر من متاع وغيره لأن موضع ذلك كله موضع الصدقة ، ثم يقسم ذلك أجمع لمن سمى الله تبارك وتعالى : « انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل »[4] .

وقد رأينا أن أرض الحجاز ومكة والمدينة وأرض اليمن وأرض العرب كلها كانت أرضاً عشرية فلم يكن من الضروري أن يسجل في ديوان الصدقات مساحات الأراضي العشرية وانما كان يسجل فيها أسماء الذين يملكون الأراضي ونوع الزرع وحالة سقيه بسيح أو في الدالية لاختلاف حكمه ليستوفى على موجبه[5] ، أما البلاد التي امتد الفتح الاسلامي اليها والتي أصبح فيها أراض عشرية كالتي أسلم عليها أهلها أو التي استأنف المسلمون إحياءها الى جانب أراضي الخراج فكان لا بد من تفصيل ماكان منه عشراً في ديوان العشر وما كان منه خراجاً في ديوان الخراج[6] .

---

(١) البلاذري ، أنساب الاشراف ، ج١ ، ص ٥٣٠ .
(٢) البلاذري ، أنساب الاشراف ، ج٥ ، ص ٢٩ .
(٣) الجهشياري ، ص ٦٠ .
(٤) ابو يوسف ، ص ٩٥ ، ابو عبيد ، ص ١٦ ، ابن تيمية ، ص ٣٤ .
(٥) الماوردي ، ص ٢٠٧ .
(٦) المصدر السابق ، ص ٢٠٧ .

ويسمى أيضا ديوان الانشاء ، ولعله أول ديوان وضع في الاسلام ذلك أن النبي استعمل كتاباً يكتبون عنه الى أمرائه وأصحاب سراياه والى من قرب من ملوك الأرض يدعوهم الى الاسلام ، كما كتبوا له العهود والاقطاعات والأمانات الى غير ذلك . فهؤلاء وان لم يطلق عليهم اسم الديوان ، فقد كانوا يقومون بشيء من متعلقات ديوان الرسائل[١] ، فلما جاء العصر الأموي برز اسم ديوان الرسائل كديوان له اختصاصاته ، يتولى المكاتبات في الدولة ولا سيما إصدار النشرات والرسائل التي تشتمل على التعليمات الصادرة للولاة وعمالهم وللرعايا عامة[٢] .

ويشير ابن خلدون أن الـذي أكد الحاجة الى هـذا الديوان في الدولة الاسلامية قضية اللسان العربي والبلاغة في العبارة ، فصار الكاتب يؤدي كنه الحاجة بأبلغ من العبارة اللسانية في الأكثر ، وكان الخلفاء في العهد الراشدي والأموي كذلك يختارون لهذا المنصب من يثقون بأماتتهم واخلاصهم من خاصتهم أو من عظماء القبائل ، فلما فسد اللسان وصارت الكتابة صناعة أصبحت تسند هذه المهمة الى من يحسن الكتابة[٣] .

وكان لمتولي ديوان الرسائل مكانة رفيعة عند الخليفة « يكاد أن لا يكون عند الخليفة من هو أخص منه ولا ألزم لمجالسته » ، وكان في العصر الأموي يدعى بالكاتب ، فلما جاءت الدولة العباسية واستقر السفاح أول خلفائهم في الخلافـة لقب كاتبه أبا سلمه الخلال بالوزير وترك اسم الكاتب[٤] .

وكان الكاتب في خلافة بني أمية يدعى أحياناً بصاحب ديوان الرسائل أو متولي ديوان الرسائل وربما قيل له صاحب ديوان المكاتبات[٥] .

---

(١) القلقشندي ، ج١ ، ص ٩١ .
(٢) مولوي حسني ، ص ١٦٨ .
(٣) ابن خلدون ، ج١ ، ص ٢٠٥ .
(٤) القلقشندي ، ج١ ، ص ١٠٣ .
(٥) المصدر السابق ، ج١ ، ص ١٠٣ .

وكان من الواجب أن لا يقرأ الكتب الواردة على الخليفة الا الخليفة نفسه ، ولما كان ذلك متعذراً لكثرتها واتساع الدولة وكثرة المكاتبين ، فوض هذا الأمر الى صاحب ديوان الرسائل ، واضطر هذا بدوره عندما ازدادت أعباؤه لانشغاله بالحضور عند الخليفة في بعض الأوقات لقراءة الكتب وتقرير مايجاب به على كل منها مع انشغاله بمراقبة مايكتب في الديوان والمقابلة به ، اضطر ان يعتمد على كاتب يقوم مقامه ، وكان عليه أن يتصفح مايكتب في ديوانه من الولايات والمناشير والمكاتبات ، كما كان ينظر في أمر البريد ومتعلقاته[1] .

كانت المراسلات السياسية والادارية في عهد الخلفاء الراشدين قصيرة جداً ومقصورة على ما يراد منها واستمر الأمر كذلك في الدولة الأموية الى أن ولي الوليد بن عبد الملك « فجود القراطيس وجلل الخطوط وفخم المكاتبات »[2] ، وكان يقول : « تكون كتبي والكتب إلي خلاف كتب الناس بعضهم الى بعض »[3] . وجرى الأمر على ماسنه الوليد بن عبد الملك (باستثناء فترة خلافة عمر بن عبد العزيز ويزيد بن الوليد) إلى أن صار الأمر الى مروان بن محمد وكتب له عبد الحميد بن يحيى فأطال الكتب وأطنب بها[4] .

وكشفت العلاقة بين هذا الديوان وفروعه في الولايات عن تفوق الديوان المركزي وعظمة نشاطه واتساعه ، فقال القلقشندي عن هذا الديوان الذي سماه ديوان الانشاء : « ولم يكن لديوان الانشاء بالديار المصرية في هذه المدة صرف عناية تقاصراً عن التشبيه بديوان الخلافة ، إذ كانت الخلافة يومئذ في غاية العز ورفعة السلطان ونيابة مصر بل سائر النيابات مضمحلة في جانبها والولايات الصادرة عن النواب في نياباتهم متصاغرة ، متضائلة بالنسبة الى

---

(١) المصدر السابق ، ج١ ، ص ١١٣ .
(٢) المصدر السابق ، ج٦ ، ص ٣٨٩ .
(٣) الجهشياري ، ص ٤٠٧ .
(٤) القلقشندي ، ج٦ ، ص ٣٩١ .

ما يصدر من أبواب الخلافة ، فلذلك لم يقع مما كتب منها ماتتوافر الدواعي على نقله ولا تنصرف الهمم لتدوينه »[1] .

ديوان البريد

نظام البريد كان نظاماً معروفاً في الامبراطوريتين البيزنطية والساسانية[2]. وعندما استقرت الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان قرر وضع البريد لتسرع اليه أخبار بلاده من جميع أطرافها ، وأمر باحضار رجال من دهاقنة الفرس وأهل أعمال الروم وعرفهم ما يريد فوضعوا له البريد[3] .

وللبريد معان مختلفة ، منها أن يجعل خيل مضمرات في عدة أماكن فاذا وصل صاحب الخبر المسرع الى مكان منها وقد تعب فرسه ركب غيره فرساً مستريحاً وكذلك يفعل في المكان الآخر حتى يصل بسرعة[4] ، كما أنه يعني مسافة معلومة مقدرة باثني عشر ميلاً[5] ، وكان البريد يطلق على الرسول كذلك[6] .

وقد اختلف في كلمة بريد ، فقيل إنه عربي وعلى هذا ذهب الخليل ، وذهب آخرون الى أنه فارسي معرب ، وقال ابن الاثير في كتابه (النهاية في غريب الحديث) : وأصله بالفارسية « بريده دم » ومعناه مقصوص الذنب وذلك أن ملوك الفرس كان من عادتهم أنهم اذا أقاموا بغلاً في البريد قصوا ذنبه ، ليكون ذلك علامة لكونه من بغال البريد ، وأنشد الجوهري لامرىء القيس :

---

(١) المصدر السابق ، ج١١ ، ص ٣٨ .

(٢) The Encyclopaedia of Islam, New Edition, vol. I, Leiden, 1960, p. 1045 .

(٣) القلقشندي ، ج١٤ ، ص ٣٦٧ . السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص ٢١٩ .

(٤) ابن طباطبا ، ص ٧٩ . Ency. Isl. p. 1045 .

(٥) ابن طباطبا ، ص ٧٩ . في الموسوعة الاسلامية اشارة الى ان المسافات هي عبارة عن فرسخين أي ١٢ كم بين محطة وأخرى في ايران وأربعة فراسخ أي ٢٤ كم في الولايات الغربية وذلك لاستخدامهم العدائين في ايران والخيول والجمال في الولايات الغربية .

(٦) الطبري ، ج٤ ، ص ٦٧ . ابن عبد الحكم ، سيرة عمر بن عبد العزيز ، ص ١٣٢ . القلقشندي ج ١٤ ، ص ٣٦٧ .

على كل مقصوص الذنابي معـــاود
بريد السرى بالليل من خيل بربر[1]

ويرى بعض المستشرقين أن كلمة بريد مأخوذة من اللاتينيـــة veredus وهو حصان البريد[2] .

لم يكن البريد في عهد بني أمية نظاماً يستعمله الشعب كما هو في الوقت الحاضر ، وانما كان نظاماً رسمياً حكوميا ، وقد استعمل الخلفاء نظام البريد في أول الأمر لنقل الأخبار بسرعة من مقر خلافتهم الى الولايات المختلفة ولتلقي الأخبار ، ولكن ليس معنى هذا أن البريد كان ينقل فقط المراسلات بين الولاة والعمال من جهة والخلفاء من جهة أخرى ، وانما كان باستطاعة أي فرد من أفراد الشعب أن يرسل الى الخليفة ما يريده عن طريق بريده ، وكان عامل معاوية على المدينة إذا أراد أن يبرد بريداً الى معاوية أمر مناديه فنادى : « من له حاجــة فليكتب الى أمير المؤمنين[3] » ، وكان بريد عمر بن عبد العزيز لا يعطه أحد من الناس اذا خرج كتاباً الا حمله[4] .

أحكم عبد الملك بن مروان نظام البريد[5] ، واستخدم عمال الدولة نظــام البريد للرحلات السريعة ؛ وفي أيام الطوارىء كان البريد يستخدم في نقل القوات العسكرية على وجه السرعة ، ففي ثورة ابن الأشعث جهز عبد الملك الجند على البريد « فكانوا يصلون من مائة ومن خمسين وأقل من ذلك وأكثر »[6] ، وكان الوليد بن عبد الملك يحمل عليــه الفسيفساء من القسطنطينية الى دمشق[7] .

---

(١) القلقشندي ، ج١٤ ، ص ٣٦٧ .
(٢) Levy, p. 299. Ency. Isl. p. 1045 .
(٣) الطبري ، ج٥ ، ص ٣٣٥ .
(٤) ابن عبد الحكم ، سيرة عمر بن عبد العزيز ، ص ٥٦ .
(٥) القلقشندي ، ج١٤ ، ص ٣٦٧ .
(٦) النويري ، ج٢١ ، ص ٢٣٦ .
(٧) القلقشندي ، ج١٤ ، ص ٣٦٧ . Ency. Isl. Vol. I, p. 1045

وفي عهد يوسف بن عمر والي العراق بلغت تكاليف ديوان البريد في هذه الولاية أربعة ملايين من الدراهم[1] .

وكان للبريد شخص مخصوص يتولى أمره بتنفيذ ما يصدر وتلقي ما يرد يعبّر عنه بصاحب البريد[2] ، وكان عبد الملك يأمر حاجبه أن يدخل عليه صاحب البريد متى جاء في ليل أو نهار « فربما أفسد على القوم سنة حبسهم البريد ساعة »[3] . ولم يكن من مهام صاحب البريد فقط عرض الرسائل والتقارير المتراكمة لديه وانما كان من مهامه تعيين الموظفين المحليين في المدن المختلفة والأشخاص المناسبين في المحطات المختلفة على الطريق وتعيين السعاة والاهتمام بدفع المرتبات والأرزاق لهم[4] .

وبالرغم من أن القلقشندي يذكر أن البريد انقطع مابين خراسان والعراق في نهاية الخلافة الأموية وأن الامر استمر حتى خلافة المهدي « والبريد لا يشد له سرج ولا تلجم له دابة »[5] ، فان البريد في الواقع حقق أهميته الكبرى في ظل الحكم العباسي حيث أصبح عبارة عن دائرة استخبارات[6] وأنشئت المحطات على مراحل مناسبة على كل الطرق المؤدية للعاصمة ، كما أنشأ المهدي طريقاً جديداً مزوداً بالمحطات من اليمن الى مكة ومن ثم الى بغداد[7] . ويذكر ابراهيم بن موسى بن عيسى بن موسى أن ولاة البريد في الآفاق كلها كانوا يكتبون الى المنصور أيام خلافته في كل يوم بسعر القمح والحبوب والادم ، وبسعر كل مأكول ، وبكل ما يقضي به القاضي في نواحيهم ، وبما يعمل به الوالي وبما يرد بيت المال من المال ، وكل حدث ، وكانوا اذا صلوا المغرب يكتبون اليه

---

(١) الماوردي ، ص ١٧٥ .

(٢) القلقشندي ، ج١٤ ، ص ٣٧١ .

(٣) المصدر السابق ، ج١٤ ، ص ٣٦٧ .

(٤) Levy, p. 301 .

(٥) القلقشندي ، ج١٤ ، ص ٣٦٨ .

(٦) Levy, p. 300 .

(٧) Ibid. p. 300 .

بما كان في كل ليلة اذا صلوا الغداة[1] ، وهذا دليل على أن البريد استمر وانه كان مؤسسة لها أهميتها منذ عهد المنصور ، وقد بدأ اختلال نظام البريد في عهد سيطرة البويهيين الذين رأوا في منع وصول الأخبار الى الخلفاء وسيلة لاحكام سيطرتهم عليهم[2] . وألغى السلطان السلجوقي الب ارسلان (١٠٦٣ — ١٠٧٢ م) نظام البريد في الولايات الشرقية بالرغم من معارضة وزيره المشهور نظام الملك الذي كان يرى في هذه المؤسسة وسيلة قيمة فعالة لحفظ النظام والأمن في الدولة[3] .

ديوان الطراز

ويعني إن صح التعبير المعامل التي كانت تنتج الأزياء الرسمية والأعلام في الحرب والشارات والشعارات في جميع الأحوال[4] . والطراز قديم في الدول ، في عهد الفرس والروم ، ولفظ طراز مشتق من الفارسية (ترازيدن) وتعني التطريز[5] ، ثم أصبح يدل على ملابس الخليفة أو الأمير أو رجال الحاشية لاسيما اذا كان فيها شيء من التطريز وعليها أشرطة من الكتابة ، واتسع مدلول هذا اللفظ حتى انتهى في العربية والفارسية الى الدلالة على المصنع والمكان الذي تصنع فيه هذه المنسوجات[6] ، وكذلك اطلق لفظ طراز على الكتابة الرسمية التي كانت تكتب على القراطيس وأوراق البردي[7] .

---

(١) الطبري ، ج٨ ، ص ٩٦ .

(٢) Ency. Isl. vol. I, p. 1045 .

(٣) Ency. Isl. vol. I, p. 1045. Levy, p. 301.

(٤) صبحي الصالح ، النظم الاسلامية ، ص ٣١٤ .
Encyclopaedia of Islam, New Edition, vol. II, Leiden, 1965, CL. Huart- (H. Massé) Under Diwan, p. 324 .

(٥) سيده كاشف ، مصر في فجر الاسلام ، ص ٢٥٣ .
Encyclopaedia of Islam, Leiden 1934, vol. IV, F. Babinger, p. 785 .

(٦) زكي محمد حسن ، الفن الاسلامي في مصر ، القاهرة ١٩٣٥ . ج١ ، ص ٨٤ .

(٧) Ency. Isl. vol. IV, p. 785 .

وأول من نقل الطراز الى العربية عبد الملك بن مروان وكان الطراز على أثواب الخلفاء وستور منازلهم وقراطيسهم في خلافة بني أمية كما كان عند الروم[1] والكتابة عليه بالرومية ، وظلوا على ذلك الى أيام عبد الملك فجعله في العربية وبدأ بالقراطيس وكانت تصنع بمصر ، وكان صناع القراطيس في مصر من المصريين وكانت أغلبيتهم أو كلهم في عهد الفتح من الأقباط وأكثرهم لا يزال على النصرانية فكانوا يطرزونها بالرومية وطرازها « بسم الاب والابن والروح القدس »[2] ، وعندما وقف عبد الملك بن مروان على فحوى الترجمة أكبر أمرها وقال : « ما أغلظ هذا في أمر الدين والاسلام ، أن يكون طراز القراطيس وغير ذلك مما يطرز من ستور وغيرها من عمل مصر تدور في الآفاق والبلاد وقد طرزت على هذه الصورة »[3] ، ثم كتب الى أخيه عبد العزيز بن مروان عامله على مصر بابطال ذلك الطراز على ماكان يطرز به من ثوب وقرطاس وغير ذلك وأن يستبدلوا تلك العبارة بصورة التوحيد « قل هو الله أحد »[4] .

وظل هذا طراز القراطيس في سائر أيام الدول الاسلامية ، ولم يغير شيء في جوهره ، وكتب عبد الملك الى عمال الآفاق جميعاً بابطال مافي أعمالهم من القراطيس المطرزة بطراز الروم ومعاقبة من يخالف ذلك بالضرب الوجيع والحبس الطويل[5] .

والظاهر أن المسلمين تنبهوا للطراز على الأثواب منذ ذلك الحين فجعلوا على ملابس جندهم ورجال دولتهم شارة الخلافة وهو اسم الخليفة أو لقبه أو نحو ذلك ، وأنشأ الخلفاء للطراز دوراً في قصورهم تسمى دور الطراز[6] لنسج أثوابهم وعليها تلك الشارة ، وكان المسؤول عنها يسمى صاحب الطراز وهو ينظر

---

(١) جرجي زيدان ، ج١ ، ص ١٠٣ .

(٢) البلاذري ، فتوح ، ص ٢٤٢ . جرجي زيدان ، ج١ ، ص ١٠٣ .

(٣) جرجي زيدان ، ج١ ، ص ١٠٣ .

(٤) البلاذري ، فتوح ، ص ٢٤١ .

(٥) جرجي زيدان ، ج١ ، ص ١٠٣ .

(٦) Ency. Lsl. vol. IV, p. 795 .

في أمور الصناع والآلة والحاكة فيهـا ويجري عليهم أرزاقهم ويشرف على أعمالهم[1] ، وكان الخلفاء يقلدون ذلك لخواص دولتهم وثقات مواليهم[2] .

ديوان الخاتم

كان معاوية أول من اتخذ ديوان الخاتم لضبط المعاملات المالية وصيانة الوثائق الهامة[3] ، وأنشأ الخليفة معاوية هذا الديوان بعد أن اكتشف تزويراً في أمر مالي بعث به الى والي العراق ، فصار ديوان الخاتم يتولى تسجيل الأوامر الصادرة من الخلافة ، ثم ختم الأصل وارساله ، ولم يكن القصـد من الختم أن يوضع الخاتم في أدنى الرسالة ، وانما كانت الرسالة تطوى ويلصق طرفهـا بالشمع والطين الأحمر الذي يطبع عليه وهو طري خاتم الخلافة ويترك حتى يجف فاذا فتحت الرسالة من قبل أن تصـل الى مرجعها عرف ذلك ، إذ لا سبيل الى فتحها الا بتمزيق الخاتم[4] . أما وضع الخاتم في أدنى الرسالة ، فقد عرف منذ عهد الرسول ، إذ يروي أنس بن مالك أنه لما أراد رسول الله ﷺ أن يكتب الى ملك الروم قيل له إنهم لا يقرأون الكتاب إلا أن يكون مختوماً ، فاتخذ خاتماً من فضة ونقش عليه « محمد رسول الله »[5] ، وكان معيقب الدوسي على خاتم النبي الكريم[6] ، وآل هذا الخاتم الى أبي بكر وعمر ثم عثمان فأضاعه في البئر فاتخذ خاتماً ونقش عليه « محمد رسول الله »[7] .

ولم يقتصر حفظ النسخ الادارية وختم الأوامر قبل إصدارها على الحكومة المركزية وحدها وانما اتبع الولاة نفس الطريقة ، واعتاد زياد أن يحفظ نسخاً من

---

(١) ابن خلدون ، ج١ ، ص ٢٢٢ .
(٢) المصدر السابق ، ج١ ، ص ٢٢٢ .
(٣) الطبري ، ج٥ ، ص ٣٣٠ . السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص ٢١٩ .
(٤) منير العجلاني ، ص ٣٠٢ .
(٥) البلاذري ، فتوح ، ص ٤٤٨ .
(٦) الذهبي ، العبر في خبر من غبر ، تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد ج١ ، ص ٤٧ .
(٧) البلاذري ، فتوح ، ص ٤٤٨ .

جميع أوامره ، وعن المدائني أن زياداً بن أبي سفيان كان أول من اتخذ من العرب ديوان زمام وخاتم امتثالاً لما كانت الفرس تفعله[1] .

كان لكل خليفة من خلفاء بني أمية نقش خاص لخاتمه ، فكان نقش خاتم معاوية « لا قوة الا بالله » ، ونقش خاتم عبد الملك بن مروان « آمنت بالله مخلصاً » أما الوليد فكان نقشه « يا وليد إنك ميت » ، ونقش خاتم عمر بن عبد العزيز « لكل عمل ثواب » ، أما هشام بن عبد الملك ، فقد كان نقشه « الحكم للحكيم »[2] ، وكان ديوان الخاتم يعتبر من الدواوين الهامة في الدولة واستمر هذا الديوان الى أواسط دولة بني العباس[3] .

بالاضافة الى هذه الدواوين ظهرت دواوين أخرى كديوان المستغلات الذي يرد اسمه لأول مرة في خلافة الوليد بن عبد الملك[4] ، وكان على المستغلات نفيع بن ذؤيب مولاه واسمه كان مكتوباً في لوح في سوق السراجين بدمشق[5] ، وديوان المستغلات هو الديوان الذي تسجل فيه أجور أراضي الدولة وأملاك الحكومة[6] ، كما يشار في عهد سليمان بن عبد الملك الى ديوان النفقات[7] ، إذ كان عبد الله بن عمرو بن الحارث مولى بني عامر بن لؤي على بيوت الأموال والخزائن والرقيق والنفقات ، فاذا افترضنا تأثر الأمويين بالفرس الذين كان لهم ديوانان : ديوان الخراج وديوان النفقات ، وان ديوان النفقات يسجل كل ما ينفق في جيش أو في غيره[8] ، فانه يمكننا القول إن هذا الديوان كان يقوم بتسجيل كل ما ينفق على مرافق الدولة من أموال بدلاً من

---

(١) البلاذري ، فتوح ، ص ٤٥٠ . أنساب الاشراف ج٤ قسم ١ ص ١٧٦ .
(٢) المسعودي ، التنبيه والاشراف ، ص ٢٦٢ الى ٢٧٢ .
(٣) ابن طباطبا ، ص ٧٩ .
(٤) الطبري ، ج٦ ، ص ١٨١ .
(٥) الجهشياري ، ص ٤٧ .
(٦) Levy, p. 299 . ضياء الدين الريس ، الخراج والنظم المالية ص ٢٣٧ .
(٧) خليفة بن خياط ج١ ، ص ٤٣٢ .
(٨) الجهشياري ، المقدمة ، ص ٣ .

أن تكون هذه المسؤولية ملقاة على عاتق ديوان واحد هو ديوان الخراج ، ويبدو أن هذا الديوان كان مركزياً ، وقد بقي كذلك في العصر العباسي عندما كانت أكبر مهمات هذا الديوان هي القيام بنفقات دار الخلافة وحاجاتها ونفقات الدواوين المركزية[١] . بينما كانت دواوين الخراج في الولايات تقوم مقام ديوان النفقات فيها ، بالاضافة الى جبايتها للخراج وبقية الضرائب ، كانت تستوفي من تلك الاموال النفقات الراتبة وأعطيات الجند فيها وترسل الباقي الى العاصمة[٢] .

ظهر في أواخر العصر الأموي ديوان جديد هو ديوان الأحباس[٣] . وعن ابن لهيعة قوله : أول قاض بمصر وضع يده على الأحباس توبة بن نمر في زمن هشام وانما كانت الأحباس في أيدي أهلها وفي أيدي أوصيائهم فلما كان توبة قال : ما أرى مرجع هذه الصدقات الا الى الفقراء والمساكين فأرى أن أضع يدي عليها حفظاً لها ... فلم يمت توبة حتى صار الأحباس ديواناً عظيماً وكان ذلك سنة ١١٨ هـ[٤] .

ظهر في العصر الأموي مايسمى بدار الاستخراج[٥] وهي الدار التي كانت تصادر فيها أموال الموظفين الذين يختلسون أموال الجبايات ولا يؤدونها للدولة ، وكذلك الدهاقين الذين يقصرون في الجبايات المقررة عليهم ، كما صودرت فيها أموال الخارجين على الدولة أو الذين يشتبه بمساعدتهم الثائرين . ومن الموظفين الذين صودرت أموالهم جزء بن معاوية في ولاية عبيد الله بن زياد[٦] ، وخالد بن

---

(١) الصابي ، تحفة الامراء في تاريخ الوزراء ، دار احياء الكتب العربية القاهرة ، ١٩٥٨ ، ص ١٥ ، ٢٧ .

(٢) ابن مسكويه ، تجارب الامم ، ج٥ ، ص ١٩٣ ، ١٩٤ . التنوخي ، الفرج بعد الشدة ، ط ١ ، القاهرة ج١ ، ص ٥١ . الخوارزمي ، مفاتيح العلوم ، القاهرة ١٣٤٢ هـ ، ص ٤٠ .

(٣) الكندي ، ص ٣٤٦ .

(٤) الكندي ، ص ٣٤٦ .

(٥) الجاحظ ، البيان والتبيين ، دار الفكر ، بيروت ، ج٢ ، ص ٤٢ . قال فيروز حصين كنت اختلف الى دار الاستخراج اتعلم الصبر .

(٦) البلاذري ، انساب ج٤ ، قسم ٢ ، ص ٩ ، ٨١ .

أسيد في عهد الحجاج[١] ، كما صودرت أموال حمران بن ابان مولى عثمان بن عفان الذي استأثر بالبصرة بعد مقتل مصعب بن الزبير وقد استخرج منه الحجاج مائة ألف درهم[٢] ، وفيروز حصين الذي كان أعظم موالي العراق قدراً ومالاً وقد خرج مع ابن الاشعث فقبض عليه الحجاج وأراد أن يصادر أمواله قبل قتله ، فرفض الاعتراف بشيء منها فقتل[٣] ، ومن الدهاقين ازادمرد ابن الهربد لتقصيره في أداء الخراج المستحق عليه[٤] . وكان عمر بن عبد العزيز معارضاً لفكرة تعذيب العمال لقاء خياناتهم ، إذ أنه عندما استؤمر في البسط على العمال قال : « يلقون الله بخياناتهم أحب اليّ من أن القاه بدمائهم »[٥] ، ولكن هذا الجهاز استمر حتى زمن الدولة العباسية حيث تحول الى ديوان كبير عرف باسم ديوان المصادرين[٦] .

* * *

---

(١) المصدر السابق ، انساب ، ج٤ ، قسم ١ ، ص ١٥٩ .
(٢) ابن قتيبة ، المعارف ، ص ١٩٣ .
(٣) المبرد ، الكامل في اللغة والادب ، مكتبة المعارف بيروت ، ج٢ ، ص ٢٥٥ .
(٤) البلاذري ، انساب م١٢ ، ص ١٢٤ . احسان صدقي العمد ، ص ٤٢٩ .
(٥) ابن سعد ، ج٥ ، ص ٢٧٧ .
(٦) حسام السامرائي ، المؤسسات الادارية في الدولة العباسية ، طبعة ١٩٧١ . ص ٢٨٦ .

الفصل الخامس

الوظائف الإدارية

الامارة والولاية

كان الخليفة يدير الأمور من عاصمة الخلافة ، وأما البلدان والأقاليم القريبة والبعيدة فكان يحكمها « الأمراء والولاة » ، ومن يتصفح كتب التاريخ يجدها تستعمل في كلامها على ولاية الأمراء تعبيرين، الأول الامارة على الصلاة والخراج، والثاني الامارة على الصلاة[1] .

ولم تكن كلمة الصلاة تعني في نظر المؤرخين إمامة النـاس في صلواتهم فقط ، وانما كانت تعني الولايـة عليهم في جميـع الأمور الدينية والسياسية والحربية والادارية والقضائية باستثناء « جباية الاموال » فاذا جمع الأمير الصلاة والخراج كانت امارته عامة في لغة السياسة الشرعية وان قصرت إمارته على الصلاة فهي إمارة خاصة[2] .

كان أكثر الأمراء في العصر الأموي يجمعون بين الصلاة والخراج جرياً على مبدأ اللامركزية في الحكم ، وقد أطلق الماوردي على هذا النوع من الامارة إمارة استكفاء[3] ، فيكون فيها الأمير مسؤولاً عن تـدبير الجيوش وترتيبهم في

---

(١) الكندي ، ص ٣١، ٣٥، ٣٦، ٣٨، ٤٦، ٤٧، ٥٨ والامثلة في الطبري وغيرهما من المصادر كثيرة .

(٢) الماوردي ، ص ٣٠ .

(٣) المصدر السابق ، ٣٠ .

النواحي وتقدير أرزاقهم ، والنظر في الأحكام ، وتقليد القضاة والحكام ، وجباية الخراج ، وقبض الصدقات ، وتقليد العمال فيهما ، وتفريق ما استحق منهـا وحماية الدين ومراعاته من تغيير أو تبديل ، واقامة الحدود في حق الله ، وحقوق الأشخاص ، والامامة في الجمع والجماعات يؤم بها أو يستخلف عليها ، وتسيير الحجيج من عمله ، واذا كان الاقليم ثغراً متاخماً للعدو كان على الأمير واجب آخر هو جهاد من يليه من الأعداء وقسم غنائمهم في المقاتلة وأخذ خمسها لأهل الخمس[١] . وقد كان ولاة خراسان يغزون فاذا حل الشتاء قفلوا من مغازيهم الى مرو الشاهجان[٢] حتى أوجد قتيبة مراكز للمسلمين فيما وراء النهـر في بخارى وسمرقند .

قواعد الولاية والامارة

اذا تتبعنا نصوص القرآن وجدنا أن أول قاعدة وضعها الاسلام في اختيار الموظفين جاءت في قوله تعالى : « إن خير من استأجرت القوي الأمين[٣] » ، وقد دلت سنة رسوله ﷺ على أن الولاية أمانة يجب أداؤها ، فعن أبي ذر قوله : قلت يارسول الله ، ألا تستعملني ؟ قال : فضرب بيده على منكبي ثم قال : يا أبا ذر ! إنك ضعيف وانها أمانة ، وانها يوم القيامة خزي وندامة الا من أخذها بحقها وأدى الذي عليها[٤] . وقد طبق عمر بن الخطاب هذه القاعدة ، ورجح الأقوى من الرجال على القوي ، فعندما عزل شرحبيل واستعمل معاوية أوضح للنـاس أنه لم يعزل شرحبيل عن سخطه ولكنه أراد رجلاً أقوى من رجل[٥] .

ولما كان اجتماع الامانة والقوة في الناس قليلا فقد كان عمر يشكو الى

---

(١) المصدر السابق ، ٣٠ .
(٢) الطبري ، ج٥ ، ص ٤٧٣ .
(٣) سورة القصص ، الاية ٢٦ .
(٤) ابن تيمية ، ص ١٣ .
(٥) الطبري ، ج٤ ، ص ٦٥ .

الله « جلد الفاجر وعجز الثقة »[1] . وكان عمر بن الخطاب يوسد الولاية الى الأكفياء ويرى أنه من ولي من أمر المسلمين شيئاً فولى رجلا لمودة أو قرابة بينهما فقد خان الله ورسوله[2] .

كما كان للكفاية العلمية مكانتها منذ عهد الرسول ، فقد أمّر رسول الله على ثقيف عندما أسلمت عثمان بن أبي العاص ، بالرغم من حداثة سنه لأنه كان أحرصهم على التفقه في الاسلام وتعلّم القرآن[3] . وطبق عمر بن الخطاب القاعدة نفسها فكان اذا اجتمع اليه جيش من أهل الايمان أمّر عليهم رجلاً من أهل الفقه والعلم[4] .

أما في خلافة بني أمية فانه نظراً لوصول معاوية الى الحكم بالقوة واضطرار عبد الملك الى استخدام القوة حتى يتخلص من مناوئيه ، فان خلفاء بني أمية ، باستثناء عمر بن عبد العزيز ، كانوا يرغبون في الرجل القوي القادر على قمع الفتن ، وتوطيد الأمن وضبط الأموال ، ودعم الحكم لبني أمية أو كما يقول ابن تيمية : « لما غلب على أكثر الملوك قصد الدنيا دون الدين ، قدموا في ولايتهم من يعينهم على تلك المقاصد وكان من يطلب رئاسة نفسه يؤثر تقديم من يقيم رئاسته »[5] . وهكذا نرى أن معاوية جعل مصر طعمة لعمرو بن العاص بعد عطاء جندها والنفقة على مصلحتها مقابل دعمه له في نزاعه مع علي[6] . ورد معاوية المغيرة بن شعبة الى الكوفة عندما عرض لمعاوية البيعة ليزيد ووعده أن يعمل في سبيل تحقيقها[7] .

وفي سنة ٧٢ هـ كتب عبد الملك الى عبد الله بن حازم السلمي يدعوه الى

---

(١) ابن تيمية ، ص ١٥ .
(٢) المصدر السابق ، ص ٩ .
(٣) الطبري ، ج٣ ، ص ٩٩ .
(٤) المصدر السابق ، ج٤ ، ص ١٨٦ .
(٥) ابن تيمية ، ص ٢١ .
(٦) الكندي ، ص ٣١ .
(٧) الطبري ، ج٥ ، ص ٣٠٢ .

بيعته ويطعمه خراسان سبع سنين[1] ، إلا أن عبد الله رفض ، وعين عبد الملك الحجاج على العراق لأنه وجده أقدر الناس وأقواهم على قمع الفتن وتوطيد سلطان الأمويين فيها ، إذ يقول الحجاج في خطبته المشهورة : « إن أمير المؤمنين عبد الملك نثر كنانته ثم عجم عيدانها فوجدني أمرها عوداً وأصلبهامكسراً فوجهني إليكم ، فانكم طالما أوضعتم في الفتن وسننتم سنن الغي ، أما والله لألحونكم لحو العود ولأعصبنكم عصب السلمة »[2] . وبالرغم من أن خلفاء بني أمية قد وفقوا الى حد كبير في انتقاء ولاتهم ، فاننا نلاحظ ذلك الاتجاه لتعيين الأبناء والأقارب في عهد المروانيين وربما كان ذلك نتيجة للاضطرابات السياسية التي اضطر عبد الملك الى إخمادها قبل أن تستقر له الأمور .

كان معاوية يعين كل من يجده كفؤاً قادراً على تحمل المسؤوليات مستعداً لاظهار الولاء له ، فقد رأينا كيف استمال زياداً الذي أصبح من أكثر الناس ولاءاً له ، كما اعتمد على عدد من الأنصار منهم النعمان بن بشير فولاه حمص ، ومسلمة بن مخلد الذي ولاه مصر[3] ، وعمرو بن سعيد فولاه فلسطين ، وفضالة بن عبيد فولاه القضاء ، ولو كان للأنصار استعداد أكبر للتعاون معه لما تردد لحظة من الاعتماد عليهم[4] . أما زياد فقد كان يستعمل على الجرأة والأمانة دون الهوى والمحاباة[5] ، كما كان يعاقب من يظهر خيانة وضعفاً ويكافىء من يجده قوياً أميناً بأن يزيده في عمله ويرفع له ذكره ويكثر ماله[6] ، وعندما كتب معاوية الى زياد أنه رأى جلّ عماله من بني الحارث بن كعب كتب إليه زياد: « وجدت فيهم خصلتين لو كانتا في الزنج لوليتهم ، معهما الأمانة والكفاية »[7].

(١) الطبري ، ج٦ ، ص ١٢٦ . اليعقوبي ، تاريخ ج ٢ ، ص ٢٧١ .
(٢) الطبري ، ج٦ ، ص ٢٠٣ .
(٣) الطبري ، ج٥ ، ص ٢٤٠ .
(٤) البلاذري ، أنساب ، ج٤ ، قسم ١ ، ص ١٣٧ .
(٥) المصدر السابق ، ج٤ ، قسم١ ، ص ٧٤ .
(٦) ابن قتيبة ، عيون الاخبار ، ج١ ، ص ٥٥ .
(٧) البلاذري ، أنساب ، ج٤ ، قسم ١ ، ص ١٣٦ .

وكان زياد يطلب من عماله استعمال عمال المعذرة ومن يزن بصلاح ويحذرهم من احتراس من يحترس منه[1] .

هذا ما كان في خلافة معاوية وواليه زياد ، فاذا ما أتينا الى عهد عبد الملك ابن مروان نجد أخاه عبد العزيز والياً على مصر ، فلما توفي سنة ٨٤ هـ ، عين عبد الملك ابنه عبد الله والياً عليهما ، كما ولى أخاه بشراً في بادىء الأمر والياً على الكوفة والبصرة ، فلما توفي وجد أن الشخص الذي يستطيع أن يسيطر على العراق هو الحجاج الشديد الاخلاص له . وعين عبد الملك أخاه محمد بن مروان على الموصل[2] وضم اليه أرمينية وأذربيجان ، وكان ابنه سليمان على فلسطين ، وعبد الله على حمص قبل أن يوليه مصر ، وعثمان بن مروان بن الحكم على الأردن[3] .

وكذلك دفع الحجاج حرصه على ضمان ولاء عماله للدولة الأموية واخلاصهم لها أن يستعمل عدداً من أفراد أسرته وقبيلته ولا سيما أولاد المغيرة لشرفهم ومنزلتهم من قومهم[4] . وهكذا نرى محمد بن يوسف أخاه عاملاً على اليمن[5] ، وابن عمه الحكم بن ايوب بن الحكم الثقفي[6] عاملاً على البصرة[7] ، وعروة بن المغيرة بن شعبة نائباً عنه على الكوفة[8] ، وحمزة بن المغيرة عاملاً على همذان[9] ، ومطرف بن المغيرة عاملاً على المدائن[10] ، ومحمد ابن القاسم الثقفي على فارس ثم السند[11] . وكان الحجاج يؤمن بولاء الثقفيين

---

(١) المصدر السابق ، ج٤ ، قسم ١ ، ص ١٠٧٦ .
(٢) اليعقوبي ، تاريخ ، ج٢ ، ص ٢٧٢ .
(٣) خليفة بن خياط ، ج١ ، ص ٣٨٣ - ٣٩٤ .
(٤) النويري ، ج٢١ ، ص ١٩٣ .
(٥) خليفة بن خياط ، ج١ ، ص ٤١٧ .
(٦) الزركلي ، الاعلام ، ج٢ ، ص ٢٩٤ .
(٧) خليفة ، ج١ ، ص ٤١٤ .
(٨) المصدر السابق ، ج١ ، ص ٤١٤ .
(٩) النويري ، ج ٢١ ، ص ١٩٣ .
(١٠) المصدر السابق ، ج٢١ ، ص ١٩٣ .
(١١) خليفة بن خياط ، ج١ ، ص ٤١٥ .

المطلق للأمويين بحكم العلاقات التقليدية الوطيدة بينهما حتى أنه استبعد نسبة مطرف الى المغيرة بن شعبة لما أعلن ثورته ، ونسبه الى بني شيبان المشهورين بالخروج على الدولة ، ذلك أن مصقلة بن هبيرة الشيباني والمغيرة بن شعبة كانا يدعيانه ، فالحق بالمغيرة وجلد مصقلة الحد ، فلما أظهر رأي الخوارج قال الحجاج ذلك عنه[1] . كما قال الحجاج : « لو كان مطرف من ولد المغيرة ماخرج على سلطان وكان ذا سمع وطاعة وسلامة »[2] .

لم يقتصر الحجاج على الاستعانة بأقربائه وأفراد من قبيلته بل استعان بأشخاص ممن توسم فيهم الاخلاص والولاء والكفاءة مثل قتيبة بن مسلم الباهلي عامله على خراسان وسجستان ، وقطن بن زياد بن الربيع الحارثي عامله على البحرين[3] ، وعبد الرحمن بن سليم الكلبي ثم عبد الجبار بن سبره المجاشعي على عمان[4] ، وابراهيم بن عدي عامله على اليمامة[5] .

وعندما خرج يزيد بن المهلب والي العراقين في خلافة سليمان بن عبد الملك الى جرجان استعمل ابنه مخلداً على خراسان ، وابنه معاوية على سمرقند وكش ونسف ، وحاتم بن قبيصة بن المهلب على طخارستان[6] . وكذلك فعل موسى بن نصير عند توجهه الى المشرق فقد خلف على إفريقية ابنه عبد الله ، وعلى الأندلس ابنه عبد العزيز وعلى طنجة ابنه عبد الملك[7] .

هذا ويجب أن نشير الى أن صراع العصبيات التي حاول عبد الملك أن يخمد أوارها باقامته نوعاً من التوازن بين الزعامات المتطاحنة ، عادت لتطل برأسها بعد وفاته ، لا سيما في خلافة سليمان بن عبد الملك ، وجاء عمر بن عبد العزيز

---

(١) النويري ، ج٢١ ، ص ١٩٥ ، ١٩٦ .
(٢) البلاذري ، انساب ، م٧ ، ورقة ٦٠ . احسان صدقي العمد ، ص ٣٧٥ .
(٣) خليفة ، ج١ ، ص ٤١٥ .
(٤) المصدر السابق ، ج١ ، ص ٤١٥ .
(٥) المصدر السابق ، ج١ ، ص ٤١٦ .
(٦) ابن الاثير ، ج٤ ، ص ١٤٩ .
(٧) ابن عذارى ، ج١ ، ص ٤٩ ، ٤٠ .

الذي رفع شعار المساواة عالياً وجعل من دولته دولة يرتكز الحكم فيهـا على شعائر الاسلام ، أخمد كل صوت لاينسجم وهذه المساواة التي تصنف الرعية لا حسب انتماءاتهم القبلية بل حسب تقواهم وتفانيهم في خدمة العقيدة ، وحين آلت الخلافة إلى يزيد بن عبد الملك عادت العصبية لتطل برأسها ولتظهر في أكثر من مناسبة من المناسبات التي تقتضيها ظروف الحكم وشؤون الدولة ، وواضح أنه منذ أن تحقق النصر في مرج راهط للبيت الأموي بمساعدة اليمنية وعبد الملك يحاول أن يعيد للقيسية شيئاً من نفوذها وسلطانها حتى يستل من نفوس رجالها كل حقد ، وقد ازداد نفوذ القيسيين تدريجياً حتى وصل درجة عالية على يـد الحجاج وجاء يزيد بن عبد الملك ليخطو الخطوة الواضحة في نصرة القيسية لما كان بينه وبين الحجاج من صهر[1] ، وكان من نتيجة ذلك قضاؤه على المهالبـة ثم تعيينه لعمر بن هبيره على العراق وخراسان ، وعمر بن هبيرة قيسي متعصب لقيسيته ، وقد أثار تعيينه حفيظة الكثيرين لأنه لم يأل جهـداً في الاساءة الى قبائل الأزد واليمن بوجه عام ولا سيما من كان يقطن منهم خراسان[2] • كما أظهر هشام منذ مطلع حكمه ميلاً واضحاً لليمانية وجفوة للقيسية الذين أسـاؤوا السيرة في عهد أخيه فكان أول ما فعله أن عزل عمر بن هبيرة وعين بدلاً عنـه خالد بن عبد الله القسري وذلك سنة ١٠٥ هـ ، أي أن العامل القبلي أصبح كذلك من العوامل التي يعتمدها الخليفة أو الوالي في تعيين الأمراء والعمال بعد أن كان الولاء والاخلاص للدولة الأموية هو الأساس الأول في الانتقاء بغض النظر عن انتماء الشخص الى قبيلة دون أخرى •

التعيين

تتضمن كتب السيرة والحديث والتاريخ أمثلة على نصوص مكتوبة تسمى

---

(١) الطبري ، ج٦ ، ص ٥٦٤ تزوج يزيد بن عبد الملك ابنة محمد بن يوسف الثقفي اخي الحجاج وانجبت له زوجته هذه ابنه الوليد الذي صار خليفة فيما بعد •

(٢) نبيه عاقل ، خلافة بني أمية ، ص ٣٠٤ •

عهداً أملاها الرسول الكريم على بعض كتابه تتضمن تسمية أمير أو والٍ على منطقة معينة ، وهي موجهة الى الناس كما هي موجهة الى الأمير ، وبعضها موجز وبعضها مفصل وقد جمع محمد حميد الله في كتابه (الوثائق السياسية والادارية) أكثر هذه العهود .

ودرج الخلفاء الراشدون والأمويون بعد الرسول على العهد لعمالهم على شكل مكتوب بالاغلب ، سواء أكان العمل عاما أم كان لغرض خاص ، كما وقع في حروب الردة حيث وضع أبو بكر انموذجاً يكاد يكون واحداً لجميع أمراء الجيوش الذين أوفدهم لهذه الغاية ، وقد تضمنت الأوامر والنواهي والوصايا بالرفق والشورى والتقيد بنصوص القرآن الكريم وهدي الرسول الكريم[1] .

وكان عمر بن الخطاب إذا استعمل عاملاً كتب له عهداً وأشهد عليه رهطاً من المهاجرين والأنصار واشترط عليه ألا يركب برذونا ولا يأكل نقياً ولا يلبس رقيقاً ولا يتخذ باباً دون حاجات الناس[2] .

بقيت العهود في العصر الأموي كما كانت في العصر الراشدي مختصرة اذا ماقورنت بالعهود في العصر العباسي عندما كانت التقاليد تصدر عن كتاب يتنافسون في عمل التقاليد ويشحنونها بضروب الصناعات البيانية والبديعية ويطولون فيها كثيراً[3] .

وكانت العهود في العصر الأموي كما كان الأمر في العصر الراشدي تتضمن الوصايا التي اختلفت تبعاً للظروف ، فعندما عهد معاوية لعبيد الله بن زياد بولاية خراسان قال له حين ولاه : « إني قد عهدت إليك مثل عهدي إلى عمالي ، ثم أوصيك وصية القرابة لخاصتك عندي ، لا تبيعن كثيراً بقليل ، وخذ لنفسك من نفسك ، وافتح بابك للناس تكن في العلم منهم أنت وهم سواء ، واذا عزمت على

(١) الطبري ، ج٣ ، ص ٢٥٠ ، ٢٥١ .
(٢) المصدر السابق ، ج٤ ، ص ٢٠٧ . ابن الجوزي ، ص ١٣٥ .
(٣) منير العجلاني ، ص ٢٢٣ ، ٢٢٤ .

أمر فأخرجه للناس ، ولا يكن لاحد فيه مطمع ، ولا يرجعن عليك وأنت تستطيع ،.... اتق الله ولا تؤثرن على تقوى الله شيئاً ، واذا أعطيت عهداً ففِ به »[1] .

وأوصى مروان ابنه عبد العزيز أن يعم الناس باحسانه يكونوا كلهم إخوة له ، وأن يجعل وجهه طلقاً تصف له مودتهم ، وأن يوقع الى كل رئيس منهم أنه أقرب الناس اليه دون غيره ، يصبح عيناً له على غيره وينقاد قومه اليه[2] .

وعندما ولى عبد الملك الحجاج العراق كتب اليه كتاباً بخطه : « أما بعد ياحجاج فقد وليتك العراقين صدقة ، فاذا قدمته فطأه وطأة يتضاءل منها أهل البصرة واياك وهويني الحجاز فان القائل هناك يقول ألفاً ولا يقطع بهن حرفاً ... »[3] .

أما الكيفية التي كان يتسلم بها العامل مهام عمله فكانت على الأغلب شخوص العامل الى مكان عمله وهو يحمل عهده فيتلقاه أهل المدينة بالقبول ، غير أن بعض الظروف والأحوال كانت توجب المفاجأة خيفة الفتنة أو خيفة تمرد العامل السابق ، ففي سنة ٧٥ هـ عندما استعمل عبد الملك بن مروان الحجاج بن يوسف الثقفي على العراق أرسل اليه بعهده ، وهو بالمدينة فسار في اثني عشر راكباً على النجائب حتى دخل الكوفة حين انتشر النهار ، فبدأ بالمسجد ، فصعد المنبر وهو متلثم بعمامة خز حمراء ، فقال : « علي بالناس » فحسبوه خارجياً فهموا به وهو جالس على المنبر ينتظر اجتماعهم ، فاجتمع الناس وهو ساكت قد أطال السكوت ، فتناول عمير بن ضابىء البرجمي حصى وقال : « ألا أحصبه لكم » ، فقالوا أمهل حتى ننظر ، فلما تكلم الحجاج جعل الحصى يتناثر من يده وهو لا يعقل[4] .

---

(١) الطبري ، ج٥ ، ص ٢٩٦ .

(٢) الكندي ، ص ٤٧ .

(٣) اليعقوبي ، تاريخ ، ج٢ ، ص ٢٧٢ .

(٤) النويري ، ج٢١ ، ص ٢٠٧ .

ولما أراد هشام أن يولي يوسف بن عمر الثقفي العراق كتم ذلك وكتب الى يوسف وهو باليمن يأمره أن يقدم في ثلاثين من أصحابه الى العراق ، فقد ولاه ذلك ، وقد كتم يوسف الخبر حتى دخل المسجد مع الفجر وأمر المؤذن فأقام الصلاة فصلى وأرسل إلى خالد وطارق فأخذهما(١) .

وقد تكون خطبة الجمعة دليلاً على تعيين الأمير ، قال الكندي : كتب عمر بن عبد العزيز الى أيوب بن شرحبيل بولايته على مصر ، وأمر البريد أن يكتم الخبر ، وأن تكون موافاته يوم جمعة ، فلما قدم الرسول دفع الكتاب الى أيوب ، ولما أذن المؤذن صعد أيوب المنبر ، فخطب الناس وصلى بهم الجمعة ، فأقبل ابن رفاعة الأمير السابق فقيل له : صلى بالناس أيوب بن شرحبيل ، فلما صلى العصر دخل الى أيوب فهنأه(٢) .

كان من عادة الأمراء في العصر الأموي أن يفتتحوا ولايتهم بخطبة يلقونها في المسجد تلخص طريقتهم في السياسة والادارة ومعاملة الرعية ليكون الناس على بينة من أمرهم ، ومن أشهر هذه الخطب خطب زياد بن أبيه والحجاج بن يوسف الثقفي ، وعتبة بن أبي سفيان ، وعتيبة بن مسلم وغيرهم ، وكان من فضائل العهد الأموي أن رجاله عرفوا بالفصاحة ، فلما جاء العصر العباسي وطلبوا للامارة غير الفصحاء انحط شأن الخطبة في الجامع ، ثم تقلدها أئمة وخطباء مخصوصون وتركها الأمراء ، بل تركوا الجلوس في الجامع جملة(٣) .

كان الأمير يجلس للحكم في أكبر مساجد الامارة الذي يعرف بالمسجد الجامع ، وربما سكن الأمير بيتاً يتصل بالمسجد ليكون قريباً من عمله(٤) . وقد يجعلون بيت المال في المسجد أيضا(٥) لتكون حمايته أيسر والتورع عنه أكثر

---

(١) المصدر السابق ، ج٢١ ، ص ٤٥٤ . اليعقوبي ، تاريخ ، ج٢ ، ص ٣٢٢ .

(٢) الكندي ، ص ٦٧ .

(٣) منير العجلاني ، ص ٢٣١ .

(٤) البلاذري ، فتوح ، ص ٣٤٢ ، Ency. Isl. Masdjid, vol. III, The Mosque as a political centre. p. 346 .

(٥) Ibid. vol. III, p. 348 .

وان كانت الغوغاء تنسى في الفتنة حرمة المسجد فتنهب مافيه ؛ وكان المسجد من الناحية السياسية والادارية صلة الوصل بين الأمير والرعية ، وكانت كتب الخليفة وأوامره تقرأ على الناس في المساجد[1] • وكان زياد يخرج سريره من قصر الامارة الى مسجد الكوفة حتى يجتمع الناس حوله[2] ، وكان منادي ابن زياد ينادي في طرق الكوفة إذا ما أراد زياد أن يبلغ أمراً الا برئت الذمة من رجل من العرفاء والشرط والحرس لم يحضر المسجد[3] ، وهذا يدل على أن زياداً كان يبلغ أوامره الى العرفاء والشرط والحرس ليبلغوها للناس بعد ذلك •

العـــزل

يعزل العامل لخيانته أو لعجزه أو للرغبة في رجل أصلح أو استجابة لرغبات الشعب الذي يمل في بعض الأوقات أمراءه[4] ، أو خوفاً على نفسية الأمير أن يغيرها طول العهد بالامارة ، وكان الخليفة عمر بن الخطاب من أكثر الخلفاء عزلاً لعماله ، ولكنه مع ذلك كان يصبر على الأمراء الموهوبين الذين يتقلدون مراكز حساسة ماوسعه الصبر ولو خالفوه في شيء من تفكيرهم وأسلوب حياتهم ، فقد استبقى معاوية طول حياته ، وبقي عمرو بن العاص والياً على مصر كذلك حتى وفاة الخليفة عمر •

كان لعمر بن الخطاب أسلوبه الخاص في عزل الأمراء ذلك أنه كان يبعث اليهم رسولاً يحملهم اليه فيسألهم عما ينسب اليهم ثم يصرفهم أو يقرهم ، وكان إذا عزل عاملاً من غير خيانة ، يعلن ذلك بكل وسائل الاعلان ليعرف ذلك ، وعندما عزل عمر بن الخطاب خالد بن الوليد قال له : « ماعزلتك لريبة فيك ولكن

---

(١) الطبري ، ج٦ ، ص ٧٥ ، ابن قتيبة ، الامامة والسياسة ، ج٢ ، ص ٤٢ • الدينوري ، ص٢٠١ •
(٢) الدينوري ، ص ٢٢٣ •
(٣) المصدر السابق ، ص ٢٤٠ •
(٤) ابن الجوزي ، ص ١٤٠ •

افتتن بك الناس فخفت أن تفتتن بالناس »[1] ، وكتب بذلك الى الأمصار .

أما الخليفة عثمان فكان لا يعزل أحـداً إلا عن شكاة أو استعفاء من غير شكاة[2] ، وقد اتبع الخلفاء من بني أمية وولاتهم على الأمصار المبادىء نفسها فكانوا يعزلون الوالي أو العامل اذا أظهر عجزاً أو خيانة[3] . وكان زياد إذا ولى رجلا قال له : خذ عهدك وسر الى عملك واعلم أنك مصروف رأس سنتك وأنك تصير الى أربع خلال فاختر لنفسك : إنا إن وجدناك أميناً ضعيفاً استبدلنا بك لضعفك وسلمتك من معرتنا أماتتك ، وان وجدناك خائناً قويا ، استهنا بقوتك وأحسنا على خيانتك ادبك فأوجعنا ظهرك وأثقلنا غرمك ، وان جمعت علينـا الجرمين جمعنا عليك المضرّتين »[4] . وكان الوالي يعزل أحياناً لسوء سـيرته الشخصية ، فقد عزل هشام بن عبد الملك ابنه سعيداً عن حمص وكان والياً عليها عندما بلغه حبه للنساء وللشراب وأقسم أن لا يوليه عملاً حتى يموت[5] .

ولكن اذا استثنينا عمر بن عبد العزيز الذي كان متمسكا بقواعد الدين الحنيف نجد أن العوامل الشخصية كثيراً ما لعبت دورها في عزل العمال ، فقـد عزل معاوية سعيد بن العاص عن المدينة واستعمل مروان عندما رفض أن يمتثل لأمره بهدم دار مروان[6] ، وعزل مسلمة بن مخلد عقبة بن نافع وولى مولاه أبا المهاجر دينار لمكانته عنده[7] .

وعزل سليمان بن عبد الملك معظم ولاة أخيه الوليد بن عبد الملك لأسباب شخصية ، وعزل هشام بن عبد الملك خالداً القسري لا لسوء إدارته للعراق وانما لأشياء بلغته عنه منها أنه فرق أموالاً عظاماً ومنها قوله : « ما زادت أميـة في

(١) الطبري ، ج٣ ، ص ٦٠١ .
(٢) الطبري ، ج٤ ، ص ٢٥٣ .
(٣) الطبري ، ج٧ ، ص ٢٠٥ .
(٤) ابن قتيبة ، عيون الاخبار ، ج١ ، ص ٥٥ .
(٥) ابن عبد ربه ، ج٤ ، ص ٤٤٨ .
(٦) الطبري ، ج٥ ، ص ٢٩٣ .
(٧) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ١٩٧ .

شرف قسرٍ هكذا » وجمع بين أصبعيه ، فكتب اليه « أما بعد فقد بلغني مقالتك ، وانما أنت من بجيلة الذليلة الحقيرة وستعلم يا ابن النصرانية أن الذي رفعك سيضعك[1] » .

وكان العزل يتم أحياناً بالكتابة الى الامير وابلاغه صرفه عن الخدمة أو نقله الى مكان آخر ، وأحياناً بتولية الأمير الجديد ، فاذا وصل الى مركز الامارة أظهر كتاب توليته وتسلم الأعمال وكان ذلك عزلاً ضمنياً للأمير السابق ، وربما رافق العزل مصادرة أموال الأمير ، فقد ذكر ابن عبد الحكم أن عبد الله بن عبد الملك كان أميراً على مصر من قبل أبيه فلما ولى الخلافة أخوه الوليد أقره ثم أرسل قرة بن شريك والياً على مصر فجاء على أربعة من دواب البريد مع صاحبين له ، فنزلوا بباب المسجد وقعدوا في مجلس الوالي ، فأتاهم حرس المسجد وكان له شرط يذبون عنه ، فقالوا : إن هذا مجلس الوالي ولكم في المسجد سعة قال قره : وأين الوالي ؟ قالوا في منتزه ! قال فادع خليفته ، فانطلق شرطي منهم الى خليفته فأعلمه ، فقال له أصحابه ، لا تذهب من يكون هذا ، وأرسل إليه يأتك صاغراً ، فقال : ما بعث إليّ إلا وله علي سلطان ، وركب حتى أتاه ، واستقر قرة بن شريك في إمارة مصر ، صلاتها وخراجها ، وأخذ أميرها السابق عبد الله بن عبد الملك وهو أخو الخليفة بالخروج عن مصر ، فخرج عبد الله بكل ما يملك ، فلما بلغ الأردن تلقاه رسل الوليد فأخذوا كل مامعه[2] .

الدوام

كان الخليفة وعماله جميعاً في الصدر الأول من الاسلام في عاصمة الخلافة والأقاليم يعملون في جميع الأيام وفي جميع الأوقات ، فكان عمر بن الخطاب يعس في الليل[3] ، ويهنأ إبل الصدقة بيده[4] ، وليس عليه باب ولا حجاب ،

---

(١) اليعقوبي ، تاريخ ، ج٢ ، ص ٣٢٢ . الطبري ، ج٧ ، ص ١٤٦ .
(٢) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ، ص ٢٣٨، ٢٣٩ . الكندي ، ص ٦١، ٦٢ .
(٣) ابن الجوزي ، ص ١٠٠ ، ١٠١ .
(٤) الطبري ، ج٤ ، ص ٢٠١ .

يصلي الصلاة ثم يقعد فيكلمه من يشاء[1] . وعندما سمع عمر بن الخطاب أن سعداً قد اتخذ لبيته باباً أرسل محمد بن مسلمة الانصاري ليحرق باب القصر وليدفع لسعد كتابه اليه : « بلغني أنك بنيت قصراً اتخذته حصناً ويسمى قصر سعد ، وجعلت بينك وبين الناس باباً ... ولا تجعل على القصر بابا تمنع الناس من دخوله وتنفيهم بـه عن حقوقهم ليوافقوا مجلسك ومخرجك من دارك اذا خرجت »[2] .

وعندما استعمل عثمان بن عفان الوليد بن عقبة على الكوفة لم يتخذ لداره باباً حتى خرج منها[3] ، وهذا يدلنا على مبلغ ماتمتعت به الكوفة وأهلها أيام الوليد من حرية في مراجعة الأمير في أي وقت كان ، فلا حاجب ولا إذن ولا باب يطرق وانما يدخل الناس على الوليد من غير حرج وفي الوقت الـذي يريدون ليقدموا أي طلب أو شكوى .

لم يكن من الممكن أن تستمر هذه الحال ، وكان لا بد من تنظيم العمـل بحيث يستطيع الخليفة ويستطيع الأمراء أن يشرفوا على مهام الدولة ويفسحوا المجال في الوقت نفسه لأفراد الشعب كي يرفعوا حوائجهم الى الخليفة أو الأمير المسؤول .

ويصف المسعودي يوماً كاملاً من أيام الخليفة الأموي معاوية تدلنا على النهج الذي وضعه الخليفة لنفسه ، وتدل كذلك على أن نهاره كان موزعاً بين النظر في شؤون الدولة وبين مطالب رعاياه . ويقول المسعودي : كان من أخلاق معاوية أنه كان يأذن في اليوم والليلة خمس مرات ، كان إذا صلى الفجر جلس للقاص حتى يفرغ من قصصه ، ثم يدخل فيؤتى بمصحفه فيقرأ جزأه ، ثم يدخل الى منزله فيأمر وينهي ثم يصلي أربع ركعات ثم يخرج الى مجلسه فيأذن لخاصة

---

(١) المصدر السابق ، ج٤ ، ص ٢٠٢ .

(٢) الطبري ، ج٤ ، ص ٤٧ . البلاذري ، فتوح ، ص ٢٧٧ .

(٣) المصدر السابق ، ج٤ ، ص ٢٧١ .

الخاصة ، فيحدثهم ويحدثونه ويدخل عليه وزراؤه فيكلمونه فيما يريدون من يومهم الى العشي ، ثم يؤتى بالغداء الأصغر وهو فضلة عشائه من جدي بارد أو فرخ أو ما يشبهه ، ثم يتحدث طويلاً ، ثم يدخل منزله لما أراد ، ثم يخرج فيقول : ياغلام اخرج الكرسي ، فيخرج الى المسجد فيوضع ، فيسند ظهره الى المقصورة ويجلس على الكرسي ، ويقوم الأحراس، فيتقدم اليه الضعيف والأعرابي والصبي والمرأة ومن لا أحد له فينظر في أمرهم ، حتى اذا لم يبق أحد دخل فجلس على السرير ثم يقول : ائذنوا للناس على قدر منازلهم ، ولا يشغلني أحد عن رد السلام ، فاذا استووا جلوساً قال : يا هؤلاء إنما سميتم أشرافاً لانكم شرفتم من دونكم بهذا المجلس ، ارفعوا الينا حوائج من لا يصل الينا ثم يؤتى بالغداء ويحضر الكاتب فيقوم عند رأسه ويقدم الرجل فيقول له : اجلس على المائدة فيجلس ، فيمد يده فيأكل لقمتين أو ثلاثاً والكاتب يقرأ فيأمر فيه بأمر ... ثم يتقدم آخر حتى يأتي على أصحاب الحوائج كلها ، وربما قدم عليه من أصحاب الحوائج أربعون أو نحوهم على قدر الغداء ، ثم يرفع الغداء ويدخل منزله فلا يطمع فيه طامع حتى ينادي الظهر ، فيصلي صلاة الظهر ثم يجلس فيأذن لخاصة الخاصة ويدخل اليه وزراؤه فيؤامرونه فيما احتاجوا اليه بقية يومهم ويجلس الى العصر ، ثم يخرج فيصلي العصر ، ثم يدخل منزله فلا يطمع فيه طامع ، حتى اذا كان في أواخر أوقات العصر خرج فجلس على سريره ويؤذن للناس على منازلهم ولا ينادى له بأصحاب الحوائج . ثم يعود بعد صلاة العشاء فيؤذن للخاصة وخاصة الخاصة والوزراء والحاشية فيؤامره الوزراء فيما أرادوا وأصدروا من ليلتهم ، ثم يستمر الى ثلث الليل في أخبار العرب وأيامها والعجم وملوكها وسياستها لرعيتها وسائر ملوك الأمم وحروبها ومكايدها وسياستها لرعيتها ، وغير ذلك من أخبار الأمم السالفة ، ثم يدخل فينام ثلث الليل ثم يقوم فيقعد فيحضر الدفاتر فيها سير الملوك وأخبارها فيقرأ ذلك عليه غلمان له مرتبون وقد وكلوا بحفظها وقراءتها ، ثم يخرج فيصلي الصبح ، ثم يعود فيفعل ماوصفنا

كل يوم[١] • ويشير المسعودي الى أن الخلفاء من بعده حاولوا أن يسيروا على هدي معاوية مثل عبد الملك بن مروان وغيره « فلم يدركوا خلقه ولا اتقانـه للسياسة ولا التأني للأمور ولا مداراة النـاس على منازلهم ورفقة بهـم على طبقاتهم »[٢] •

وكان زياد بن أبيه كذلك يجلس كل يوم الا يوم الجمعة فيسأل رسل عماله عن بلاده ، وينظر فيما قدموا له فيه ، وفي أمر الأموال والنفقات ، ثم يأتيه عماله على دار الرزق والكلأ والسوق ، فيسأل عما ورد دار الرزق وعن الأسـعار والأخبار وما يحتاجون اليه في مصالحهم[٣] ، ولم يكن زياد يحتجب عن طالب حاجة ولو أتاه طارقاً ليلاً[٤] •

ويبدو أن المشاكل المتعلقة بادارة الدولة كانت تستنفد الوقت الأكبر من جهد الخلفاء والولاة ، لذلك نرى عبد الملك يفرد للظلامات يوماً مخصوصاً بينما كان الخلفاء الأولون ينظرون في المظالم متى رفعت اليهم ولا يجعلون لذلك وقتاً مخصوصاً ولا أسلوبا معيناً[٥] • وقد نهج عمر بن عبد العزيز نهج هؤلاء الخلفاء فكان يوجه اهتمامه الأكبر لرد المظالم والقسم بين الناس فكان يقعد لحوائجهم يومه فاذا أمسى وعليه بقية من حوائجه وصله بليلته[٦] • أما في خلافة هشام بن عبد الملك فنلاحظ أنه خصص ستين ليلة للناس لا يهتم فيها بشيء سوى رد المظالم والأخذ على يد الظالم من جميع الناس وأطراف البلاد ويصل الى مخاطبته بذلك الموضع راعي السوام والأمة السوداء فمن دونهما ، وقد وكل رجالاً أدباء وعقلاء

---

(١) المسعودي ، مروج الذهب ومعاون الجوهر ، دار الاندلس بيروت ج٣ ، ص ٢٩،٣٠،٣١ •
(٢) المصدر السابق ، ج٣ ، ص ٣١ •
(٣) البلاذري ، انساب ، ج٤ ، قسم١ ، ص ١٧٦ ، الجهشياري ص ٢٥ •
(٤) الطبري ، ج٥ ، ص ٢٢٠ •
(٥) منير العجلاني ، ص ٣٠٧ ، ٣٠٨ •
(٦) ابو يوسف ، ص ١٩ •

بادناء الضعفاء والنساء واليتامى منه وأمرهم باقصاء أهل القوة والكفاية عنه حتى يأتي على آخر مايكون من أمره[1] •

هذه أمثلة تتعلق بالخلفاء وهم القدوة التي يحتذى بها ، ونحن اذا تركنا نص البلاذري المتعلق بزياد فليس بين أيدينا مايشير الى ساعات عمل معينة لعمال الدولة ، وان كنا نعثر على بعض الأخبار التي يستفاد منها بعض التنظيم الذي وضعه بعض العمال لأنفسهم ولم يكن قاعدة ملزمة لجميع العمال ، ومن ذلك ما رواه الطبري[2] : قدم مطرف بن المغيرة (المدائن) فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، إن الأمير الحجاج ـ أصلحه الله ـ قد ولاني عليكم ، وأمرني بالحكم بالحق ، والعدل في السيرة فان عملت بما أمرني به فأنا أسعد الناس ، وان لم أفعل فنفسي أوبقت ، وحظ نفسي ضيعت ، ألا أني جالس لكم العصرين فارفعوا الى حوائجكم •

والعصران[3] هما الفجر والعصر ، سميا بذلك على طريق التغليب ، والعبارة تكاد تفيد أن مطرفاً قد عين موعدين لمراجعة الناس هما : بعد صلاة الفجر ، وبعد صلاة العصر الى ما قبيل الغروب ، وربما أفادت العبارة آنه جالس لمراجعات الناس من بعد صلاة الفجر الى ماقبيل المغرب وان كان التفسير الأول على ماأعتقد هو الأصح والأقوى •

الراتب

كان أكثر عمال النبي عمالاً على الصدقات ولهم نصيب مما يجمعون ، أما الأمراء والولاة الذين لا يأخذون من مال الصدقات فما ندري إذا كان النبي قد فرض لهم رزقاً مخصوصاً غير ما يأخذونه مع عامة المسلمين ، ويورد ابن هشام أن

---

(١) ابن قتيبة ، الامامة والسياسة ، ج٢ ، ص ١٠٧ •
(٢) الطبري ، ج٦ ، ص ٢٨٤ •
(٣) انظر مادة العصر في لسان العرب •

النبي لما استعمل عتاب بن أسيد والياً على مكة رزقه كل يوم درهماً فقام يخطب ويقول : « أيها الناس أجاع الله كبد من جاع على درهم ، فقد رزقني الله درهماً كل يوم فليست بي حاجة الى أحد » . ويعلق الاستاذ ظافر القاسمي في كتابه (نظام الحكم في الشريعة والاسلام) على ذلك بقوله « إن كثيراً من المؤلفين قد نقلوا هذا الخبر ومنهم محمد كرد علي في كتابه « الادارة الاسلامية في عز العرب » ولم يناقشوه ، وفي رأي الاستاذ ظافر أن هذا الخبر غير صحيح ، أو مغلوط الرقم ، « لأن بين امارة عتاب وولاية ابي بكر سنتين وبضعة أشهر وقد فرض أبو عبيدة لابي بكر بين ٢٠٠٠ الى ٢٥٠٠ درهم في السنة ثم قال زيدوني فزيدت الى ثلاثة آلاف على قول والى الفين وخمسمائة على قول آخر ، مما يدل على أن الكفاف للرجل قرابة عشرة دراهم في اليوم ولا يعقل أن ترتفع القوة الشرائية للدرهم من عام (٨) للهجرة الى عام (١١) للهجرة وهو العام الذي تولى فيه أبو بكر عشرة أضعاف ، والظاهر أن بعض الرواة أراد أن يزين عهد النبوة بالزهد الشديد فانقص رزق عتاب حتى أوصله الى درهم »[١] .

وفي الواقع نجد أن الروايات المتعلقة برواتب الخلفاء وأمرائهم غير واضحة ، وان كانت تشير الى زهد الخلفاء الراشدين بشكل عام ، فالطبري يذكر أن أبا بكر عندما قرر التفرغ للناس والنظر في شأنهم كان لا بد أن يترك التجارة ويستنفق من مال المسلمين ما يصلحه ويصلح عياله ، يوماً بيوم ، وللحج والعمرة، وأنهم فرضوا له ستة آلاف درهم[٢] ، ولكن أبا بكر طلب قبل وفاته أن يقضوا عنه ما أنفق منذ ولي من بيت المال ، فوجدوا مبلغه ثمانية آلاف درهم[٣] . وفي العقد الفريد عن ابن وهب أن أبا بكر لم يكن يأخذ من بيت المال شيئاً ولا يجري عليه من الفيء درهماً الا أنه استلف منه مالاً فلما حضرته الوفاة أمر عائشة

(١) ظافر القاسمي ، ص ٥٦٢ .
(٢) الطبري ، ج٣ ، ص ٤٣٢ ، رواية الزهري .
(٣) المصدر السابق ، ج٣ ، ص ٤٣٢ .

برده[1] . أما عمر بن الخطاب فكان يجري على نفسه درهمين[2] ، فاذا كان الخليفة يجري على نفسه درهمين كل يوم فليس من المستبعد أن يكون رزق عتاب بن أسيد والي مكة درهماً كل يوم في عهد الرسول .

ولكن اذا كان عمر يقتر على نفسه فقد كان يفرض لكل أمير قدر حاجته وقدر أهمية ولايته، فقد فرض لمعاوية ثمانين ديناراً كل شهر[3] ، ورواية ابن كثير تتفق مع رواية المقريزي بأن عمر فرض لمعاوية بن أبي سفيان على عمله في الشام ألف دينار في السنة[4] . ورزق عمر عياض بن غنم حين ولاه جند حمص كل يوم ديناراً وشاة ومد قمح[5] . ويذكر ابن عبد ربه نقلاً عن الربيع بن زياد الحارثي أن عمر بن الخطاب وجد أن خمسة دراهم في اليوم كثيرة كرزق لعامل البحرين[6] .

وقيل إن عمر بن الخطاب لم يقدر الأرزاق إلا في ولاية عمار بن ياسر أمير الكوفة ، إذ فرض له ستمائة درهم في الشهر مع عطائه ، ونصف شاة ونصف جريب كل يوم . كما أجرى على عثمان بن حنيف ربع شاة وخمسة دراهم كل يوم مع عطائه وأجرى على عبد الله بن مسعود (وكان على بيت المال) مائة درهم في كل شهر وربع شاة كل يوم وانما فضل عمار بن ياسر عليهم لأنه كان على الصلاة[7] .

بقيت أرزاق العمال على ما وضعه عمر شطراً من خلافة عثمان ثم أخذ عثمان يوسع عليهم في الرزق ، وقد رأينا كيف كتب معاوية الى عثمان أن الذي أجراه عليه من الرزق ليس يقوم بمؤن من يقدم عليه من وفود الأجناد ورسل

---

(١) ابن عبد ربه ، ج٤ ، ص ٢٧١ .
(٢) المصدر السابق ، ج٤ ، ص ٢٧١ . الطبري ، ج٣ ، ص ٦١٦ ، ابن الجوزي ، ص ١٢٤ .
(٣) ابن كثير ، ج٨ ، ص ١٢٤ .
(٤) المقريزي ، ج١ ، ص ١٧٦ .
(٥) ابن سعد ، ج٧ ، قسم ٢ ، ص ١٢٢ .
(٦) ابن عبد ربه ، ج١ ، ص ١٥ .
(٧) الطرطوشي ، سراج الملوك ، طبعة أولى ، المطبعة الازهرية ، مصر ١٣١٩ هـ ، ص ١١٦ .

أمرائها ، ومن يقدم عليه من رسل الروم ووفودها ، ووصف له في كتابه المزارع الصافية التي هرب منها الروم وسماها له ، وسأله أن يقطعه إياها ليقوى بها على ما ذكره له ، فأقطعه عثمان إياها ، وهكذا كان لمعاوية فوق راتبه مورد رزق جديد أعظم من الراتب كثيراً .

ابتداء من خلافة معاوية فما بعد باستثناء فترات قليلة متقطعة كفترة خلافة عمر بن عبد العزيز الذي كان يرفض أن يأخذ من مال الفيء شيئاً إلا عطاءه مع المسلمين[1] ، والذي جعل مع ذلك للأمراء راتباً جيداً يقدر بثلاث مائة دينار لكي يمنعهم عن الخيانة[2] ، وفترة خلافة يزيد بن الوليد بن عبد الملك القصيرة الأمد[3] ، نجد أن الامراء كانوا يزيدون لأنفسهم ولعمالهم الرواتب ويتصرفون بأموال بيت المال تبعاً لما يرونه متفقاً مع مصلحتهم ومصلحة الدولة ، فكان زياد أول من بسط الأرزاق على عماله ألف درهم ألف درهم ولنفسه خمسة وعشرين ألف درهم[4] . وأصبح للأمراء ما يسمى المخصصات الاضافية فقد كانت عمالة الحجاج نصف مليون درهم[5] ، وقد ولى زياد أبا الخير جند يسابور وما يليها ورزقه أربعة آلاف درهم في كل شهر وجعل عمالته في السنة مائة ألف درهم[6] .

وبينما كان عمر بن الخطاب يكتب أموال عماله اذا ولاهم ثم يقاسمهم ما زاد على ذلك[7] نجد معاوية يخير عبد الله بن عامر بين أن يتتبع أثره ويحاسبه بما صار اليه ويرده إلى عمله وبين أن يسوغه ما أصاب ويعتزل[8] ، وعندما ولى

---

(١) ابن عبد ربه ، ج٤ ، ص ٢٧١ .
(٢) ابن عبد الحكم ، سيرة عمر بن عبد العزيز ، ص ٣٩ .
(٣) الطبري ، ج٧ ، ص ٢٦٨ ، ٢٦٩ .
(٤) اليعقوبي ، تاريخ ، ج٢ ، ص ٢٣٤ .
(٥) صالح احمد العلي ، ص ١٦٦ .
(٦) المصدر السابق ، ص ١٦٦ .
(٧) البلاذري ، فتوح ، ص ٢٢١ .
(٨) الطبري ، ج٥ ، ص ٢٠٩ .

زياد عبيد الله بن أبي بكره على سجستان وأمره باطفاء النيران وهدم بيوت النار وأخذ ما جمع فيها من الهدايا التي كان المجوس يتقربون بها والأموال المعـدة لنفقاتها صار إليه فيما يقولون أربعون ألف درهم فما أتى عليه الحـول حتى أنفقها[1] ، ولذلك فقد كتب عبد الملك الى الحجاج أن لا يستعمل عبيد الله بن أبي بكره على الخراج والجباية لأنه أريحي[2] . وعندما ولى يزيد بن عبد الملك سلم بن زياد على خراسان وسجستان كتب عبيد الله بن زياد الى عباد أخيـه وكان له صديقاً ، يخبره بولاية سلم ، فقسم عباد مافي بيت المال في عبيده وفضل فضل فنادى مناديه : « من أراد سلفاً فليأخذ » ، وعندما سئل عن المال قال : « كنت صاحب ثغر فقسمت ما أصبت بين النـاس »[3] ، كذلك كان الأمراء يقومون باطعام الناس ، فقد كان الحجاج يطعم كل يوم على ألف مائدة وعلى كل مائدة عشرة أشخاص وعلى كل مائدة ثريد وجنب من شواء وسمكة طرية[4] ، واتخـذ يزيد بن المهلب والي سليمان بن عبد الملك ألف خوان ليطعم العامـة عليها[5] . وكان لعبد العزيز بن مروان ألف جفنة كل يوم تنصب حـول داره وكانت له مائة جفنة تحمل على العجل ويطاف بها على قبائل مصر وفي ذلك يقول الشـاعر :

كل يوم وكأنه يوم أضحى	عند عبد العزيز أو يوم فطر
ولـه ألف جفنـة مترعات	كل يوم تمدها ألف قدر[6]

هذه الأمثلة كلها تدل على مبلغ المخصصات الاضافيـة التي كان الوالي يستطيع التصرف بها ، ونلاحظ ذلك الفرق العظيم بين حرص عمر بن الخطاب على الأموال التي ترد بيت المسلمين عندما كان يعتبر انفاق ثمانية عشر دينـار

(١) البلاذري ، أنساب الاشراف ، ج١ ، ص ٤٩٤ .
(٢) المصدر السابق ، ج١ ، ص ٤٩٨ .
(٣) الطبري ، ج٥ ، ص ٤٧٢ .
(٤) المبرد ، ج١ ، ص ١٧٩ .
(٥) الطبري ، ج٦ ، ص ٥٢٤ .
(٦) الكندي ، ص ٥١ ، ٥٢ .

على الحج إجحافا ببيت مال المسلمين[1] ، وبين تلك المبالغ الضخمة التي كان يتصرف بها الخلفاء والولاة في العصر الأموي .

الكتّـــاب

اعتبر الكتاب من أهم موظفي الدولة وفي كتاب قوانين الدواوين لابن مماتي نص يشير إلى هذه الأهمية : « إنه من شرف الكتابة أنه لا يقرأ كتاب على منبر من منابر الدنيا الا استفتح ذلك بذكر الله وذكر النبي وذكر الخليفة ، ثم ذكر الكاتب ، وان ذلك ليبين في السجلات التي سجلها رسول الله ﷺ لأهل نجران وغيرهم لما صولحوا فكان جزية على رؤوسهم وأكثرها بخط علي بن أبي طالب في شرفه ونبله وسابقته ونجدته ، وكان كاتب الوحي لرسول الله ﷺ ثم أفضت الخلافة اليه بعد الكتابة ؛ وكان عثمان بن عفان مع شرفه كاتب ابي بكر الصديق ثم ولي الخلافة بعد الكتابة . وكان معاوية يكتب للرسول ثم ولي الخلافة بعد الكتابة ، وكان عبد الملك بن مروان كاتب معاوية على ديوان المدينة ثم ولي الخلافة بعد الكتابة ، وكان مروان بن الحكم كاتب عثمان بن عفان ثم آلت اليه الخلافة . وكان زياد مع دهائه وحصافة رأيه يكتب للمغيرة بن شعبة ثم لأبي موسى الأشعري[2] .

أمسى الكتاب في عهد الأمويين على أصناف خمسة على الأقل ، فكان منهم كاتب للرسائل ، وكاتب للخراج ، وكاتب للجند ، وكاتب للشرط ، وكاتب للقضاء[3] . وكان أعظمهم نفوذاً كاتب الرسائل لأنه كان مؤتمنا على أمور الدولة وأسرارها . وكان صاحب ديوان الرسائل كما رأينا في العصر الأموي يطلق عليه اسم الكاتب فلما جاءت الدولة العباسية لقب السفاح أبا سلمة الخلال بالوزير وترك اسم الكاتب[4] .

---

(١) الطرطوشي ، ص ١١٤ .

(٢) ابن مماتي ، قوانين الدواوين ، مطبعة مصر ، ١٩٤٣ م ص ٦٣ . انظر كذلك الجهشياري ، ص ١٢،٢١ . البلخي ج٦ ، ص ٢ ، ٢٦ . البلاذري ، انساب ، ج١ ، ص ٥٣١ .

(٣) صبحي الصالح ، ص ٣٠٤ .

(٤) القلقشندي ، ج١ ، ص ١٠٣ .

ومما يدل على أن بعض الكتاب كانوا بمنزلة الوزراء أن قبيصة بن ذؤيب وروح بن زنباع الجذامي كانا يكتبان لعبد الملك وكانا غالبين عليه[1] . وكان عبد الملك كثيراً ما يقول إن روح بن زنباع شامي الطاعة عراقي الخط حجازي الفقه فارسي الكتابة[2] ، وكان عبد الملك قد أمر حجابه أن لا يحجب عنه قبيصة أي ساعة جاء من ليل أو نهار ، وكانت تأتيه الأخبار قبل عبد الملك ويقرأ الكتب قبله ويأتي بالكتاب منشوراً فيقرؤه[3] . وكان يكتب لهشام بن عبد الملك سعيد ابن الوليد بن عمرو بن جبله الأبرش وكان غالباً عليه[4] ، كما كان عبد الحميد الكاتب غالباً على مروان بن محمد .

واهتم زياد بن أبيه بانتقاء كتاب الرسائل من العرب والموالي المتفحصين[5]، وكان يرى أن الكاتب يجب أن يتمتع بخمس خصال : بعد غور ، وحسن مداراة ، واحكام للعمل ، وعدم تأخير عمل اليوم الى غد ، والنصيحة لصاحبه[6] . كما كان زياد يبعد من يخطىء من الكتاب باللغة ، فقد كتب كاتب في ديوان زياد ثلاثة دنان ، فقال اخرجوا هذا الكتاب من ديوانكم وأصلحوها ثلاثة آدن[7] .

أما المؤهلات العلمية التي أصبح من الواجب أن تتوافر في العاملين في الكتابة فيلخصها عبد الحميد الكاتب زمن مروان بن محمد ، كان عبد الحميد يطلب من الكتاب أن يتنافسوا في صنوف العلم والأدب ، ويتفقهوا في الدين ويبدءوا بعلم كتاب الله عز وجل والفرائض ثم أن يتقنوا العربية لأنها ثقاف ألسنتهم وأن يجيدوا الخط لأنه حلية كتبهم ، وأن يرووا الأشعار ويعرفوا غريبها ومعانيها وأيام العرب والعجم وأحاديثها وسيرها فان ذلك معين لهم على

(١) الجهشياري ، ص ٣٥ . اليعقوبي ، تاريخ ، ج٢ ، ص ٢٣٨ .
(٢) الجهشياري ، ص ٣٥ .
(٣) الطبري ، ج٦ ، ص ٤١٢ .
(٤) الجهشياري ، ص ٢٩ . اليعقوبي ، تاريخ ، ج٢ ، ص ٣٢٨ .
(٥) اليعقوبي ، ج٢ ، ص ٢٣٤ .
(٦) المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٢٣٤ .
(٧) البلاذري ، انساب ، ج٤ ، قسم ١ ، ص ١٧٦ .

ما يسمون اليه بهممهم ، وأن لا يضعف نظرهم في الحساب لأنه قوام كتاب الخراج منهم[1] .

أما فيما يتعلق برواتب الكتاب فان الأمثلة التي بين أيدينا قليلة الا أنها تعطينا فكرة عن أصغر أجر وأكبره ، فكان أصغر أجر درهمين في اليوم دفعا الى زياد وهو غلام في رأسه ذؤابه ، عندما قاتل عتبة بن غزوان أهل مدينة الفرات ، فلما فتح الله على المسلمين تلك المدينة وأصابوا غنائم كثيرة لم يكن فيهم أحد يكتب ويحسب إلا زياد فجعل له كل يوم درهمان[2] . ويذكر الجهشياري أن يزيد بن أبي مسلم أخا الحجاج في الرضاعة كان يتقلد للحجاج ديوان الرسائل ، فكان يجري له في كل شهر ثلاث مئة درهم[3] . فاذا كان أدنى حد هو درهمين في اليوم أي ٦٠ درهما في الشهر وأعلى حد هو ثلثمائة درهم فانه يمكننا أن نفترض أن رواتب الكتاب كانت تتدرج حسب مراتبهم بين هذين الحدين . ويذكر الطبري نقلاً عن يحيى بن الحسن بن عبد الخالق أن أرزاق الكتاب استمرت في أيام بني أمية وبني العباس (حتى عهد المأمون) من الثلثمائة الى مادونها[4] .

الشرط والحرس

ينسب المؤرخون إحداث الشرطة الى الخلفاء المسلمين دون أن يتفقوا على العهد الذي ظهرت فيه هذه المؤسسة للوجود ، وبرأي البعض ترجع الشرطة إلى عصر الأمويين ، فاليعقوبي يذكر أن معاوية هو أول من أقام الحرس والشرط[5] . وهناك رأي آخر يميل الى ربط المؤسسة بأصول أقدم ، أصول عربية صافية ،

---

(١) الجهشياري ، ص ٧٤، ٧٥ . ابن خلدون ج١ ، ص ٢٠٧ .
(٢) الطبري ، ج٣ ، ص ٥٩٧ . البلاذري ، فتوح ، ص ٣٣٨ .
(٣) الجهشياري ، ص ٤٣ . الطبري ، ج٨ ، ص ٩٦ .
(٤) الطبري ، ج٨ ، ص ٩٦ .
(٥) اليعقوبي ، تاريخ ج٢ ، ص ٢٢١ .

معاصرة لزمن لم يكن الاسلام فيه بعد قد خضع للمؤثرات السياسية في البلاد الخاضعة للفتح ، وهكذا حسب خليفة بن خياط كان عثمان هو أول من اتخذ الشرط ، وكان على شرطه عبد الله بن قنفذ من بني تميم[1] ، ولكن اليعقوبي يتفق مع خليفة بأن معاوية أول من اتخذ صاحب حرس . ويذهب المقريزي الى أبعد من ذلك عندما يذكر أن الخليفة أبا بكر عمد لأول مرة في الاسلام الى تعيين عامل يقوم بالطواف في الليل ، وهكذا كان « عبد الله بن مسعود أول من عس بالليل عندما أمره أبو بكر الصديق بعس المدينة »[2] وبعد أبي بكر كان الخليفة عمر بن الخطاب يقوم بنفسه بالعسس ومعه مولاه أسلم وأحياناً الصحابي عبد الرحمن بن عوف[3] .

وتوجد في تواريخ السني الأولى للفتح نصوص تشير الى وجود الشرطة ؛ ففي مصر مثلا ، تكشف المصادر التاريخية الموثوقة عن وجود الشرطة منذ فتح هذه الولاية على يد عمرو بن العاص إذ يذكر الكندي أن ولاية عمرو الأولى على مصر صلاتها وخراجها منذ افتتحها الى أن صرف عنها كانت أربع سنين وأشهر فكان على شرطه في ولايته هذه كلها خارجة بن حذافة بن غانم[4] ، وجعل عبد الله ابن سعد هشام بن كنانة بن عمر بن حصين على شرطته[5] .

ويذكر البلاذري والطبري أن جماعة من السيابجة والزط كانوا موكلين بحراسة بيت المال في البصرة يقال إنهم أربعون ويقال أربعمائة وانه لما قدم طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام البصرة ، أبوا أن يسلموا بيت المال الى قدوم علي رضي الله عنه[6] .

واذا كان معاوية أول من اتخذ صاحب حرس ، فقد كان زياد كذلك أول

---

(١) خليفة بن خياط ، ج١ ، ص ١٩٥ .

(٢) المقريزي ، ج٣ ، ص ٦٦ .

(٣) المصدر السابق ، ج٣ ، ص ٦٦ .

(٤) الكندي ، ص ١٠ .

(٥) المصدر السابق ، ص ١٩ .

(٦) البلاذري ، فتوح ، ص ٣٦٩ . الطبري ، ج٤ ، ص ٤٦٨ .

من أنشأ لنفسه حرساً خاصاً عدد أفراده خمسمائة رجل وأسند قيادتهم الى شيبان بن عبد الله صاحب مقبرة شيبان[1] ، وكانت مهمتهم حراسة الأمير بشكل خاص[2] ، فلم يكونوا شرطة بالمعنى الدقيق ، ويتضح ذلك من أن المؤهلات أو الصفات المطلوبة من صاحب الحرس كانت غير تلك المطلوبة من صاحب الشرط ، إذ كان يفضل أن يكون صاحب احرس مسناً عفيفاً مأموناً[3] ، أما صاحب الشرطة فكان يفضل أن يكون شديد الصولة قليل الغفلة دائم العبوس طويل الجلوس سمين الأمانة ، أعجف الخيانة[4] • وكان يساعد صاحب الشرطة في أداء عمله شرطه وحراس[5] وعسس[6] وأعوان للشرط[7] •

ويجمع المستشرقون الذين اهتموا بمؤسسة الشرطة على اظهارها كمؤسسة بوليس[8] ، وفي ملحق المعاجم العربية يعرف دوزي Dozy صاحب الشرطة أو والي الأحداث بأنه رئيس البوليس الذي يتولى وقف الاضطرابات ومعاقبة مثيريها ، وبحسب الموسوعة الاسلامية تطابق وظائف صاحب الشرطة الوظائف الحالية لآمر البوليس[9] •

ومن أهم وظائف الشرطة العسس أو الطواف بالليل ، وبعض المؤلفين كالمقريزي يطلقون اسم العسس على الشرطة بشكل عام ويسمون صاحب الشرطة بصاحب الليل • وكان صاحب العسس يلاحق السكارى الذين يجوبون الطرقات في الليل ، وهكذا ضبط الشاعر ابن عبدال في المدينة في العصر الأموي وأوقف من قبل صاحب العسس[10] • ومهمة حماية شخص الأمير أو الحاكم هي

---

(١) البلاذري ، أنساب ، ج٤ ، قسم١ ، ص ١٦٢ • الطبري ، ج٥ ، ص ٢٢٤ •

(٢) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ، ص ٢٣٨ •

(٣) اليعقوبي ، تاريخ ، ج٢ ، ص ٢٣٤ •

(٤) ابن قتيبة ، عيون الاخبار ، ج١ ، ص ١٦ • ابن عبد ربه ، ج٥ ، ص ١٩ •

(٥) وكيع ، ج١ ، ص ١١٩ •

(٦) ابن عساكر ، تهذيب ، ج٤ ، ص ٧٧ •

(٧) البلخي ، ج٦ ، ص ٥١ •

(٨) Tian, Emile, Histoire de L'Organisation Judiciaire en Pays Arabes, Leiden, 1960, p. 588 .

(٩) Ibid. p. 588.

(١٠) Ibid. p. 590 .

منذ الأصل من اختصاصات الشرطة ، وتظهـر النصوص مراراً زياد بن أبيـه محاطاً برجال الشرطة ، وقد جعل عددهم أربعة آلاف[1] عليهم عبد الله بن حصن، أحد بني عبيد بن ثعلبة صاحب مقبرة ابن حصن ، والجعد بن قيس النميري ، كما يروي الطبري أنه لما عين زياد والياً على العراق واتجه نحو العاصمة الكوفـة فكر في أول الأمر في أن يكون دخوله اليهـا تحت حمـاية ألفين من رجـال الشرطة[2] ، وعندما انزل عبيد الله بن زياد القصاص بأحد المحكومين لم يعـد يذهب الى المسجد الا وهو محاط برجال من الشرطة ، وكان الخليفة عبد الملك ابن مروان يصطحب رجال شرطته في ذهابه الى المسجد[3] .

كان من واجبات الشرطة أيضا حماية المساجد ، يذكر الكندي أنه كـان للمسجد شرطة يذبون عنه[4] . وفي منتصف القرن الأول للهجرة عندما بلغ والي البصرة أن مشاجرات وقعت في داخل مسجد المدينة أرسل صاحب الشرطة ليفرض إحلال النظام[5] ، وفي المدينة عندما عمد رجل الى الغنـاء داخل المسجد ألقى شرطي القبض عليه فوراً[6] . واذا كان الأمر يتعلق بدعوة شخص أو إحضاره أمام الأمير أو الوالي كان رجال الشرطة يتولون ذلك ، فقد أرسل المغيرة بن شعبة قبيصة بن الدمون وكان على شرطته الى منزل حيان بن ظبيان السلمي عندمـا أخبره قبيصة أن الخوارج قد اجتمعوا في منزل حيان ، فسار قبيصة في الشرطة وفي كثير من الناس وألقى القبض على حيان ومن كان معـه[7] وعندما تخلف حجر بن عدي عن تلبية دعوة زياد إليه ، أمر زياد الشرطة باحضاره بالقوة[8] .

---

(١)) الطبري ، ج٥ ، ص ٢٣٢ .
(٢) المصدر السابق ، ج٥ ، ص ٢٣٥ .
(٣) Tian, p. 592 .
(٤) الكندي ، ص ٦٢ .
(٥) Tian, p. 594 .
(٦) Ibid. p. 594 .
(٧) الطبري ، ج٥ ، ص ١٨٢ .
(٨) المصدر السابق ، ج٥ ، ص ٢٥٧ .

ولضمان حسن تنفيذ مهام وظيفته كان على صاحب الشرطة أن يجند تحت إمرته رجالاً مخلصين وغير متحيزين ، وكان يسعى لاختيارهم أحياناً غرباء عن المدينة أو عن الدائرة التي كان مسؤولاً عنها ، فعندما ولي مروان بن الحكم المدينة ولى مصعب بن عبد الرحمن شرطته ، فقال : إني لا أضبط المدينة بحرس المدينة فابغني رجالاً من غيرها فأعانه بمائتي رجل من أهل إيله ، فضبطها ضبطاً شديداً[1] .

كما تشكل ممارسة قمع الجرائم العامة مع تأمين النظام الوظيفة الرئيسية للشرطة[2] ، وهكذا نرى ابن خلدون يعرف صاحب الشرطة بأنه الموظف المختص بالنظر في الجرائم واتزال العقوبات ، ويسمي مؤلف آخر صاحب الشرطة نفسه بأنه والي اجرائم أي الموظف الذي تحال اليه جرائم خرق النظام[3] .

يتبين لنا مما ذكرنا أن الواجبات التي كانت ملقاة على عاتق صاحب الشرطة كانت كثيرة ، ولعل ثقل هذه الواجبات هي التي جعلت اختيار صاحب الشرطة من المهام العسيرة ، إذ لا بد أن يكون قوي الشخصية مهاباً مسموع الكلمة وموضع ثقة مطلقة من الوالي أو العامل ، ومن هنا لا نعجب إذا رأينا مرتب صاحب الشرطة مرتفعاً كما كان الحال في زمن بشر بن مروان إذ بلغ مرتب عكرمة بن ربعي بن عمير صاحب شرطته مائة ألف درهم سنوياً[4] ، وقد شغل هذا المنصب أيضاً في زمن الحجاج حيث يحتمل أنه كان يتقاضى نفس هذا المرتب تقريباً .

وكان صاحب الشرطة يعتبر الرجل الاداري الثاني بعد الوالي ، وكان بمثابة

---

(١) وكيع ، ج١ ، ص ١١٩ .

(٢) ابن قتيبة ، عيون الاخبار ، ج١ ، ص ١٦ . ابن عبد ربه ، ج٥ ، ص١٩ . النويري ، ج٢١ ، ص١٧،١٩ . البلاذري ، انساب ، ج٥ ، ص ٢٧٠ .

(٣) Tian, p. 595 .

(٤) البلاذري ، انساب ، ج٥ ، ص ١٧٧ .

نائب للوالي يؤم الناس في الصلاة إذا مرض الوالي ، ويحكم الولاية إذا خرج الوالي من مقر ولايته ، فنرى خارجه بن حذافة صاحب الشرطة يؤم الناس في الصلاة أثناء مرض عمرو بن العاص[١] ، ونرى عابس بن سعيد المرادي صاحب الشرطة ينوب عن عبد العزيز بن مروان والي مصر في حكم البلاد عند خروجه الى الخليفة عبد الملك بن مروان سنة ٦٧ هـ[٢] ، وكان صاحب الشرطة يعين أحياناً والياً على البلاد إذا ما عزل الوالي أو مات أو تنحى عن أمور الولاية ، فمثلا كان حفص بن الوليد على شرطة مصر قبل أن يلي على صلاتها من قبل الخليفة هشام بن عبد الملك[٣] ، وجمع خالد بن عبد الله القسري الصلاة والشرطة والقضاء لبلال بن أبي بردة على البصرة وبقي محتفظاً بهذه المناصب الثلاثة حتى عزل خالد عن العراق سنة عشرين ومائة[٤] .

العرفـــاء

العريف هو القيم والسيد لمعرفته بسياسة القوم ، وقال ابن الأثير : العرفاء جمع عريف وهو القيم بأمور القبيلة أو الجماعة من الناس يلي أمورهم ويتعرف الأمير منه أحوالهم والعرافة عمله[٥] .

كان العرفاء من أهم الموظفين الذين اعتمد عليهم الأمير في تثبيت سلطانه في إدارة المصر وتوزيع العطاء والسيطرة على السكان[٦] . وبالرغم من وجود العرفاء في العصر الجاهلي وفي زمن الرسول إلا أنه من الراجح أن العرافة كوظيفة وجدت في الأمصار منذ زمن عمر[٧] ، ولكن أعيد تنظيمها في العهد الأموي

---

(١) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ، ص ١٠٥ . الكندي ، ص ٣١ ، ٣٢ .
(٢) الكندي ، ص ٤٩ .
(٣) المصدر السابق ، ص ٧٤،٧٥ .
(٤) خليفة بن خياط ، ج٢ ، ص ٥٣٥ .
(٥) ابن منظور ، لسان العرب ، المجلد التاسع ، بيروت ، ١٣٨٨ هـ ١٩٦٨ م ، ص ٢٣٨ .
(٦) صالح العلي ، ص ١١٤ .
(٧) ابن سعد ، ج٥ ، ص ٤٥ . ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ١٣٠ . الطبري ، ج٤ ، ص ٤٩ .

بشكل جديد شأن معظم المؤسسات الادارية والاجتماعية والمالية ، ولذلك يؤكد بعض المؤرخين على أن زياداً هو أول من عرف العرفاء[1] .

كان الناس قبل اختطاط البصرة والكوفة أعشاراً ، فكانت العرفاء ثلاثة آلاف عريف ، كل عريف على عشرة ورزق الخيل على أعرافها ، فلما اختطت الكوفة والبصرة غيرت العرفاء والأعشار وجعلت أسباعاً ، فتضاءل عدد العرفاء الى مائة ، وأصبح كل عريف مسؤولاً عن مائة ألف درهم[2] .

ويذكر سيف بعد ذكره للأسباع أن توزيع العطاء في الكوفة كان على العرافات ، وعرفوهم على مائة ألف درهم ، فكانت كل عرافة من القادسية خاصة ثلاثة وأربعين رجلاً ، وثلاثاً وأربعين امرأة وخمسين من العيال لهم مائة ألف درهم ، وكل عرافة من أهل الأيام عشرين رجلاً على ثلاثة آلاف وعشرين امرأة وكل عيل على مائة ، على مائة ألف درهم ، وكل عرافة من الرادفة الأولى ستين رجلا وستين امرأة وأربعين من العيال ممن كان رجالهم ألحقوا على ألف وخمسمائة على مائة ألف درهم ثم على هذا الحساب[3] . ويتضح من رواية سيف أن العرافات لم تكن متساوية في عدد المقاتلة ، ولكنها متساوية في مجموع العطاء ، وأصبحت مسؤولية العريف في هذا التنظيم مالية فقط وكان يساعده في توزيع الأموال رجلان آخران هما النقيب والأمين ، فيذكر عطية بن حارث « كان العطاء يدفع الى أمراء الأسباع وأصحاب الرايات والرايات على أيادي العرب ، فيدفعونه الى العرفاء والنقباء والأمناء فيدفعونه الى أهله في دورهم »[4] .

تغيرت وظيفة العريف في تنظيم زياد عما كانت عليه قبلاً ، إذ صار لكل

---

(١) القلقشندي ، ج١ ، ص ٤٢٤ . صالح العلي ، ص ١١٥ ، نقلا عن أنساب الاشراف ، ج٤ ، ص ٧٨٩ ، مخطوطة القاهرة .

(٢) المقريزي ، ج١ ، ص ١٧٢ .

(٣) الطبري ، ج٤ ، ص ٤٩ . المقريزي ، ج١ ، ص ١٧٢ .

(٤) الطبري ، ج٦ ، ص ٤٩ .

عشيرة عريف خاص بها ، فنسمع عن قبيصة بن برمه الأسـدي عريف قومه[1] وعبيدة بن قيس السلماني من مراد الذي كان عريف قومه[2] . فيتولى العريف توزيع العطـاء على أفراد عشيرته المثبتين في الديوان عكس العرافات الأولى والتي كان فيها العريف مسؤولاً عن استلام المال وتوزيعه على النقباء والأمناء ، فيذكر جعفر بن سلام الأسدي : كان قبيصة بن برمة الأسدي عريف قومه ، قال : وكان العطاء يبعث به الى العريف فيقسمه في أهل العطاء ، قال : فرأيت العطـاء قد حمل الى قبيصة فدفع اليه[3] ، ويذكر محمد بن سيرين أن عبيدة السلماني كان يوزع العطاء على عشيرته[4] وبما أن العريف كان مسؤولا عن توزيع العطاء وعن تنفيـذ الأوامر في زيادة العطاء لأي فرد فقـد كان بامكانه أن يستغل وظيفته فبمقدوره مثلاً أن يعجل في تنفيـذ الزيادة في العطـاء أو يؤخرها أو يعرقلها[5] ، كما كان بمقدوره ألا يخبر عن حالات الوفاة في عرافاته ويستمر في دفع جزء من عطـاء الموتى الى أهليهـم ويأخذ هو الباقي بالاتفاق معهـم بالطبع[6] .

بالاضافة الى توزيع العطاء كان العريف مسؤولاً عن أفراد عرافته ، وعن تقديم العدد اللازم من الجند عند إرسال البعوث ، فقد دعا الحجاج العـرفاء وطلب منهم أن يلحقوا الناس بالمهلب وأن يأتوه بالبراءات بموافاتهم[7] ، وعندما قرر الحجاج إرسال عثمان بن سعيد لقتال شبيب الخارجي دعا أصحاب الدواوين وطلب منهم أن يضربوا البعث على الناس وأن يخرجوا أربعة آلاف من الناس ،

---

(١) ابن سعد ، ج٦ ، ص ١٣٥ .
(٢) ابن سعد ، ج٦ ، ص ٦٢ .
(٣) ابن سعد ، ج٦ ، ص ١٣٥ .
(٤) المصدر السابق ، ج٦ ، ص ٦٢ .
(٥) ابن عبد الحكم ، سيرة عمر بن عبد العزيز ، ص ٣٨،٣٩ .
(٦) مصعب الزبيري ، ص ١٥٤ ، ١٥٥ .
(٧) الطبري ، ج٦ ، ص ٢٠٥ .

من كل ربع ألف رجل وأن يعجلوا في ذلك ، فجمعت العرفاء ، وجلس أصحاب الدواوين وضربوا البعث فأخرجوا أربعة آلاف[1] .

وكان العرفاء كـذلك مسؤولين عن الأمن والنظام في عرافاتهم ، فعليهم مراقبة المشاغبين ومثيري القلاقل والفتن واخبار الحكومة عنهم ، فاذا قصروا في هذا الواجب فانهم يصبحون عرضة لعقوبات صارمة على إهمـالهم ، فعن أبي مخنف أن عبيد الله بن زياد حين ولاه يزيد الكوفة أخذ العرفاء والناس أخـذاً شديداً وقال للعرفاء : « اكتبوا الى الغرباء ، ومن فيكم من طلبه أمير المؤمنين ومن فيكم من الحرورية وأهل الريب الذين رأيهم الخلاف والشقاق ، فمن كتبهم لنا فبرىء ومن لم يكتب لنا أحداً ، فيضمن لنا مافي عرافته الا يخالفنا منهم مخالف، ولا يبغي علينا منهم باغ ، فمن لم يفعل برئت منه الذمة وحلال لنا ماله وسفك دمه وأيما عريف وجد في عرفته من بغيه أمير المؤمنين أحد لم يرفعه الينا صلب على باب داره ، وألغيت تلك العرافة من العطاء »[2] .

هذا فيما يتعلق بالعراق ، أما أول من سن التعريف بمصر عبد العزيز بن مروان[3] ، هذا ما يذكره المقريزي في حين يرد اسم العريف عند ابن عبد الحكم في معرض كلامه عن الجزية أثناء الفتح إذ يذكر أنه لما استوسق الأمر لعمرو بن العاص أقر قبطها على جباية الروم وكانت جبايتهم بالتعديل اذا عمرت القريـة وكثر أهلها زيد عليهم وان قل أهلها وخربت نقصوا فيجتمع عرفاء كل قريـة ومازوتها ورؤساء أهلها فيتناظرون في العمارة والخراب[4] ، وهذا يدل على أن العريف هنا كان من أهل الذمة وهو مسؤول عن قريته ، ويؤكد ذلك ما أورده لامانس في كتابه (دراسـات حول عصر بني أمية) حيث يبين أن المراسـلات المحفوظة في أوراق البردي تشير الى أن العرفاء كانت لهم مهمة قمع المخالفات

(١) المصدر السابق ، ج٦ ، ص ٢٣١ .
(٢) الطبري ، ج٥ ، ص ٣٥٩ .
(٣) المقريزي ، ج١ ، ص ٣٩٣ . عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي المكي ، ص ١٥٨ .
(٤) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ١٥٢ .

وانصاف المكلفين الـذين يذهبون الى الفسطاط لاستئناف قرارات السلطات المحلية(٥) ، ومع تفادي إزعاج هذه السلطات في إدارتهم المحلية كان نظام الحماية حريصاً على مراقبة العرفاء المسيحيين في كل الأوقات ، ويشير ياقوت كذلك في معرض حديثه عن بلهيب أن معاوية عرف أبا المهاجر البلهيبي واسمه عبد الرحمن على موالي تجيب ، اذ أن أبا المهاجر كان من سبى بلهيب حين انتقضت في أيام عمر فاعتقه بنو الاعجم بن سعد بن تجيب(٢) .

فالتعريف إذاً كان موجوداً في مصر ولعل عبد العزيز بن مروان أعاد تنظيمه بشكل جديد جعل المقريزي يؤكد أنه أول من سن التعريف في مصر . كما نلاحظ في مصر أمراً لم يشر إليه المؤرخون أثناء الكلام عن العرفاء في العراق وهـو وجود عرفاء من أهل الذمة مسؤولون عن جباية الأموال ، ضمن قريتهم أوضمن دائرتهم ، ولعل القلقشندي هو الوحيد الذي يشير الى أن جباية المال كانت من مهمات العرفاء عندما ذكر أن أول من عرف العرفاء على الناس لجباية الأموال وغيره زياد(٣) .

فالعريف بناء على ما أوردناه كان صلة الوصل بين الولاة والعمال ورعاياهم العرب أو بين الولاة والعمال ورعاياهم من أهل الذمة ، ثم إن الواجبات العديدة الملقاة على عاتق العرفاء كانت تتطلب ممن يشغل هـذا المنصب أن يكون ذا شخصية قوية وأن يتمتع بسلطات تمكنه من تنفيذ الواجبات المطلوبة منه ، وقد جاء في رسالة أرسلها عمر بن عبد العزيز الى عدي بن أرطأة أمير البصرة « ان العرفاء من عشائرهم بمكان ، فانظر عرفاء الجند فمن رضيت أمانته لنا ولقومه فاثبته ومن لم ترضه فاستبدل به من هو خير منه وأبلغ في الأمانة والورع »(٤) . وقال الحجاج لعامر بن شراحيل المعروف بعامر الشعبي : « ألم أعـرفك على

---

(١) Lammens, p. 316 .

(٢) ياقوت ، ج١ ، ص ٤٩٢ .

(٣) القلقشندي ، ج١ ، ص ٤٢٤ .

(٤) ابن سعد ، ج٥ ، ص ٢٩٣ .

قومك ولا يعرف مثلك »[1] ، أي أن تعيين العرفاء كان يعود الى الأمير ولا حاجة الى أخذ موافقة العشيرة في ذلك ، ومع هذا فمن المرجح أنه كان يختار العرفاء من بين ذوي النفوذ كي يستطيعوا القيام بواجبهم تجاه الحكومة وتجاه العرافات ذاتها .

وبما أن العرفاء كانوا يعينون من قبل الأمراء والعمال فانهم كانوا غالباً ما يقفون الى جانب الدولة ويدافعون عن مصالحها قبل أي اعتبار آخر ، وهذا الوضع هو المسؤول عن مشاعر البغض التي كان الناس يكنونها لهم ، قال علقمة ابن عبده :

بل كل حي وان عزوا وان كرموا عريفهم بأثافي الشر مرجوم[2]

وفي الحديث : « العرافة حق والعرفاء في النار » وقوله العرافة حق أي بها مصلحة للناس ورفق في أمورهم وأحوالهم ، وقوله العرفاء في النار تحذير من التعرض للرياسة لما في ذلك من الفتنة[3] .

النقيب

النقيب هو كالعريف على القوم المقدم عليهم الذي يتعرف أخبارهم وينقب عن أحوالهم[4] . ويرد ذكر النقباء عند بيعة العقبة الثانية ، وكان عدة من بايع سبعين ، فبعث عليهم رسول الله ﷺ اثني عشر نقيباً وقال لهم أنتم كفلاء على قومكم ككفالة الحواريين ، وجعل أسعد بن زرارة نقيب النقباء[5] .

ويرد ذكر النقباء في رواية عطية بن الحارث أثناء الكلام عن توزيع العطاء

(١) ابن سعد ، ج٦ ، ص ١٧٣ .
(٢) ابن منظور ، ج٩ ، ص ٢٣٨ .
(٣) المصدر السابق ، ج٩ ، ص ٢٣٨ ، وهناك اشارات الى تلك المشاعر في طبقات ابن سعد ، ج٦ ، ص ١٩١ ، ١٩٣ . ج٤ ، قسم١ ، ص ١٧٢ .
(٤) ابن منظور ، المجلد ١ ، بيروت ١٩٦٨ ، ص ٧٦٩ .
(٥) البلاذري ، أنساب ، ج١ ، ص ٢٤٠ ، ٢٥٢ ، ٢٥٤ .

وأن أمراء الأسباع كانوا يدفعونه الى العرفاء والنقباء والأمناء[1] ، وليس في هذه الرواية مايشير الى أن العريف أعلى من النقيب أو العكس ، إلا أننا نفهم مما يرد في كتاب الأحكام السلطانية لأبي يعلى والماوردي[2] أن النقيب أعلى مرتبة من العريف إذ أنهما يذكران : « أنه على الأمير أن يعرف على الجند العرفاء وينقب عليهم النقباء » ، كما أن في وضع نقيب على الفرس الذين كانوا في جيش رستم وأسلموا مايشير الى أن مهمته كانت ضرورية لا يمكن الاستغناء عنها[3] . ويذكر الدكتور صالح أحمد العلي[4] أن الطبري في تفسيره يروي أنه فوق العريف بينما يروي الجاحظ بيتاً لجبهاء الأشجعي استنتج منه الدكتور صالح أن النقيب أقل من العريف :

رعاع عاونت بكراً عليها ... كما جعل العريف على النقيب

وقول بشار :

رجع الوشاة وكأنهم ... عرفاء ليس لهم نقيب

وكلا البيتين في رأيي يشيران الى أن النقيب في منزلة أعلى من العريف ، وفي بيت جبهاء الأشجعي استهجان في أن تنقلب الأوضاع وأن يجعل العريف على النقيب ، ويبدو أن النقيب كانت وظيفة متعلقة بالجيش بنوعية من الجند المسترزقة الذين هم من أصحاب الديوان والمتطوعة وهم الخارجون عن الديوان من البوادي والأعراب وسكان القرى[5] ، فكان الأمير يعتمد على النقباء والنقباء يعتمدون على العرفاء في معرفة أوضاع جندهم وأحوالهم ، كما كانوا يجمعون الجند استعداداً للقتال[6] .

---

(١) الطبري ، ج٤ ، ص ٤٩ . المقريزي ، ج١ ، ص ١٧٢ .
(٢) الماوردي ، ص ٣٦ . ابي يعلى ، ص ٢٤ .
(٣) البلاذري ، فتوح ، ص ٢٧٩ .
(٤) صالح احمد العلي ، ص ١١٩ .
(٥) الماوردي ، ص ٣٦ .
(٦) الماوردي ، ص ٣٦ . أبو يعلى ص ٣٤ .

أول من تولى القضاء في الاسلام الرسول الكريم إذ نص في « الصحيفة » على أن الله والرسول هما المرجع في الخلاف الذي ينشب بين أهل هذه الصحيفة « وأنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث واشتجار يخاف فساده فان مرده الى الله عز وجل والى محمد رسول الله ﷺ » .

وحين اتسعت الدولة وتجاوزت حدود يثرب الى سائر أرجاء شبه الجزيرة العربية ، عهد الى الولاة الذين بعث بهم الى ولايات دولته بالقيام بمهمة القضاء بين الناس ، كما رسم لهم أمثل السبل للتصدي لهذه المهمة الجليلة ، فحين بعث النبي معاذ بن جبل الى اليمن سأله النبي : بم تحكم ؟ أجاب معاذ : بكتاب الله ، قال : فان لم تجد ؟ قال : فبسنة رسول الله ، قال : فان لم تجد ؟ قال : اجتهد رأيي ولا آلو . وأقره النبي على ذلك وقال : « الحمد لله الذي وفق رسول الله لما يحبه الله ورسوله »[1] .

ويزعم بعض المؤرخين أن أبا بكر أول من دفع القضاء الى غيره ، دفعه الى عمر بن الخطاب ، فجلس سنة أو سنتين لا يأتيه أحد[2] . أما أكثر المؤلفين فيتفقون على أن عمر بن الخطاب هو أول من اتخذ قاضياً ، وقد روى عن الزهري وابن المسيب أنهما قالا : ما اتخذ رسول الله قاضياً ولا أبو بكر ولا عمر حتى كان في وسط خلافة عمر قال لعلي : « اكفني بعض الأمور ــ لان علياً كان أقضى الصحابة وأعلمهم »[3] ، ويقول مالك إن أول من استقضى معاوية ويروى عنه أنه قال : ما استقضى ابو بكر ولا عمر ولا عثمان قاضياً ، وما كان ينظر في أمور الناس غيرهم[4] . والرأي الذي نقله عبد الحي الكتاني عن ابن رشد يوفق

(١) ابن سعد ، ج٣ ، قسم ٢ ، ص ١٢١ .
(٢) خليفة بن خياط ، ج١ ، ص ١٠٨ . الطبري ، ج٣ ، ص ٤٢١ .
(٣) منير العجلاني ، عن محاضرة الأوائل ومسامرة الاواخر للبسنوي ص ٣٤٠ .
(٤) عبد الحي الكتاني ، ص ٢٥٩ ، ٢٦٠ .

بين قول مالك ورواية المسيب والزهري ، وذلك أن عمر بن الخطاب كان يقضي هو نفسه في المدينة ويرسل العمال والقضاة يقضون في غيرها من البلدان . أما معاوية فكان أول خليفة امتنع عن القضاء ودفعه الى غيره ، فكان له قضاة في قاعدة ملكه فضلا عن قضاته في الأمصار ، أي أن معاوية أول من استقضى في موضعه الذي كان فيه لاشتغاله بما هو سوى ذلك من أمور المسلمين كبعث البعوث وسد الثغور وفرض العطاء[1] . وهكذا يكون عمر أول خليفة قضى في موضعه واستقضى على الأمصار ومعاوية أول خليفة تخلى عن القضاء جملة واحدة ودفعه الى من يقوم به .

كان الخلفاء الأمويون يختارون هم أنفسهم القضاة في عاصمة الخلافة ويتركون اختيار القضاة في الأمصار الى أمرائهم[2] ولا تروى لنا إلا حالات معدودات كان الخلفاء يولون فيها قضاة الأمصار[3] .

وكانت وظيفة القاضي في صدر الاسلام محصورة في الفصل بين الخصوم[4] ، أما القضاء في المسائل الجزائية فقد بقي من اختصاص الخلفاء والولاة ، وان كانت لا توجد في ذلك العصر حدود دقيقة واضحة بين الاختصاصات القضائية لكل من الولاة والقضاة[5] .

كان معاوية أول من دفع الى قاض حق النظر في مسائل محدودة من القضاء الجزائي إذ كتب الى القاضي سليم بن عتر يأمره بالنظر في الجراح وأن يرفع ذلك الى صاحب الديوان ، يقول الكندي : كان سليم أول قاض نظر في الجراح ، وحكم فيها ، فكان الرجل إذا أصيب فجرح أتى الى القاضي وأحضر بينة على

---

(١) المصدر السابق ، ص ٢٦٠ .
(٢) خليفة بن خياط ، ج١ ، ص ٣٨٩ ، ٤٢٠ . الكندي ص ٣١٥ . البلاذري ، أنساب الاشراف ، ج٤ ، قسم ١ ، ص ٢٠٥ . وكيع ، ج١ ، ص ١١٨،١١٩،١٣٤ .
(٣) خليفة بن خياط ، ص ٣٨٩ . الكندي ، ص ٣٠٩ .
(٤) جرجي زيدان ، ج١ ، ص ١٨٥ .
(٥) احسان صدقي العمد ، ص ٤٠٢ .

الذي جرحه فيكتب القاضي بذلك الجرح قصته على عاقلة الجارح ويرفعها الى صاحب الديوان فاذا حضر العطاء اقتص من أعطيات عشيرة الجارح ما وجب للمجروح ونجم ذلك في ثلاث سنين[1] .

وفي سنة ٨٦ هـ تولى قضاء مصر عبد الرحمن بن حديج فنظر في أموال اليتامى وضمن عريف كل قوم أموال يتامى تلك القبيل[2] . وفي زمن هشام بن عبد الملك نظر قاضيه على مصر توبة بن نمر في الأوقاف أو الأحباس كما كانت تسمى وأخذها من أيدي القائمين عليها قائلاً : ما أرى مرجع هذه الصدقات الا الى الفقراء والمساكين فأرى أن أضع يدي عليها حفظاً من الضياع والتوارث[3].

وانه مما يلفت النظر أن عددا من القضاة في مصر كان يجمع لهم القضاء والشرطة[4] ، وكان أول قاض جمع له القضـاء والشرطة عابس بن سـعيد المرادي[5] من قبل الأمير مسلمة بن مخلد سنة ستين . وجمع عبد العزيز بن مروان ليونس بن عطية القضاء والشرطة سنة أربع وثمانين[6] ، وكان أول قاض بمصر من حضرموت[7] . كما أن عبد الرحمن بن معاوية بن حديج كان على الشرط ثم ولي القضاء وجمعا له جميعاً سنة ست وثمانين[8] .

وجمع لعمران بن عبد الرحمن الحسني القضاء والشرط في ولاية عبد الله ابن عبد الملك[9] ، وكذلك كان أول قاض قضى على المدينة في خلافة معاوية

---

(١) الكندي ، ص ٣٠٩ .
(٢) الكندي ، ص ٣٢٥ .
(٣) المصدر السابق ، ص ٤٣٦ .
(٤) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ، ص ٢٣٦ ، ٢٣٨ .
(٥) المصدر السابق ، ص ٢١٤ . الكندي ، ص ٣١١ . القلقشندي ، ج١ ، ص ٤١٨ .
(٦) الكندي ، ص ٣٢٢ .
(٧) المصدر السابق ، ص ٣٢٣ .
(٨) المصدر السابق ، ص ٣٢٤ ، ٣٢٥ .
(٩) المصدر السابق ، ص ٣٢٧ .

لمروان بن الحكم ، عبد الله بن نوفل وقد ضم منصب الشرطة مع القضاء[1] ، وكذلك ولي مصعب بن عبد الرحمن الشرطة والقضاء في سنة ٥٣ هـ في المدينة[2] .

كان القاضي يجلس للقضاء في المسجد[3] أو في داره[4] أو في السوق ، وربما ركب وتجول في البلد فوقف حيث يطلب[5] . أما الشافعية فقد كرهوا القضاء في المسجد وكان لرأيهم آخر الأمر بعض الأثر في غيرهم من أصحاب المذاهب فأخذ القضاة يتحولون الى رحاب المساجد ثم الى المدارس أو الى دور خاصة بالقضاء[6] ، حتى أننا في القرن الثالث الهجري نرى أنه أصبح من واجبات المحتسب أن يتردد الى مجالس القضاة فيمنعهم من اتخاذ المساجد والجوامع مقراً لهم للحكم فيه[7] .

ولم يكن للقضاة كما يبدو في بادىء الأمر سجلات تدون فيها الأحكام ، ولكن حدث أن تخاصم الى سليم بن عتر أشخاص في ميراث ثم أنكر الورثة حكمه بعد أن قضى بينهم وعادوا اليه ثانية فقضى بينهم وكتب بذلك سجلاً ، وصار أول من وضع سجلات للادارة القضائية في مصر[8] ، ولا شك أن هذا الامر اتبع كذلك في الأقاليم الأخرى .

وكان للقاضي كاتب يعاونه[9] ويقوم بنفس الوقت بمهمة المساعد والمشير ، وكان يشغل هذا المنصب عادة رجل ذو علم وفقه ، فقد عين الحجاج سعيد بن جبير كاتباً ووزيراً للقاضي أبي برده بن أبي موسى الاشعري وأمره أن لا يقطع أمراً

---

(١) وكيع ، ج١ ، ص ١١٤ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١١٨ .

(٣) عبد الحي الكتاني ، ص ٢٧٣ .

(٤) ابن سعد ، ج٦ ، ص ١١٨ .

(٥) المصدر السابق ، ج٦ ، ص ٩٥ .

(٦) منير العجلاني ، ص ٣٢٥ . عبد الحي الكتاني ، ص ٢٧٣ .

(٧) ابن بسام ، نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، مخطوطة أحمد الثالث باستانبول رقم عمومي ، أدبيات ، رقم ٢٠ ، ص ١١٩ آ .

(٨) الكندي ، ص ٣١٠ .

(٩) ابن سعد ج٧ ، قسم ٢ ، ص ١٥٨ .

دونه[1] ، كما كان هناك كتاب مهمتهم تدوين القضايا وتسجيلها ، فعن فضالة بن المفضل أن كتّاب يحيى بن ميمون الذي ولي القضاء في مصر سنة خمس ومائة كانوا لا يكتبون قضية إلا برشوة وأن يحيى كلم في ذلك فلم ينكره ثم كلم مرة بعد مرة فلم يعزل منهم أحداً من كتابته[2] .

كان القضاء يعتبر من الاعمال الشاقة الخطرة لما فيها من تحمل التبعة فيما قد يخطىء به القاضي فيحكم على صاحب الحق فيظلمه وهو مسؤول عنه ، وهنالك أحاديث كثيرة تشير الى خطورة المسؤولية الملقاة على عاتق القاضي ، فعن رسول الله ﷺ قوله : « القضاة ثلاثة ، اثنان في النار وواحد في الجنة ، رجل علم علماً فقضى بما علم فهو في الجنة ، ورجل جهل فقضى بالجهل ففي النار ، ورجل قضى بغير ما يعلم ففي النار »[3] . وعن علي رضي الله عنه قال : « القضاة ثلاثة : واحد في الجنة ، واثنان في النار ، فأما الذي في الجنة فرجل اجتهد فأصاب الحق فهو في الجنة ، ورجل جار متعمدا فهو في النار ، ورجل اجتهد برأيه فأخطأ فهو في النار »[4] . وعن عمر بن الخطاب قوله : القضاة ثلاثة : « قاض قضى برشوة فهلك ، وقاض اجتهد فأخطأ فود لو أن أمه لم تلده ، وقاض اجتهد فأصاب فأفلت ، ولم يكد يفلت »[5] . وكثيراً ما كان العلماء ورجال التقوى يأبون ولاية القضاء[6] ، كما كان من أمر كعب بن يسار الذي أبى أن يصبح قاضياً لأنه كان قد تولى مهمة القضاء في الجاهلية ، وأخذ على نفسه عهداً ألا يعود الى منصب القضاء مرة أخرى[7] ؛ وعندما استعمل أبو الدرداء على القضاء في دمشق وأصبح الناس يهنئونه قال : أتهنئوني بالقضاء

---

(١) ابن قتيبة ، عيون الاخبار ، م١ ، ص ٦٢ . البلاذري ، أنساب ، ج٤ ، قسم٢ ، ص ٣٩ .
(٢) الكندي ، ص ٣٤٠ .
(٣) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ٢٢٦ ، ٢٢٧ .
(٤) المصدر السابق ، ص ٢٢٧ .
(٥) المصدر السابق ، ص ٢٢٧ .
(٦) ابن عبد الحكم ، ص ٢٢٦ .
(٧) المصدر السابق ، ص ٢٢٩ .

وقد جعلت على رأس مهواه ••• ولو علم الناس مافي القضاء لأخذوه بالدول رغبة عنه وكراهية له[١] • ولما ولى عبد العزيز بن مروان عبد الرحمن بن حجيرة القضاء ، أخبر أبوه بذلك فقال : « هلك ابني وأهلك »[٢] •

وكان بعض القضاة لا يأخذون على القضاء أجراً ، لأن القضاء علم والعلم لا يباع وانما يتبرع به لوجه الله ، ويقال إن الوليد ألح على قاضي دمشق زرعة بن ثوب حتى أعطاه مزرعة مع خدمها وآلتها وحلف أنها من صلب ماله فقال : « اقبلها منك ، وأشهدك أن ثلثاً منها في سبيل الله ، والثلث الثاني ليتامى قومي ومساكينهم والثلث الثالث لرجل صالح يقوم عليها ويؤدي الحق فيها ، ثم أنا أحب أن تأخذ مني ما أجريت علي من الرزق فانه في كوة البيت فخذه فرده في بيت المال » ، فقال له الوليد ، ولم ذلك ؟ فقال : لا أحب أن آخذ على ما علمن الله أجراً[٣] • وعن خالد بن يعفر لم يقبض عبد الله بن يزيد بن خذامر عن القضاء درهماً ولا ديناراً[٤] •

ذلك ما كان يفعله بعض القضاة ، أما القاعدة فهو أن يكون للقاضي رزق يجرى عليه من بيت المال ، ليفرغ من هم المعيشة الى هم القضاء[٥] • وقد فرض عمر بن الخطاب لشريح مائة درهم في الشهر[٦] ، ويقال إن علياً رزق شريحاً خمسمائة درهم في الشهر[٧] ، وعندما حاول زياد أن يزيده في رزقه آبى ، فاقترح أن يوليه عملاً يجري عليه رزقه ، فقبل فولاه بيت المال وأجرى عليا آلفاً[٨] • وكان رزق ابن حجيرة الأكبر من القضاء مائتي دينار في السنة وليس كما ذكر

---

(١) ابن سعد ، ج٧ ، قسم ٢ ، ص ١١٧ •

(٢) الكندي ، ص ٣١٥ •

(٣) شمس الدين بن طولون ، الثغر البسام في ذكر من ولي قضاء الشام ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، مطبوعات المجمع المعلمي العربي دمشق ، ١٩٥٦ ، ص٦ ، ٧ •

(٤) الكندي ، ص ٣٣٩ ، وقد ولي عبد الله بن يزيد القضاء لعمر بن عبد العزيز •

(٥) ابو يوسف ، ص ٢٢٢ •

(٦) الطرطوشي ، ص ١١٦ •

(٧) ابن سعد ، ج٦ ، ص ٩٥ •

(٨) البلاذري ، انساب ، ج٤ ، قسم ١ ، ص ٢٠٥ •

الدكتور منير العجلاني بأنه كان ألف دينار ، وانما كان مجموع رواتبه من وظائفه مع عطائه وجائزته ألف دينار ، إذ أن ابن حجيرة الأكبر في ولاية عبد العزيز بن مروان كان على القضاء والقصص وبيت المال ، فكان رزقه في السنة من القضاء مائتي دينار ، وفي القصص مائتي دينار ورزقه في بيت المال مائتي دينار وكان عطاؤه مائتي دينار وجائزته مائتي دينار[1] .

القـــاص

ينقل صاحب المستطرف في كل فن مستظرف[2] عن ابن عمر رضي الله عنه قوله : لم يقص أحد على عهد رسول الله ﷺ ولا عهد أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم وانما كان القصص حين كانت الفتنة ، بينما يرد اسم القاص في الطبري[3] في حوادث سنة ١٣ هـ إذ يذكر أنه عندما اجتمع المسلمون بقيادة خالد بن الوليد لمواجهة الروم كان القاضي أبو الدرداء والقاص أبو سفيان بن حرب وعلى الأقباض عبد الله بن مسعود ، كما أن عبيد بن عمير قص على عهد عمر بن الخطاب[4] .

وما يورده الكندي في كتابه « الولاة والقضاة » يوفق بين الروايات السابقة إذ يذكر أن القصص نوعان : قصص العامة يجتمع إليه نفر من الناس يعظهم ويذكرهم ، وقصص الخاصة وهو الذي أحدثه معاوية بن أبي سفيان ، وكان السبب في ذلك أن علياً لما رجع من صفين قنت ، فدعا على من خالفه ، فبلغ ذلك معاوية فولى رجلاً على القصص ، إذا سلم الامام من صلاة الصبح جلس فذكر الله وحمده ومجده وصلى على نبيه وسلم ودعا للخليفة ولأهله ولأهل ولايته

---

(١) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ، ص ٢٣٥ . الكندي ، ص ٣١٧ .
(٢) الابشهي ، ج١ ، ص ٩٩ .
(٣) الطبري ، ج٣ ، ص ٣٩٧ .
(٤) ابن سعد ، ج٥ ، ص ٣٤١ ، ٣٤٢ . ابن قتيبة ، المعارف ، ص ٢٤٤ ، الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج١ ، ص ٣٧٧ .

وجنوده ، ودعا على أهل حربه وعلى الكفار عامة[1] . فلما كانت خلافة عمر بن عبد العزيز كتب الى أمراء الأجناد : « ... فقد جمع الله تبارك وتعالى في كتابه أن أمر بالصلاة على النبي ﷺ وعلى المؤمنين والمؤمنات وأن رجالاً من القصاص قد أحدثوا صلاة على خلفائهم وأمرائهم عدل ما يصلون على النبي وعلى المؤمنات، فاذا أتاك كتابي هذا فمر قصاصكم فليصلوا على النبي ﷺ ، وليكن فيه إطناب دعائهم وصلاتهم ثم ليصلوا على المؤمنين والمؤمنات وليستغفروا الله ولتكن مسألتهم عامة للمسلمين »[2] .

كثر القصاص في العصر الأموي وأصبح لكل مسجد قاص يتولى القصص فيه واشتهر من هؤلاء الحسن البصري في البصرة[3] ، ومسلم بن جندب وكان قاص مسجد النبي ﷺ بالمدينة ، وكان إمامهم وقارئهم وفيه يقول عمر بن عبد العزيز : « من سره أن يسمع القرآن غضاً فليسمع قراءة مسلم بن جندب »[4] . ومن القصاص موسى بن سيار الأسواري الذي كانت فصاحته بالفارسية في وزن فصاحته بالعربية ، وكان يجلس في مجلسه المشهور به فتقعد العرب عن يمينه والفرس عن يساره ، فيقرأ الآية من كتاب الله ويفسرها للعرب بالعربية ثم يحول وجهه الى الفرس فيفسرها بالفارسية فلا يدرى بأي لسان هو آبين[5] ، هذا فيما يتعلق بقصص العامة ، أما قصص الخاصة فيمكن القول أنه أصبح عملاً رسمياً يؤجر عليه صاحبه . يذكر الكندي أن سليم بن عتر كان قاصاً ثم ولاه معاوية القضاء ، فأصبح على القضاء والقصص[6] ، وكان رزق ابن حجيرة الأكبر من القصص ٢٠٠ دينار[7] ، ويبدو أن هذا العمل كان محبباً الى النفوس إذ

---

(١) الكندي ، ص ٣٠٣ .
(٢) ابن عبد الحكم ، سيرة عمر بن عبد العزيز ، ص ٧٦ .
(٣) الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج١ ، ص ٣٧٧ .
(٤) الجاحظ ، المصدر السابق ، ج١ ، ص ٣٧٨ .
(٥) المصدر السابق ، ج١ ، ص ٣٧٨ .
(٦) الكندي ، ص ٣٠٣ .
(٧) المصدر السابق ، ص ٣١٧ .

عندما ولى عبد العزيز بن مروان عبد الرحمن بن حجيرة القصص خبر والـده بذلك وكان بالشام فقال : الحمد لله ذكر ابني وذكر[1] .

العامل على السوق أو المحتسب

وجدت وظيفة العامل على السوق في صدر الاسـلام[2] واستمرت طيلة العصر الأموي[3] ، وهي التي مهدت دون ريب لظهور وظيفة المحتسب حيث بدأ استعمال هذه التسمية في المشرق منذ بداية العصر العباسي ، اذ أن أول إشارة صريحة الى الحسبة والمحتسب ترجع الى أواخر النصف الأول من القرن الثاني الهجري في الترجمة التي يوردها ابن سعد لعاصم بن سليمان الأحول الذي توفي سنة ١٤٢ هـ وقد كان بالكوفة على الحسبة في المكاييل والأرزاق[4] .

وقد استمر اسم العامل على السوق على ما يبدو في الأندلس وشمال إفريقية حتى فترة متأخرة إذ يذكر ابن بشكوال في كتاب الصلة أن ابن المشاط الرعيني القرطبي (ت سنة ٣٩٧ هـ) قـد تولى أحكام الحسبة المدعوة عندنا بولايـة السوق[5] .

وقد استعمل الرسول الكريم عمر بن الخطاب على سوق المدينة ، وسعيد ابن العاص على سوق مكة ، وذلك بعد الفتح[6] ، كمـا أن سمراء بنت نهيك الأسدية كانت قد أدركت الرسول وعمرت وكانت تمر في الأسواق تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر وتضرب الناس على ذلك بسوطها[7] . وفي كنز العمال « أن

---

(١) المصدر السابق ، ص ٣١٥ .

(٢) ابن الجوزي ، تاريخ عمر بن الخطاب ، ص ١١٧ . البلاذري ، انساب ج٥ ، ص ٤٧ .

(٣) البلاذري ، انساب ، ج٤ ، قسم ١ ، ص ١٨٦ .

(٤) ابن سعد ، ج٧ ، قسم ٢ ، ص ٦٥ .

(٥) ابن بشكوال ، كتاب الصلة ، القاهرة ١٣٧٤ هـ ، ١٩٥٥ م ، ص ٣٠٢ .

(٦) عبد الرحمن بن زيدان ، كتاب العز والصولة في معالم نظم الدولة ، المطبعة الملكية ـ الرباط سنة ١٩٦٢ ، ص ٦٢ . عبد الحي الكتاني ص ٢٨٥ .

(٧) عبد الحي الكتاني ، ص ٢٨٥ .

عمر بن الخطاب استعمل عبد الله بن عتبة على السوق وأنه قد كان يباشر ذلك بنفسه »[1] ، وفي الاستيعاب أن السائب بن يزيد كان عاملاً لعمر على سوق المدينة مع عبد الله بن عتبة بن مسعود وسليمان بن أبي خيثمة[2] ، بينما كان الحارث بن الحكم على السوق في خلافة عثمان[3] ، والجعد بن قبس النمري في إمارة زياد بن أبيه[4] . وقد أسند الخلفاء الأمويون هذه المهملة لجلة أئمة الدين ووجوه المسلمين الذين لا تأخذهم في الله لومة لائم[5] .

ولما كانت وظيفة عامل السوق قد مهدت لظهور المحتسب ، فانه يمكننا أن نفترض أن سلطات عامل السوق كانت كتلك التي يتمتع بها المحتسب وان لم تكن واسعة سعتها التي وصلت اليه في العصر العباسي ، ولعل أهم عمل له كما يفهم من اسمه هو تفقد أحوال السوق وكل ماله صلة بالسوق كالتأكد من صحة المكاييل والمقاييس والأوزان المستعملة في السوق لكي يجري التعامل بها من غير غبن على الوجه الشرعي[6] ، كما كان عليه أن يتفقد عيار المثاقيل والصنج والحبات على حين غفلة من أصحابها[7] ، وقد يكون من واجبه كذلك التدخل لمنع الارتفاع الفاحش في أسعار البضائع التي كان يحتاجها الناس ، وفي حالة تواطؤ التجار واحتكارهم لأصناف الطعام المختلفة كان من واجبه التدخل لاجبار المحتكرين على البيع وذلك « لان الاحتكار حرام والمنع من فعل الحرام واجب »[8] .

الى جانب هؤلاء الموظفين هنالك ذكر للعامل على دار الرزق ويرد ذكره

---

(١) ابن الجوزي ، ص ١١٧ .
(٢) عبد الرحمن بن زيدان ، ص ٢٣ .
(٣) البلاذري ، انساب ، ج٥ ، ص ٤٧ .
(٤) المصدر السابق ، انساب ، ج٤ ، قسم ١ ، ص ١٨٦ .
(٥) عبد الرحمن زيدان ، ص ٦٣ .
(٦) الشيزري ، نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، القاهرة ١٩٤٦ ، ص ١٥،١٩ .
(٧) المصدر السابق ، ص ١٩ .
(٨) المصدر السابق ، ص ٢٢ .

لأول مرة في عهد زياد الذي بنى مدينة الرزق[1] ، وكان الحارث بن نوفل عامل زياد على دار الرزق ثم رواد بن أبي بكره[2] .

وكان الخليفة عمر قد فرض إضافة الى العطاء لكل نفس مسلمة في كل شهر مدي حنطة وقسطي زيت وقسطي خل[3] ، وفي رواية أخرى أنه فرض لكل رجل وامرأة ومملوك جريبين كل شهر[4] ، وقد قدر ذلك على أساس مقدار حاجة الفرد . ويبدو أن زياداً أوجد مكاناً خاصاً لحفظ هذه المواد وتوزيعها فسميت بمدينة الرزق ، فكان السكان يأتون بأنفسهم لأخذ أرزاقهم منها ولعله كان يعطي الأهالي صكوكاً يأخذون بموجبها ما خصص لهم من الرزق كما كان الحال في الحجاز[5] .

كان مجال التلاعب واسعاً إذا لم يكن للعامل من رادع ديني وأخلاقي ، وليس أدل على ذلك ما جاء عن أنس بن مالك قوله : يا أبا بكره فيم تجد على أخيك زياد ، فان كنت تجد عليه في شأن الدنيا فانه يقول : قد استعملت ابنه على الديوان واستعملت ابنه الآخر على كذا واستعملت ابنه الآخر على مدينة الرزق وما أبالي أوليت رجلاً مدينة الرزق أم فتحت له بيت مالي[6] .

وظهر في العصر الأموي موظف باسم خازن بيت المال وكانت وظيفته تسجيل وزن النقد الذي يدخل بيت المال وكميته[7] ، ولم يكن للنبي بيت مال ولا لأبي بكر ، وأول من اتخذ بيت مال عمر بن الخطاب[8] الذي كان يعتبر نفسه الخازن والقاسم[9] .

---

(١) الطبري ، ج٥ ، ص ٥٢٢ .
(٢) البلاذري ، انساب ، ج٤ ، ق١ ، ص ١٨٦ .
(٣) البلاذري ، فتوح ، ص ٤٤٧ .
(٤) المصدر السابق ، ص ٤٤٦ .
(٥) مالك بن أنس ، المدونة ، القاهرة ١٣٢٤ هـ ج٣ ، ص ٩٣ ، ٩٦ ، ابن حنبل ، المسند القاهرة ١٣١٣ ، ج٢ ، ص ٣٢٩ .
(٦) البلاذري ، أنساب ، ج١ ، ص ٤٩٤ .
(٧) البلاذري ، أنساب ج٤ ق١ ص ٢١٠ .
(٨) ابن الجوزي ، ص ١١٩ .
(٩) المصدر السابق ، ص ١٢٠ .

هؤلاء هم أهم الموظفين الـذين كانوا يساعدون الخلفاء والأمـراء في إدارة شؤون الدولة الاسلامية ، وقد أخذ عدد الموظفين يزداد نتيجة الاستجابة للحاجة الملحة الحاصلة عن تطور المجتمع وتعقد الادارة ، وكلما ازدادت إدارة الدولة تعقيداً كلما ازداد عدد الموظفين وتحددت اختصاصاتهم كمـا حدث في العصر العباسي •



الفصل السادس

دور الموالي وأهل الذمة في الادارة

الموالي ودورهم في الادارة

الموالي في نظر مؤرخي التاريخ الاسلامي هم المسلمون من غير العرب فكان كل فرد من غير العرب من أبناء الدولة الاسلامية يصبح مولى اذا اعتنق الاسلام ويقف على قدم المساواة التامة مع أخيه العربي المسلم ، لا فرق بينهما ولا فضل لاحدهما على الآخر الا بالتقوى ؛ وقد تجلت معالم المساواة بين العرب والموالي منذ فجر تاريخ الدولة الاسلامية عندما فرض عمر بن الخطاب لسلمان الفارسي في أربعة آلاف درهم وفرض للهرمزان في ألفين من العطاء[١] ، كما فرض عمر لكبار دهاقين فارس والعراق الذين أسلموا تقديراً لخدماتهم للدولة الفتية[٢]، وكتب عمر بن الخطاب الى أمراء الأجناد : ومن أعتقتم من الحمراء فاسلموا فالحقوهم بمواليهم لهم مالهم وعليهم ما عليهم ، وان أحبوا أن يكونوا قبيلة وحدهم فاجعلهم أسوتهم في العطاء[٣] ، وعندما بلغ عمر بن الخطاب أن قوماً قدموا على عامل له فأعطى العرب منهم وترك الموالي كتب اليه: « أما بعد فبحسب المرء من الشر أن يحقر أخاه المسلم والسلام »[٤] .

(١) البلاذري ، فتوح ، ص ٤٤٣ .
(٢) المصدر السابق ، ص ٤٤٢ .
(٣) المصدر السابق ، ص ٤٤٤ .
(٤) المصدر السابق ، ص ٤٤٣ .

نظم الموالي حياتهم الاجتماعية في أول الامر بالانضمام الى أقوى القبائل العربية المقيمة في الأمصار الاسلامية القريبة طلباً للحماية وتوفيراً لأسباب الطمأنينة والاستقرار ، ومن ذلك ما قامت به الأساورة الذين كانوا في الأصل قوة عسكرية ساسانية تحارب في الأهواز ، فلما تحققوا عدم جدوى مقاومة العرب ، قرروا الدخول في الاسلام وعقدوا مع أبي موسى اتفاقية يحاربون بموجبها أعداء العرب من العجم على أن يسمح لهم بالنزول في أي بلد يشاؤون ، وأن يلحقوا بشرف العطاء ، فلما صاروا الى البصرة سألوا أي الاحياء أقرب نسباً الى رسول الله فقيل بنو تميم ، ثم خطت لهم خططهم فنزلوا وحفروا نهرهم وهو يعرف بنهر الأساورة[1] ، ونزل الكوفة أربعة آلاف من الفرس كانوا يعملون في الجيش الفارسي وشهدوا القادسية مع رستم وقد فاوضوا سعداً على أن ينزلوا الكوفة حيث أحبوا ويحالفوا من أحبوا ويفرض لهم في ألف ألف[2] .

ودخل مع عمرو بن العاص قوم من العجم يقال لهم الحمراء والفارسيون ، فأما الحمراء فقوم من الروم فيهم بنو ينه وبنو الأزرق وبنو روبيل[3] ، والفارسيون وفيهم كما زعموا قوم من الفرس كانوا بصنعاء فنزل الروم الحمراء التي بالقنطرة ونزلت الفرس بناحية بني وائل ، ومسجد الفارسيين هنالك مشهور[4] .

بالاضافة الى هؤلاء الموالي الذين كانوا من الأعاجم الاحرار الذين أسلموا ووضعوا أنفسهم تحت حماية أفراد أو عشائر[5] ، كان هناك الموالي الذين يعرفون بموالي العتاقة ، ومولى العتاقة هو العبد الذي أعتقه سيده

---

(١) المصدر السابق ، ص ٣٦٦ . الطبري ، ج٤ ، ص ٩٠ .
(٢) البلاذري ، فتوح ، ص ٢٧٩ .
(٣) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ، ص ١٢٩ .
(٤) المصدر السابق ، ص ١٢٩ .
(٥) يمكن للموالي الاحرار ان يتركوا ولاءهم متى شاؤوا مادامت العشيرة لم تدفع عنهم دية عن جريمة ارتكبوها ، فاذا دفعت العشيرة الدية اصبح ولاؤهم ثابتا لا يستطيعون تركه ، أبو حنيفة ، مسانئد حيدراباد ١٣٣٢ هـ ج٢ ، ص ١٧٤ .

فأصبح حراً له ما للأحرار ، وعليه ما عليهم ولكنه يبقى مرتبطاً بسيده القديم برابطة الولاء[1] .

كان العرب في جاهليتهم يغزو بعضهم بعضاً ، فيكونون أرقاء . جاء في كتاب طبقات ابن سعد أن زيد بن حارثة مولى رسول الله كان من قضاعة وأمه من طيء أصابه سبي في الجاهلية عندما أغارت خيل لبني القين بن جسر في الجاهلية على أبيات بني معن رهط أم زيد فاحتملوا زيداً وهو يومئذ غلام يفعه ، فوافوا به سوق عكاظ فعرضوه للبيع فاشتراه منهم حكيم بن حزام بن خويلد لعمته خديجة بنت خويلد بأربع مائة درهم . فلما تزوجها رسول الله ﷺ وهبته لرسول الله فأعتقه[2] . وكان هؤلاء الأرقاء في الجاهلية وعلى عهد رسول الله منهم العرب ومنهم غير ذلك سود وبيض ، وكان هؤلاء البيض من الممالك التي حول جزيرة العرب[3] ، وكثير من الصحابة جرى عليهم الرق كبلال وكان حبشياً[4] وسلمان وكان فارسياً[5] ، وصهيب بن سنان وكان يلقب بالرومي[6] ، فلما انتشر الاسلام لم يعد يقبل من العربي المشرك الا الاسلام أو القتل وأصبح غير محل للاسترقاق حتى لو وقع أسيراً فاما أن يسلم واما أن يقتل[7] .

كان الموالي يحملون اسم عشيرة سيدهم مرفقة بكلمة مولى اشارة الى أن رابطتهم بالعشيرة هي رابطة اجتماعية ، لا رابطة دم ، وكانت صلة الولاء بوجه عام تستوجب التناصر والتعاون ، فقد كان الموالي يقومون بخدمات لأسيادهم

---

(١) منير العجلاني ، ص ٣٣ .
(٢) ابن سعد ج٣ ، قسم١ ، ص ٢٧ .
(٣) احمد امين ، فجر الاسلام ، ص ٨٨ .
(٤) ابن سعد ج٣ ، قسم ١ ، ص ١٦٥ .
(٥) المسعودي ، مروج الذهب ، ج٢ ، ص ٣٠٦ .
(٦) ابن سعد ، ج٣ ، قسم١ ، ص ١٦١ وصهيب عربي كان ابوه سنان بن مالك أو عمه عاملا لكسرى على الابلة وكانت منازلهم بأرض الموصل ، فاغارت الروم على تلك الناحية فاصابت صهيبا وهو غلام صغير .
(٧) احمد امين ، فجر الاسلام ، ص ٨٨ .

أو يعينوهم في الأزمات[1] كما كانوا يحاربون بجانب أسيادهم ، فقد كان مع عباد بن زياد[2] ألفان من مواليه[3] يقاتلون معه ، وكان مع عباد بن الحصين[4] ٧٠٠ من مواليه وعبيده في مرج راهط[5] ، وكان المولى بدوره يستفيد فوائد طيبة ، إذ يستطيع أن يتمتع بحماية السيد وعشيرته ولا ريب في أنه كان لهذا أهمية كبيرة عندما كان نظام العشيرة قوياً جداً ، وكانت سلطة الأمير محدودة .

هذا وان الفكرة الشائعة عن بني أمية والتي أذاعها فون كريمر[6] وفان فلوتن[7] وبراون[8] ، ورددها كما هي جرجي زيدان[9] وفيليب حتي[10] ونقلها بعض المؤرخين المحدثين مثل حسن ابراهيم حسن[11] وعلي حسني الخربوطلي[12] وغيرهم وهي أن بني أمية كانوا متعصبين ضد الموالي وأنهم استغلوهم واضطهدوهم واحتقروهم وانه كان من نتائج ذلك سخط الموالي الذي تولد عنه سقوط الدولة الأموية . واعتمد هؤلاء بالدرجة الاولى

---

(١) النويري ، ج ٢١ ، ص ٣٦٤ .

(٢) عباد بن زياد بن أبيه كان معاوية قد ولاه سجستان سنة ٥٣ هـ فغزا بلاد الهند وكان في الشام أيام عبد الملك بن مروان ـ الزركلي ، أعلام ج٤ ، ص ٢٨ .

(٣) البلاذري ، انساب ، ج٥ ، ص ١٦٥ .

(٤) عباد بن الحصين كان فارس بن تميم ولي شرطة البصرة أيام ابن الزبير ، وكان مع مصعب أيام قتل المختار ، وقد أدرك فتنة ابن الاشعث وهو شيخ مفلوج فأشار عليه بأشياء ، فخاف الحجاج وهرب نحو كابل حيث قتله العدو ، ابن قتيبة ، المعارف ، ص ١٨٢ .

(٥) البلاذري ، انساب ، ج٥ ، ص ٢٦٧ .

(٦) Von Kremer, Kulture Geschictlische Streifzuge Auf dem Gebiet des Islames, Calcutta, 1950, pp. 78-82 .

(٧) فان فلوتن ، الشيعة والاسرائيليات لاسيما صفحات ٢١ وما بعدها و٣٥ وما بعدها عندما يتكلم عن حالة الموالي السياسية والاجتماعية .

(٨) Brown, A Literary History of Persia, London, 1959, pp. 232 - 240 .

(٩) جرجي زيدان ، تاريخ التمدن الاسلامي ، ج٢ ص ٢١ ج٤ ، ص ٥٨ـ٦١ .

(١٠) فيليب حتي ، تاريخ العرب مطول ط ١٩٥٠ ج٢ ، ص ٣٩٩ ، ٣٠٠ .

(١١) تاريخ الاسلام السياسي ج١ ، ص ١٣ ، ١٤ ، ص ١٤٧ وما بعدها وص ٢٦٢ بعنوان تعصب الامويين للعرب .

(١٢) تاريخ العراق في ظل الحكم الاموي في بحث الموالي خاصة ص ٢٥٥و٢٥٦ .

على روايات وأخبار متفرقة وردت في العقد الفريد[١] ، وبعض الأخبار القليلة المبعثرة في كتاب الأغاني ، وهي أخبار تسجل حالات فردية لا يمكن أن تستخرج منها قاعدة عامة تصف سياسة الدولة أو الرأي العام ، كما أن جل الأخبار الواردة كما يقول الدكتور الدوري هي أخبار تتصل بالبيئات القبلية وبمفاهيمها وهي بيئات لا تحترم الحرف اليدوية أو الفلاحة وتعتز بالفروسية وبفن القتال ، وطبيعي أن تكون نظرة هؤلاء الى الموالي من فلاحين وصناع نظرة لا تتسم بالاحترام[٢] ، أما الكتاب ورجال العلم من الموالي فمنزلتهم محترمة حتى في الأوساط القبلية ، فقد عاش الحسن البصري عيشة الزعماء في البصرة ولقي احترام الجميع واجلال السلطة ورجالها ، ويذكر ابن خلكان أنه عندما توفي الحسن البصري « تبع الناس كلهم جنازته واشتغلوا به فلم تقم صلاة العصر بالجامع ولا أعلم أنها تركت منذ كان الاسلام الا يومئذ لأنهم تبعوا كلهم الجنازة حتى لم يبق بالمسجد من يصلي العصر »[٣] ، والأمثلة على الاحترام الذي كان يلاقيه الموالي من بين العلماء كثيرة ، يكفي أن نقرأ كتب الرجالات حتى نتبين أن مكانة هؤلاء العلماء كانت واحدة سواء أكان العالم أو الفقيه عربياً أو مولى ٠

هذا ولا بد أن نلاحظ أن النظرة الى المولى تتصل كما يقول الدكتور الدوري بذلك التقابل بين القبلية ومبادىء الاسلام ، فكلما تغلغلت مبادىء الاسلام وتمثلها الناس في سلوكهم واتجاههم كلما كانت نظرتهم التأكيد على المساواة واعتبار الاسلام خير ضمان للفرد أو للجماعة في الكيان الاجتماعي[٤] ، وهذا يفسر كذلك ظاهرتين تستدعيان الانتباه : أولاهما عدم لجوء كل المسلمين من غير العرب إلى الولاء بل نرى أن البعض يكتفون بدخول الاسلام دون ارتباط بقبيلة أو بجهة عربية ، وهذا يعني ازدياد سيطرة الدولة واعتبارها الضمان

---

(١) ابن عبد ربه ج٣ باب المتعصبين للعرب ، ص ٤١٢ ــ ٤١٧ ٠

(٢) عبد العزيز الدوري ــ مقدمة في التاريخ الاقتصادي بيروت ، ط ١٩٦٩ ص ٤٢ ٠

(٣) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج١ ، ص ١٢٩ ٠

(٤) عبد العزيز الدوري ، ص ٤٢ ٠

المشاركة في المجتمع ، كما يعني تخلخل العصبية القبلية وازدياد قوى المبادىء الاسلامية التي تؤكد على المساواة[1] ، كما يلاحظ دخول الموالي بأعداد متزايدة بمرور الزمن في الأحزاب السياسية وهي أحزاب عربية قامت حول الخلافة ومفهوم الحكم . ولكن قيادة الأحزاب كانت وبقيت عربية في هذه الفترة وهذا يؤكد نقطة ثالثة وهي أن الثورات التي قامت في العصر الأموي هي ثورات عربية وأن الموالي شاركوا فيها مع حلفائهم (مواليهم) أو مع رؤسائهم قادة الأحزاب ولا نجد ثورة للموالي تستحق الذكر في الشرق قامت تحت رايتهم أو بدعوتهم[2] . أما ثورة البربر في المغرب في سنة ١٢٢ هـ فلم تكن موجهة ضد الخلافة وانما ضد عمر بن عبد الله المرادي عامل طنجة وما والاها الذي أساء السيرة وأراد تخميس البربر وزعم أنهم فيء للمسلمين ، وذلك مالم يرتكبه عامل قبله وانما كان الولاة يخمسون من لم يجب للاسلام وقد استغل هذه الثورة البربر الذين انتشرت بينهم دعوة الخوارج وكان معظمهم من قبيلة برغواطة[3] .

واذا كان العرب والمراد بهم الجند متميزين عن الموالي في العطاء ، فقد كان هذا من مظاهر التطور الطبيعي لمجتمع كان تكوينه أولاً من العرب فمنهم تألف الجيش وهم الذين حملوا الرسالة وعلى أكتافهم قام بناء الدولة ، فكان طبيعياً أن تكون لهم بعض الميزات ، ثم نلاحظ من رواية ابن وهب عن ابن لهيعة ميل الخلفاء الأمويين الى زيادة عطاء الموالي ، إذ يقول ابن لهيعة : كان معاوية فرض للموالي خمسة عشر فبلغهم عبد الملك عشرين ، ثم بلغهم سليمان خمسة وعشرين ثم قام هشام فأتم للأبناء منهم ثلاثين[4] . وبالرغم من أن هذه الرواية غير واضحة تماما لأننا قد نتساءل : هل العطاء هو بالدينار أم بالدرهم ؟ وهل المبلغ شهري أم سنوي ؟ الا أنه على أي حال يوحي بهذا الاتجاه نحو الزيادة في

---

(١) المصدر السابق ، ص ٤٣ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٤٣ ، ٤٤ .

(٣) ابن عذارى ، ج١ ، ص ٥٢ .

(٤) ابن عبد ربه ، ج٤ ، ص ٤٠٠ .

العطاء ، كما أننا يجب أن نشير الى أن البدو وهم من العرب لم يكن لهم عطاء عندما كانوا يتطوعون في الجيش ، وقد جاء في سيرة عمر بن عبد العزيز قوله[1] : « أما الهجرة فانا نفتحها لمن هاجر من أعرابي فباع ماشيته وانتقل من دار أعرابيته الى دار الهجرة والى قتال عدونا فمن فعل ذلك فله أسوة المهاجرين فيما أفاء الله عليهم ... وقد كان المهاجرون يجاهدون على غير عطاء ولا رزق يجري عليهم ، فيوسع الله عليهم ويعظم الفتح لهم ولمن تأسى بهم وعمل بصالح سنتهم ممن يحبون من اخوانهم ليوجبن الله له الأجر في الآخرة وليعظمن له الفتح في الدنيا » . وكان في خراسان في ولاية قتيبة بن مسلم الباهلي ما يزيد عن ٣٠ ألف مقاتل عربي وسبعة آلاف من الموالي ، وعليهم حيان النبطي مولى بني شيبان[2] ، وليس هنالك إشارة الى أن هؤلاء المقاتلة من الموالي لم يكن لهم عطاء والا لذكر ذلك ، وقد رأينا كيف أن حسان عندما استقرت له الأمور في إفريقية عامل البربر المسلمين معاملته للعرب وقسم بينهم الأرض والفيء ، ومن الأرجح أن الموالي الذين كانوا يحاربون بلا عطاء هم موالي العتاقة المرتبطين بأسيادهم ، وهذا مانفهمه من قول البلاذري مثلاً أنه كان مع عباد بن زياد ألفان من مواليه يقاتلون معه[3] ، وانه كان مع عباد بن الحصين ٧٠٠ من مواليه وعبيده . ومن الطبيعي أن لا يوزع العطاء على السيد وعلى مواليه وعبيده بل يكتفى باعطائهم نصيبهم من الغنائم ، وهذا ما نفهمه كذلك من قول شبث بن ربعي للمختار بن ابي عبيد : « عمدت الى موالينا وهم فيء أفاءه الله علينا ، فاعتقنا رقابهم نأمل الأجر في ذلك والثواب والشكر فلم ترض لهم بذلك حتى جعلتهم شركاء في فيئنا »[4] .

أما مسألة أخذ الجزية ممن أسلم فقد بولغ فيها كثيراً وقد رأينا عند البحث

(١) ابن عبد الحكم ، سيرة عمر بن عبد العزيز ، ص ٨٠ .
(٢) النويري ، ج٢١ . ص ٣٤٠ .
(٣) البلاذري ، أنساب ، ج٥ ، ص ١٦٥ .
(٤) المصدر السابق ، ج٥ ، ص ٢٦٧ .

عن جباية الأموال أن الخطوة الأولى بدأت من عمال الخراج أنفسهم لا من الحجاج ، ولم تكن سياسة مرسومة عامة بل نشأت عن ظروف محلية وتداخلت فيها عوامل السياسة ولئن كان الحجاج قد أجبر الموالي الذين لجأوا الى البصرة على العودة الى قراهم فانه أجبر أيضاً أهل العراق ــ العرب على العودة من الحجاز الى أوطانهم ، بل كان هذا نفسه هو السبب في عزل والي المدينة إذ ذاك عمر بن عبد العزيز حين لجأ المهاجرون إليه[1] .

ثم إن أول حدوث لهذه المسألة كان في ولاية الحجاج سنة ٨٢ هـ أي بعد مضي أربعين عاماً على قيام الدولة الأموية دون أن يكون هناك وجود لهذه المشكلة ، والمرة الثانية كانت بعد ذلك في ولاية أشرس على خراسان سنة ١١٠ هـ ولم تكن متعلقة بالموالي الفرس بل بالترك وأهل الصغد فيما وراء النهر ، وقد أبطل المحاولة الأولى عمر بن عبد العزيز كما ألغى الثانية نصر بن سيار وهما أمويان أي من رجال الدولة الأموية[2] .

هذا وان الحقائق التي ستذكر تبين خلافاً لما ترمي اليه تلك الدعاوي أن الأمويين اعتمدوا على الموالي وأشركوهم وعينوهم في أرقى المناصب ، بل إن نصيبهم في الوظائف العامة كان أكبر من نصيب العرب لاسيما في الادارة المالية ، فممن ظهر في ميدان الولاية والحرب أبو المهاجر مولى مسلمة بن مخلد[3] الذي عين والياً على إفريقية بعد عزل عقبة بن نافع ، وعقد حسان بعد مقتل الكاهنة لولدي الكاهنة لكل واحد منهم على ستة آلاف فارس وأخرجهم مع العرب[4] ، وكان والي برقة لعبد العزيز بن مروان مولى له[5] ، وفي أثناء ولاية موسى بن

---

(١) الطبري ، ج٦ ، ص ٩٤ ، النويري ، ج٢١ ، ص ٢٤،٢٥ .
(٢) الطبري ، ج٦ ، ص ٤٨٥ ، ٤٨٦ .
(٣) ابن عذارى ، ج١ ، ص ١٧ .
(٤) المصدر السابق ، ج١ ، ص ٢٩ .
(٥) ابن قتيبة ، الامامة والسياسة ، ج٢ ، ص ٤٩ .

نصير[1] على إفريقية استعمل مولاه طارقاً على طنجة وما والاهـا[2] ، وولى سليمان بن عبد الملك على إفريقية بعد استشارة رجاء بن حيوة محمد بن يزيد مولى قريش[3] الذي سار أحسن سيرة وأعدلها في إفريقية ، وكان اسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر مولى بني مخزوم والياً على إفريقية لعمر بن عبد العزيز فكان حريصاً على دعاء البربر الى الاسلام حتى أسلم بقية البربر بافريقية على يديه[4] . وفي سنة ١٠١ هـ ولى الخليفة يزيد بن عبد الملك يزيد بن ابي مسلم مولى الحجاج وصاحب شرطته واليا على إفريقية[5] ، وفي سنة ١١٦ هـ قدم عبيد الله بن الحبحاب مولى بني سلول وقد كان على خراج مصر في بادىء الامر ثـم تناهت به الحال الى أن أصبح والياً على إفريقية والاندلس والمغرب كله[6] .

أما في المشرق فاننا إذا استثنينا الحكام المحليين الذين أسلموا واستمروا يمارسون سلطاتهم تحت إشراف العمال العرب والذين يمكن أن نفترض بأنهم كانوا يعتمدون على أبناء المنطقة في تسيير شؤون إدارتهم ، فإن القـادة العرب اعتمدوا على رجال من الموالي من أصحاب الرأي في الحرب والمشورة مثـل الفضل بن بسام وعبد الله بن أبي عبد الله والبختري بن مجاهد ، وكان هـذا الأخير مستشار نصر بن سيار وصاحب أمره[7] . وكان هارون بن السياوش قائد خراسان ونيزك بن صالح حاكم الشاش من الموالي[8] .

وقد اعتمد زياد بن أبيه على الموالي وكتب إلى معاوية يوصيه باستخدامهم لأنهم أنصر وأغفر وأشكر[9] ، كما استخدمهم في جباية الخراج ، وكذلك فعل

---

(١) يذكر ابن خلكان موسى بن نصير اللخمي بالولاء ج٢ ، ص ١٣٤ أي انه مولى ، وفي الكندي ان عبد العزيز ولى موسى بن نصير مولى لخم ص ٥٢ .

(٢) ابن عذارى ، ج١ ، ص ٣٦ .

(٣) المصدر السابق ، ج١ ، ص ٤٤ .

(٤) المصدر السابق ، ص ٤٥ .

(٥) المصدر السابق ، ص ٤٦ .

(٦) المصدر السابق ، ص ٥١ .

(٧) ضياء الدين الريس ، ص ٢٨٢ . العدوي ، النظم الاسلامية ، ص ٣٨٧ .

(٨) دانيل دينيت ، ص ٧٣ .

(٩) البلاذري ، أنساب ، ج٤ ، قسم ١ ، ص ٢٣ .

ابنه عبيد الله لأنه وجد الدهاقين أبصر بالجباية وأوفى بالأمانة وأهون على المطالبة[١] ٠

وكان معاوية بن أبي سفيان قد عين مولاه عبد الله بن دراج على خراج العراق في ولاية المغيرة بن شعبة[٢] ، وكان وردان مولاه على خراج مصر في ولاية عتبة بن أبي سفيان وكعامل للخراج رفض وردان ما طلبه منه معاوية عندما كتب إليه أن يزيد على كل رجل من القبط قيراطاً فأجابه : « كيف نزيد عليهم وفي عهدهم أن لا يزاد عليهم شيء »[٣] ٠ وعين الحجاج صالح بن عبد الرحمن على ديوان الخراج بعد أن عرّبه[٤] ٠ وفي خلافة سليمان بن عبد الملك أشار يزيد بن المهلب على سليمان أن يولي صالح بن عبد الرحمن الخراج فولاه وسيّره قبل يزيد فنزل واسطاً ، ولما قدم يزيد خرج الناس يتلقونه ، ولم يخرج صالح حتى قرب يزيد فخرج وبين يديه أربعمائة من أهل الشام فلقي يزيد وسايره ولم يمكنه من شيء وضيق عليه[٥] ٠

وكان ميمون بن مهران (وقد كان مملوكاً لامرأة من الأزد فاعتقته) والياً لعمر بن عبد العزيز على خراج الجزيرة ، وكان ابنه عمرو بن ميمون على الديوان وكان قد ولى قبل ذلك بيت المال بحران لمحمد بن مروان[٦] ٠

كان معظم رؤساء الدواوين في خلافة بني أمية من الموالي فكان أبو الزعيزعة مولى عبد الملك على الرسائل وسليمان بن سعد مولى خشين على الخراج والجند بعد أن ترجم ديوان الشام الى العربية[٧] ، وبقي سليمان بن سعد على الخراج

---

(١) المصدر السابق ، انساب ، ج٤ ، قسم ٢ ، ص ١٠٩ ٠
(٢) البلاذري ، فتوح ، ص ٢٩١ ٠
(٣) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ٨٦ ٠
(٤) البلاذري ، فتوح ، ص ٢٩٨ وكان أبو صالح من سبي سجستان ٠
(٥) النويري ، ج٢١ ، ص ٣٤٤ ٠
(٦) ابن سعد ، ج٧ ، قسم٢ ، ص ١٧٧ ، ١٧٨ ٠
(٧) خليفة بن خياط ، ج١ ، ص ٣٩٥ ٠

والجند في خلافة الوليد بن عبد الملك وسليمان بن عبد الملك[1] وكان جناح مولى الوليد بن عبد الملك على الرسائل وعمرو بن الحارث مولى عامر بن لؤي على الخاتم ثم دفعه الوليد بن عبد الملك الى جناح مولاه[2] . وكانت ليث بن أبي رقيه مولى أم الحكم بنت أبي سفيان كاتب الرسائل للخليفة سليمان بن عبد الملك ، ونعيم بن أبي سلامة مولى لأهل اليمن على الخاتم ، وعبد الله بن عمرو بن الحارث مولى بني عامر بن لؤي على بيوت الأموال والرقيق والنفقات[3] .

وقد بقي الليث بن أبي رقية كاتباً للرسائل في خلافة عمر بن عبد العزيز[4] ، وكان سالم مولى سعيد بن عبد الملك كاتب الرسائل في خلافة هشام بن عبد الملك وعبيد الله بن الحبحاب مولى بني سلول على الخراج والجند ، ثم ولاه الخراج في مصر وجعل مكانه سعيد بن عقبة مولى بني الحارث بن كعب ، وعلى الخاتم الربيع بن شابور مولى بني الحريش وعلى الخاتم الصغير والخاصة اصطخر أبو الزبير مولاه[5] ، وكان من أشهر من نبغ من الكتاب من الموالي عبد الحميد الكاتب ، وكان مروان بن محمد يحبه ويرفع منزلته بين الكتاب والعمال « ولا يرى الدنيا إلا به لعلمه بنبوغه وتفرده في صناعة الكتابة »[6] .

أما منصب القضاء فقد وليه الموالي أيضاً ، فقد ظل شريح قاضياً خمساً وسبعين سنة من خلافة عمر بن الخطاب حتى ولاية الحجاج بن يوسف الثقفي وقيل إنه من اولاد الفرس الذين قدموا اليمن مع سيف بن ذي يزن وعداده في كنده[7] ويشير ابن خلكان كذلك الى أن في نسبه اختلافاً كثيراً[8] .

---

(١) المصدر السابق ، ج١ ، ص ٤١٨ ، ٤٣١ ، ٤٣٢ .
(٢) المصدر السابق ، ج١ ، ص ٤١٨ ، ٤١٩ .
(٣) المصدر السابق ، ج١ ، ص ٤٣١ ، ٤٣٢ .
(٤) المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٤٦٨ .
(٥) خليفة بن خياط ، ج٢ ، ص ٥٤٥ .
(٦) محمد كرد علي ، أمراء البيان ، دار الامانة بيروت ، الطبعة الثالثة سنة ١٩٦٩ .
(٧) الدميري ، حياة الحيوان ، المطبعة الاميرية ، ١٣٧٤ هـ ج١ ، ص ٣٦ . ابو الفرج الاصبهاني ، ج ١٧ ، تحقيق علي محمد البجاوي ،ط. ١٩٧٠ ، ص ٢١٥ .
(٨) ابن خلكان ج١ ، ص ٢٢٤ .

وقد ولى الحجاج سعيد بن جبير القضاء فلما ضج أهل الكوفة وقالوا لا يصلح القضاء الا لعربي ولى أبا برده وأمره أن لا يقطع أمراً دونه[1] وجعله كاتباً ووزيراً له[2] ، وكان عامر الشعبي على قضاء الكوفة والحسن بن أبي الحسن البصري على قضاء البصرة وهما من الموالي[3] ، كما أن عبد الله بن يزيد بن خذامر الصنعاني مولى سبأ ولي القضاء بمصر في خلافة عمر بن عبد العزيز[4] . وجعل عمر بن عبد العزيز الفتيا الى ثلاثة بمصر ، رجلان من الموالي ورجل من العرب ، أمـا العربي فجعفر بن ربيعة ، وأمـا المولبان فيزيد بن أبي حبيب وعبد الله بن جعفر[5] . وكان الليث بن سعد مولى أصله من خراسان ومولده في قلقشنده كان إمام أهل مصر في عصره حديثاً وفقهاً . قال ابن تغري بردي « كان كبير الديار المصرية ورئيسها وأمير من بها في عصره ، بحيث أن القاضي والنائب من تحت إمرته ومشورته »[6] .

نرى مما تقدم أنه ليس ثمة من منصب والا كان فيه للموالي نصيب ، وهذا يـدل على أن الأمويين كانوا ينظرون الى الأمور نظرة موضوعية ويحاولون الاستعانة بجميع العناصر التي تثبت كفاءتها وقدرتها على الاشتراك في ادارة الدولة وتثبيت سلطان بني أمية سواء أكانوا من العرب أو الموالي .

أهل الذمة ودورهم في الادارة

أهل الذمة هم الذين شملهم الاسلام من النصارى واليهود بعهده وأمانه ، ثم أولئك الذين طبق عليهم المسلمون فيما بعد قواعد ونظام أهل الذمة « وكان

---

(١) البلاذري ، أنساب ، ج٤ ، قسم ١ ، ص ٣٩ .
(٢) ابن قتيبة ، عيون الاخبار ، ج١ ، ص ٦٢ ، ابن خلكان ج١ ، ص ٢٠٥ .
(٣) الطبري ج٦ ، ص ٥٥٤ ، النويري ج٢١ ، ص ٣٥٩ .
(٤) الكندي ، ص ٣٣٨ .
(٥) احمد أمين ، فجر الاسلام ، ص ١٩١ .
(٦) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج٢ ، ص ٨٢ .

الرسول الكريم أول من طبق عملياً قواعد نظام أهل الذمة على النصارى واليهود في الحجاز ثم على مجوس البحرين ، إذ فرض الجزية على النصارى واليهود ثم قررها أيضاً على المجوس قائلاً : « سنوا بهم سنة أهل الكتاب »[1] . وكان أخذ الجزية امتثالاً لقوله تعالى : « قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ، ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية على يد وهم صاغرون »[2] . وقد كانت الجزية مقابل المنعة وتعهد المسلمين بالمحافظة على أرواح السكان وأموالهم ودياناتهم واعفائهم من الخدمة العسكرية ، ولم تكن كما يحاول البعض توضيحها نوعاً من العقوبة والجزاء ، وكيف تكون كذلك وقد فرضت على الذكور والبالغين من أهل الذمة ولم تفرض على النساء والأطفال والشيوخ ؟ وكيف يمكن اعتبارها عقوبة وهذا خالد يطرح الجزية عن كل شيخ ضعيف عن العمل أو أصابته آفة من الآفات أو كان غنياً فافتقر ؟ ولم يكتف بطرح الجزية عن هؤلاء بل جعل بيت مال المسلمين مسؤولاً عن إعالتهم وإعالة عائلاتهم ما أقاموا بدار الهجرة ودار الاسلام[3] .

تتابع الخلفاء الراشدون والأمويون على تطبيق القواعد التي وضعها الرسول الكريم في نظام أهل الذمة ، لا سيما وأن الفتوحات التي تمت في عهد الراشدين والأمويين تطلبت تطبيق نظام أهل الذمة على سكان الولايات التي خضعت للمسلمين من حدود الصين شرقاً الى جبال البرانس غرباً ، وقد تباينت أديان أولئك السكان ومذاهبهم الدينية التي كان أهمها المجوسية في فارس والبوذية في الهند الى جانب المسيحية واليهودية في الجزيرة والشام ومصر والوثنية في بلاد المغرب الى جانب المسيحية في إفريقية والاندلس .

عامل الخلفاء الراشدون أهل الذمة معاملة حسنة وتابع الأمويون سياسة

---

(١) البلاذري ، فتوح ، ص ٢٦٦ .

(٢) سورة التوبة ، الاية ٢٩ .

(٣) محمد حميد الله ، مجموعة الوثائق السياسية ، ص ٣١٦ ، ٣١٧ .

حسن معاملة أهل الذمة ، وتجلت في عهد الأمويين خاصة ممارسة أهل الذمة لشتى الحقوق التي تجعل منهم رعايا عاملين في الدولة مع احترام حرية دينهم • واذا كان عمر بن الخطاب قد ترك تصريف الشؤون المحلية للسكان من أهل الذمة فانه كان يكره استخدام غير المسلمين في الأمور المتعلقة بالمسلمين ، ومن ثم فقد غضب عندما أخبره أبو موسى الاشعري أن كاتبه نصراني ، وقال : قاتلك الله ! أما سمعت قول الله عز وجل : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء » ! الا اتخذت رجلاً حنيفياً ؟[1] وعندما ذكر لعمر بن الخطاب غلام كاتب حافظ من أهل الحيرة نصراني واقترح عليه أن يتخذه كاتباً قال : « لقد اتخذت اذاً بطانة من دون المؤمنين »[2] • وكتب بعض العمال الى عمر أن العدد قد كثر وان الجزية قد كثرت وسألوه أن يسمح لهم بالاستعانة بالأعاجم فرفض[3] •

أما معاوية بن أبي سفيان فانه رأى منذ أن كان والياً أن النصارى من الروم والعرب أكثرية في سورية وكان منهم أصحاب الحرف والموظفين والأطباء والكتاب ، وأنه لا يمكن الاستغناء عن هؤلاء إذا أراد أن يحسن إدارة الولاية فأبقاهم في وظائفهم وقرب النابهين منهم • وعهد معاوية بالادارة المالية الى أسرة مسيحية ظلت تتوارث فيما بينها تلك الادارة ، وهي أسرة سرجون[4] ويقال إن معاوية عين طبيبه ابن أثال عاملاً على خراج حمص[5] •

وكان زاذان فروخ يكتب لزياد بن أبيه[6] ، واسطفانوس لعبد الرحمن بن زياد في خراسان[7] ، وكتب أبن بطريق وهو رجل من أهل فلسطين لسليمان بن

(١) ابن قتيبة ، عيون الاخبار ، ج١ ، ص ٤٣ •
(٢) المصدر السابق ، ج١ ، ص ٤٣ ـ الابشهي ، ج١ ، ص ١١٠ •
(٣) الابشهي ، ج١ ، ص ١١١ •
(٤) Tritton, p. 16 .
(٥) Ibid. p. 16 .
(٦) الجهشياري ، ص ٣٤ •
(٧) المصدر السابق ، ص ٢٩ •

عبد الملك وهو الذي أشار عليه ببناء الدولة[1] • ومن كتاب هشام بن عبد الملك تاذري بن أسطين النصراني فقلده ديوان حمص[2] ، وكان أكثر كتاب خراسان إذ ذاك مجوساً وكانت الحسابات بالفارسية ، فلما كانت إمارة يوسف بن عمر العراق سنة ١٢٤ هـ كتب الى نصر بن سيار يأمره ألا يستعين بأحـــد من أهل الشرك في أعماله وكتابته ، وكان أول من نقل الكتابة من الفارسية الى العربية بخراسان إسحاق بن طليق الكاتب رجل من بني نهشل كان مع نصر بن سيار[3]•

وبالرغم من أن اللغة العربية أصبحت لغة الدواوين في عهد عبد الملك في العراق والشام ومصر وإفريقية ، فان هـــذا لا يعني أن الأمويين لم يستخدموا الكتاب النصارى ، فقد ورد في كتاب (تاريخ مختصر الدول) لابن العبري أن عبد الملك منع الكتاب النصارى من أن يكتبوا الدفاتر بالرومية ولكن بالعربية ، وهذا دليل على أن الكتاب النصارى الذين يجيدون العربية قد بقوا في وظائفهم[4]، وقلما خلا ديوان من دواوين الدولة من النصارى[5] •

وفي مصر بقي عدد من الموظفين البيزنطيين ، من هؤلاء ميناس Menace الذي كان هرقل قد عينه حاكماً للولايات الشمالية وقد استمر في منصبه بعـــد الفتح[6] ، كما أن شنوده Shenouti عين حاكماً على الريف ، وفيلوخينوس Philoxenus حاكماً على أركاديا (الفيوم)[7] ، وكان هؤلاء الحكام الثلاثة أكبر حكام مصر بعد حاكم الاسكندرية وكانوا من الروم الملكانيين[8] •

أما المناصب التي خلت لنزوح أولئك الذين رفضوا أن يكونوا من رعية

---

(١) الجهشياري ، ٤٨ •
(٢) المصدر السابق ، ص ٥٩ •
(٣) المصدر السابق ، ص ٦٧ •
(٤) ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص ١٩٤ •
(٥) Tritton, p. 18 .
(٦) Ibid. p. 19 .
(٧) Ibid. p. 19 .
(٨) بتلر ص ٣١٤ •

الاسلام فقد جعل العرب في مكانهم عمالاً من القبط[1] ، وقد استخدم عمرو بن العاص القبط على جباية الروم[2] .

ومن الأشخاص المعروفين والذين كان لهم دورهم في الادارة المالية اثناسيوس Athanasius الرهاوي ، ويرد عند الجهشياري باسم يناس بن خمايا من أهل الرها[3] ، وقد عينه مروان بن الحكم مع مسيحي آخر اسمه اسحق Isaac ثم بلغ مرتبة الرياسة في دواوين الاسكندرية ، وحمل بقية الموظفين المسيحيين على رفع ملتمس الى الوالي حول الشؤون الكنسية وبأن بيعة الاسكندرية يلزمها خراج عظيم ، وكان ينعت في المكاتبات الرسمية بالكاتب الأفخم وقد أصبح اثناسيوس متولي ديوان الخراج لعبد العزيز بن مروان[4] وكان غالباً عليه[5] ، وبعد وفاة عبد العزيز وولاية عبد الله بن عبد الملك عزل اثناسيوس وخلفه ابن يربوع الفزاري من أهل حمص ، وقد اختلفت الروايات في شأنه فيزعم بعضها أنه كان يتناول ٦٠ ألف دينار سنوياً الى جانب دينار واحد يأخذه عن كل جندي ؛ ويتكلم ابن العبري عن ثروة اثناسيوس الذي كان لديه أربعة آلاف عبد وكثير من الدور والقرى والبساتين والذهب والفضة واستطاع أن يشيد كنيسة (أم الاله) The Mother of God في الرها من أجور اربعمائة حانوت يملكها ، فحسده سرجون وكان ملكاني المذهب ووشى به عند الخليفة زاعماً أنه قد مد يده بالسرقة الى بيت مال مصر ، وظل دائباً على الوشاية حتى تنازل اثناسيوس عن مبلغ كبير من المال أرضى به الخليفة ، ومع ذلك فقد تبقى لديه الكثير[6] . وبالرغم من المبالغات الظاهرة التي يوردها ابن العبري إلا أنها تعطينا فكرة عن مدى سلطة أثناسيوس ونفوذه ومدى ثروته وغناه ، أما

---

(١) المصدر السابق ، ص ١٣٩ .

(٢) ابن عبد الحكم ، فتوح ص ١٥٢ .

(٣) الجهشياري ص ٣٤ .

(٤) Tritton, p. 20 .

(٥) الجهشياري ، ص ٣٤ .

(٦) Tritton, p. 21 .

الجهشياري فيذكر فقط أنه لما توفي عبد العزيز بن مروان أرسل عبد الملك الضحاك بن عبد الرحمن الى مصر وأمره أن يقاسم يناس كاتب عبد العزيز ماله[١] .

ويرد اسم ثيودوسيوس Theodosius وهو من الملكانيين البارزين ، كحاكم على الاسكندرية ومريوط ، والمأثور عنه أنه رحل الى دمشق حيث دفع الى يزيد بن معاوية مبلغاً من المال وعاد حاملا مرسوم توليته حاكماً على الاسكندرية ومريوط والمناطق التابعة لهما ، وكان ثيودوسيوس هذا من أشد الناقمين على البطريرك القبطي (أنبا أغاثوا) ومن ثم استغل منصبه للكيد له[٢] .

وفي خلال فترة بطريركية الاسكندر (٨١ – ١٠٦ هـ) كان تيودور والياً على الاسكندرية ويلقب في الكتب الرسمية باسم اجستاليوس Augustalis وكان أخوه بطرس والياً على الصعيد ، وقد أسلم كلاهما في أواخر ولاية عبد العزيز بن مروان[٣] .

وقد كره عمر بن عبد العزيز أن تكون يد الذمي هي العليا فيكون له السلطان على المسلمين ، وقد أظهر في كتابه الى عماله « أن المسلمين استعانوا في بادىء الأمر بأهل الذمة لعلمهم بالجباية والكتابة والتدبير فكانت لهم في ذلك مدة قد قضاها الله ... فلا أعلم كاتباً ولا عاملاً في شيء من عملك على غير دين الاسلام الا عزلته واستبدلت مكانه رجلاً مسلماً[٤] » ، وهذا مادفع ساويرس الى أن يصف عمر بن عبد العزيز بأنه كان يفعل خيراً عظيماً أمام الناس ويفعل السوء أمام الله إذ أمر باعفاء الأساقفة والكنائس من الخراج وعمر المدن التي خربت وأبطل الجبايات ، فعاش القبط في أمن وهدوء ، ولكنه مالبث أن ارسل

(١) الجهشياري ، ص ٣٤ .
(٢) Tritton, p. 21 .
(٣) دانيل دينيت ، ص ١٣٨ .
(٤) ابن عبد الحكم ، سيرة عمر بن عبد العزيز ، ص ١٣٦ .

كتاباً يأمر فيه الأقباط بالتخلي عن أعمالهم في الدولة ماداموا على دينهم ، أما من يريد منهم الاحتفاظ بعمله فليكن على دين محمد[1] ، ولهذا سلم الأقباط مابيدهم من الوظائف والأعمال الى المسلمين ، ويقول الكندي إنه في خلافة عمر بن عبد العزيز نزعت موازيت القبط من الكور واستعمل المسلمون عليها[2] .

وربما أدى قرار عمر بن عبد العزيز الى إسلام كثيرين إذ ذاك كي لا يتركوا مناصبهم ، غير أن القرار ذاته لم يستمر كما يبدو طويلاً بعد وفاته ، ففي رسالة من الخليفة هشام بن عبد الملك الى خالد القسري ، « عندما أفرط خالد في الدالة على هشام » يأخذ عليه استعانته بالمجوس والنصارى وتوليتهم رقاب المسلمين وجبوة خراجهم وتسلطهم عليهم[3] .

ويذكر النويري أنه لما ولي يوسف العراق كان الاسلام ذليلاً والحكم الى أهل الذمة فقال يحيى بن نوفل :

أتانا وأهل الشرك أهل زكاتنا
وحكامنا فيما نسر ونجهر

فلما أتانا يوسف الخير أشرقت
له الأرض حتى كل واد منور

وحتى رأينا العدل في الناس ظاهراً
وما كان قبل العقيلي يظهر[4]

هذا وانه مما يلفت الانتباه أن العرب استعانوا في الولايات الشرقية بالمجوس وفي المناطق الأخرى بالنصارى ، ولا نرى ذكراً لاستخدام اليهود ،

---

(١) ساويرس ، ج٥ ، ص ٧١و٧٢ .
(٢) الكندي ، ص ٦٩ .
(٣) المبرد ، ج٢ ، ص ٣٩٠ .
(٤) النويري ، ج٢١ ، ص ٤٥٧ .

ونجد أول ذكر ليهودي في خلافة المنصور الذي عينه على جباية الخراج[(١)] .

ويعلل الجاحظ ذلك بأن اليهود كانوا جيران المسلمين بيثرب وغيرها وعداوة الجيران شبيهة بعداوة الأقارب في شدة التمكن وثبات الحقد ، وانه لما صار المهاجرون لليهود جيراناً ، وقد كانت الأنصار متقدمة الجوار مشاركة في الدار ، حسدتهم اليهود على نعمة الدين والاجتماع بعد الافتراق فجمعوا كيدهم وبذلوا أنفسهم وأموالهم في قتالهم ، وكانت النصارى لبعد ديارهم عن مبعث النبي ﷺ ومهاجره لا يتكلفون طعناً ولا يثيرون كيداً ولا يجمعون على حرب ، فكان هذا أول أسباب ماغلظ القلوب على اليهود ولينها على النصارى ، ثم كان من أمر المهاجرين الى الحبشة واعتمادهم على تلك الجهة ما حببهم الى الاسلام[(٢)] .

ثم إن النصرانية كانت فاشية في العرب وغالبة عليها إلا مضر ، فلم تغلب عليها يهودية ولا مجوسية ولم تفش فيها النصرانية الا ما كان من قوم منهم نزلوا الحيرة يسمون العبّاد فانهم كانوا نصارى ، ولم تعرف مضر الا دين العرب ثم الاسلام ، وغلبت النصرانية على ملوك العرب وقبائلها على لخم وغسان والحارث بن كعب بنجران وقضاعة وطيء في قبائل كثيرة وأحياء معروفة ، ثم ظهرت في ربيعة فغلبت على تغلب وعبد القيس وأفناء بكر ، وجاء الاسلام وليست اليهودية بغالبة على قبيلة الا ما كان من ناس من اليمانية ، ونبذ يسير من جمع اياد وربيعة ومعظم اليهود إنما كانوا بيثرب وحمير وتيماء ووادي القرى في ولد هارون دون العرب[(٣)] .

ويضيف الجاحظ أن النصارى كان منهم الكتاب والأطباء والأشراف

(١) Tritton, p. 22 .

(٢) الجاحظ ، ثلاث رسائل ، طبعة القاهرة ١٣٤٤ هـ ، ص ١٤ .

(٣) المصدر السابق ، ص ١٥ .

والعطارين والصيارفة بينما لم يكن اليهودي الا صباغاً أو دباغاً أو حجاما أو قصابا أو شعابا[1] •

لا شك أن تعليل الجاحظ صائب الى حد بعيد ، فقد كانت المسيحية منتشرة في مصر بين الأقباط وبين العديد من القبائل العربية المقيمة في الشـــام والجزيرة وأطراف العراق ، وكانت المجوسية دين الفرس ، فكان من الطبيعي أن يعتمد الأمويون في إدارة ولاياتهم وفي شؤون الدواوين المختلفة التي ظهرت في عصرهم على من مارسوا الادارة من قريب أو بعيد ، ولكن هذا الاعتماد على أهل الذمة لعلمهم بالجباية والكتابة والتدبير لم يعد كما وضح عمر بن عبد العزيز ضرورة كما كان الأمر في السابق لانتشار الاسلام بين أولئك الذين يتقنون أمور الجباية والكتابة والادارة ، وبالرغم من أن عمر بن عبد العزيز أكد على وجوب استخدام المسلمين في كل وظائف الدولة ، فان تعيين الأكفاء من أهل الذمة استمر الى نهاية العصر الأموي •



(١) المصدر السابق ، ص ١٧ •



مصادر البحث

المصـــادر العربيـــة :

١ ـ الابشهي (شهاب الدين محمد بن احمد ابي الفتح الابشهي) (٧٩٠ ـ ٨٥٠ هـ) **المستطرف في كل فن مستظرف** وبهامشه كتاب ثمرات الاوراق في المحاضرات للامام تقي الدين ابي بكر بن علي بن محمد بن حجة الحموي ٠

٢ ـ ابن ابي دينـار (ابو عبـد الله محمـد بن ابي القاسم الرعيني القيرواني) **المؤنس في أخبار افريقيا وتونس :** تونس ١٣٨٦ هـ ٠

٣ ـ ابن الاثير (ابي الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الواحد الشيباني) (ت ٦٣٠ هـ) **الكامل في التاريخ** الجزء الثاني والثالث والرابع ، ادارة الطباعة المنيرية ٠

٤ ـ ابن أنس (مالك) (ت ١٧٩ هـ) **المدونة** الجزء الثالث ، القاهرة ١٣٢٤ هـ ٠

٥ ـ ابن اياس : **تاريخ مصر** ، مكتبة الدراسات العليا ـ دمشق ٠

٦ ـ ابن بسام (محمد بن احمد بن بسام) **نهاية الرتبة في طلب الحسبة** مخطوطة احمد الثالث باستنبول ، (مصورة في بغداد عام ١٩٦٨) ٠

٧ ـ ابن بشكوال (ابو القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود) **كتاب الصلة في تاريخ أئمة الاندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم** القاهرة ، ١٣٧٤هـ ١٩٥٥ م ٠

٨ ـ ابن تغري بردي (ابو المحاسن) (ت ٨٧٤ هـ) **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة** ٠ الجزء الاول والثاني ـ طبع دار الكتب المصرية ١٩٢٩ ، ١٩٣٠ ٠

٩ ـ ابن تيمية : **السياسة الشرعية في اصلاح الراعي والرعية** ، دار الكتب العربية ـ بيروت ٠

١٠ ـ ابن الجوزي : (ابو الفرج) (ت ٥٩٧ هـ) **تاريخ عمر بن الخطاب** دار احياء علوم الدين بدمشق ٠

١١ ـ ابن حزم : **جمهرة الانساب ، المسمى جمهرة انساب العرب** ، مصر ١٩٤٨ ٠

١٢ ـ ابن حنبل (احمد بن محمد) (ت ٢٤١ هـ) **المسند** ، الجزء الثاني ، القاهرة ١٣١٣ هـ ٠

١٣ ـ ابن خلدون الفقيه (ابو زكريا يحيى بن ابي بكر محمد بن محمد بن الحسن بن خلدون) **بغية الرواد في ذكر الملون من بني عبد الواد** • الجزء الاول ، الجزائر ، ١٩٠٣ م •

١٤ ـ ابن خلدون المؤرخ (عبد الرحمن بن خلدون الخضرمي المغربي) (ت ٨٠٨ هـ) **تاريخ ابن خلدون** ، الجزء الاول والسادس ، بيروت ١٣٩١ هـ ، ١٩٧١ م •

١٥ ـ ابن خلكان : **وفيات الاعيان وأنباء وأبناء الزمان** •

١٦ ـ ابن دقماق (ت ٨٠٩ هـ) **كتاب الانتصار لواسطة عقد الامصار** ، الجزء الرابع والخامس ، طبعة بولاق ، ١٣٠٩ هـ •

١٧ ـ ابن رسته (ابي علي احمد بن عمر) (ت ٣٩٠ هـ) **الاعلاق النفيسة** ، ليدن ، مطبعة بريل ١٨٩١ •

١٨ ـ ابن سعد (محمد) (ت ٢٣٠ هـ) **كتاب الطبقات الكبير** ، الاجـزاء السبعة الاولى ، ليدن ، ١٣٢٢ هـ •

١٩ ـ ابن شـداد (عز الـدين ابي عبـد الله محمـد بن علي بن ابراهيم الحلبي) (ت ٦٨٤ هـ) **الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة** تحقيق الدكتور سامي الدهان ، دمشق ، ١٩٦٢ ـ ١٣٨٢ هـ •

٢٠ ـ ابن الطقطقي (محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقي) (ت٧٠٩هـ) **الفخري في الآداب السلطانية** • المطبعة الرحمانية بمصر ، ١٣٤٥ هـ ١٩٢٧ م •

٢١ ـ ابن طولون (شمس الدين) **الثغر البسام في ذكر من ولي قضاء الشام** تحقيق صلاح الدين المنجد ، مطبوعات المجمع العلمي العربي دمشق ، ١٩٥٦ •

٢٢ ـ ابن عبـد الحكم (ابي القاسم عبـد الرحمن بن عبـد الله بن عبـد الحكم) (ت ٢١٤ هـ)

١ ـ **فتوح مصر وأخبارها** • ليدن ١٩٣٠

٢ ـ **سيرة عمر بن عبد العزيز** تحقيق احمد عبيد

٢٣ ـ ابن عبد ربه (ابو عمر احمد بن محمد) **العقد الفريد** ، تحقيق احمد أمين ، احمد الزين ، ابراهيم الابياري ، سبعة أجزاء ١٩٤٩ ـ ١٩٦٨ •

٢٤ ـ ابن العبري (غريغورس ابي الفرج بن هرون) **تاريخ مختصر الدول** وقف على طبعه الاب أنطون صالحاني اليسوعي •

٢٥ ـ ابن العديم (كمال الدين ابي القاسم عمر بن احمد بن هبة الله) (٥٨٨ هـ ـ ٦٦٠ هـ) **زبدة الحلب في تاريخ حلب** تحقيق الدكتور سامي الدهان •

٢٦ ـ ابن عذارى المراكشي• **البيان المغرب في اخبار المغرب**• جزءان بيروت ط ١٩٥٠•

٢٧ ـ ابن عساكر (القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي)

١ ـ **تاريخ مدينة دمشق** ، المجلدة الاولى والثانية تحقيق صلاح المنجد ، المجلد الخامس من تاريخ دمشق ، مخطوطة رقم ٣٣٧٠ ، نسـخة سليمان باشا العظم ـ المكتبة الظاهرية •

٢ ـ **تهذيب تاريخ ابن عساكر** ، ستة أجزاء ، احمد عبيد دمشق، ١٣٢٩، ١٣٣٢ هـ ٠

٢٨ ـ ابن الفقيه (ابو بكر احمد بن محمد الهمذاني) ، **كتاب البلدان** ، ليدن ، ١٣٠٢ هـ ٠

٢٩ ـ ابن قتيبة الدينوري (محمد عبد الله بن مسلم) (٢١٣ ـ ٢٧٦ هـ)
١ ـ **الامامة والسياسة** ، تحقيق الدكتور طه محمد الزيني مؤسسة الحلبي٠
٢ ـ **المعارف** ، تحقيق محمد اسماعيل عبد الله الصاوي الطبعة الثانية ، بيروت ١٣٩٠ هـ ـ ١٩٧٠ م ٠
٣ ـ **عيون الاخبار** ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٣٤٣ هـ ـ ١٩٢٥ م ٠

٣٠ ـ ابن كثير (اسماعيل بن عمر) (ت ٧٧٤ هـ)
البداية والنهاية في التاريخ ، الجزء الثامن والتاسع ، القاهرة

٣١ ـ ابن مسكويه (ابو علي احمد بن محمد بن يعقوب) (ت ٤٢١ هـ)
كتاب تجارب الامم ، الجزء الخامس ، مطبعة التمدن الصناعية بمصر ، القاهرة، ١٣٣٢ هـ ٠

٣٢ ـ ابن مصعب الزبيري ، **نسب قريش** ، تصحيح وتعليق ليفي بروفنسال ٠

٣٣ ـ ابن مماتي (اسعد بن مماتي الوزير الايوبي) (ت ٦٠٦ هـ)
كتاب قوانين الدواوين ، تحقيق عزيز عطية ، مطبعة مصر ١٩٤٣

٣٤ ـ ابن منظور (ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم)
لسان العرب ، بيروت ، ١٣٨٨ هـ ، ١٩٦٨ ٠

٣٥ ـ ابن هشام ٠ **السيرة النبوية** ، تحقيق مصطفى السقا ، ابراهيم الابياري ، عبد الحفيظ الشلبي ، الجزء الثاني والرابع ٠ مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ١٣٥٥ ، ١٩٣٦ ٠

٣٦ ـ ابو بكر العربي ٠ **العواصم من القواصم** ، ط ١٩٧١ ٠

٣٧ ـ ابو حنيفة (النعمان بن ثابت) (ت ١٥٠ هـ) ، **جامع المسانـد** الجزء الثاني ، حيدر اباد ، ١٣٣٢ هـ ٠

٣٨ ـ ابو عبيد (القاسم بن سلام) (ت ٢٢٤) **كتاب الاموال** ، تحقيق محمد حامد الفقي ، من علماء الازهر الشريف ، القاهرة ٠

٣٩ ـ ابو الفدا (الملك المؤيد عماد الدين ابو الفدا اسماعيل بن علي بن محمود) (ت ٧٣٢ هـ) **المختصر في تاريخ البشر** ، الجزء الاول ، دار الكتب اللبناني ٠

٤٠ ـ ابو الفرج الاصبهاني : **مقاتل الطالبيين** ، تحقيق احمد صقر ، القاهرة ١٣٦٥هـ ١٩٤٦ م ٠
الاغاني ، المجلد ١٤ ، ١٥ مطبعة التقدم ١٣٢٣ هـ ، طبعة ساسي ، المجلد رقم ١٧ ، تحقيق علي محمد البجاوي ، واشراف محمد ابو الفضل ابراهيم ، القاهرة ١٣٨٩ هـ ١٩٧٠ م ٠

٤١ ـ ابو يعلى (محمد بن الحسين الفراء الحنبلي) (ت ٤٥٨ هـ) **الاحكام السلطانية** ، تحقيق محمد حامد الفقي ، الطبعة الاولى ، ١٩٣٨ م ، ١٣٥٦ هـ .

٤٢ ـ ابو يوسف القاضي (يعقوب بن ابراهيم صاحب الامام ابي حنيفة) **كتاب الخراج** ، المطبعة السلفية ، القاهرة ١٣٤٦ هـ .

٤٣ ـ الازدي (ابو زكريا يزيد بن محمد بن اياس بن القاسم الازدي) **تاريخ الموصل**، تحقيق الدكتور علي حبيبة ، القاهرة ، ١٣٨٧ هـ ، ١٩٦٧ م .

٤٤ ـ الاصبهاني (ابو نعيم احمد بن عبد الله) **ذكر أخبار أصبهان** ، ليدن ١٩٣٤ ، مطبعة بريل .

٤٥ ـ البلاذري (احمد بن يحيى بن جابر) :

١ ـ **فتوح البلدان** ، تحقيق محمد رضوان ، المكتبة التجارية الكبرى مصر .

٢ ـ **أنساب الاشراف** ، الجزء الاول تحقيق الدكتور محمد حميد الله ، معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية .

٣ ـ **أنساب الاشراف** ، القسم الاول من الجزء الرابع ، مؤسسة الدراسات الافريقية الاسلامية ، الجامعة العبرية ، القدس ، ١٩٧١ . القسم الثاني من الجزء الرابع ، مكتبة المثنى ، بغداد .

٤ ـ **انساب الاشراف** ، الجزء الخامس ، مؤسسة الدراسات الشرقية ، الجامعة العبرية ، القدس ١٩٣٦ .

٤٦ ـ البلخي (ابو زيد احمد بن سهل) ، **كتاب البدء والتاريخ** ، الجزء السادس ، باريز ١٩١٩ .

٤٧ ـ بحشل (اسلم بن سهل الرزاز الواسطي) (ت ٢٩٢ هـ) **تاريخ واسط**

٤٨ ـ التنوخي (ابو علي المحسن بن ابي القاسم علي بن محمد بن ابي الفهم بن ابراهيم) (ت ٣٨٤ هـ) **الفرج بعد الشدة** ، الجزء الاول ، الطبعة الاولى ، ١٩٥٥ م .

٤٩ ـ البيهقي ، **المحاسن والمساوىء** ، مطبعة السعادة ، الجزء الاول .

٥٠ ـ الجاحظ (ابو عثمان عمر بن بحر الجاحظ) (ت ٢٥٥ هـ) :

١ ـ **ثلاث رسائل** ، القاهرة ، المطبعة السلفية ١٣٤٤ هـ .

٢ ـ **البيان والتبيين** ، تحقيق حسن السندوبي ، دار الفكر ، بيروت .

٣ ـ **التاج في اخلاق الملوك** ، بيروت ، طبعة ١٩٧٠ .

٥١ ـ الجهشياري (ابي عبد الله محمد بن عبدوس) **الوزراء والكتاب** ، تحقيق مصطفى السقا ، ابراهيم الابياري ، الطبعة الاولى ، القاهرة .

٥٢ ـ خليفة بن خياط (ت ٢٤٠ هـ) **تاريخ خليفة بن خياط** ، تحقيق الدكتور سهيل زكار .

٥٣ ـ الخوارزمي (محمد بن احمد بن يوسف الخوارزمي الكاتب) (ت ٣٨٧ هـ) **مفاتيح العلوم** ، القاهرة ١٣٤٢ هـ .

٥٤ ـ الدينوري ، (ابو حنيفة احمد بن داوود الدينوري) (ت ٢٨٢ هـ) **الاخبار الطوال** ، تحقيق عبد المنعم عامر ، وزارة الثقافة والارشاد القومي ، الاقليم الجنوبي ، الادارة العامة للثقافة ٠

٥٥ ـ الدباغ (عبد الرحمن بن محمد بن علي بن عبد الله الانصاري) **معالم الايمان في معرفة أهل القيروان** ، تونس ١٣٢٢ هـ ، الجزء الاول ٠

٥٦ ـ الذهبي (ت ٧٤٨) **العبر في خبر من غبر** ، تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد، الجزء الاول ٠

٥٧ ـ الرازي ، **التفسير الكبير** ، الطبعة الثانية ، المجلد الخامس ٠

٥٨ ـ ساويرس ٠ **سير الاباء البطاركة** ، باريس ١٩١٠ ، الجزء الخامس ٠

٥٩ ـ السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر) (ت ٩١١ هـ) **تاريخ الخلفاء** ، تحقيق لجنة من الادباء ، دار الثقافة بيروت **حسن المحاضرة** ، القاهرة ١٣٢٧ ، جزءان ٠

٦٠ ـ الشيزري (عبد الرحمن بن نصر) (ت ٧٧٤ هـ)
نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، القاهرة ، ١٩٤٦ ٠

٦١ ـ صفي الدين (عبد المؤمن بن عبد الحق) (ت ٧٣٩ هـ)
مراصد الاطلاع ، تحقيق محمد علي البجاوي ، ٣ أجزاء ، دار احياء الكتب العربيـة ٠

٦٢ ـ الصنعاني (احمد بن عبد الله الرازي) (ت ٤٦٠ هـ)
تاريخ مدينة صنعاء ، تحقيق حسين عبد الله العمري ، عبد الجبار زكار ٠

٦٣ ـ الطبري (ابو جعفر محمد بن جرير) (ت ٣١٠ هـ)
تاريخ الرسل والملوك ، عشرة أجزاء ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم

٦٤ ـ الصابي (ابو الحسن الهلال بن الحسن بن ابراهيم) (ت ٤٤٨ هـ)
الوزراء أو تحفة الامراء في تاريخ الوزراء ، تحقيق عبد الستار احمد فراج ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٥٨ ٠

٦٥ ـ الاصطخري (ابو اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي) **المسـالك والممالك**

٦٦ ـ الطرطوشي (ابو بكر محمد بن محمد بن الوليد الفهري) (ت ٥٢٠ هـ)
سراج الملوك ، الطبعة الاولى ، المطبعة الازهرية ، مصر ١٣١٩ هـ ٠

٦٧ ـ عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي المكي (ت ١١١١ هـ)
سمط النجوم العوالي في أنباء الاوائل والتوالي ، المطبعة السلفية ، الجـزء الثـالث ٠

٦٨ ـ الكندي(ابو عمر محمد بن يوسف) ، **الولاة والقضاة** ، مطبعة الاباء اليسوعيين، بيروت ١٩٠٨ ٠

٦٩ ـ القالي (ابي علي اسماعيل بن القاسم) **الامالي** ، جزءان ، مطبعة دار الكتب المصرية ٠

٧٠ ـ قدامة بن جعفر : **نبذ من كتاب الخراج وصنعة الكتابة** ، ليدن ، مطبعة بريل ، ١٣٠٦ هـ ٠

٧١ ـ القلقشندي (ابو العباس احمد) (ت ٨٢١ هـ) **صبح الاعشى** ، ١٤ جزء ، المطبعة الاميرية بالقاهرة ، ١٣٣١ هـ ، ١٩١٣ م ٠

٧٢ ـ المالكي (ابو بكر عبد الله بن ابي عبد الله)
رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وافريقيا ، تحقيق حسين مؤنس ، الطبعة الاولى ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٥١ م ٠

٧٣ ـ الماوردي (ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي) (ت ٤٥٠ هـ) ، **الاحكام السلطانية** ، الطبعة الثالثة ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر ١٩٧٣ م ٠

٧٤ ـ المبرد (ابو العباس محمد بن يزيد) (ت ١٨٥ هـ)
الكامل في اللغة والادب ، مكتبة المعارف ، بيروت ٠

٧٥ ـ المسعودي (ابو الحسن علي بن الحسين) (ت ٣٤٥ هـ) :
١ ـ **التنبيه والاشراف** ، تحقيق عبد الله اسماعيل الصاوي ، مكتبة المثنى ، بغداد ٠
٢ ـ **مروج الذهب ومعادن الجوهر** ، تحقيق يوسف اسعد داغر ، دار الاندلس للطباعة والنشر ، بيروت ٠

٧٦ ـ المقريزي (ابو العباس احمد بن علي) (ت ٨٤٥ هـ) :
١ ـ **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار** ، ثلاثة أجزاء دار التحرير للطبع والنشر ، عن طبعة بولاق ، ١٢٧٠ هـ ٠
٢ ـ **النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم** ، من منشورات المطبعة العلمية في النجف الاشرف ٠
٣ ـ **البيان والاعراب عما بأرض مصر من الاعراب** ، القاهرة ، ١٣٥٦ هـ ٠

٧٧ ـ النرشخي (ابو بكر محمد بن جعفر) (٢٨٦ ـ ٣٤٨ هـ)
تاريخ بخارى ، تعريب امين عبد المجيد البدوي ، دار المعارف بمصر ٠

٧٨ ـ النويري (شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب) (٦٧٧ ـ ٧٣٣ هـ) **نهاية الارب في فنون الادب** ، تحقيق محمد علي البجاوي الجزء الحادي والعشرون ٠

٧٩ ـ الهمذاني (ابو محمد الحسن بن احمد) **صفة جزيرة العرب** ، ط ١٩٥٤

٨٠ ـ وكيع (محمد بن خلف بن حيان) **أخبار القضاة** ، تحقيق عبد العزيز مصطفى المراغي ، الجزء الأول ، القاهرة ٠

٨١ ـ يحيى بن آدم القرشي **(كتاب الخراج)** ، ليدن ، مطبعة بريل ١٨٩٥ م ٠

٨٢ ـ ياقوت الحموي ، **معجم البلدان** ، خمسة أجزاء ، دار صادر ، بيروت ١٣٩٧ هـ، ١٩٧٧ م ٠

٨٣ ـ ياسين بن خير الله الخطيب العمري ، **منية الادباء في تاريخ موصل الحدباء** تحقيق سعيد الديوهجي ، مدير متحف الموصل ، ١٩٥٥ ٠

٨٤ ـ اليعقوبي (احمد بن ابي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح) (ت ٢٨٤ هـ):
١ ـ **تاريخ اليعقوبي** ، جزءان ، دار بيروت للطباعة والنشر ، ١٣٧٩ هـ ، ١٩٦٠ ٠
٢ ـ **كتاب البلدان** ، ليدن ، مطبعة بريل ، ١٨٩١ م ٠

المراجع الحديثة

آ ـ المراجع العربية :

٨٥ ـ ابراهيم احمد العدوي :
١ ـ **الامويون والبيزنطيون** ، الطبعة الثانية ، الدار القومية للطباعة والنشر٠
٢ ـ **النظم السياسية** ، طبعة ١٩٧٢ م ٠

٨٦ ـ احسان صدقي العمد : **الحجاج بن يوسف الثقفي ـ حياته وآراؤه السياسية**، دار الثقافة ، بيروت ١٩٧٣ ٠

٨٧ ـ احسان النص : **الخطابة العربية في عصرها الذهبي** ، دار المعارف ١٩٦٣ م ٠

٨٨ ـ احمد أمين : **فجر الاسلام** ، الطبعة العاشرة ، ١٩٦٩ م ٠

٨٩ ـ آ٠ ل٠ بتشر : **تاريخ الامة القبطية** ، جزءان ، طبعة ١٩٠٠ م ٠

٩٠ ـ اسماعيل الراوي :
١ ـ **تاريخ الدولة العربية** ، خلافة الراشدين والامويين ، الطبعة الاولى، ١٩٧٠ ، مطبعة الارشاد ـ بغداد ٠
٢ ـ **العراق في العصر الاموي** ، مكتبة النهضة ، بغداد ١٩٦٥ ٠

٩١ ـ انستاس الكرملي : **النقود العربية وعلم النميات** ، طبعة ١٩٢٩ م ٠

٩٢ ـ جرجي زيدان : **تاريخ التمدن الاسلامي** ، خمسة أجزاء ، مطبعة الهلال بمصر ، ١٩٠٢ م

٩٣ ـ جمال الدين الشيال : **دراسات في التاريخ الاسلامي** ، بيروت ١٩٦٤ ٠

٩٤ ـ حسام السامرائي : **المؤسسات الادارية في الدولة العباسية** ، طبعة ١٩٧١ ٠

٩٥ ـ حسين مؤنس :
١ ـ **فتح العرب للمغرب** ، القاهرة ١٩٤٧ ٠
٢ ـ **التنظيم الاداري والمالي لافريقيا والمغرب** خلال عصر الولاة ، مقال في مجلة كلية الاداب والتربية ، جامعة الكويت ، العدد الاول ، حزيران، ١٩٧٢ ٠

٩٦ ـ الخضري : **محاضرات في تاريخ الامم الاسلامية** ـ دار احياء الكتب العربية ، عيسى الحلبي ١٣٤٨ هـ ، ١٩٣٠ م .

٩٧ ـ خير الدين الزركلي : **الاعلام** ، احدى عشر جزءا ، طبعة ١٩٧٠ .

٩٨ ـ رياض محمود رويحة : **الحجاج بن يوسف الثقفي جبار ثقيف** ، دار الاندلس للطباعة والنشر ، بيروت .

٩٩ ـ زكي محمد حسن : **الفن الاسلامي في مصر** ، القاهرة ، ١٩٣٥ .

١٠٠ـ سعد زغلول عبد الحميد : **تاريخ المغرب العربي** ، دار المعارف ، مصر .

١٠١ـ سليمان محمد الطماوي : **تنظيم الادارة العامة** ، الطبعة الاولى ١٩٥٥ م .

١٠٢ـ سيد قطب : **في ظلال القرآن** ، الطبعة الخامسة ، المجلد الثالث والرابع

١٠٣ـ سيدة اسماعيل كاشف :

١ ـ **مصر في عصر الولاة ، مكتبة النهضة المصرية**

٢ ـ **مصر في فجر الاسلام** ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٧٠ .

١٠٤ـ شاكر مصطفى : **تاريخ بني العباس** ، مطبعة الجامعة السورية ١٩٥٧ ، الجزء الثاني .

١٠٥ـ شكري فيصل : **المجتمعات الاسلامية** ، دار العلم للملايين ، بيروت .

١٠٦ـ صالح احمد العلي : **التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الاول الهجري** ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت .

١٠٧ـ صبحي الصالح : **النظم الاسلامية** ، نشأتها وتطورها .

١٠٨ـ ظافر القاسمي : **نظام الحكم في الشريعة والاسلام** ، الطبعة الاولى ١٣٩٤ هـ ، ١٩٧٤ م دار النفائس ، بيروت .

١٠٩ـ عبد الرحمن زيدان : **كتاب العز والصولة في معالم نظم الدولة** ، المطبعة الملكية، الرباط ، ١٩٦٢ .

١١٠ـ عبد العزيز الدوري : **مقدمة في التاريخ الاقتصادي ـ العربي** ، بيروت ط ١٩٦٩
العرب والارض في بلاد الشام في صدر الاسلام ـ المؤتمر الدولي لتاريخ بلاد الشام ، جامعة الاردن ط ١٩٧٤ .

١١١ـ عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني : **التراتيب الادارية والعمالات والصناعات والمتاجر والحالة العلمية التي كانت على عهد تأسيس المدينة الاسلامية** ، حزيران ، فاس ١٣٤٩ .

١١٢ـ عبد اللطيف الطيباوي : **محاضرات في تاريخ العرب والاسلام** ، دار الاندلس ، بيروت ، الجزء الاول .

١١٣ـ علي حسني الخربطلي : **تاريخ العراق في ظل الحكم الاموي** ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٥٩ .

١١٤ـ عمر ابو النصر : **الموسوعة التاريخية** ، الايام الاخيرة للدولة الاموية ، منشورات المكتبة الاهلية ـ بيروت ٠

١١٥ـ فتحي عثمان : **الحدود الاسلامية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري** ، الكتاب الاول ، الدار القومية للطباعة والنشر ٠

١١٦ـ كاظم الجنابي : **تخطيط مدينة الكوفة** ، ١٩٦٧ ، المجمع العلمي العراقي ٠

١١٧ـ محمد حميد الله : **مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة**، الطبعة الثالثة ، ١٩٦٩ ٠

١١٨ـ محمد ضياء الدين الريس :

١ ـ **النظريات السياسية الاسلامية** ، القاهرة ، ١٩٦٦ م ٠

٢ ـ **الخراج والنظم المالية للدولة الاسلامية** ، الطبعة الثالثة ، ١٩٦٩ ، دار المعارف ، مصر ٠

١١٩ـ محمد عبد الهادي شعيرة : **المرابطون في الثغور الاسلامية الرومية** بحث في كتاب الى طه حسين في عيد ميلاده السبعين ٠

١٢٠ـ محمد عبد الله عنان : **مصر الاسلامية وتاريخ الخطط المصرية** ، الطبعة الثانية ١٩٦٩ ٠

١٢١ـ محمد كرد علي :

١ ـ **الاسلام والحضارة العربية** ، جزءان ، القاهرة ١٩٦٨ ٠

٢ ـ **أمراء البيان** ، دار الامانة ، بيروت ، الطبعة الثالثة ٠

٣ ـ **خطط الشام** ، ٦ أجزاء ، دمشق ١٩٢٦ ٠

٤ ـ **مميزات بني أمية** ، محاضرات المجمع العلمي العربي ، الجزء الثاني، ١٣٧٣ هـ ، ١٩٥٤ م

١٢٢ـ محمد ماهر حمادة : **الوثائق السياسية والادارية العائدة للعصر الاموي** ، مؤسسة الرسالة ، دار النفائس ، ١٩٧٤ ٠

١٢٣ـ محمود كامل : **الدولة العربية الكبرى** ، دار المعارف مصر ٠

١٢٤ـ محمود النقشبندي : **الدرهم الاسلامي** ، مطبوعات المجمع العلمي العراقي ، ١٩٦٩ ٠

١٢٥ـ منير العجلاني : **عبقرية الاسلام في اصول الحكم** ، الطبعة الاولى ٠

١٢٦ـ نبيه عاقل : **خلافة بني أمية** ، **الطبعة الثالثة** ، **١٩٧٥ م** ٠
الامبراطورية البيزنطية ، دمشق ، ١٩٦٩ م ٠

١٢٧ـ وصفي زكريا : **عشائر الشام** ، دمشق ١٩٤٥ ٠

ب ـ المراجع الاجنبية المترجمة :

١٢٨ـ بارتولد : **تاريخ الحضارة الاسلامية** ، ترجمة حمزة طاهر وتقديم الاستاذ الدكتور عبد الوهاب عزام ، مطبعة المعارف ، بمصر ٠

١٢٩ـ بتلر ـ الفرد : **فتح العرب لمصر** ، ترجمة محمد فريد ابو حديد ، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ، ١٣٥١ هـ ، ١٩٣٣ م ٠

١٣٠ـ بليابيف : **العرب والاسلام والخلافة العربية** ، بيروت ، الدار المتحدة للنشر ، ١٩٧٣ م ٠

١٣١ـ تنسر ، **كتاب تنسر** ، ترجمة يحيى خشاب ، القاهرة ١٩٥٤ ٠

١٣٢ـ جب ـ هاملتون : **دراسات في حضارة الاسلام** ، ترجمة احسان عباس محمد يوسف نجم ، مطبعة دار العلم ، بيروت ٠

١٣٣ـ حتي ـ فيليب :
١ ـ **تاريخ سورية ولبنان وفلسطين** ، ترجمة الدكتور جورج حداد ، الدكتور عبد الكريم رافق ، دار الثقافة ، بيروت
٢ ـ **تاريخ العرب مطول** ، ثلاثة أجزاء ، ترجمة الدكتور جبرائيل جبور ، دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع ، ١٩٥٢ م ٠

١٣٤ـ حسين مولوي : **الادارة العربية** ، ترجمة ابراهيم احمد العدوي ، ١٩٥٨ ٠

١٣٥ـ دينيت (دانيل) **الجزية والاسلام** ، ترجمة فوزي فهيم جاد الله ٠

١٣٦ـ دي كاستري ، هنري : **الاسلام خواطر وسوانح** ، ترجمة احمد فتحي زغلول باشا ، مطبعة السعادة بالقاهرة ٠

١٣٧ـ كريستنسن : **ايران في عهد الساسانيين** ، ترجمة يحيى خشاب ، مراجعة عبد الوهاب عزام ، القاهرة ، ١٩٥٧ م

١٣٨ـ فان فلوتن : **السيادة العربية والشيعة والاسرائيليات** في عهد بني أمية ، ترجمة حسن ابراهيم حسن ، محمد زكي ابراهيم ، الطبعة الثانية ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٥ م ٠

١٣٩ـ فلهوزن : **تاريخ الدولة العربية من ظهور الاسلام** الى نهاية الدولة الاموية ، ترجمة محمد عبد الهادي ابو ريده ٠

١٤٠ـ فون كريمر : **الحضارة الاسلامية ومدى تأثرها بالمؤثرات الاجنبية** ، ترجمة طه بدر ، دار الفكر العربي ، القاهرة ٠

١٤١ـ رونسيمان : **الحضارة البيزنطية** ، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد ، مكتبة النهضة المصرية باشراف دار الثقافة العامة بوزارة التربية والتعليم ـ الاقليم الجنوبي ٠

١٤٢ـ ميتز (ادم) : **الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري** ، ترجمة محمد عبد الهادي ابو ريده ، القاهرة ١٩٤٠ ٠

جـ ـ المراجع الاجنبية :

1 — Abbot. Nabia, The Kurrah Papyri from Aphrodito in the Oriental Institute The University of Chicago.

2 — Abun-Nasr , Jamil M .
« A History of the Maghrib » Cambridge University Press .

3 — Amer Ali-Sayid. « A Short History of the Saracens » 1953 .

4 — Barthold, W. « Turkestan down to the Mongol Invasion » Second edition. Translated from the original Russian by the author with the assistance of H. A. R. Gibb .

5 — Baynes. N. « The Byzantine Empire » London 1935 .

6 — Brockelmann. « Histoire des Peuples et des Etats Islamiques. » Payot Paris .

7 — Demombynes, Gaudefroy. « Histoire du Monde ». Tome VII Le, Monde Musulman et Byzantin Jusqu'aux Croisades .

8 — Gibb , H.A.R. « The Arab Conquest in Central Asia » London 1923. The Royal Asiatic Society .

9 — Johnson , Allan , Chester. « Byzantine Egypt » .Princeton 1949 .

10 — Grohman, Adolf . « Arabic Papyri in the Egyptian Library » Vol I.II.III 1934. 1936. 1938 .

11 — Grousset, René . « L' Empire du Levant ». Payot, Paris 1949 .

12 — Irving, Washington. « Lives of the Successors of Mohammet » Vol II London 1950 .

13 — Julien , CH. André. « Histoire de l' Afrique du Nord » Payot , Paris .

14 — Lammens. H. « Etudes sur Le Siècle des Ommeyades » Beyrouth 1925 .
« Ziad Ibn Abihi » - Vice - roi de l' Iraq Lieutenant de Moawia 1 .

15 — Lane - Pool. « A History of Egypt in the Middle Ages. » London 1925 .

16 — Le Strange. « The lands of the Eastern Caliphate. » Cambridge 1930. Palestine Under The Muslims. 1890 .

17 — Levy , Reuben. « The Social Structure of Islam . » Second Edition. Cambridge University Press .

18 — Lokkegaard, Frede. « Islamic taxation in the Classic Period ». Copenhagen 1950 .

19 — Lewis, Bernard. « The Arabs in History ». London 1950 .

20 — Margolioth, D.S. « The Early Development of Mohammedanism » Lectures Delivered in the University of London .

21 — Milne ; « A History of Egypt under Roman Rule » . London 1898 .

22 — Muir, William « Annals of the Early Caliphate ». London 1883 .

23 — Munier, Henri. « L' Egypte Byzantine » Précis de l' Histoire d' Egypte tome II 1932 .

24 — Oliver, Roland. « A short History of Africa » Penguin African Library .

25 — Quatremere. « Recherches Citique et Historique sur la langue et la litterature de l' Egypte ». Paris 1808 .

26 — Tritton, A. S. The Caliphs And their Non-Muslim Subjects ». Oxford University Press 1930 .

27 — Tyan, Emile. Histoire de l'organisation judiciare en pays d' Islam. LEIDEN, BRILL. 1960 .

28 — Wiet, Gaston. « L' Egypte Arabe » (Histoire de la Nation Egyptienne) . tome IV .

29 — Encyclopedia Britanica. Vol IV
The Byzantine Empire .

30 — Encyclopedia of Islam .

Barid	Vol	I	1966
Diwan	Vol	II	1965
Masdjid	Vol	IV	1936
Tyraz	Vol	IV	1934

31 — Greek Papyri in the British Museum Vol. IV 1893 (BEL L. H. I.)

المحتوى

